

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



مجله صالح الذكر
لقدون ۲۲۲۹۷۷

Cast. About 1946.

8039
N989nA
v.7
c.1

دار الكتب المصرية



القسم الأدبي

نهاية الأرب

في

فنون الأرب

تأليف

شهاب الدين محمد بن جويهر النوني

السفر السابع

59891

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م

East. April 1946



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم ، وعلى آله
وصحبه أجمعين .

وبعد ، فقد تم بمعونة الله وحسن توفيقه تصحيح السفر السابع من كتاب نهاية
الأرب في فنون الأدب .

وقد بذلنا وسعنا ، وغاية جهدنا ، في سبيل إظهاره للقراء سليما من التحريف
والتصحيف ، اللذين ملئت بهما أصوله التي بين أيدينا ، وهي نسخة واحدة ،
مأخوذة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧٠ تاريخ -
فلم ندع فيه - بحسب الطاقة - لفظا محرفا إلا أصلحناه ، ولا كلاما ناقصا غير متصل
الأجزاء إلا رجعنا إليه في مظانه وأكناه ولا علما من الأعلام إلا عينا بتحقيقه
وضبطه ، ولا لفظا غريبا إلا فسرناه ، ولا عبارة غامضة المعنى إلا أوضحنا الغرض
منها ، ولا بيتا يستغلق فهمه على القارئ إلا شرحناه ونسبناه إلى قائله ، ولا اسم مكان
أو بلد إلا نقلنا باختصار ما كتبه العلماء عنه ، ولا لفظا يلبس على القارئ إلا ضبطناه
بما يزيل التباسه .

ومما هو جدير بالذكر والشكر هذه العناية الكبيرة التي كان يبذلها عن طيب
نفس ذلك المدير الحازم ، والمربي الفاضل ، حضرة صاحب العزة الأستاذ
محمد أسعد بك برادة مدير دار الكتب المصرية ، فقد كان حفظه الله يختلف إلينا

في أكثر الأيام ، ويبدل لنا من نصائحها الغالية وارشاداته القويمة ما يبعث في نفوسنا
 الجِد في العمل ، والسعي في إتقانه ، ولا يفوتنا في هذه الكلمة أن نشكر أيضا
 حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير السيد محمد علي البيلاوي مراقب إحياء
 الآداب العربية بالدار لما كان يبذله لنا من الإعانة على عملنا بمعلوماته الثمينة عن
 البحوث ومراجعتها ، والكتب وأغراضها ومكان الفائدة منها ، والله نسأل أن
 يجعل عملنا خالصا لوجهه إنه قريب مجيب ما

مصحيحه

أحمد الزين

[Faint bleed-through text from the reverse side of the page, including a signature and a date: ٧٥٦.]

فهرست

السفر السابع

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى
يتضمن ما يشتمل عليه من الأبواب والفصول
ورسائل الكتاب وخطب البلغاء

الباب الرابع عشر

صفحة

من القسم الخامس من الفن الثانى فى الكتابة وما تفرع من أصناف الكتاب	
أصل الكتابة	١
وأما شرفها	١
وأما فوائدها	٢
ثم الكتابة بحسب من يحترفون بها على أقسام	٤
ذكر كتابة الإنشاء وما اشتملت عليه من البلاغة والايجاز الخ	٤
فأما البلاغة	٤
وأما الفصاحة	٦
ذكر صفة البلاغة	٧
ومن أمثلهم فى البلاغة	٩
فصول من البلاغة	١٠
جمل من بلاغات العجم وحكمها	١١
صفة الكاتب وما ينبغى أن يأخذ به نفسه	١٢
وأما ما ينبغى للكاتب أن يأخذ به نفسه	١٣

صفحة

- وأما ما قيل في حسن الخط وجودة الكتابة ومدح الكتاب والكتاب ... ١٤
- ذكر شيء مما قيل في آلات الكتابة ... ١٩
- ذكر شيء مما قيل في القلم ... ٢٠
- ذكر ما يحتاج الكاتب الى معرفته من الأمور الكلية ... ٢٧
- وأما الأمور الخاصة التي تزيد معرفتها قدره الخ ... ٣٥
- فأما علوم المعاني والبيان والبديع ... ٣٥
- وأما الحقيقة والمجاز ... ٣٧
- وأما التشبيه ... ٣٨
- وأما الاستعارة ... ٤٩
- فصل فيما تدخله الاستعارة وما لا تدخله ... ٥٢
- فصل في أقسام الاستعارة ... ٥٦
- وأما الكناية ... ٥٩
- وأما التعريض ... ٦٠
- وأما التمثيل ... ٦٠
- وأما الخبر وأحكامه ... ٦١
- وأما التقديم والتأخير ... ٦٣
- فصل في مواضع التقديم والتأخير — أما التقديم ... ٦٩
- وأما التأخير ... ٧٠
- وأما الفصل والوصل ... ٧٠
- وأما الحذف والاضمار ... ٧٥
- فصل في حذف المبتدا والخبر ... ٧٧
- فصل — الإضمار على شريطة التفسير الخ ... ٧٩
- وأما مباحث إن وإنما . أما إن ... ٨٠
- وأما إنما ... ٨٣

صفحة

- فصل — اذا دخل ما وإلا على الجملة المشتملة على المنصوب الخ ... ٨٤
- وأما النظم ... ٨٧
- وأما التجنيس — فمنه المستوفى التام ... ٩٠
- ومنه المختلف ... ٩١
- ومنه المذيل ... ٩١
- ومنه المركب ... ٩٢
- ومن أنواع المركب المرفوق ... ٩٢
- ومنه المزدوج ... ٩٣
- ومن أجناس التجنيس المصحف ... ٩٣
- ومنه المضارع ... ٩٤
- ومنه المشوش ... ٩٤
- ومنه تجنيس الاشتقاق ... ٩٥
- ومما يشبه المشتق ... ٩٥
- ومن أجناس التجنيس تجنيس التصريف ... ٩٦
- ومنها التجنيس المخالف ... ٩٧
- ومنها تجنيس المعنى ... ٩٧
- وأما الطباق ... ٩٨
- وأما المقابلة ... ١٠١
- وأما السجع ... ١٠٣
- وأما الترصيع ... ١٠٤
- وأما المتوازي ... ١٠٤
- وأما المطرف ... ١٠٥
- وأما المتوازن ... ١٠٥
- فصل في الفقر المسجوعة ومقاديرها ... ١٠٧

صفحة	
١٠٩	وأما رد العجز على الصدر
١١٣	وأما الإعنات
١١٤	وأما المذهب الكلامي
١١٥	وأما حسن التعليل
١١٦	وأما الالتفات
١١٨	وأما التمام
١١٩	وأما الاستطراد
١٢١	وأما تأكيد المدح بما يشبه الذم
١٢٢	وأما تأكيد الذم بما يشبه المدح
١٢٣	وأما تجاهل العارف
١٢٤	وأما الهزل الذي يراد به الجد
١٢٤	وأما الكنايات
١٢٤	وأما المبالغة
١٢٥	وأما عتاب المرء نفسه
١٢٦	وأما حسن التضمين
١٢٧	وأما التلميح
١٢٧	وأما إرسال المثل
١٢٨	وأما إرسال مثلين
١٢٨	وأما الكلام الجامع
١٢٩	وأما اللف والنشر
١٢٩	وأما التفسير
١٣٠	وأما التعديد
١٣١	وأما تنسيق الصفات
١٣١	وأما الإيهام

صفحة	
١٣٣	وأما حسن الابتداءات
١٣٥	وأما براعة التخليص
١٣٥	وأما براعة الطلب
١٣٥	وأما براعة المقطع
١٣٦	وأما السؤال والجواب
١٣٦	وأما صحة الأقسام
١٣٧	وأما التوشيح
١٣٨	وأما الإيغال
١٤٠	وأما الإشارة
١٤٠	وأما التذييل
١٤١	وأما الترديد
١٤١	وأما التفويف
١٤٢	وأما التسميم
١٤٣	وأما الاستخدام
١٤٤	وأما العكس والتبديل
١٤٤	وأما الرجوع
١٤٥	وأما التغاير
١٤٦	وأما الطاعة والعصيان
١٤٧	وأما التسميط
١٤٧	وأما التشطير
١٤٨	وأما التطريز
١٤٨	وأما التوشيح
١٤٩	وأما الاغراق
١٤٩	وأما الغلق

صفحة	
١٥٠	وأما القسم
١٥١	وأما الاستدراك
١٥١	وأما المؤتلفة والمختلفة
١٥٢	وأما التفريق المفرد
١٥٣	وأما الجمع مع التفريق
١٥٣	وأما التقسيم المفرد
١٥٤	وأما الجمع مع التقسيم
١٥٤	وأما التراوح
١٥٤	وأما السلب والإيجاب
١٥٥	وأما الاطراد
١٥٦	وأما التجريد
١٥٧	وأما التكميل
١٥٨	وأما المناسبة
١٦٠	وأما التفريع
١٦٣	وأما نفى الشيء بإيجابه
١٦٤	وأما الإيداع
١٦٤	وأما الإدماج
١٦٤	وأما سلامة الاختراع
١٦٥	وأما حسن الاتباع
١٦٦	وأما الدم في معرض المدح
١٦٦	وأما العنوان
١٦٩	وأما الإيضاح
١٦٩	وأما التشكيك
١٧٠	وأما القول بالموجب

صفحة	
١٧١	وأما القلب ...
١٧٢	وأما التندير ...
١٧٣	وأما الإسجال بعد المغالطة ...
١٧٣	وأما الافتنان ...
١٧٤	وأما الإبهام ...
١٧٤	وأما حصر الجزئى والحاقة بالكلى ...
١٧٥	وأما المقارنة ...
١٧٥	وأما الإبداع ...
١٧٧	وأما الانفصال ...
١٧٧	وأما التصرف ...
١٧٨	وأما الاشتراك ...
١٧٩	وأما التهكم ...
١٨٠	وأما التدبيح ...
١٨١	وأما الموجه ...
١٨١	وأما تشابه الأطراف ...
١٨٢	وأما ما يتصل بذلك من خصائص الكتابة فلاقتباس الخ ...
١٨٣	وأما الاستشهاد بالآيات ...
١٨٣	وأما الحل ...
	ذكر ما يتعين على الكاتب استعماله والمحافظة عليه والتمسك به وما يجوز
١٨٥	في الكتابة وما لا يجوز ...
١٩٣	وإذا كتب في التهنى بالفتوح ...
٢٠١	وأما التقاليد والمناشير والتواقيع وما يتعلق بذلك ...
	ذكر شىء من الرسائل المنسوبة الى الصحابة رضى الله عنهم والتابعين
	وشىء من كلام الصدر الأول وبلاغتهم - فمن ذلك الرسالة
	المنسوبة الى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه الى على وما يتصل
٢١٣	بها من كلام عمر بن الخطاب وجواب على رضى الله عنهم ...

صفحة

- ومن كلام عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ... ٢٣٠ ...
- ذكر شرح غريب رسالتها رضى الله عنها ... ٢٣٢ ...
- ومن كلام على بن أبي طالب رضى الله عنه ... ٢٣٣ ...
- ومن كلام الأحنف بن قيس ... ٢٣٧ ...
- ومن كلام أم الخيز بنت الحريش البارقية ... ٢٤١ ...
- خطبة الحجاج لما قدم البصرة ... ٢٤٤ ...
- خطبته بعد وقعة دير الجماجم ... ٢٤٥ ...
- ومن مكاتباته إلى المهلب بن أبي صفرة وأجوبة المهلب له ... ٢٤٦ ...
- ومن كلام قطرى بن الفجاءة - خطبته في ذم الدنيا ... ٢٥٠ ...
- ومن كلام أبي مسلم الخراساني ... ٢٥٣ ...
- ومن كلام جماعة من أمراء الدولتين - خطبة ليوسف بن عمر ... ٢٥٥ ...
- خطبة لخالد بن عبد الله القسرى ... ٢٥٥ ...
- خطبة لأبي بكر بن عبدالله لما ولى المدينة ... ٢٥٦ ...
- ذكر شيء من رسائل وفصول الكتاب والبلغاء المتقدمين والمتأخرين
والمعاصرين من المشاركة والمغاربة ... ٢٥٩ ...
- ذكر شيء من رسائل فضلاء المغاربة ووزرائهم وكتابهم - فمن ذلك رسالة
ابن زيدون التي كتبها على لسان ولادة إلى إنسان استمالها إلى نفسه عنه ... ٢٧١ ...
- وقال أيضا في رقعة خاطب بها ابن جمهور ... ٢٩٠ ...
- ومن كلام أبي عبد الله محمد بن أبي الخصال ... ٣٠٣ ...
- ومن كلام الوزير الفقيه أبي القاسم محمد بن عبدالله بن الجحد ... ٣٠٤ ...
- ومن كلام أبي عبدالله محمد بن الحياط ... ٣٠٦ ...
- ومن كلام أبي حفص عمر بن برد الأصغر الأندلسي ... ٣٠٦ ...
- ومن كلام أبي الوليد بن طريف ... ٣٠٨ ...
- ومن كلام ذى الوزارتين أبي المغيرة بن حزم ... ٣١٠ ...
- ومن كلام الوزير الكاتب أبي محمد بن عبد الغفور ... ٣١١ ...

(٦)

الكتب والمصادر التي رجعنا إليها في تصحيح هذا الجزء
وقد رتبناها على حروف المعجم

إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ، أساس البلاغة للزمخشري ، الأملى
لأبي علي القالي ، أقرب الموارد ، أدب الكتاب للصولي ، إرشاد الساري لشهاب الدين
القسطلاني .

البيان والتبيين للجاحظ .

تحرير التحبير لأبن أبي الإصبع ، تاج العروس للسيد محمد مرتضى الزبيدي ،
تاريخ ابن جرير الطبري ، تاريخ أبي الفداء ، تهذيب التهذيب في أسماء الرجال للحافظ
ابن حجر ، تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون للصفدي .

الحماسة لأبن تمام ، حسن التوسل إلى صناعة الترسل لشهاب الدين محمود الحلبي .
خزانة الأدب لأبن حجة الحموي ، خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال
للخزرجي .

دلائل الإعجاز للجرجاني ، ديوان أبي تمام ، ديوان أبي الطيب المتنبي ،
ديوان أبي نواس ، ديوان لبيد بن ربيعة ، ديوان البحتري ، ديوان آمرئ القيس ،
ديوان أبي فراس الحمداني ، ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه .

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبن بسام .

رسائل بديع الزمان الهمداني .

زهر الآداب للحمصري .

شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة .

شدور العقود لابن الجوزي ، شرح الباعونية ، شرح نهج البلاغة لأبن
أبي الحديد ، شرح رسائل بديع الزمان الهمداني ، شروح تلخيص المفتاح ، شرح
ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي ، شرح شواهد المباني . الشفاء للقاضي عياض ،
الشعر والشعراء لابن قتيبة ، شرح ديوان امرئ القيس للبطليوسي .

صبح الأعشى للقلقشندي ، الصباح للجوهري ، الصناعتين لأبي هلال
العسكري .

العقد الفريد لابن عبد ربه ، العمدة لابن رشيق القيرواني .

فهرست ابن النديم .

القاموس المحيط للفيروزبادي .

لسان العرب لابن منظور .

المفضليات للضبي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد بن علي التميمي ،
المثل السائر لابن الأثير الجزري ، مجمع الأمثال لليداني ، المحاسن والأضداد للمحافظ ،
المشبه في أسماء الرجال للمحافظ الذهبي ، المصباح المنير للفيومي ، معاهد التنصيص
في شرح شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي ، معجم الأدباء لياقوت ، مختار الصباح
مغني اللبيب لابن هشام ، المقتضب من جمهرة النسب لياقوت ، المضاف والمنسوب
للثعالبي ، محاضرة الأبرار لابن العربي ، معلقات العرب .

نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ،
نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري .

وفيات الأعيان لابن خلكان ، الوافي بالوفيات للصفدي .

يئمة الدهر للثعالبي .

نهاية الأرب في فنون الأدب

الجزء السابع

من

نهاية الأرب في فنون الأدب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الرابع عشر من القسم الخامس من الفن الثاني في الكتابة وما تفرع من أصناف الكُتَاب

ولنبداً بأشتقاق الكتابة ، ولم تُسمت الكتابة كتابة ، ثم نذكر شرفها وفوائدها ،
ثم نذكر ما عدا ذلك من أخبار المحترفين بها ، وما يحتاج كلُّ منهم إليه ، فنقول
وبالله التوفيق والإعانة :

أصل الكتابة مشتق من الكَتَب وهو الجمع ، ومنه سُمي الكتاب كتاباً ، لأنه يجمع
الحروف ، وسميت الكَتِيبَةُ كَتِيبَةً ، لأنها تَجْمَع الحِيشَ ، وقد ورد في المعارف : أن حروف
المُعْجَمِ أنزلت على آدم عليه السلام في إحدى وعشرين صحيفة ، وسندكر من ذلك
طرفاً عند ذكرنا لأخبار آدم عليه السلام في فن التاريخ ، فهذا اشتقاقها .

وأما شرفها — فقد نص الكتاب العزيز عليه ، فقال تعالى — وهو أول ما أنزل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن بغارِ حِراءٍ في شهر رمضان المعظِّم — :
(أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ
بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (٢) وقال تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)
وقال تعالى في وصف الملائكة : (كِرَامًا كَاتِبِينَ) ، الى غير ذلك من الآي .

(١) حراء كتاب وكحى ، والأخيرة ضعيفة أنكراها بعضهم ، ويؤنث فيمنع من الصرف : جبل بمكة
فيه غار تحنث أى تعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) في صحيح البخارى أن الذى أنزل من هذه الآي في حراء الى قوله تعالى : (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ)
وما هنا موافق لرواية الحافظ أبى عمر الدانى من حديث ابن عباس كما في إرشاد السارى . ج ١ ص ٨٥
ط بولاق باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن شرف الكتابة نزول الكتب المتقدمة مسطورةً في الصحف كما ورد في الصحف المنزلة على شِيث وإدريس وزجج وإبراهيم وموسى وداود وغيرهم صلى الله عليهم كما أخبر به القرآن ، قال الله تعالى : (إِنَّ هَذَا لَنِيَّ الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى) وقال تعالى : (وَاللَّيْلِ الْأَلْوَحِ) ، وما ورد في الأخبار الصحيحة والأحاديث الصريحة أنه مكتوب على العرش وعلى أبواب الجنة ما صورته :
 لا إله إلا الله محمد رسول الله . وكفى بذلك شرفا .

وأما فوائدها : فمنها رسم المصحف الكريم الموجود بين الدقنين في أيدي الناس ، ولولا ذلك لآختلف فيه ودخل الغلط وتداخل الوهم قلوب الناس .
 ومنها رقم الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم التي عليها بنيت الأحكام ، وتميز الحلال من الحرام ، وضبط كتب العلوم المنقولة عن أعلام الإسلام وتواريخ من انقرض من الأنام فيما سلف من الأيام .

ومنها حفظ الحقوق ، ومنع تمرد ذوى العقوق ؛ بما يقع عليهم من الشهادات ويسطر عليهم من السجلات التي أمر الله تعالى بضبطها بقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ آجَلٍ مَّسْمُومٍ فَاكْتُبُوهُ) .

ومنها المكتوبة بين الناس بجوانحهم من المسافات البعيدة ، إذ لا ينضبط مثل ذلك برسول ، ولا تُنأل الحاجة به بمشاهدة قاصد ، ولو كان على ما عساه عليه يكون من البلاغة والحفظ لوجود المشقة ، وبعد الشقة .

(١) في الأصل : « لرسول » باللام ، ولعل الظاهر ما أثبتنا .

(٢) لعل قوله : « به » زيادة من النسخ إذ قوله بعد : بمشاهدة قاصد ، يعنى عنه . أو لعلها فيه .

ومنها ضبط أحوال الناس، كمناشير الجند، وتواقيع العمال، وإدارات أرباب الصلّات في سائر الأعمال، إلى ما يجري هذا الجرى، فكان وجودها في سائر الناس فضيلةً، وعدمها نقيصةً إلا في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانها إحدى معجزاته لأنه صلى الله عليه وسلم أميٌّ [أي] بما أعجز البلغاء، وأنحس الفصحاء، وفلّ حدّ المؤرخين من غير مدارسة كتب ولا ممارسة تعليم، ولا مراجعة لمن عرف بذلك وأشتهر به .

والكتابة العربية أشرف الكتابات لأن الكتاب العزيز لم يُرقم بغيرها خلافا لسائر الكتب المنزلة . وهذه الكتابة العربية أول من اخترعها على الوضع الكوفي سكن مدينة الأنبار^(٣)، ثم نقل هذا القلم إلى مكة فعرف بها، وتعلمه من تعلمه، وكثر في الناس وتداولوه، ولم تزل الكتابة به على تلك الصورة الكوفية إلى أيام الوزير أبي علي بن مقلّة^(٤)، فعربها تعريبا غير كافٍ، ونقلها نقلا غير شافٍ، فكانت كذلك إلى أن ظهر على بن هلال الكاتب المعروف بابن البواب^(٥)، فمكّل تعريبها، وأحسن تبويبها، وأبدع نظامها، وأكمل الثنّامها، وحلّأها بهجةً وجمالا، وأولأها بل أولى بها منةً وإفضالا، وألبسها من رقم أنامله حللا، وجلّأها للعيون فكان أول من أحسن في ترصيعها وترصيفها عملا، ولا زال يتنوع في محاسنها، ويتنوع في ترصيع عقود

(١) هذه الزيادة ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيا .

(٢) في الأصل : « فأول » والقواعد تقتضى حذف الفاء، ولعلها زيادة من النسخ .

(٣) هي مدينة على الفرات غربي بغداد، بينهما عشرة فراسخ، وكانت الفرس تسميها فيروز سابور، وأول من عمرها سابور بن هرمز، ثم جدّها أبو العباس السفاح أول خلفاء بني العباس .

(٤) هو محمد بن علي بن الحسين بن مقلّة، وأبو علي كنيته .

(٥) ويقال له : ابن السري أيضا لأن أباه كان بوابا، والبواب يلزم ستر الباب، فلذلك نسب إليه .

(٦) لعله : « ويتنوع » بالقاف المثناة، أي يجود ويبالغ .

- ميامنها ؛ حتى تَقَرَّرت على أجمل قاعدة ، وتَحَرَّرت على أكمل فائدة ؛ وسنزيد ما قدمناه من هذه الفصول وضوحا وتبيانا ، ونقيم على تفصيل مجملها وبسط مدحجها أدلة وبرهانا .
- [ثم الكتابة بحسب من ^(١)] يحترفون بها على أقسام : وهى كتابة الإنشاء ، وكتابة الديوان والتصرف ، وكتابة الحُكْم والشروط ، وكتابة النسخ ، وكتابة التعليم ؛ ومنهم من عَدَّ فى الكتابة كتابة الشُرْط ^(٢) ، ولم تُرد ذكرها تزييها لكتابنا عنها ، ولا حكمة فى إيرادها .
- ولنبداً بذكر كتابة الإنشاء وما يتعلق بها .

ذكر كتابة الإنشاء وما أشتملت عليه من البلاغة والإيجاز والجمع فى المعنى الواحد بين الحقيقة والمجاز ؛ والتلعب بالألفاظ والمعانى والتوصل إلى بلوغ الأغراض والأمانى

- ولنبداً من ذلك بوصف البلاغة وحدّها والفصاحة :
- فأما البلاغة — فهى أن يبلِّغ الرجل بعبارة كنه ما فى نفسه . ولا يسمى البليغ بليغا إلا إذا جمع المعنى الكثير فى اللفظ القليل ، وهو المسمى بإيجازا .
- وينقسم الإيجاز إلى قسمين : إيجاز حذف ، وهو أن يُحذف شىء من الكلام وتدلُّ عليه القرينة ، كقوله تعالى : (وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا) والمراد أهل القرية وكقوله تعالى : (وَلَكِنَّ الْآلِبرَّ مِنْ آتَق) والمراد ولكن البرُّ من آتى ، وكقوله تعالى : (وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا) والمراد من قومه ، وقوله تعالى : (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ) والمراد لا يطيقونه ؛ ونظائر هذا وأشباهه كثير .

(١) مكان هذه العبارة مغموس بالأصل تعذر قراءته ، ولعل ما أثبتناه بلام الغرض المقصود ويصح به

التقسيم الآتى .

- (٢) الشرط بضم أوله وفتح ثانيه : جمع شرطى كتركى وبكهنى : طائفة من أعوان الولاة سموا بذلك لأنهم أعلموا أنفسهم بعلمات يعرفون بها .

وإيجاز قصر ، وهو تكثير المعنى وتقليل الالفاظ ، كقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مما جمع فيه شرائط الرسالة : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) وسمِعَ أعرابي رجلا يتلوها فسجد وقال : سجدت لفصاحته ، ذكره أبو عبيد . وقوله تعالى مما جمع فيه مكارم الأخلاق : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) وقوله تعالى : (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَتُؤْنِنِ مُسْلِمِينَ) بجمع في ثلاث كلمات بين العنوان والكتاب والحاجة ، وقوله تعالى : (قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بجمع في هذا على لسان النملة بين النداء والتنبيه والأمر والنهي والتحذير والتخصيص والعموم والإشارة والإعذار ، ونظير ذلك ما حكي عن الأصمعي أنه سمع جارية تتكلم فقال لها : فأتلك الله ، ما أفصحك ! فقالت : أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) بجمع في آية واحدة بين أمرين ونهين وخبرين وبشارتين .

ولما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) قال : والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، ما يقول هذا بشر .

(١) في الأصل : « والنص » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يستفاد من الكشاف ، والنهي في هذه الآية قوله تعالى : (لا يحطمنكم) .

(٢) في الأصل : (إن له حلاوة) بدون لام ، وما أثبتناه عن الشفاء ج ١ ص ٢٢٠ ط الآستانه والطلاوة بضم الطاء وفتحها : الروق والحسن .

(٣) كذا في الأصل وفي بعض كتب التفسير ، ومعناه الكثير الماء ، وفي رواية : (لغدق) كما في سيرة ابن هشام . والغدق بكسر الهمزة : الريان الندى .

٥

١٠

١٥

٢٠

وسمع آخر رجلا يقرأ : (فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا) فقال : أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام .

وقال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان أسم جامع لكل ما كشف لك من قناع المعنى ، وهتك الحجاب عن الضمير ، حتى يفيض السامع إلى حقيقة اللفظ ويهجم على محصولة كائنا ما كان .

وقيل لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ فقال : أن يكون اللفظ محيطا بمعناك كاشفا عن مغزاه ، وتخرجه من الشركة ، ولا تستعين عليه بطول الفكرة ، ويكون سليما من التكلف ، بعيدا من سوء الصنعة ، بريئا من التعقيد ، غنيا عن التأمل .
وقال آخر : خير البيان ما كان مصرحا عن المعنى ليسرع إلى الفهم تلقية ، وموجزا ليخفف على اللسان تعاهده .

وقال أعرابي : البلاغة التقرب من معنى البغية ، والتبعد من وحشي الكلام وقرب المأخذ ، وإيجاز في صواب ، وقصد إلى المحجة ، وحسن الاستعارة . قال على رضي الله عنه : البلاغة الإفصاح عن حكمة مستغلبة ، وإبانة علم مشكل .
وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : البلاغة إيضاح المتبسات ، وكشف عورات الجهالات ، بأحسن ما يمكن من العبارات .

وأما الفصاحة - فهي مأخوذة من قولهم : أفصح اللبن إذا أخذت عنه الرغوة . وقالوا : لا يسمى الفصيح فصيحاً حتى تخلص لفته عن اللبنة الأعجمية ولا توجد الفصاحة إلا في العرب . وعلما العرب يزعمون أن الفصاحة في الألفاظ ، والبلاغة في المعاني ، ويستدلون بقولهم : لفظ فصيح ، ومعنى بليغ .

(١) في الاصل : « متغلقه » ولم نجد في لدينا من كتب اللغة .

ومن الناس من آستعمل الفصاحة والبلاغة بمعنى واحد في الألفاظ والمعاني والأكثرون عليه .

ذكر صفة البلاغة

قيل لعمر بن عبيد : ما البلاغة ؟ قال : ما بلغك الجنة ، وعدل بك عن النار ؛ قال السائل : ليس هذا أريد ؛ قال : فما بصرك مواقع رشدك وعواقب غيبك ؛ قال : ليس هذا أريد ؛ قال : من لم يُحسن أن يسكت لم يُحسن أن يسمع ، ومن لم يُحسن أن يسمع لم يُحسن أن يسأل ، ومن لم يُحسن أن يسأل لم يُحسن أن يقول ؛ قال : ليس هذا أريد ؛ قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنا معشر النبيين بكاء » — أي قليلوا الكلام ، وهو جمع بكى — وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله ؛ قال السائل : ليس هذا أريد ؛ قال : فكأنك تريد تخير اللفظ في حسن إفهام ؛ قال : نعم ؛ قال : إنك إن أردت تقرير حجة الله في عقول المتكلمين ، وتخفيف المؤونة على المستمعين ، وتزيين المعاني في قلوب المستفهمين بالألفاظ الحسنة رغبة في سرعة استجابتهم ، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالمواعظ الناطقة عن الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب .

وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الوصل من الفصل . وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : ألا يؤتى القائل من سوء فهم السامع ، ولا يؤتى السامع من سوء بيان القائل .

(١) هو حفص بن سالم كما في زهر الآداب . ج ١ ص ٩٤ ط المطبعة الرحمانية .
 (٢) كذا في الأصل . ولم تقف على هذه الرواية فيما لدينا من كتب الحديث ولا غيرها ، ونصه في كتاب النهاية لأن الأثير " نحن معاشر الانبياء فينا بكاء " وقال في نفسه البكاء بفتح الباء : أي قلة الكلام إلا فيما يحتاج إليه ، يقال : بكأت الناقة والشاة إذا قل لهنها فهي بكى ، وبكيتة .

وقيل للخليل بن أحمد : ما البلاغة ؟ فقال : ما قُرْبُ طَرَفَاهُ ، وبعْدُ مَتْنَاهُ .
وقيل لبعض البلغاء : من البليغ ؟ قال : الذي إذا قال أَسْرَعَ ، وإذا أَسْرَعَ أَدْبَعَ
وإذا أَدْبَعَ حَرَّكَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا أَوْدَعَ .

وقالوا : لا يستحقّ الكلامُ أَسْمَ البلاغةِ حتى يكونَ معناه إلى قلبك أَسْبَقَ من
لفظه إلى سمعك .

وسأل معاويةٌ صُحَّارًا العَبْدِيُّ^(١) : ما هذه البلاغة ؟ قال : أن تجيبَ فلا تبطئُ
وتصيبَ فلا تخطئُ^(٢) .

وقال الفضل : قلت لأعرابيٍّ : ما البلاغة ؟ قال : الإيجازُ في غير عجز
والإطنابُ في غير خَطَلٍ .

وقال قُدَّامَةُ : البلاغةُ ثلاثةُ مذاهبَ : المساواةُ وهو مطابقةُ اللفظِ المعنى لا زائدا
ولا ناقصا ؛ والإشارةُ وهو أن يكون اللفظُ كالدَّالَّةِ ، والدليلُ وهو إعادة
الألفاظِ المترادفةِ على المعنى الواحد ، ليظهرَ لمن لم يفهمه ، ويتأكدَ عند من فهمه .
قال بعض الشعراء :

يَكْفَى قَلِيلَ كَلَامِهِ وَكَثِيرَهُ * بَيْتٌ إِذَا طَالَ النَّضَالُ مَصِيبُ

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربِّه صاحب العقد : البلاغة تكون على أربعة
أوجه : تكون باللفظ والخط والإشارة والدلالة ، وكل وجه منها له حظ من البلاغة
والبيان ، وموضعٌ لا يجوز فيه غيره ، ورُبَّ إشارة أبلغ من لفظ .

(١) في الأصل : (لطهار العدي) وهو خطأ من النسخ ، والتصويب عن العقد الفريد . ج ١ ص ٢١٤ ط
المطبعة العثمانية . (٢) كذا في الأصل ؛ وقد وردت هذه القصة في البيان والتبيين ج ١ ص ٤٤ ،
ط مطبعة الفتوح الأدبية أكل مما هنا وأكثر تفصيلا ؛ ولعل المؤلف اختصرها تبعاً للعقد الفريد لابن عبد ربه
وجريا على عادته في هذا الكتاب من اختصار القصص والرسائل بقدر المستطاع ، ولم يزد إيرادها
في حواشي الكتاب طولها .

وقال رجل للعتابي : ما البلاغة ؟ قال : كل ما أبلغك حاجتك ، وأفهمك معناه بلا إعادة ولا حُبسة ولا آستعانة فهو بليغ ، قالوا : قد فهمنا الإعادة والحُبسة ، فما معنى الآستعانة ؟ قال : أن يقول عند مقاطع الكلام : إسمع مني ، وأفهم عني ، أو يمسح ^(١) عُنُونَهُ ، أو يفتل أصابعه ، أو يكثر التفاته ، أو يسعل من غير سُعلة ، أو ينهر في كلامه قال بعض الشعراء :

مليءٌ ببهرٍ والتفاتٍ وسُعلةٍ * ومسحةٌ عُنُونٍ وفتلِ الأصابعِ

ومن كلام أحمد بن إسماعيل الكاتب المعروف بنطاحة ، قال : البليغ من عرف السقيم من المعتل ، والمقيّد من المطلق ، والمشارك من المفرد ، والمنصوص من المتأول ، والإيماء من الإيحاء ، والفصل من الوصل ، والتلويح من التصريح .

ومن أمثالهم في البلاغة قولهم : يُقَلّ الحز ويطبّق المفصل . وذلك أنهم شبهوا البليغ الموجز الذي يُقلّ الكلام ويصيب نصوص المعاني بالجزار الرفيق الذي يُقلّ حز اللحم ويصيب مفاصله ، وقولهم : يضع الهناء مواضع الثقب ، أي لا يتكلم إلا فيما يجب الكلام فيه . والهناء : القِطران . والثقب : الجرب . وقولهم : قرطس فلان فأصاب الغرّة ، وأصاب عين القرطاس . كلُّ هذه أمثال للصيب في كلامه الموجز في لفظه .

(١) هو ما نبت على الذقن من الشعر وتحتة سفلا ، أو هو ما فضل من الحبة بعد العارضين من باطنهما .
(٢) في الأصل : (بهر) بياء موحدة بعدها تاء مثناة ؛ ولم نجد فيها بين أيدينا من كتب اللغة من معانيه ما يناسب المقام ، ولعله تحريف صوابه ما اثبتنا كما في العقد الفريد . وينهر : مطاوع بهر الحمل بهره : أوقع عليه البهر بضم ، الباء وهو تابع النفس من الإعياء . . (٣) في الأصل : (ناطحة) بنون بعدها ألف ، وهو خطأ من الناسخ ، والتصويب عن كتاب الوافي ، ومعجم الأدباء ج ١ ص ٣٧٧ ط مطبعة هندية وهو أحمد ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحبيب أبو علي الكاتب الانباري . (٤) في البيان والتبيين : (الحز) .
(٥) في الأصل : « من » والمقام يقتضى الباء كما اثبتنا .

(٦) يقال : قرطس فلان إذا رمى فأصاب القرطاس ، ويقال للرمية : مقرطسة .

(٧) هو كل أديم ينصب للنضال ؛ وفيه خمس لغات : تثليث القاف ، وكعفر ، وكدرهم .

فصول من البلاغة

قيل : لما قدم قُتَيْبَةُ بن مسلمٍ نُرَاسَانَ واليا عليها ، قال : من كان في يده شيء من مال عبد الله بن حازم فلينبذْه ، ومن كان في فيه فليلقِظْه ، ومن كان في صدره فلينبثْه . فعجِبَ الناس من حُسن ما فصَّل .

٥ وكتب المعتصم إلى ملك الروم جوابا عن كتاب تهذبه فيه : الجواب ما ترى لا ما تسمع (١) وسيعلم الكافر لمن عُقبى الدار .

١٠ وقيل لأبي السَّمَّالِ الأَسَدِيِّ أيام معاوية : كيف تركت الناس ؟ قال : تركتهم بين مظلوم لا ينتصف ، وظالم لا ينتهى . وقيل لشَيْبِ بن شَبَّةَ عند باب الرشيد : كيف رأيت الناس ؟ قال : رأيت الداخل راجيا ، والخارج راضيا .

١٠ وقال حَسَّانُ بن ثابت في عبد الله بن عباس رضى الله عنهم :

(٣) إذا قال لم يترك مقالا لقائل * بملتقطات لا ترى بينها فضلا

كفى وشفى ما فى النفوس فلم يدع * لذى إربة فى القول جدا ولا هزلا

قال سهل بن هارون : البيان ترجمان العقول ، وروض القلوب ؛ البلاغة ما فهمته العاقمة ، ورضيته الخاصة ؛ أبلغ الكلام ما سابق معناه لفظه ؛ خير الكلام ما قلَّ وجَلَّ ، ودلَّ ولم يُملَّ ؛ خير الكلام ما كان لفظه فخلا ، ومعناه بكرا .

١٥

(١) الكافر بالإفراد قراءة الحرمين وأبي عمرو كما فى تفسير الألويسى .

(٢) فى الأصل : « ابن السباك الأسدى » ولم تقف عليه فى ما بين أيدينا من المظان ، ولعله تحريف صوابه ما اثبتناه كما فى شرح القاموس والشعر والشعراء فى ترجمة النجاشى ؛ وفى المشتهب للذهبي : (أبو سمال) بدون تعريف .

٢٠ (٣) كذا فى الأصل بالضاد المعجمة . وفى رواية (فضلا) بالصاد المهملة كما فى ديوان الشاعر

والبيان والتبيين ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

وقال ابن المعتز: البلاغة أن تبلغ المعنى ولم تطل سَفَرَ الكلام، خير الكلام ما أسفر عن الحاجة، أبلغ الكلام ما يؤنس مَسْمَعَهُ، ويؤنس مَصِيغَهُ، ^(١) أبلغ الكلام ما حُسِّنَ إيجازه، وقَلَّ مجازُه، وكثُرَ إعجازُه، وتناسبت صدوره وإعجازُه، البلاغة ما أشار اليه البحترى حيث قال:

وركن اللفظ القريب فأدركن به غاية المراد البعيد

جمل من بلاغات العجم وحكمها

قال أبو رُوَيْزُ لِكاتبه: إذا فكَرت فلا تَعجل، وإذا كَتبت فلا تَسْتعِنَ بالفضول فإنها علاوة على الكفاية، ولا تَقصِّرَ عن التحقيق فإنها هُجْنَةٌ في المقالة، ولا تُلبَسَنَّ كلاما بكلام، ولا تَباعدتَ معنى عن معنى، وأجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول. ووافق كلامه قول ابن المعتز: ما رأيت بليغا إلا رأيت له في المعاني إطالةً وفي الألفاظ تقصيرا. وهذا حثٌّ على الإيجاز. وقال أبو رُوَيْزُ أيضا لِكاتبه: اعلم أن دعائم المقالات أربع إن التمس إليها خامسة لم توجد، وإن نقص منها واحدة لم تتم ^(٢) وهي: سؤالك الشيء، وسؤالك عن الشيء، وأمرك بالشيء، وخبرك عن الشيء، فإذا طلبتَ فأنجح، وإذا سألتَ فأوضح، وإذا أمرتَ فأحكِم، وإذا أخبرتَ فحقق.

وقال بهرام جور: الحُكْمُ ميزان الله في الأرض. ووافق ذلك قول الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ وقال أنوشروان لابنه هرْمَز: لا يكون عندك لعمل البرغاية في الكثرة، ولا لعمل الإثم غاية في القلة. ووافق من كلام العرب قول الأقفوه:

والخير ترداد منه ما لقيت به * والشر يكفيك منه قلما زاد

(١) وردت هذه العبارة في الأصل هكذا: «ويونس مصيغه» وهو تحريف، والتصويب عن زهر الآداب. يريد وصف الكلام بأنه عزيز نادر، فالذي يضع منه ويفوت يؤنس طالبه من أن يجد مثله.
(٢) كذا في الأصل. وكأنه يريد: إن التمس ضمَّ خامسة إليها. وفي رواية: «لها».

وقال أزدشير بن بابك : من لم يرض بما قسم الله له طالعت معتبته ، وحُش حِرْصُه ، ومن فحش حِرْصه ذلت نفسه ، وغَاب عليه الحسد ، ومن غلب عليه الحسد لم يزل مغموما فيما لا ينفعه ، حزينا على ما لا يناله . وقال : من شغل نفسه بالمتى لم يَحُلْ قلبه من الأسى .

- وقال بعضهم : الحقوق أربعة : حقُّ الله ، وقضاؤه الرضا بقضائه ، والعمل بطاعته ، وإكرام أوليائه ؛ وحقُّ لنفسك ، وقضاؤه تعهدها بما يصلحها ويصحُّها ويحسِم موادَّ الأذى عنها ؛ وحقُّ للناس ، وقضاؤه عمومهم بالمودة ، ثم تخصيص كلِّ أمرئ منهم بالتوقير والتفضيل والصلَّة ؛ وحقُّ للسلطان ، وقضاؤه تعريفه بما خفي عليه من منفعة رعيَّة ، وجهادِ عدوِّ ، وعمارة بلد ، وسدِّ ثغر . وقال بزرجمهر :
- إلزام الجهول الحجَّة يسير ، وإقراره بها عسير .

[صفة الكاتب^(١) وما ينبغي أن يأخذ به نفسه

- قال إبراهيم بن محمد الشيباني : من صفة الكاتب اعتدالُ القامة ، وصغرُ الهامة وخفةُ اللهازم^(٢) ، وكفاةُ اللحية ، وصدقُ الحس ، ولطفُ المذهب ، وحلاوةُ الشمائل وخطفُ الإشارة ، وملاحةُ الزى . وقال : من كمال آلة الكاتب أن يكون بهيِّ الملبس ، نظيفَ المجلس ، ظاهرَ المروءة ، عطرَ الرائحة ، دقيقَ الذهن ، صادقَ الحس ١٥ حسنَ البيان ، رقيقَ حواشي اللسان ، حلوَ الإشارة ، مليحَ الاستعارة ، لطيفَ المسلك مُستفرد^(٣) المركب ، ولا يكون مع ذلك فضفاضا الجثة ، متفاوتَ الأجزاء ، طويلَ اللحية

(١) موضع هذه العبارة مطعوس بالأصل ، ولعل ما أثبتناه يطابق ما يأتي في أول الفصل .

(٢) اللهازم : أصول الحنك ، واحده لزيمة . يريد بخفتها قلة الشعر النابت عليها بدليل ما يعده .

(٣) اسم مفعول من قولهم : فلان يستفرد الأفراس ، أى يستكرمها .

عظيم الهامة؛ فإنهم زعموا أن هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاء والفظنة.

قال بعض الشعراء :

وشمول كأنما اعتصروها * من معاني شمائل الكتاب

هذا ما قيل في صفة الكاتب .

*
* *

وأما ما ينبغي للكاتب أن يأخذ به نفسه ، فقد قال إبراهيم الشيباني :
أول ذلك حسن الخط الذي هو لسان اليد ، وبهجة الضمير ، وسفير العقول ، ووحى
الفكر ، وسلاح المعرفة ، وأنس الإخوان عند الفرقة ، ومحادثتهم على بُعد المسافة
ومستودع السر ، وديوان الأمور .

وقد قيل في قوله تعالى : (**يَزِيدُ فِي خَلْقِ مَا يَشَاءُ**) : إنه الخط الحسن .

وقد اختلف الكتاب في نقط الخط وشكله ، فمنهم من كرهه

قال سعيد بن حميد الكاتب :

لأن يُسكَل الحرف على القارئ أحبُّ إلى من أن يعاب الكاتب بالشكل .
وعرض خط على عبد الله بن طاهر فقال : ما أحسنه لولا أنه أكثر شونيزه^(٢)

ونظر محمد بن عباد إلى أبي عبيد وهو يقيد البسملة فقال : لو عرفته ما شكته .

ومنهم من حمده فقال : حلوا عواطل الكتب بالتقييد ، وحصنوها من شبه

التصحيح والتحريف .

وقيل : إعجام الكتب يمنع من استعجابها ، وشكلها يصونها عن إشكالها .^(٣)

(١) في الأصل : (مجاز بهم) وهو تحريف ، والتصويب عن صحب الأعشى ج ٣ ص ٦ ط دار الكتب

المصرية . (٢) الشونيز والشونيز : الحبة السوداء ، وقيل هو فارسي الأصل . شبه نقط الحروف به .

(٣) في الأصل : (استعجابها) بالباء ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه المقام .

قال الشاعر^(١) : *قال الشاعر*

وكان أحرف خطه شجر^(٢) * والشكل في أغصانه ثمره^(٣).

*
*

وأما ما قيل في حسن الخط وجودة الكتابة ومدح الكتاب والكتاب .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الخط الحسن يزيد الحق وضوحا .

وقال : حسن الخط إحدى البلاغتين .

وقال عبيد الله بن العباس : الخط لسان اليد . وقال جعفر بن يحيى : الخط

سبط الحكمة ، به تفصل شذورها ، وينتظم مشورها ؛ وقال أبو هلال العسكري^(٤) :

الكتب عقل شوارد الكلم * والخط خيط في يد الحكم

والخط نظم كل متثر * منها وفصل كل متظم

والسيف وهو بحيث تعرفه * فرض عليه عبادة القلم .

وقد اختلف الناس في الخط واللفظ ، فقال بعضهم : الخط أفضل من اللفظ

لأن اللفظ يفهم الحاضر ، والخط يفهم الحاضر والغائب .

قالوا : ومن أعجيب الخط كثرة اختلافه والأصل فيه واحد ، كاختلاف صور

الناس مع اجتماعهم في الصبغة . قال الصولي^(٥) : سئل بعض الكتاب عن الخط متى

(١) هو أحمد بن اسماعيل نطاعة ، كما في أدب الكتاب .

(٢) في أدب الكتاب : « أضعافها » .

(٣) في الأصل : (ثمر) بدون هاء الضمير ، والصواب اثباتها كما في أدب الكتاب ليوافق البيت قبله

وهو : مستودع قرطاسه حكا * كالروض ميز بينه زهره

(٤) السمط بالكسر : خيط النظم ، وجمعه يسموط .

(٥) هو أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول ، ووصول هذا رجل من الأتراك

إليه ينسب أبو بكر المتقدم لا إلى صول البلد المعروف .

يستحق أن يوصف بالجوادة؟ قال : إذا اعتدلت أقسامه ، وطالت ألفه ولأمه ؛
وأستقامت سطورهُ ، وضاهى صعوده حدوده ؛ وتفتحت عيونهُ ، ولم تشبهه رآؤه ونونهُ ؛
وأشرق قرطاسهُ ، وأظلمت أنقاسهُ ، ولم تختلف أجناسهُ ؛ وأسرع الى العيون تصوُّرهُ ،
والى القلوب ثمرهُ ؛ وقُدِّرت فصولهُ ، [وأندجت وُصولهُ ، وتناسبَ دقيقهُ وجليلهُ] ؛
وتساوت أطناهُ ، وأستدارت أهدابهُ ؛ وخرج عن [تمطِّ الوراقين] ، وبعد عن تصنع
المحزَّرين ؛ [وقام لكتابه مقام النسبة والحلية] وكان حينئذ كما قلتُ في صفة الخطِّ :

إذا ما تخلَّل قرطاسه * وساوره القلم الأرقش^(٦)

تضمن من خطه حلة * كمثل الدنانير أو أنقش

حروف تكون لعين الكليل * نشاطا ويقرؤها الأخفش^(٧)

وقال ابن المعتز :

إذا أخذ القرطاس خلت يمينه * تفتح نورا أو تنظم جوهرها

وقيل لبعضهم : كيف رأيت ابراهيم الصولي؟ فقال :

يؤلف اللؤلؤ المشهور منطقه * وينظم الدرر بالأقلام في الكتب

(١) جمع نفس بالكسر ، وهو المداد .

(٢) في الأصل : (ثمره) ولم نجد فينا من كتب اللغة بالمعنى المناسب لما هنا ، وما أثبتناه عن

أدب الكتاب ص ٥٥ ط المطبعة السلفية .

(٣) موضع هذين الفقرتين مطموس بالأصل ، وما نقلناه عن أدب الكتاب .

(٤) موضع هذه العبارة مطموس بالأصل ثم قدر قراءته ، وما نقلناه عن أدب الكتاب .

(٥) الزيادة عن أدب الكتاب .

(٦) الأرقش من الأفاعى : ما فيه نقط سواد وبياض ، شبه به القلم في قوة فعله وبلوغ أثره ؛ أو هو

من رقتش الكتاب إذا كتبه وزينه .

(٧) الأخفش : الضعيف البصر ، وهو من باب فرح .

(١)
وقال آخر:

أضحكتَ قوطاسك عن جنة * أشجارها من حكمٍ مضمرة
مسودةً سطحاً ومبيضةً * أرضاً كمثل الليلة المقمرة^(٢)

وقال آخر:

كسبتَ فلولا أن هذا محلل * وذاك حرام قست خطك بالسحر
فوالله ما أدرى أزهر نخيلة * يطرسك أم در يلوح على نحر
فان كان زهرا فهو صنع سحابة * وإن كان دزاً فهو من لجج البحر

وقال آخر:

وكاتب يرقم في طرسه * روضا به ترتع الحاظه
فالدّر ما تنظّم أعلامه * والسحر ما تنثر ألفاظه

وقال آخر:

وشادين من بنى الكتاب مقتدر * على البلاغة أحلى الناس إنشاء
فلا يجاريه في ميدانه أحد * يريك سبحان في الإنشاء إن شاء

وقال آخر:

إن هنر أعلامه يوماً ليعملها * أنساك كل كمي هنر عامله^(٣)
وإن أمر على ريق أنامله * أقر بالرق كتاب الأنام له^(٤)

(١) هو أحمد بن اسماعيل المعروف بنطاحة كما في أدب الكتاب .

(٢) في أدب الكتاب : « أيضاً » .

(٣) عامل الرمح وتاملته : صدره .

(٤) الصحيفة البيضاء ، وجلد رقيق يكتب فيه .

وقال أبو الفتح كُشَاجِمُ :

وإذا نمنمت بنأك خطأ * مُعَرِّبًا عن بلاغة وسَدَادِ

تَحَبُّبِ النَّاسِ من بياضِ معانٍ * تُجْتَنَى من سوادِ ذاكِ المِدَادِ ^(١)

وقال المشوق الشامي شاعر اليتيمة :

لا يُخْطِرُ الفِكرَ في كُتَابَتِهِ * كَأَنَّ أَقْلَامَهُ لَهَا خَاطِرُ

القَوْلُ والفعل يَجْرِيانِ معًا * لا أَوَّلُ فيهِمَا ولا آخِرُ

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : الكتاب نعم الذخر والعقدة ، ونعم المجلس ^(٢)

والعمدة ، ونعم النشرة ^(٣) والنزهة ، ونعم المستغل والحرفة ، ونعم الأئیس ساعة الوحدة

ونعم المعرفة ببلاد الغربية ، ونعم القرين والدخيل ، والوزير والتزيل ، والكتاب وعاء ^(٤)

مُلِيٌّ علمًا ، وظرف حُشِيَّ ظرفًا ، وإناء شُحِنَ مُزاحًا وجِدًا ، إن شئتَ كان أئینَ من ^{١٠}

سحبانِ وائلٍ ، وإن شئتَ كان أعيانِ من باقِلٍ ، وإن شئتَ ضحكتَ من نوادره

وعجبتَ من غرائبِ فوائده ، وإن شئتَ ألهتكَ نوادره ، وإن شئتَ شجبتكَ مواعظه

ومن لك بواعظِ مُلِهِ ، وبزاجرِ مُعْرِ ، وبناسكِ فاتك ، وناطقِ أحرَس ، وبياردِ حاز ^(٤)

ومن لك بطبيبِ أعرابيٍّ ، وبروميِّ هندیٍّ ، وفارسیٍّ یونانیٍّ ، وبقديمِ مُولَدٍ ، وبميتِ

مُتَمِّعٍ ، ومن لك بشيءٍ يجمع لك الأَوَّلَ والآخَرَ ، والناقصَ والوافِرَ ، والشاهدَ والغائبَ ^{١٥}

(١) كذا في يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٢٠ و ٢٢١ ط المطبعة الحفنية . وفي الأصل : « المشوق » ،

وهو لقب الشاعر ، قال في اليتيمة : ولم أتحقق اسمه . والصواب في نسبة هذين البيتين أنهما لعبد المحسن بن محمد الصوري كما في اليتيمة ج ١ ص ٢٣٥ .

(٢) هي كل ما يستوثق الانسان به لنفسه ويعتمد عليه ، وأصله من العقدة بمعنى الحائط الكثير النخل وكان الرجل اذا جمع ذلك فقد أحكم أمره عند نفسه واستوثق منه . ^{٢٠}

(٣) النشرة بالضم : الرقصة التي يعالج بها المجنون والمريض ، سميت نشرة لأنه ينشرها عنه ما كان خامرته من الداء ، أى يكشفه وي زال .

(٤) في المحاسن والأضداد : (ورومي) باسقاط الباء ، ولعله أظهر .

والرفيع والوضيع، والغث والسمين، والشكل وخلافه، والجنس وضده، وبعد: فمتى رأيت بستانا يُجملُ في رُدن؟ وروضة تُملَّبُ في حجر؟ ينطق عن الموتى، ويترجم كلام الأحياء، ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك، ولا ينطق إلا بما تهوى، «آمن من الأرض» وأكتم للسر من صاحب السر، وأضبط لحفظ الوديعه من أرباب الوديعه، وأحضر لما استحفِظ من الأميين، ومن الأعراب المعريين، بل من الصبيان قبل اعتراض الأشغال، ومن العُميان قبل التمتع بتميز الأشخاص، حين العناية تامة لم تنتقص والأذهان فارغة لم تُقسَم، والإرادات وافرة لم تستعتب، والطينة لينسة فهي أقبل ما تكرن للطابع، والقضيب رطب فهو أقرب ما يكون للعُلوق، حين هذه الخصال لم يلبس جديدها، ولم تتفرق قواها، وكانت كقول الشاعر:

- أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبي فارغا فتمكنا
 وقال ذو الرمة لعيسى بن عمر: أكتب شعري، فالكتاب أعجب إلى من الحفظ
 لأن الأعرابي ينسى الكلمة قد تعب في طلبها يوما أو ليلة، فيضع موضعها كلمة
 في وزنها لم ينسدها الناس، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاما بكلام. قال: ولا أعلم
 جارا أبر، ولا خايطا أنصف، ولا رفيقا أطوع، ولا معلما أخضع، ولا صاحبا
 أظهر كفاية، ولا أقل خيانة، ولا أقل إراما وإملا لا، ولا أقل خلافا وإجراما
 ولا أقل غيبة، ولا أكثر أعجوبة وتصرفا، ولا أقل صلفاً وتكلفاً، ولا أبعد من
 مراء، ولا أترك لشغب، ولا أزهد في جدال، ولا أكف عن قتال من كتاب،
 ولا أعلم شجرة أطول عمرا، ولا أجمع أمرا، ولا أطيب ثمرة، ولا أقرب مجتني

(١) الردن بالضم: أصل الكم جمعه أردان. (٢) كذا في الأصل. ولعله: «تشعب».
 (٣) لم ينسدها الناس، يريد أن الكلمة التي يضعها لم تسرف في الناس ولم يرووها، ولم يكن قبل قد
 أنسدها إياهم. وفي رواية: «ثم ينسدها» بالياء المثلثة.
 (٤) كذا في الأصل. ولم ترد هذه العبارة ضمن كلام الجاحظ في كتابه المحاسن والأضداد.

ولا أسرع إدراكا، ولا أوجدَ في كلِّ إِبَانٍ من كِتَابٍ؛ ولا أعلمُ نتاجا في حداثة سنّته
 وقرب ميلاده، وحضورِ ذهنه، وإمكانِ موجوده، يجمع من التدابير العجيبة، والعلوم
 الغريبة، ومن آثار العقول الصحيحة، ومحمود الأذنان اللطيفة، ومن الأخبار عن
 القرون الماضية، والبلاد المترامية، والأمثال السائرة، والأيم البائدة ما يجمع الكتاب؛
 وقد قال الله تبارك اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾
 فوصف نفسه تعالى جده بأن علم بالقلم، كما وصف به نفسه بالكرم، واعتد بذلك
 من نعمه العظام، وفي أياديه الحسام.

٨

ذكر شيء مما قيل في آلات الكتابة

قال ابراهيم بن محمد الشيباني فيما يحتاج إليه الكاتب :

من ذلك أن يصلح الكاتب آتته التي لا بدّ منها، وأداتته التي لا تتم صناعتُه
 إلا بها، وهي دواته، فلينعِمَ رِبَّهَا وإصلاحها، ثم يتخير من أنابيب القصب أقله عُقْدًا
 وأكثره لحما، وأصلبه قشرا، وأعدله استواءا، ويجعل لقرطاسه سكينًا حادًا لتكون
 عونًا له على برى أعلامه، ويبريها من جهة نبات القصب، فات محلّ القلم من الكاتب
 كمثل الرمح من الفارس. وقد خصّ الفضلاءُ القلم بأوصاف كثيرة، ومزايا خطيرة
 فلنذكر منها طرفًا.

(١) إبان كل شيء : وقته وحينه الذي يكون فيه .

(٢) أنعم العمل : أجاده ، يقال : اذا عملت عملا فأنعمه .

(٣) في الأصل : من (الأنابيب) بزيادة «ال» والصواب حذفها كما تقتضيه القواعد .

ذكر شيء مما قيل في القلم

قال الله تعالى : (نَبِّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) وقال : (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) .

وقال الحكماء : القلم أحد اللسانين ، وهو المخاطب للعيون بسرّ القلوب .

وقالوا : عقول الرجال تحت أسنة أقلامها . بنو^(١) الأقلام يصبو غيث الحكمة .
القلم صانع الكلام ، يُفْرِغ ما يجمعه القلب ، ويصوغ ما يسبكه اللب^(٢) .

وقال جعفر بن يحيى : لم أر بايكا أحسن تبسما من القلم .

وقال المأمون : لله دز القلم كيف يحوك وشى المملكة !

وقال ثمامة بن أشرس : ما أثرتة الأقلام ، لم تطمع في درسه الأيام . بالأقلام

تدبر^(٣) الأقالم . كتاب المرء عنوان عقله ، ولسان فضله . عقل الكاتب في قلمه .

وقال ابن المعتز : القلم مجهز^(٤) بجيوش الكلام ، يخدّم الإرادة كأنه يقبل بساط

سلطان ، أو يفتح نوار بستان .

وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب إلى خلال : منها جودة برى القلم

وإطالة جلخته ، وتحريف قطته ، وحسن التأني لأمتطاء الأنامل ، وإرسال المدة بعد

إشباع الحروف ، والتحرز عند فراغها من الكسوف ، وترك الشكل على الخطأ

والإعجام على التصحيف .

(١) النوء : النجم اذا مال للغيب ، جمعه أنواء ، ونوآن كعبد وعبدان . أو هو سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقبه ، وهو نجم آخر يقابله من ساعته في المشرق ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحروالبرد إلى ذلك .

(٢) في الأصل : « يسيله » ، وهو تحريف ، والتصويب عن صبيح الأعشى ج ٢ ص ٤٣٧ ط
دار الكتب المصرية ؛ وقائل هذه الكلمة أبو دلف العجلي .

(٣) الجلفة بكسر الجيم وتفتح وسكون اللام من القلم : ما بين مبراه إلى سته .

وقال العتّابي: سألتني الأصمعيُّ في دار الرشيد: أي الأنايب للكتابة أصحُّ وعليها أصبرُ؟ فقلت له: ما نَشَفَ بالهجير ماؤه، وستره من تلويحه غشاؤه؛ من التبرية الفشور، الدرّية الظهور، الفضية الكسور؛ قال: فأى نوع من البرى أصوبُ وأكْتَبُ؟ فقلت: البرية المستوية القطة التي عن يمين سنها برية تؤمن معها المحبة عند المدة والمطة، للهواء في شقتها فتيق، والريح في جوفها خريق، والمداد في خرطومها رقيق. قال العتّابي: فبقى الأصمعيُّ شاخصاً إلى ضاحكاً، لا يُجيب مسألة ولا جواباً.

وكتب علي بن الأزهر إلى صديق له يستدعي منه أقلاماً: أما بعد: فإننا على طول الممارسة لهذه الكتابة التي غلبت على الأسم، ولزمت لزوم الوسم، فخلت محل الأنساب، وجرت مجرى الألقاب؛ وجدنا الأقلام الصحيرية أجري في الكواغد وأمر في الجلود، كما أن البحرية منها أسلس في القراطيس، وألين في المعاطف وأشد لتعريف الخط فيها، ونحن في بلد قليل القصب رديئه، وقد أحببت في أن نتقدم في اختيار أقلام صحيرية، ونتوق في اقتنائها قبلك، وتطلبها من مظانها ومنابتها من شطوط الأنهار، وأرجاء الكروم، وأن نديم باختيارك منها الشديدة الصلبة

(١) في الأصل: (يشف) وهو تحريف، والنصوب عن صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤١

ط دار الكتب المصرية . (٢) يريد أنها تفذ فيها وتخلها .

(٣) الوسم: أثر الكي .

(٤) الصحيرية بالضم نسبة إلى الصحرة، وهي جوبة تجاب وسط الحرة، وتكون أرضاً لينة تطيف بها بحجارة، والجمع صحر .

(٥) واحده كأنه بفتح العين المعجمة: القراطس، وهو فارسي معرب .

(٦) في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٣ ط بولاق: (لتصريف) وكلاهما يستقيم به الكلام وإن اختلف

المراد في كل من الروايتين . (٧) في الأصل: (تخير) والمقام يقتضى ما أثبتنا كما في صبح الأعشى

ج ٢ ص ٤٤١ والعقد الفريد . (٨) في العقد الفريد: (تأنيق) ومؤداهما واحد . (٩) في العقد

الفريد ج ٢ ص ٢٢٣: (تديم في اختيارك) الخ، وهي أقرب بقريته قوله بعد: « وان تقصد » .

(١)
 التقيّة الجلود، القليلة الشحوم، الكثيرة اللحوم، الضيقة الأجواف، الرزينة المحمّل
 فإنها أبقى على الكتابة، وأبعد من الحفّا، وأن تقصد بانتقائك للرقاق القُضبان
 المقومّات المتون، المُلسّ المعاقِد، الصافية القشور، الطويلة الأنايب، البعيدة ما بين
 الكعوب، الكريمة الجواهر، المعتدلة القوام، المستحكمة ييسا وهي قائمة على
 أصولها، لم تُعجل عن إبّان ينعها، ولم تؤخّر إلى الأوقات الخوفة عليها من خصر الشتاء
 وعفن الأنداء؛ فإذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعا ذراعا قطعاً رقيقاً، ثم عبأت
 منها حُرّاً فيما يصونها من الأوعية، [ووجهتها مع من يؤدى الأمانة في حراستها وحفظها
 وإيصالها] وتكتب معها بعدتها وأصنافها بغير تأخير ولا توان، إن شاء الله تعالى .
 وأهدى ابن الحرون إلى بعض إخوانه أقلاما وكتب إليه :



١٠ إنه لما كانت الكتابة - أبقاك الله - أعظم الأمور، وقوام الخلافة، وعمود المملكة
 أتخفتك من آلتها بما يخف حمله، وتثقل قيمته، ويعظم نفعه، ويحل خطره، وهي
 أقلام من القصب النبات في الصحراء الذي نشف بحر الهجير [في قشره] ماءؤه، وستره
 من تلويحه غشاؤه، فهي كاللآلى المكنونة في الصدف، والأنوار المحجوبة في السدف؛
 تبرية القشور، دُرّية الظهور، فضية الكسور؛ قد كستها الطبيعة جوهرا كاللوشى
 المحبّر، ورونقا كالديباج المنير .
 ١٥

(١) في الأصل: (الاحراف) وهو تحريف، صوايه ما أثبتنا كما في صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤١ .

(٢) في الأصل: (العاقب) وفيه نقص وتحريف، والتصويب عن صبح الأعشى .

(٣) الخصر: البرد . (٤) الزيادة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٤ ط بولاق .

(٥) هو محمد بن أحمد بن الحسين بن الأصمغ بن الحرون من أهل بغداد .

(٦) الكلمة عن صبح الأعشى ج ٢ ص ٢٤٢ ط دار الكتب المصرية . (٧) السدف محرّكة:

ظلمة الليل . (٨) في الأصل: (وفرد الديباج) الخ . وهو تحريف إذ لم نجد من معاني الفرند

ما يناسب السياق؛ وما أثبتناه عن صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤٢ (٩) المير كعظم: المعلم الملحم .

ومن كتاب لأبي الخطاب الصابي — يصف فيه أقلاما أهداها في جملة أصناف — جاء منه :

وأضفتُ إليها أقلاما سليمةً من المعايب، مبرأةً من المثالب؛ بحمة المحاسن بعيدةً عن المطاعن؛ لم يُربها طول ولا قصر، ولم ينقصها ضعف ولا خور؛ ولم يثسِنها ليناً ولا رخاوة، ولم يعبها كرازة ولا قساوة؛ فهذه آخذةٌ^(٢) بالفضائل من جميع جهاتها، مستوفيةٌ للمادح بسائر صفاتها؛ صلبةٌ المعاجم،^(١) لينةٌ المقاطع؛ موفيةٌ القدود والألوان، محمودةٌ المخبر والعيان؛ قد آستوى في الملاسة خارجها وداخلها، وتناسب في السلاسة عاليها وسافلها؛ نبتت بين الشمس والظل، واختلقت عليها الحتر والقر؛^(٣) فلتحتها وقدانُ الهواجر، وسفعتها [سمائم] شهر ناجر؛^(٤) ووقدها الشفانُ بصرده،^(٥) وقذفها الغمام ببردده؛^(٦) وصابتها الأنواء بصيبيها، وأستهلت عليها السحاب بشأبيها؛ فأستمرت^(٧) مرأرها على إحكام، وأستحصد سخلها بالإبرام؛^(٨) جاءت شتى الشيات، متغايرة الهيئات، متباينة المحال والبُدان؛ تختلف بتباعد ديارها، وتأتلف بكرم نجارها؛ فمن أنابيب ناسبت رماح الخط في أجناسها، وشاكت الذهب في ألوانها، وضاهت

(١) الكرازة والكروزة بضم الكاف في الأخيرة : اليبس والانتقباض .

(٢) في صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤٢ : (وهي آخذة) ولعله أنسب .

(٣) في الأصل : (فلاخنها) والصواب ما أثبتنا كما تقتضيه اللغة .

(٤) التكلمة عن صبح الأعشى .

(٥) كل شهر في صميم الحر اسمه ناجر، لأن الأبل تجر فيه ، أي يشتد عطشها حتى تيبس جلودها .

(٦) الشفان : الريح الباردة مع المطر . والصدرد : البرد ، وهو فارسي معرب .

(٧) واحده شؤبوب : وهو الدفعة من المطر .

(٨) الحبال المفتولة على أكثر من طاقة ، واحده مرير ومريرة . شبه بها القصب في استحكامها وقوتها .

(٩) هو الحبل الذي يفتل على قوة واحدة . والابرام : فتله على طاقين .

(١٠) مختلطة الألوان والنقوش .

الحرير في لمعانها ؛ بطيئة الحفا ، نمره القوي ؛ لا يُسْطِطِها القط ، ولا يُسْعَثُ بها الخط ؛
ومن مصرية بيض ، كأنها [قباطي^(٥) مصر تقاء ، وغرقى^(٤) البيض صفاء ؛ غذاها الصعيد من
ثراه بلبه] وسقاها النيل من نيميره وعذبه ؛ فجاءت ملتئمة الأجزاء ، سليمة من الالتواء ؛
تستقيم شقوقها في أطوالها ، ولا تنكب عن يمينها ولا شمالها ؛ تقترن بها صفراء كأنها
معها عقيان^(٦) قرن بلجين ، أو ورق خلط بعين ؛ تختال في صفر ملاحفها ، وتميس
في مذهب مطارفها ؛ بلون غياب الشمس ، وصبغ ثياب الورس ، ومن منقوشة^(٧)
تروق العين ، وتونق النفس ؛ ويهدى حسنها الأريحية إلى القلوب ، ويحل الطرب
لها حبوة الحكيم اللبيب ؛ كأنها اختلاف الزهر اللامع ، وأصناف الثمر اليناع ؛
[ومن بحرية موشية^(٩) الليط^(٨) رائقة التخليط ؛ كأن داخلها قطرة دم ، أو حاشية رداء

- ١٠ (١) في الأصل وفي صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤٣ : (مضابطة) وهو خطأ من الناسخ ولا معنى له
والنصويب عن زهر الآداب ج ٢ ص ٢٠٧ ط الرحمانية . (٢) في زهر الآداب : «قوية» .
(٣) في الأصل : «بسطها» وهو تحريف ، ولم زمن معانيه ما يناسب المقام . والنصويب عن
زهر الآداب . (٤) يشعث : يفرق ويتشر . وعبارة زهر الآداب ج ٢ ص ٢٠٧ ط الرحمانية
« ولا يتشعب » بالباء الموحدة ، والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين . (٥) الزيادة عن صبح الأعشى .
١٥ والقباطي بضم القاف وفتحها : ثياب رفاق بيضاء تصنع في مصر . واحده قبطة بضم القاف . والغرقى كزبرج
والغرقى : القشرة الملتفة ببياض البيض ، أو هو البياض الذي يؤكل . (٦) العقيان بالكسر :
ذهب ينبت في الأرض وليس ما يستذاب من الحجارة ، أو هو الذهب الخالص . والجين بفتح الجيم :
الفضة مادامت في تراب معدنها ، وهو مصغرا مكبر له كالثر يا . والورق : الدراهم المضروبة ، وفيه لغات :
تأليه الرء ، وكحمل وكقفل . والعين : الدينار . (٧) المطارف : الأردنية من الخزذوات
الأعلام ، واحده مطرف . (٨) الورس : شيء أصفر يخرج على الرمث بين آخر الصيف
وأول الشتاء إذا أصاب الثوب لونه . أو هو نبات كالسمسم يزرع فيبق عشر سنين في الأرض ، فإذا جف
عند إدراكه تفتقت خراطمه فينفض فينفض منه الورس .
(٩) الزيادة عن صبح الأعشى . والليط بالكسر : قشر القصة ، واحده ليطه ، أو هو اللون .
(١٠) في صبح الأعشى : «التخليط» والمعنى يستقيم على كل من الروايتين .

مُعَلَّم، وكَأَنَّ خَارِجَهَا أَرْقَمٌ، أَوْ مَتْنٌ وَادٌ مُفْعَمٌ، نَثَرَتْ أَلْوَانًا تُزْرَى بِوَرْدِ الْخُدُودِ، وَأَبَدَتْ قَامَاتٍ تُفْصِحُ بِأَوْدِ الْقُدُودِ .

وقد أكثر الشعراء القول في وصف القلم ، فمن ذلك قول أبي تمام الطائي :
 لك القلم الأعلى الذي بشبابه * تصاب من الأمر الكلي والمفاصل
 لُعاب الأفاعي القاتلات لُعابه * وأرى الجنى أشارته أيدٍ عواسل
 له ريقة طلٌ ولكن وقعها * بأثاره في الشرق والغرب وابل
 فصيح إذا استنطقته وهو راكب * وأعجم إن خاطبته وهو راجل
 إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت * عليه شعاب الفكر وهي حوافل
 أطاعته أطراف القنا وتقوضت * لنجواه تقويض الحيام الجحافل
 إذا استغزر الذهن الجلي وأقبلت * أعاليه في القرطاس وهي أسافل
 وقد رفدته الحنصران وسدّدت * ثلاث نواحيه الثلاث الأنامل
 رأيت جليلاً شأنه وهو مرهف * ضنني وسمينا خطبه وهو ناحل
 وقال آخر :

قوم إذا أخذوا الأقلام من غضب * ثم استمدوا بها ماء المنيات
 نالوا بها من أعاديهم وإن بعدوا * ما لم ينالوا بحدّ المشرفيات
 وقال ابن المعتز :

قلم ما أراه أم فلّك يجرى بما شاء قاسم ويسير
 خاشع في يديه يلثم قرطاً * سا كما قبل البساط شكور

- (١) الأرى : غسل النحل ، وأصله غسل النحل الغسل ، وسمي به الشهد كما سمي المكسوب كسباً .
 ٢٠ . واشتارته : استخرجه من الوقبة . (٢) هي ما عظم من سواقي الأودية ، واحده شعبة .
 (٣) كذا في الأصل . وفي رواية : (الذكي) والمعنى يستقيم على كذا الروايتين .
 (٤) في أدب الكتاب ص ٨٥ ط السلفية : «ويدور» .

ولطيف المعنى جليل نحيف * وكبير الأفعال وهو صغير
 كم منايا وكم عطايا وكم حنفي وعيش تضم تلك السطور
 نقشت بالدجى نهارا فما أدري أخط فيهن أم تصوير
 (١)

وقال محمد بن عليّ :

- في كفه صارم لانت مضاربه * يسوسنا رغبا إن شاء أورهبنا
 السيف والرح خدام له أبدا * لا يبلغان له جدّا ولا لعبا
 تجرى دماء الأعداى بين أسطوره * ولا يحس له صوت إذا ضربا
 فما رأيت مدادا قبل ذاك دما * ولا رأيت حساما قبل ذا قصبها

وقال ابن الروميّ :

- ١٠ لعمرك ما السيف سيف الكميّ * بأخوف من قلم الكاتب
 له شاهد إن تأملته * ظهرت على سره الغائب
 أداة المنية في جانبيه * فمن مثله رهبة الراهب
 ألم ترفى صدره كالسنان * وفي الردف كالمهرف القاضب؟

وقال الرفاء :
 (٢)

- ١٥ أنحس ينبيك بإطراقه * عن كل ما شئت من الأمر
 يُدري على قرطاسه دمه * يُبدي لنا السرّ وما يدري
 كعاشق أخفى هواه وقد * نمت عليه عبرة تجرى
 تبصره في كل أحواله * عُريان يكسوا الناس أو يعرى
 يرى أسيرا في دواة وقد * أطلق أقواما من الأسر

٢٠ (١) صوابه، نسبة هذه الأبيات إلى أبي بكر محمد بن يحيى الصولي، وهي من قصيدة وجه بها إلى أبي علي

محمد بن عليّ كما في أدب الكتاب ص ٨٠ ط السلفية .

(٢) هو أبو الحسن السريّ بن أحمد بن السريّ الكنديّ الرفاء الموصليّ الشاعر المعروف .

وقال آخر :

وذى عفاف راعع ساجد * أخو صلاح دمه جارى

ملازم الخمس لأوقاتها * مجتهد فى خدمة البارى

وقال ابن الرومى :

إن يخدم القلم^(١) السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الأمم

فلموت والموت لا شىء يغالبه * مازال يتبع ما يجرى به القلم

كذا قضى الله للأقلام مذبذبى * أن السيوف لها مذ أرفقت خدم

وقال أبو الطيب الأزدى :

قلم قلم أظفار العدى * وهو كالإصبع مقصوص الظفر

أشبه الحية حتى أنه * كلما عمّر فى الأيدى قصر

وقال أبو الحسن بن عبد الملك بن صالح الهاشمى :

وأسمراطوى الكشج أحرس ناطق * له زمّان فى بطون المهارق.

(١١)

[ذكر ما يحتاج الكاتب الى معرفته من الأمور الكلية^(٣)

قال شهاب الدين أبو النناء محمود بن سليمان الحلبيّ فى كتابه « حسن التوسل »

فأول ما يبدأ به من ذلك حفظ كتاب الله تعالى ، ومداومة قراءته ، وملازمة درسه

(١) فى الأصل : (إن يخدم السيف القلم) وهو غير مستقيم الوزن .

(٢) الزمّان بفتح أوله وثانيه : مشى الدابة أو عدوها كأنها تطلع من النشاط ، استعاره للقلم .

والمهارق : الصحف ، واحده مهرق بضم الميم ، وهو معرب .

(٣) هذه التكلة المحصورة بين مربعين لم ترد بالأصل ، وبعد مراجعة هذا الكلام فى مظانه رأينا أنه

منقول عن كتاب « حسن التوسل » فأثبتنا عنه هنا ما لا يستقيم الكلام بدونه ، والظاهر من قوله فى ما سياتى :

قال فهذه أمور كاية الخ ، وقوله : وذكر فى كتابه جملا الخ أنه نبه على هذا النقل فى أوله .

وتدبرُ معانيه حتى لا يزال مصوراً في فكره ، دائراً على لسانه ، ممثلاً في قلبه ، ذا كرام له في كل ما يرد عليه من الوقائع التي يحتاج الى الاستشهاد به فيها ، ويفتقر الى اقامة الأدلة القاطعة به عليها ؛ وكفى بذلك معيناً له في قصده ، ومعيناً له عن غيره ، قال الله تعالى : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي السِّكِّابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ؛

وقد أخرج من الكتاب العزيز شواهد لكل ما يدور بين الناس في محاوراتهم ومخاطباتهم مع قصور كل لفظ ومعنى عنه ، وعجز الإنس والجن عن الاتيان بسورة من مثله ؛

ومن ذلك أن سائلاً قال لبعض العلماء : أين تجد في كتاب الله تعالى قولهم : الجار قبل الدار؟ قال: في قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ فطلبت الجار قبل الدار، ونظائر ذلك كثيرة . وأين قول العرب : « القتلُ أنفى للقتل » لمن أراد الاستشهاد في هذا المعنى من قوله عز وجل : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ . وأكثر الناس على جواز الاستشهاد بذلك ما لم يحول عن لفظه ، ولم يغير معناه .

فمن ذلك ما روي في عهد أبي بكر رضي الله عنه : هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا ، وأول عهده بالآخرة ، إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن برّ وعدل فذلك ظني به ، وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب ، والخير أردتُ بكم ، ولكل امرئ ما اكتسب من الإثم ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

وروي أن علياً رضي الله عنه قال للأخيرة بن شعبة لما أشار عليه بتولية معاوية :

﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ .

وكتب في آخر كتاب الى معاوية : وقد علمت مواقع سيوفنا في جدك وخالك
وأخيك (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) .

وقول الحسن بن علي عليه السلام لمعاوية : (وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ
إِلَى حِينٍ) ورؤى مثل ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما . —

وكتب الحسن الى معاوية : أما بعد ، فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم
رحمة للعالمين ، ورسولا الى الناس أجمعين (لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى
الْكَافِرِينَ) .

وكتب محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي الى المنصور في صدر
كتاب لما حاربه : (طَسَمَ تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ)
الى قوله : (مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) . ونقض عليه المنصور في جوابه عن قوله : «إنه
ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم» بقوله تعالى : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ) .

ونقل عن الحسن البصرى رحمه الله ما يدل على كراهية ذلك ، فقال حين بلغه
أن الحجاج أنكر على رجل استشهد بأية : أَسْمَى نَفْسَهُ حِينَ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
ابن مروان : بلغنى أن أمير المؤمنين عطس فشمته من حضر فردّ عليهم (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ
مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا) ؟ وإذا صحّت هذه الرواية عن الحسن فيمكن أن يكون انكاره

على الحجاج لأنه أنكر على غيره ما فعله هو . وذهب بعضهم الى أن كل ما أراد الله به
نفسه لا يجوز أن يستشهد به إلا فما يضاف الى الله سبحانه وتعالى مثل قوله تعالى :
(وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) . وقوله تعالى : (بَلَى وَرُسُلْنَا لَنُنَبِّئَهُمْ بِكَلِمَاتِهِمْ)
ونحو ذلك مما يقتضيه الأدب مع الله سبحانه وتعالى .

ومن شرف الاستشهاد بالكتاب العزيز إقامة الحجّة ، وقطع النزاع ، وارتغام الخصم
كما روى أن الحجاج قال لبعض العلماء : أنت تزعم أن الحسين رضى الله عنه من ذرية

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى على ذلك بشاهد من كتاب الله عز وجل ، وإلا قتلتك ، فقرأ : (**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ**) الى قوله : (**وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ**) وكذلك نُجِزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَعِيسَى هو ابن بنته ، فأسكت الحجاج . وقد تقوم الآية الواحدة المشتشهد بها في بلوغ الغرض وتوفية المقاصد ما لا تقوم به الكتب المطولة ، والأدلة القاطعة ؛

وأقرب ما اتفق من ذلك أن صلاح الدين رحمه الله كتب الى بغداد كتابا يعدد فيه موافقه في إقامة دعوة بني العباس بمصر ، فكتب جوابه بهذه الآية : (**يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**) (١)

١٠ وكتب أمير المسلمين يعقوب بن عبد المؤمن الى الأذقونش ملك الفرنج جوابا عن كتابه اليه — وكان قد أبرق وأرعد فكتب في أعلاه — :

(**أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ فَلِنَأْتِيَهُمْ بِحُنُودٍ لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَلِنَخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ**)

ومما جوزوا الاستشهاد به ما لا يقصد به إلا التلويح الى الآية دون آطراد الكلام نحو قول القاضي الفاضل مما كتب به الى الخليفة عن الملك الناصر صلاح الدين في الأستصراخ [وتهويل أمر الفرنج] : (**رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي**) وهامى في سبيلك مبدوله ، وأنى وقد هاجر اليك هجرة يرجوها مقبولة . وأما تغيير شيء من اللفظ أو إحالة معنى عما أريد به فلا يجوز ، وينبغي العدل عنه ما أمكن .

ويتلو ذلك الاستكثار من حفظ الأحاديث النبوية — صلوات الله وسلامه على قائمها — وخصوصا في السير والمغازي والأحكام ، والنظر في معانيها وغريبها وفصاحتها

٢٠ (١) في الأصل : « الأذقونش » وهو تصحيف ، والتصويب عن وفيات الأعيان .

(٢) الزيادة عن حسن التوسل ص ٤ ط المطبعة الوهابية .

وفقهُ ما لا بدّ من معرفته من أحكامها، ليحتج بها في مكان الحجّة، ويستدل بموضع الدليل، فإن الدليل على المقصد إذا استند إلى النص سلّم له، والفصاحة إذا طُلِبَتْ غايَتها فإنها بعد كتاب الله في كلام من أوتي جوامع الكَلِم . وينبغي أن يراعى في الحَلّ لفظ الحديث ما أمكن، وإلا فعناه .

ويتلوا ذلك قراءة ما يتفق من كتب النحو التي يحصل بها المقصود من معرفته العربية، فإنه لو أتى الكاتب من البلاغة بآتم ما يكون ولحن ذهب محاسن ما أتى به وانهدمت طبقة كلامه، وألغى جميع [ما حسنه] ^(٢)، ووقف به عند ما جهله .

ويتعلق بذلك [قراءة] ^(٣) ما يتبها من مختصرات اللغة، كالنصيح، وكفاية المتحفظ وغير ذلك من كتب الألفاظ ليتسع عليه مجال العبارة، ويفتح له باب الأوصاف فيما يحتاج إلى وصفه، ويضطر إلى نعته .

ويتصل بذلك حفظ خطب البلغاء من الصحابة وغيرهم، ومخاطباتهم ومحاوراتهم ومراجعاتهم ومكاتباتهم، وما ادعاه كل منهم لنفسه أو لقومه، وما نقضه عليه خصمه، لما في ذلك من معرفة الوقائع بنظائرها، وتلقى الحوادث بما شاكلها والافتدائ بطريقتة من فلج على خصمه، واقتفاء آثار من اضطر إلى عذر، أو إبطال دعوى أو اثباتها، والأجوبة الدامغة بقائله في موضعه فإنك ستقف منه على ما استغنى به عن ذلك .

(١) كذا في الأصل . وعبارة حسن التوسل ص ٤ ط المطبعة الوهايبه : « بمكان » الخ مع إسقاط قوله : « بها » ، واعلمها أقرب بقرينة ما بعدها .

(٢) موضع هذه العبارة معطوس بالأصل لتعذر قراءته ، وما نقلناه عن حسن التوسل .

(٣) الزيادة عن حسن التوسل .

(٤) في الأصل : « بما » وما أثبتناه عن حسن التوسل .

(٥) فلج : ظفر ، وبابه نصر وضرب .

ثم النظرُ في أيام العرب ووقائعهم وحروبهم ، وتسمية الأيام التي كانت بينهم ، ومعرفة يوم كل قبيلة على الأخرى ، وما جرى بينهم في ذلك من الأشعار والمنافسات ، لما في ذلك من العلم بما يُستشهد به من واقعة قديمة ، أو يرد عليه في مكانة من ذكر يوم مشهورا ، أو فارسا معينًا . وسند كذلك إن شاء الله تعالى في فن التاريخ على ما ستقف عليه ؛ فإن صاحب هذه الصناعة إذا لم يكن عارفا بأيام العرب ، عالم بما جرى فيها لم يدر كيف يجب عمَّا يرد عليه من مثلها ، ولا ما يقول إذا سئل عنها ، وحسبه ذلك نقصا في صناعته وقصورا .

ثم النظر في التواريخ ومعرفة أخبار الدول ، لما في ذلك من الأطلاع على سير الملوك وسياساتهم ، وذكر وقائعهم ومكائدهم في حروبهم ، وما اتفق لهم من التجارب ؛ فإن الكاتب قد يضطر إلى السؤال عن أحوال من سلف ، أو يرد عليه في كتاب ذكر واقعة بعينها ، أو يُحتج عليه بصورة قديمة فلا يعرف حقيقتها من مجازها ؛ وقد أوردنا في فن التاريخ مالا يحتاج الكاتب معه إلى غيره من هذا الفن .

ثم حفظ أشعار العرب ومطالعة شروحها ، وأستكشاف غوامضها والتوفر على ما اختاره العلماء بها منها ، كالحماسة ، والمفضليات ، والأصمعيات ، وديوان الهدليين ، وما أشبه ذلك ، لما في ذلك من غزارة المواد ، وصحة الاستشهاد ، والأطلاع على أصول اللغة ، ونوادير العربية ؛ وقد كان الصدر الأول يعنون بذلك غاية الاعتناء ، وقد حكى أن الإمام الشافعي رحمه الله كان يحفظ ديوان هذيل ؛ فإذا أكثر المترشح للكتابة من حفظ ذلك وتدبر معانيه سهل عليه حله ، وظهرت له مواضع

(١٢)

(١) في الأصل : (بما) وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما تقتضيه اللغة .

(٢) كذا في الأصل وفي حسن التوسل . ولعل قوله : « بها » زيادة من الناسخ . عبارة صبح الأعشى

ج ١ ص ٢٧١ ط دار الكتب المصرية : (وما توفرت دواعي العلماء بها على اختياره) ولعلها أظهر .

الاستشهاد به، وساقه الكلام إلى إبراز ما في ذخيرة حفظه منه، ووضع في مكانه
وتقلبه في الاستشهاد والتضمين إلى ما كأنه وضع له، كما اتفق للقاضي أبي بكر الأرجاني^(١)
في تضمين أنصاف أبيات العرب في بعض قصائده، فقال:

وأهد إلى الوزير المدح يجعل * «لك المربع منها والصفايا»^(٢)

ورافق رقيقة حلوا إليه * «قأبوا بالنهاب والسبايا»^(٣)

وقل للراحين إلى ذراه * «ألستم خير من ركب المطايا»^(٤)

ولا تسلك سوى طرق فيائي * «أنا ابن جلا وطلاع الثنايا»^(٥)

وقال بديع الزمان الهمداني:

أنا لقب دار مولاي "كما طرب النشوان مالت به النجر" ومن الأرتياح إلى
لقائه "كما أنتفض العصفور بالله القطر" ومن الأمتراج بولائه "كما ألتقت الصهباء
والبارد العذب" ومن الأبتهاج بمزاره "كما اهترتحت البارح الغصن الرطب"^(٦).

وكما قال ابن القرطبي وغيره في رسائلهم على ما ذكره إن شاء الله تعالى.

(١) هذه كنيته، واسمه أحمد بن محمد بن الحسين.

(٢) في الأصل: «المربع» بدون ميم، وفيه نقص، والتصويب عن اللسان. والمربع: ما يأخذه
الرئيس، وهو ربع الغنمة. والصفايا: ما يصطفيه الرئيس منها. وقوله: لك المربع الخ صدر بيت، وتماه:
«وحكمك والنشيطه والفضول». والنشيطه: ما أصاب الرئيس من الغنمة قبل أن يصير إلى مجتمع الحى.

(٣) قوله: قأبوا الخ هو صدر بيت لعمر بن كنوم، وتماه: «وأبنا بالملك مصفدينا».

(٤) هو صدر بيت لجرير من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان، وتماه: «وأندى العالمين

يطون راح».

(٥) قوله: أنا ابن جلا الخ، تمام البيت: «متى أضع العمامة تعرفوني»، وقائله سحيم بن وثيل.

أظفر شرح شواهد المباني المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩ م.

(٦) البارح: الريح الشديدة.

وكذلك حفظُ جانبٍ جيّدٍ من شعرِ المحدثين ، كأبي تمامٍ ومسلمِ
ابنِ الوليدِ والبُحترى وابنِ الرومىّ والمتنبىّ ، للطفِ مأخذهم ، ودورانِ الصنعةِ
في كلامهم ، ودقّةِ توليدِ المعاني في أشعارهم ، وقربِ أسلوبهم من أسلوبِ الخطابةِ
والكتابةِ .

- ٥ وكذلك النظرُ في رسائلِ المتقدمين دونِ حفظها لما في النظر فيها من
تتقيحِ القريةِ ، وإرشادِ الخاطرِ ، وتسهيلِ الطرقِ ، والنسجِ على منوالِ المجد ، والاعتداءِ
بطريقةِ المحسنِ ، واستدراكِ ما فات القاصرَ ، والاحترازِ مما أظهره النقدُ ، وردّ ما بهرجه
السبكُ ؛ فأما النهي عن حفظ ذلك فلهذا يتكل الخاطر على ما في حاصله ، ويستند
الفكر إلى ما في مودعه ، ويكتفى بما ليس له ، ويتلبس بما لم يعط "كلايس ثوبى زور" ؛
وأما من قصد المحاضرة بذلك دون الإنشاء فالأحسنُ به حفظ ذلك وأمثاله .

- ١٠ وكذلك النظرُ في كتبِ الأمثالِ الواردةِ عن العربِ نظماً ونثراً
كأمثالِ الميدانيِّ والمفضلِ بنِ سامةِ الضبيِّ وحمزةِ الأصمانيِّ وغيرهم ، وأمثالِ المحدثين
الواردةِ في أشعارهم ، كأبي العتاهيةِ وأبي تمامٍ والمتنبىّ ، وأمثالِ المولدين ؛ وقد أوردنا
من ذلك في بابِ الأمثالِ جُملاً .

- ١٥ وكذلك النظرُ في الأحكامِ السلطانيةِ ، فإنه قد يأمر بأمرٍ فيعرفُ
منها كيف يخلصُ قلمه على حكمِ الشريعةِ المطهرةِ من توليةِ القضاءِ والحسبةِ وغير ذلك ؛
وقد قدّمنا في هذا الكتابِ من ذلك طرفاً جيّداً . قال : فهذه أمورٌ كليةٌ لا بدّ للترشّحِ
لهذه الصنعةِ من التصدّي للأطلاعِ عليها ، والإكبابِ على مطالعتها ، والاستكثارِ منها

(١) في الأصل : «قال» وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .

لَيَنْفِقَ مِنْ تِلْكَ الْمَوَادِّ، وَلَيْسَلُكَ فِي الْوَصُولِ إِلَى صِنَاعَتِهِ تِلْكَ الْجَوَادِّ، وَإِلَّا فَيَلْعَمُ أَنَّهُ
فِي وَادٍ وَالْكَتَابَةُ فِي وَادٍ .

قال : وأما الأمور الخاصة التي تزيد معرفتها قدره، ويزين العلم بها نظمها
ونثرها، فإنها من المكملات لهذا الفن وإن لم يضطر إليها ذو الذهن الثاقب ، والطبع
السليم ، والقريحة المطاوعة ، والفكرة المنقحة ، والبديهة الحسنة ، والروية المتصرفية ، لكن
العالم بها متمكن من أرقمة المعاني ، يقول عن علم ، ويتصرف عن معرفة ، وينتقد
بجدة ، ويختار بدليل ، ويستحسن ببرهان ، ويصوغ الكلام بترتيب ، فمن ذلك علم
المعاني والبيان والبديع ، والكتب المؤلفة في إيجاز الكتاب العزيز ، ككتب الجرجاني
والرمانى والإمام نحر الدين السكاكى والخفاجى وابن الأثير وغيرهم ، وذكر في كتابه
جملا بهذه المعاني [وأورد أيضا أمورا أخرى تتصل بذلك من خصائص] الكتابة
وهي الاقتباس والاستشهاد والحل ، وأتى على ذلك بشواهد وأمثلة ، وسأذكر في هذا
الكتاب ما يخص ما أورده في ذلك باختصار وزيادة عليه .

فأما علوم المعاني والبيان والبديع ، فمنها : ذكر الفصاحة ، والبلاغة
والحقيقة والمجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والخبر وأحكامه ، والتقديم
والتأخير ، والفصل والوصل ، والحذف والإضمار ، ومباحث إن وإتما ، والنظم
والتجنيس ، والطباق ، والمقابلة ، والسيجج ، ورد العجز على الصدر ، والإعنائ^(٥)

(١) واحدة جادة ، وهي وسط الطريق ومعظمه .

(٢) موضع هذه العبارة مطموس بالأصل لعدم قراءته ، ولعل ما أثبتناه مكانها يوافق الغرض الذي
أراده ويتناسب مع سابق الكلام ولا حقه .

(٣) في الأصل : « واختصار » والسياق يقتضى الباء إذ لا يستقيم العطف هنا .

(٤) في الأصل : « عن » وما أثبتناه هو المعروف في كتب البلاغة .

(٥) في الأصل : « والإعناق » بالقاف . وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .

- والمذهب الكلامي، وحسن التعليل، والالتفات، والتمام، والاستطراد، وتأكيـ
 المدح بما يشبه الذم، وتأكيـ الذم بما يشبه المدح، وتجاهل العارف، والهزل
 الذي يراد به الحد، والكليات، والمبالغة، وإعتاب المرء نفسه، وحسن التضمين
 والتلميح، وإرسال المشيل، وإرسال مثلين، والكلام الجامع، واللف والنشر
 والتفسير، والتعديد - ويسمى سياقة الأعداد - وتنسيق الصفات، والإيهام - ويقال
 له: التورية - والتخييل، وحسن الابتداءات، وبراعة التخليص، وبراعة الطلب
 وبراعة المقطع، والسؤال والجواب، وصحة الأقسام، والتوشيح، والإيغال، والإشارة
 والتذليل، والترديد، والتفويف، والتسهم، والاستخدام، والعكس، والتبديل
 والرجوع، والتغاير، والطاعة والعصيان، والتسميط، والتشطير، والتطريز، والتوشيح
 والإغراق، والغلو، والقسم، والاستدراك، والمؤلفة والمختلفة، والتفريق المفرد
 والجمع مع التفريق، والتقسيم المفرد، والجمع مع التقسيم، والتراوج، والسلب والإيجاب
 والأطراد، والتجريد، والتكليل، والمناسبة، والتفريع، ونفي الشيء بإيجابه
 والإيداع، والإدماج، وسلامة الاختراع، وحسن الاتباع، والذم في معرض المدح
 والعنوان، والإيضاح، والتشكيك، والقول بالموجب، والقلب، والتنديد، والإسجال
 بعد المغالطة، والافتنان، والإبهام، وحصر الجزئي وإحاطة بالكلّي، والمقارنة
 والإبداع، والانفصال، والتصرف، والأشتراك، والتهمك، والتدبيح، والموجه
 وتشابه الأطراف. هذا مجموع ما أورده منها، واستشهد عليه بأدلة، وأورد أمثلة
 سنشرح منها ما يكتفى به اللبيب، ويستغنى به اللبيب.

(١) في الأصل: «الإبداع» بالياء الموحدة، والتصويب عن حسن التوسل.

(٢) في الأصل: «والاستشهاد» وما أثبتناه أولى بالسياق.

(٣) كذا في الأصل، وهو مكرر مع ما قبله، ولعل صوابه: «الأريب».

أما الفصاحة والبلاغة، فقد تقدّم الكلام فيهما في أوّل الباب، فلا فائدة في إعادته .

وأما الحقيقةُ والمجازُ — فالحقيقة في اللغة فعيلةٌ بمعنى مفعولة، من حقّ الأمر يُحقِّقه بمعنى أثبتّه، أو من حققته إذا كنتَ منه على يقينٍ . والمجاز من جاز الشيء يجوزه إذا تعدّاه، فإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وُصف بأنه مجازٌ على أنهم قد جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وُضع فيه أولاً، لأنه ليس بموضع أصليّ لهذا اللفظ ولكنّه مجازه ومتعدّاه يقع فيه كالواقف بمكان غيره ثم يتعدّاه [إلى] مكانه الأصلي. ولهما حدود في المفرد والجملة، فحدهما في المفرد: أن كل كلمة أريد بها ما وضعت له فهي حقيقة، كالأسد للحيوان المقترب، واليد للجراحة ونحو ذلك . وإن أريد بها غيره لمناسبة بينهما فهي مجاز، كالأسد للزجل الشجاع واليد للنعمة أو للقوة، فإن النعمة تُعطى باليد، والقوة تظهر بكاملها في اليد. وحدهما في الجملة: أن كل جملة كان الحكم الذي دلّت عليه كما هو في العقل فهي حقيقة (١) كقولنا: خلق الله الخلق؛ وكل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه في العقل بضرب من التأويل فهي مجاز، كما إذا أضيف الفعل إلى شيء يضاهاى التفاعل، كالمفعول به في قوله عزّ وجلّ: (فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ) و(مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ)؛ أو المصدر، كقولهم: شِعْرٌ شَاعِرٌ؛ أو الزمان، كقول النعمان بن بشير لمعاوية:

* وَلَيْلِكَ عَمَّا نَابَ قَوْمِكَ نَائِمٌ * ؛

أو المكان، كقولك: طريق سائر؛ أو المسبّب، كقولهم: بنى الأمير المدينة؛ أو السبب، كقوله تعالى: (وَإِذَا تَلَّيْتِ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) . فمجاز المفرد

(١) في الأصل: « فهو » والصواب تأنيث الضمير لتأنيث مرجعه وليوافق ما سيأتي .

- لغوى، ويسمى مجازاً في المثبت، ومجاز الجملة عقلياً، ويسمى مجازاً في الإثبات.
- قال: فالمجاز قد يكون في الإثبات وحده، وهو أن يُضيف الفعل إلى غير الفاعل الحقيقي كما ذكرناه، وقد يكون في المثبت وحده، كقوله تعالى: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ جعل خضرة الأرض ونضرتها حياة، وقد يكون فيهما جميعاً، كقولك: أحييتني رؤيتك، تريد سررتني، فقد جعلت المسرّة حياة وهو مجاز في المثبت^(١).
- وأسندها إلى الرؤية وهو مجاز في الإثبات.

قال: وأعلم أنهم تعرّضوا في اعتبار كون اللفظ مجازاً إلى اعتبار شيئين:

الأول أن يكون منقولاً عن معنى وُضع اللفظ بإزائه، وبهذا يتميز عن اللفظ المشترك.

- ١٠ الشانى أن يكون هذا النقل لمناسبة بينهما، فلا توصف الأعلام المنقولة بأنها مجاز إذ ليس نقلها لتعلق نسبة [بين] المنقول عنه ومن له العلم، وإذا تحقق الشرطان سمي مجازاً، وذلك مثل تسمية النعمة والقوة باليد، لما بين اليد وبينهما من التعلق وكما قالوا: رعيّنا الغيث، يريدون النبات الذي الغيث سببه، وصابتنا السماء، يريدون المطر، وأشبه ذلك ونظائره.

- ١٥ وأما التشبيه — فهو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء في نفسه، كالشجاعة في الأسد، والنور في الشمس. وهو ركن من أركان البلاغة لإخراج الخفى إلى الجلى، وإدناؤه البعيد من القريب. وهو حكم إضافي لا يوجد إلا بين الشئيين بخلاف الاستعارة.

(١) في الأصل: «حيلة» وهو تحريف صوابه ما أثبتنا.

(٢) الزيادة عن حسن التوسل، والسياق يقتضيها.

(١) ثم التشبيه على أربعة أقسام: تشبيه محسوس [بمحسوس]، وتشبيه معقول (٢) [بمعقول]، وتشبيه معقول بمحسوس، وتشبيه محسوس بمعقول .

فأما تشبيه محسوس بمحسوس فلاشتراكهما إتما في المحسوسات الأولى: وهي مدركات السمع والبصر والذوق والشم واللمس، كتشبيه الخد بالورد والوجه بالنهار، [وأطيظ الرجل بأصوات الفرار ينج] والفواكه الحلوة بالسكر والعسل ورائحة بعض الرياحين بالمسك والكافور، واللبن الناعم بالحليب، والخشيش بالمسح. (٣) (٤) (٥) أو في المحسوسات الثانية: وهي الأشكال المستقيمة والمستديرة، والمقادير، والحركات كتشبيه المستوى المنتصب بالريح، والقدر اللطيف بالغصن، والشئ المستدير بالكرة والحلقة، والعظم الجثة بالجبل، والذهب على الاستقامة بنفوذ السهم. أو في الكيفيات الجسائية، كالصلابة والرخاوة. أو في الكيفيات النفسائية، كالغرائز والأخلاق. أو في حالة إضافية، كقولك: هذه حجة كالشمس، وألفاظ كالماء في السلاسة وكالتسيم في الرقة، وكالعسل في الحلاوة. وربما كان التشبيه بوجه عقلي، كقول فاطمة بنت الخرشب الأثمارية حين وصفت بنيتها الجملة فقالت: هم كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها .

وأما تشبيه المعقول بالمعقول فهو كتشبيه الوجود العارى عن الفوائد بالعدم، وتشبيه الفوائد التي تبقى بعد عدم الشئ بالوجود، كقول الشاعر:

رب حى كميّ ليس فيه * أمل يرتجى لنفع وضرر

وعظام تحت التراب وفوق الأرض منها آثار حمد وشكر (٦)

(١) التكلّة عن حسن التوسل، وصحة التقسيم تقتضى إثباتها. (٢) التكلّة عن حسن التوسل والمقام يقتضى إثباتها. (٣) التكلّة عن حسن التوسل. (٤) المسح بالكسر: الكساء من الشعر، جمعه أمساح ومسوح. (٥) في الأصل: «البابنة» وهو محريف. (٦) في الأصل: «منها حمد» والتكلّة عن حسن التوسل وبها يستقيم البيت.

وأما تشبيهه المعقول بالمحسوس فهو كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ .

وأما تشبيهه المحسوس بالمعقول فهو غير جائز ، لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية إليها ، ولذلك قيل : من فقد حساً فقد علماً ، فإذا كان المحسوس أصلاً للمعقول فتشبيهه به يكون جعلاً للفرع أصلاً والأصل فرعا .
 ولذلك لو حاول محاول المبالغة في وصف الشمس بالظهور والمسك بالثناء فقال :
 الشمس كالنخلة في الظهور ، والمسك كالثناء في الطيب ، كان ذلك سخفاً من القول .
 فأما ما جاء في الشعر من تشبيهه المحسوس بالمعقول فوجهه أن يتمدّد المعقول محسوساً ، ويُجعل كالأصل المحسوس على طريق المبالغة ، فيصحّ التشبيه حينئذٍ .
 وذلك كما قال الشاعر :

وكانت النجوم بين دجاها * سنن لاح ينهنّ ابتداع

فإنه لما شاع وصف السنّة بالبياض والإشراق ، وأشتهرت البدعة وكل ما ليس بحقّ بالظلمة تخيّل الشاعر أن السنن كأنها من الأجناس التي لها إشراق ونور ، وأن البدع نوع من الأنواع التي لها اختصاص بالسواد والظلمة ، فصار ذلك كتشبيه محسوس بمحسوس ، بخازله التشبيه ، وهو لا يتمّ إلا بتخييل ما ليس بمتلون [متلونا]^(٤) ثم يتخيّله أصلاً فيشبهه به ، وهذا هو الذي تُؤوّل في قول أبي طالب الرقيّ :

(١) كذا في الأصل وفي حسن التوسل . وهو غير مستقيم كما لا يخفى ، ولعل صواب العبارة : « والمسك

بالطيب » فإن المسك إنما يوصف به لا بالثناء ، وفي الجملة قبلها وفي ما يأتي من التمثيل ما يؤيده .

(٢) في الأصل : « ويجعل المعقول محسوساً » وهو مكرر مع ما قبله ، وتصويب العبارة عن حسن التوسل .

(٣) في الأصل : « كالظلمة » وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .

(٤) الزيادة عن حسن التوسل ، ولا يتم المعنى بدونها .

ولقد ذكرك والظلام كأنه * يوم النوى وفؤاد من لم يعشقي

فإنه لما كانت الأوقات التي تحدث فيها المكاره توصف بالسواد كما يقال :
أسودت الدنيا في عيته ، جعل يوم النوى كأنه أشهر بالسواد من الظلام ، فعرفه به
وشبهه ، ثم عطف عليه فؤاد من لم يعشق لأن من لم يعشق عندهم قاسى القلب
والقلب القاسى يوصف بشدة السواد ، فأقامه أصلا ، فقس على هذا المثال . قال :
وأعلم أن ما به المشابهة قد يكون مقيدا بالانتساب إلى شيء ، وذلك إما إلى المفعول به
كقولهم : "أخذ القوس بارميا" وإلى ما يجرى مجرى المفعول به وهو الجاز والمجور
كقولهم لمن يفعل ما لا يفيد : "كالراقم على الماء" وإما إلى الحال ، كقولهم :
"كالخادي وليس له بعير" وإما إلى المفعول والجاز والمجور معا ، كقولهم : "هو
كمن يجمع السيفين في غمد" و"كمتنخي الصيد في عرينة الأسد" ، ومن ذلك قوله
تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ فإن التشبيه
لم يحصل من مجرد الحمل ، بل لأمرين آخرين ، لأن الغرض توجيه الذم إلى من
أتعب نفسه في حمل ما يتضمن المنافع العظيمة ثم لا ينتفع به لجهله ، وكقول لبيد :
وما الناس إلا كالديار وأهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

فإنه لم يشبه الناس بالديار ، وإنما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم بحلول
أهل الديار فيها ، وشك رحيلهم منها . قال : وكلما كانت التقسيادات أكثر كان
التشبيه أوغل في كونه عقليا ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ
السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرٌ نَارِيًّا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا
كَانَ لَمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ﴾ . فإن التشبيه منتزع من مجموع هذه الجمل من غير أن يمكن

(١) في الأصل وفي حسن التوسل : «وغادوا» وهو تحريف ، والتصويب عن اللسان مادة غدا .
وغدوا : لغة في غدا .

فصلٌ بعضُها عن بعضٍ ، فإنك لو حذفتها منها جملة واحدة من أى موضع كان
أخلّ ذلك بالمعزى من التشبيه . قال :

ثم ما به المشابهة إن كان مرّجاً فإنه على قسمين :

الأول ما لا يمكن إفراد أحد أجزائه بالذکر ، كقول القاضى التّونخى :

كأتمّ المزيخُ والمشتري * قدّامه فى شاخ الرّفعة

منصرف بالليل من دعوة * قد أسرجت قدّامه شمعه

فإنك لو اقتصرنا على قوله : كأنّ المزيخ منصرفٌ من دعوة ، أو كأنّ المشتري

شمعةٌ لم يحصل ما قصده الشاعر ، فإنه إنّما قصد الهيئة التى يلبسها المزيخ من كون
المشتري أمامه .

- ١٠ الثانى ما يمكن إفراده بالذکر ويكون إذا أزيل منه التركيب صحيح التشبيه
فى طرفيه إلا أن المعنى يتغير ، كقول أبى طالب الرقى :

وكانّ أجرامَ النجوم لوامعا * درر تُثرن على بساط أزرق

فلو قلت : كأنّ النجوم دررٌ ، وكانّ السماء بساط أزرق ، وجدت التشبيه مقبولا

ولكن المقصود من الهيئة المشبهة بها قد زال . قال : وربما كان التشبيه فى أمور

- ١٥ كثيرة لا يتقيد بعضها ببعض ، وإنّما يكون مضموما بعضها إلى بعض وكلّ واحد

منها منفرد بنفسه ، كقولك : زيد كالأسد بأسا ، والبحر جودا ، والسيف مضاء

والبدر بهاء ، وله خاصيتان : إحداهما أنه لا يجب فيه الترتيب ، والثانية أنه إذا

سقط البعض لم يتغير حكم الباقى .

ومن المتأخرين من ذكر فى التشبيه سبعة أنواع :

- ٢٠ الأول التشبيه المطلق ، وهو أن يشبه شيئا بشيء من غير عكس ولا تبديل

كقوله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ وقوله تعالى :

(وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) وقوله تعالى: (كَانَهُمْ أُعْجَازٌ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ) .
وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الناس كأسنان المشط".

الثاني التشبيه المشروط، وهو أن يشبه شيئا بشيء لو كان بصفة كذا، ولولا أنه بصفة كذا، كقوله: أشبهه وجه مولانا بالعيد المقبل لو كان العيد تبقى ميامنه وتدوم محاسنه، وكقوله: وجهه هو كالشمس لولا كسوفها، والقمر لولا خسوفه
وكقول البديع:

قد كان يحكيك صوب الغيث منسجبا * لو كان طلق الحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت * والليث لو لم يصد والبحر لو عدبا
وكقول الآخر^(١):

عزماته مثل النجوم ثواقبا * لو لم يكن للتأقبات أفول.

الثالث تشبيه الكناية، وهو أن يشبه شيئا بشيء من غير أداة التشبيه، كقول المتنبي:

بدت قمرًا وماست خوط بان * وفاحت عنبرًا ورنّت غزالا
وقول الواو الدمشقي^(٢):

فأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعصت على العناب بالبرد.

الرابع تشبيه التسوية، وهو أن يأخذ صفة من صفات نفسه، وصفة من الصفات المقصودة، ويشبههما بشيء واحد، كقوله:

(١) هورشيد الدين الطواط .

(٢) في الأصل: أولو . وفي حسن التوسل: الواو؛ ودو تحريف في لهما، والتصويب عن

شرح القاموس . والواو: لقبه، واسمه محمد بن أحمد النيساني، وكثيره أبو الفرج .

صَدْعُ الحَبِيبِ وَحَالِي * كَلَاهِمَا كَالْيَالِي
(١)
وَتَغْرِهِ فِي صَفَاء * وَأَدْمُعِي كَاللَّالِي.

الخامس التشبيه المعكوس، وهو أن تشبه شيئين كل واحد منهما بالآخر
كقول الشاعر :

الخمر تفاح جرى ذائبا * كذلك التفاح نخر جمد
فاشرب على جامد ذوبه * ولا تبغ لذة يوم بغداد
وكقول الصاحب بن عباد :

رَقَّ الرَّجَاجُ وَرَاقَتِ الخمر * فَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَّ الأمر
فكَانَتْ خمرٌ وَلَا قَدَح * وَكَانَتْ قَدَحٌ وَلَا خمر

١٠ وكقول بعضهم في النثر : كم من دمٍ أهرقناه في البرِّ، وشخصٍ أغرقناه في البحر،
فأصبح البرُّ بحرا من دمائهم، والبحر برًّا بأشلائهم .

السادس تشبيه الإضمار، وهو أن يكون مقصوده التشبيه بشيء فدل ظاهر
لفظه أن مقصوده غيره، كقول المتنبي :

ومن كنتَ جاراً له يا عليّ لم يقبل الدرّ إلا كباراً *

١٥ فيدل ظاهره على أن مقصوده الدرّ، وإتّما غرضه تشبيه المدوح بالبحر .

السابع تشبيه التفضيل، وهو أن يشبه شيئاً بشيء ثم يرجع فيرتج المشبه
على المشبه به، كقوله :

حسبت جماله بدرا مضيئاً * وأين البدر من ذاك الجمال

(١) في الأصل : «تغوره» والتصويب عن حسن التوسل .

٢٠ (٢) في الأصل : «ذا» وفيه نقص، والتصويب عن حسن التوسل .

وكقول ابن هندو :^(١)

مَنْ قَاسَ جَدَاوِكَ بِالغَمَامِ فَمَا * أَنْصَفَ فِي الْحَكْمِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ
أَنْتَ إِذَا جَدْتَ ضَاحِكًا أَبَدًا * وَذَلِكَ إِنْ جَادَ دَامَعَ الْعَيْنُ .

قال : وقد تقدّم تشبيه شيء بشيء .

فأما تشبيه شيء بشيئين فكقول امرئ القيس :

وَتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَيْءٍ كَأَنَّهُ * أَسَارِيْعُ رَمَلٍ أَوْ مَسَاوِيِكُ إِسْحَالٍ^(٢) .

وأما تشبيه شيء بثلاثة أشياء فكقول البحتري :

كَأَنَّمَا يَلِيْمٌ عَنِ لَوْلُؤٍ * مَنْضَعِدٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَقَاحٍ .

وأما تشبيه شيء بأربعة أشياء فكما قال المولى شهاب الدين أبو الشاء

محمود الحلبي الكاتب :

يَفْتَرُّ طِرْسُكَ عَنِ سَطُورِ جَادَهَا * فَفَكَرَ السَّلِيمُ بِصَوْبِ مِسْكِ أَذْفَرِ
فَكَأَنَّمَا هُوَ رَوْضَةٌ أَوْ جَدُولٌ * أَوْ سَمُطٌ دَرٌّ أَوْ قِلَادَةٌ عَنَبِرِ .

وأما تشبيه شيء بخمسة أشياء فكقول الحريري :

يَفْتَرُّ عَنِ لَوْلُؤٍ رَطْبٌ وَعَنْ بَرْدٍ * وَعَنْ أَقَاحٍ وَعَنْ طَلْعٍ وَعَنْ حَبِّبِ .

وأما تشبيه شيئين بشيئين فكقول امرئ القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا * لَدَى وَكْرَهَا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي

(١) كذا في معجم الأدباء لياقوت ج ٥ ص ١٦٨ ط مطبعة هندية . وفي الأصل : « بن هند » ولم تقف عليه فيما بين أيدينا من كتب اللغة ومعاجم الأعلام . (٢) في الأصل : « اذا » والتصويب عن حسن التوسل . (٣) تعلو : تناول . والرخص : اللين الناعم . والشئن : الغليظ الكرو . والأساريع : دود أحمر يكون في البقل والأماكن الندية ، تشبه به أنامل النساء . والإسحال بكسر أوله : شجر من شجر المساريك . (٤) المشهور في روايته : (ظلي) كما في معلقة الشاعر . وظلي بفتح فسكون : اسم بلد قريب من ذي قار ، وهو أحسن بلاد الله أساريع .

وأما تشبيهه بثلاثة بثلاثة فكقول الآخر :

ليلٍ وبدرٍ وغصنٍ * شعرٍ ووجهٍ وقد

حمرٍ ودّرٍ ووردٍ * ريقٍ وثغرٍ وخذ .

وأما تشبيهه بأربعة بأربعة فكقول امرئ القيس :

له أَيْطَلًا ظَبِيٌّ ^(١) وساقا نعامةٍ * وإرخاءُ سِرْحَانٍ وتقريبٌ تَقِيلِ

وكقول أبي نواس :

تَبِكِي فتُدْرِي الدرّ من نرجسٍ * وتلَطِّمُ الوردَ بعُنبٍ .

وأما تشبيهه بخمسة بخمسة فكقول أبي الفرج الواو الدمشقي ^(٢) :

قالت متى البين يا هذا فقلت لها * إتما غدا زعموا أولا فبعد غد

فأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعصت على العُنب بالبرد

وشبهه قاضي القضاة نجم الدين بن البارزي سبعة أشياء بسبعة أشياء وهي :

يُقَطِّعُ بالسَّكِينِ بِطَيْخَةً ضَحِيٍّ * على طَبِيقٍ فِي مَجَاسٍ لَانٍ صَاحِبِهِ

كشَمِيسٍ بَبْرَقٍ قَدَّ بَدْرًا أَهْلَةً * لَدَى هَالَةٍ فِي الْأَفْقِ شَتَّى كَوَاكِبِهِ .

قال : والغرض من التشبيه قد يكون بيان إمكان وجود الشيء عند أدعاء

ما لا يكون إمكانه بينا، كقول ابن الرومي :

١٥

وكم أب قد علا بابن ذرى شريفٍ * كما علّت برسول الله عدنانُ

وكقول المتنبي :

فإن تَفَقُّ الأنامِ وأنت منهم * فإنَّ المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

(١) واحدُه أَيْطَلٌ ، وهو الخَاصِرَةُ . والإرخاءُ : شِدَّةُ العَدُوِّ . والتقريبُ : وضعُ الرِجْلَيْنِ مكانَ اليَدَيْنِ

في العَدُوِّ . والتفتلُ : ولدُ الثعلبِ .

٢٠

(٢) موضعُ هذا الاسمِ مطموسٌ بالأصل ، وما أثبتناه عن حسن التوسلِ .

أوبيانَ مقدارَه ، كما إذا حاولت نفي الفائدة عن فعل إنسان قلت : هذا كالتبايض على الماء ، لأن خلوا الفعل عن الفائدة مراتب مختلفة في الإفراط والتفريط والوسط ، فإذا مثَّل بالمحسوس عُرِفَت مرتبته ، ولذلك لو أردت الإشارة إلى تنافي الشئيين فأشرت إلى ماء و نار فقلت : هذا وذلك هل يجتمعان ؟ كان تأثيره زائدا على قولك : هل يجتمع الماء والنار ؟ وكذلك إذا قلت في وصف طول يوم : كأطول ما يتوهم ، أو لا آخره ، أو أنشدت قوله :^(١)

في ليلِ صُولٍ تَناهى العَرضُ والطولُ * كأتمَّ ليلَه بالليلِ موصول
لم تجد فيه من الأتس ما تجده في قوله :^(٢)

ويومٍ كظلتِ الرمحَ قصَّصَ طولَه * دمُ الرِّقِ عَنَّا واصطفاقُ المَزاہِرِ

وما ذاك إلا للتشبيه بالمحسوس ، وإلا فالأول أبلغ ، لأن طول الرمح متناهٍ وفي الأول حكمت أن ليلَه موصول بالليل ، وكذلك لو قلت في قصر اليوم : كأنه ساعة ، أو كضحك البصر ، لوجدته دون قوله :

ظلمنا عند دار أبي أنيس * بيومٍ مثل سالفَةِ الذُّبابِ^(٤)

وقوله :

ويومٍ كإبھامِ القِطَاةِ مُزَيَّنٍ * إلى صِباہِ غالبٍ لي باطله .

قال : وقد يكون غرض التشبيه عائدا على المشبه به ، وذلك أن تقصد على عادة التخييل أن توهم في الشئ القاصر عن نظيره أنه زائد ، فتشبه الزائد به ، كقوله :

(١) في الأصل : « وأنشدت » والسياق يقتضى العطف بأوكما في حسن التوسل .

(٢) البيت لحندج ابن حندج المزني . وصول : مدينة في بلاد الخزر في نواحي باب الأبواب . أنظر معجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ٤٣٥ ط المدرسة المحروسة بمدينة غنغنة .

(٣) في الأصل : « منه » وما أثبتناه عن حسن التوسل ، إذ هو المناسب لقوله بعد : (في قوله) .

(٤) السالفة : صفحة العنق ، أراد هنا العنق كله .

(١) وبدا الصبح كأنَّ غرَّتَه * وجه الخليفة حين يمتدح

وهذا أبلغ وأحسن وأمدح من تشبيه الوجه بالصبح، لأن تشبيه الوجه بالصبح أصل متفق عليه لا يُنكر ولا يُستكثر، وإنما الذي يستكثر تشبيه الصبح بالوجه . قال : ثم الغرض بالتشبيه إن كان إلحاق الناقص بالزائد امتنع عكسه مع بقاء هذا الغرض ، وإن كان الجمع بين شيئين في مطاق الصورة والشكل واللون صحَّ العكس كتشبيه الصبح بغزة الفرس الأدهم لا للبالغ في الضياء ، بل لوقوع منير في مظلم وحصول بياض قليل في [سواد] كثير .

قال : والتشبيه قديح غريباً يحتاج في إدراكه إلى دقة نظر، كقول ابن المعتز :

* والشمس كالمرآة في كف الأشل *

١٠ وبالجماع الأستدارة والإشراق مع تواصل الحركة التي تراها للشمس إذا أنعمت التأمل في اضطراب نور الشمس ، ويقرب منه قول الآخر :

كأن شعاع الشمس في كل غدوة * على ورق الأشجار أول طالع

دنانير في كف الأشل يضمها * لقبض وتهوى [من] فروج الأصابع

وكقول المتنبي :

١٥ الشمس من مشرقها قد بدت * مشرقة ليس لها حاجب

كانها بودقة أيت * يجول فيها ذهب ذائب

(١) البيت لمحمد بن وهيب الجعفي من قصيدة يمدح بها المأمون .

(٢) في الأصل : « مقنع » وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .

(٣) كذا في الأصل وفي حسن التوسل . ولعله « بقبض » بالباء .

(٤) الكلمة الموضوعية بين مربعين ساقطة من الأصل ، وقد نقلناها عن حسن التوسل ، وبها يستقيم

الوزن والمعنى . (٥) في الأصل : « بوطقة » وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .

والبودقة : مولد معرب بوتة ، وهي ما يصن في الذهب والفضة معروفة عند الصائغ ، ويقال فيه : بوتقة .

ومن لطيف ما جاء في هذا المعنى من التشبيه قول الأخطل في مصلوب :
 أو قائم من نعاس فيه لوثته ^(١) * مؤصل لتمطيه من الكسل
 شبهه بالتمطى ، لأن المتمدى يمد يديه وظهره ثم يعود إلى حالته الأولى ، فزاد
 فيه أنه موصل لذلك ، وعلله بالقيام من النعاس لما في ذلك من اللوثة والكسل .
 قال : والتشبيه ليس من المجاز ، لأنه معنى من المعاني ، وله ألفاظ تدل عليه وضعا
 فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه ، وإنما هو توطئة لمن يسلك سبيل الاستعارة
 والتمثيل ، لأنه كالأصل لهما وهما كالفرع له ، والذي يقع منه في حيز المجاز عند أهل
 هذا الفن هو الذى يحىء على حد الاستعارة ، كقولك لمن يتردد فى الأمر ^(٢) [بين] أن
 يفعله أو يتركه : « أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى » والأصل فيه أراك فى ترددك
 كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى .

وأما الاستعارة — فهى آداء معنى الحقيقة فى الشئ للمبالغة فى التشبيه مع
 طرح ذكر المشبه من البين لفظا وتقديرا . وإن شئت قلت : هو جعل الشئ ^(٤) الشئ
 [أو جعل الشئ للشئ] لأجل المبالغة فى التشبيه .

فالأول كقولك : لقيت أسدا وأنت تعنى الرجل الشجاع .

والثانى كقول لييد :

* إذ أصبحت بيد الشمال زمامها ^(٦) *

أثبت اليد للشمال مبالغة فى تشبيهها بالقادر فى التصرف فيه على ما يأتى بيان ذلك .

(١) اللوثة بالضم : الاسترخاء . (٢) فى الأصل : (التطى) وما أثبتناه عن حسن التوسل .
 (٣) الزيادة عن حسن التوسل . (٤) كذا فى الأصل وحسن التوسل . وهو غير ظاهر ، ولعل
 صوابه : « من الشئين » ، يريد الطرفين . (٥) التكلمة عن حسن التوسل ، والتمثيل الآتى يقتضى اثباتها .
 (٦) فى معلقة الشاعر : « قد » والمعنى يستقيم على كل منهما . وصدر البيت : « وغداة ريح قد وزعت
 وقرة » . يريد أنه رب غداة ريح وبرد قد دفعها عن العفاة بخر الجزر لهم والإطعام ، وإذ كاه النار
 لدفتهم وقراهم . وإنما خص الشمال لأنها أبرد الرياح .

وحدّ الرّمانيّ الاستعارة فقال : هي تعليق العبارة على غير ما وُضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل للإبانة .

وقال ابن المعتزّ : هي استعارة الكلمة من شيء قد عُرف بها إلى شيء لم يُعرف بها . وذكر الخفاجيّ كلامَ الرّمانيّ وقال : وتفسير هذه الجملة أن قوله عز وجل :

- (١) **﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾** استعارة ، لأنّ الاشتعال للنار ، ولم يوضع في أصل اللغة للشيب
 فلما نقل إليه بان المعنى لما آكسبه من التشبيه ، لأنّ الشيب لما كان يأخذ
 في الرأس شيئاً فشيئاً حتى يحيله إلى غير لونه الأوّل كان بمنزلة النار التي تسرى في الخشب
 حتى تحيله إلى غير [حالته] المتقدمة ؛ فهذا هو نقل العبارة عن الحقيقة في الوضع
 للبيان ، ولا بدّ من أن تكون أوضح من الحقيقة لأجل التشبيه العارض فيها لأنّ الحقيقة
 لو قامت مقامها لكانت أولى بها ، لأنها الأصل ، وليس يخفى على المتأمل أن قوله
 عزّ وجلّ : **﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾** أبلغ من كثر شيب الرأس ، وهو حقيقة هذا المعنى .

- ولا بدّ للاستعارة من حقيقة هي أصلها ، وهي مستعار منه ، ومستعار ، ومستعار
 له ، فالنار مستعار منها ، والأشتعال مستعار ، والشيب مستعار له . قال : وأما قولنا
 مع طرح ذكر المشبه ، فأعلم أننا إذا طرحناه كقولنا : رأيت أسداً ، وأردنا الرجل
 الشجاع فهو استعارة بالانفراق ، وإن ذكرنا معه الصيغة الدالة على المشابهة كقولنا :
 زيد كالأسد أو مثله أو شبهه فليس باستعارة ؛ وإن لم نذكر الصيغة وقلنا : زيد
 أسد فاختار أنه ليس باستعارة إذ في اللفظ ما يدلّ على أنه ليس بأسد فلم تحصل

(١) في الأصل : (الاستعارة) وفيه تحريف وزيادة هاء ، والسياق يقتضى ما أثبتنا كما في حسن التوسل .

(٢) الزيادة عن حسن التوسل ، ولا يستقيم الكلام بدونها . وعبارة الأصل : (كان بمنزلة النار التي تسرى

في الخشب حتى تحيله إلى غير لونه الأوّل كان بمنزلة النار حتى تحيله إلى غير لونه المتقدمة) . وفيها تكرار ونقص .

(٣) بها أي بالعبارة .

المبالغة ، فإذا قلت : زيد الأسد فهو أبعد عن الاستعارة ، فإن الأول خرج بالتنكير عن أن يحسن فيه كاف التشبيه ، فإن قولك : زيد كأسد كلامٌ نازل بخلاف الثاني .
قال ضياء الدين بن الأثير : وهذا التشبيه المضممر الأداة قد خلطه قوم بالاستعارة ولم يفتروا بينهما ، وذلك خطأ محض .

قال : وسأوضح وجه الخطأ فيه وأحقق القول في الفرق بينهما فأقول : أما التشبيه المظهر الأداة فلا حاجة بنا إلى ذكره لأنه لا خلاف فيه ، ولكن نذكر التشبيه المضممر الأداة فنقول : إذا ذكر المنقول والمنقول اليه على أنه تشبيه مضممر الأداة قيل فيه : زيد أسد ، أى كالأسد ، فأداة التشبيه فيه مضمرة مقدرة ، وإذا أظهرت حسن ظهورها ، ولم تقدح في الكلام الذي أظهرت فيه ، ولم تزل عنه فصاحته ؛ وهذا بخلاف ما إذا ذكر المنقول اليه دون المنقول فإنه لا يحسن فيه ظهور أداة التشبيه ، وإذا ظهرت زال عن ذلك الكلام ما كان متصفاً به من الحسن والفصاحة .

قال : ولنضرب لذلك مثلاً يوضحه فنقول : قد ورد هذا البيت لبعض الشعراء وهو :

فرعاء إن نهضت لحاجتها * عجل القضيبي وأبطأ الدعص^(٢)

وهذا لا يحسن تقدير أداة التشبيه فيه ، فلا يقال : عجل [قد] كلقضيبي وأبطأ [ردف] كالدعص ؛ فالفرق إذن بين التشبيه المضممر أداة التشبيه فيه وبين

(١) كذا في الأصل وحسن التوسل والمثل السائر ص ٢١٥ ط بولاق ؛ وهو غير مستقيم ، فإن الذى يذكر في الاستعارة هو لفظ المشبه به ، وهو المنقول دون المنقول اليه ، ولعل صواب العبارة : « وهذا بخلاف ما إذا ذكر المنقول دون المنقول اليه » وفي التمثيل الآتى ما يؤيده .

(٢) الفرعاء : الطويلة الشعر . (٣) عبارة الأصل : « عجل كلقضيبي وأبطأ كالدعص » بدون هاتين الزائدتين ، وما أشتناه عن حسن التوسل والمثل السائر .

الاستعارة أن التشبيه المضمّر الأداة يحسن إظهار أداة التشبيه فيه ، والاستعارة لا يحسن ذلك فيها . والاستعارة أخص من المجاز إذ قصد المبالغة شرطاً في الاستعارة دون المجاز ، وأيضاً فكل استعارة من البديع وليس كل مجاز منه . والحق أن المعنى يعار أولاً ثم بواسطة يعار اللفظ ؛ ولا تحسن الاستعارة إلا حيث كان التشبيه مقوراً بينهما ظاهراً ، وإلا فلا بد من التصريح بالتشبيه ، فلو قلت : رأيت نخلة أو خامة ^(١) وأنت تريد مؤمناً إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمن كمثل النخلة » أو « كمثل الخامة » ^(٢) لكنت كالمفغز التارك لما يفهم ^(٣) . وكلما زاد التشبيه خفاء زادت الاستعارة حسناً بحيث تكون أطف من التصريح بالتشبيه ، فإنك لو رمت أن تظهر التشبيه في قول ابن المعتز :

١٠ أثمرت أغصان راحته * لجنات الحسن عنباً

أحتجت أن تقول : أثمرت أصابع راحته التي هي كالأغصان لطالب الحسن شبه العنب من أطرافها الخضوبة ، وهذا مما لاخفاء بغثاته .

وربما جُمع بين عدة استعارات إلحاقاً للشكل بالشكل لإتمام التشبيه فتريد الاستعارة به حسناً ، كقول امرئ القيس في صفة الليل :

١٥ فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازاً وناءً بكلكل

فصل فيما تدخله الاستعارة وما لا تدخله

قال : الأعلام لا تدخلها الاستعارة لما تقدم في المجاز . وأما الفعل فالاستعارة

تقع أولاً في المصدر ، ثم تقع بواسطة ذلك في الفعل ، فإذا قلت : نطق الحلال بكذا

(١) في رواية : (كمثل النخلة) بالخاء المهملة ، يريد نخلة العسل ، وما هنا هو المشهور .

(٢) نصه في كتاب النهاية هكذا : « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تقيها الرياح » والخامة :

الطاقة الغضة الناعمة من الزرع .

(٣) في الأصل : « فلا » والتصويب عن حسن التوسل .

فهذا إما يصح لأنك وجدت الحال مشابهة للنطق في الدلالة على الشيء ، فلا جرم
 [أنك] ^(١) أستعرت النطق لتلك الحالة ثم نقلته إلى الفعل . والأسماء المشتقة في ذلك
 كالفعل ؛ فظهر أن الاستعارة إما تقع وقوعا أوليا في أسماء الأجناس . ثم الفعل
 إذا كان مستعارا فاستعارته إما من جهة فاعله ، كقوله : نطقت الحال بكذا

ولعبت بي المموم ، وقول جرير :

تحي الروامس ربمها فتجده * بعد البلى وتميته الأمطار ^(٢)

وقول أبي حية :

وليلة مرضت من كل ناحية * فما تضىء لها شمس ولا قمر

أو من جهة مفعوله ، كقول ابن المعتز :

جُمع الحق لنا في إمام * قتل الجوع وأحي السامح ^(٣)

أو من جهة مفعوليه ، كقول الحريري :

وأقرى المسامع إقما نطقت * بيانا يقود الحرون الشموسا

أو من جهة أحد مفعوليه ، كقول الشاعر : ^(٤)

تقريهم لهذميات تقديها * ما كان خاط عليهم كل زراد

أو من جهة الفاعل والمفعول ، كقوله تعالى : (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ) .

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، واللغة تقتضى إثباتها .

(٢) في الأصل : «الروان أرضها» وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل . والروامس :
 الرياح التي تنقل التراب من بلد الى بلد . يريد أن الرياح تكشف التراب المغلى لآثار الربيع فظهرها
 ويصوب المطر عليها فيعفوها وتخفي على الناظر .

(٣) في حسن التوسل : (الجور) والمعنى يستفهم على كلتا الروايتين ، وما هنا أقرب الى قوله : السامح .

(٤) هو التقاطع .

قال : ويتصل بهذا ترشيح الاستعارة وتجريدها ، أما ترشيحها فهو أن ينظر فيها إلى المستعار ، ويراعى جانبه ، ويؤليه ما يستدعيه ، ويضم إليه ما يقتضيه ، كقول كثير :
 رمثي بسهم ريشه الهدب لم يصب * بظاهر جسمي وهو في القلب جارح^(١)
 وكقول النابغة :

٥ وصدر أراح الليل عازب هممه * تصاعف فيه الحزن من كل جانب
 فالمستعار في كل واحد منهما وهو الرمي والإراحة منظور إليهما في لفظ السهم والعازب ، وكما أنشد صاحب الكشاف :

ينازعي ردائي عند عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر
 لي الشطر الذي ملكت يميني * ودونك فأعتجر منه بشرط

١٠ أراد بردائه سيقه ، ثم نظر إلى المستعار في لفظ الاعتجار . وأما تجريدها فهو أن يكون المستعار له منظورا إليه ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾^(٣) فإن الإذاقة لما وقعت عبارة عما يدرك من أثر الضرر والألم تشبها له بما يدرك من الطعم المتر البشع ، واللباس عبارة عما يعشى منهما ويلبس فكانه قال : فأذاقها الله ما غشينا من ألم الجوع والخوف ، وكقول زهير :

١٥ لدى أسدٍ شاكي السلاح مقدِّفٍ * له ليد أظفاره لم تقلم^(٤)

فلو نظر إلى المستعار لقال : أسد دامي الخالب أو دامي البرائن ، ونظر زهير في آخر البيت إلى المستعار أيضا ، ومنه قول كثير :

عمر الرداء إذا تبسم ضاحكا * غآقت لضحكته رقاب المال

(١) هذه الباء ساقطة من الأصل ، وبها يستقيم الوزن . (٢) في الأصل : (الكاتب) والنصوب

٢٠ عن حسن التوسل . (٣) في الأصل : (الضرورة) وما أثبتناه عن حسن التوسل . (٤) شاكي السلاح وشاكة وشاكة : حديده . والمقذف : الذي يتذف به كثيرا في الوقائع . مبالغة في القذف .

استعار الرداء للعرف لأنه يصون عرض صاحبه صونَ الرداء لما يُلقى عليه^(١) ووصفه بالغمرد الذي هو وصف المعروف والنوال لاوصف الرداء .

قال : ويقرب من ذلك الاستعارة بالسكاية ، وهي أن لا يصرّح بذكر المستعار بل يذكر بعض لوازمه تنبيهاً به عليه ، كقولهم : شجاع يفترس أقرانه ، وعالم يغترف منه الناس .

وكقول أبي ذؤيب :

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها * ألفت كلّ تميمة لاتفع

تنبيها على أن الشجاع أسد ، والمنيّة سبع ، والعالم بحر ، وهذا وإن كان يشبه الاستعارة المجردة إلا أنه أغرب وأعجب ، ويقرب منه قول زهير :

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه * يطبع العوالي ركبّت كلّ لهذم

أراد أن يقول : من لم يرض بأحكام الصالح رضياً بأحكام الحرب ، وذلك أنهم كانوا إذا طلبوا الصلح قبلوا زجاج الرماح وجعلوها قدامها مكان الأسنّة ، وإذا أرادوا الحرب أشرعوا الأسنّة ، وقد يسمّى هذا النوع المماثلة أيضاً .

قال : وقد يتلون الاستعارة منزلة الحقيقة ، وذلك أنهم يستعبرون الوصف المحسوس للشيء المعقول ويجعلون كأن تلك الصفة ثابتة لذلك الشيء في الحقيقة ، وأن الاستعارة لم توجد أصلاً ، مثاله آستعارتهم العلو لزيادة الرجل على غيره في الفضل والقدر والسلطان ثم وضعهم الكلام وضع من يذكر علواً مكانياً ، كقول أبي تمام :

(١) في الأصل : (ووصف) بدون هاء ، وما أثبتناه عن حسن التوسل .

(٢) مقتضى ماسبق من التمثيل تقديم هذه العبارة على ما قبلها إن لوحظ الترتيب كما في حسن التوسل .

(٣) واحده زج بالضم ، وهو حديدة تكون في أسفل الرمح .

(٤) في الأصل : «مكاناً» وما أثبتناه عن حسن التوسل .

وَيَصْعَدُ حَتَّى يَظُنَّ الحِسودَ * بَأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ
وكقوله أيضا :

مَكَارِمَ بَلَّغَتْ فِي عُلُوِّ كَأَمَّا * تَحَاوَلُ نَارًا عِنْدَ بَعْضِ الكَوَاكِبِ^(١)

ولذلك يستعبرون اسم شيء لشيء من نحو شمس أو بدر أو أسد ويبلغون الى
حيث يُعتقد أنه ليس هناك استعارة، كقول ابن العميد :

قَامَتْ تَظَلَّانِي مِنَ الشَّمْسِ * نَفْسٌ أَعَزَّتْ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي

قَامَتْ تَظَلَّانِي وَمِنْ عَجَبٍ * شَمْسٌ تَظَلَّانِي مِنَ الشَّمْسِ

وكقول آخر :

أَيَا شَمْعًا يَضِيءُ بِلا أَنْطِقَاءٍ * وَيَابَدِرًا يَلُوحُ بِلا مُحَاقٍ^(٢)

فَأَنْتَ البَدْرُ مَا مَعْنَى أَنْتَقَاصِي؟ * وَأَنْتَ الشَّمْعُ مَا مَعْنَى أَحْتَرَاقِي؟^(٣)

[فلولا أنه أنسى نفسه أن هاهنا استعارة لما كان لهذا التعجب معنى، ومدار

هذا النوع على التعجب]

وقد يجيء على عكسه، كقول الشاعر :

لَا تَعَجَّبُوا مِنِّي بِإِي غَالَتِهِ * قَدْ زَرَّ أَرْزَارَهُ عَلَى القَمَرِ .

فصل في أقسام الاستعارة

قال : وهي على نوعين :

الأوّل أن تعتمد نفس التشبيه ، وهو أن يشترك شيئان في وصف وأحدهما
أنقص من الآخر ، فتعطى الناقص اسم الزائد مبالغةً في تحقيق ذلك الوصف له

(١) في الأصل : «نارا» بالنون ؛ وهو تحريف . (٢) في الأصل : (انتقاص) و(احتراق)

بجذف ياء المتكلم فيهما ، والمقام يقتضى اثباتها كما في حسن التوسل . (٣) الزيادة عن حسن

التوسل ؛ والمقام يقتضيا . (٤) هو أبو الحسن بن طباطبا العلوي .

كقولك : رأيت أسدا وأنت تعنى رجلا شجاعا ، وعنت لنا ظبيسةً وأنت تريد امرأةً .

والثانى أن تعتمد لوازمه عند ما تكون جهة الاشتراك وصفا ، وإنما ثبت كماله في المستعار منه بواسطة شيء آخر فثبتت ذلك الشيء للمستعار له مبالغة في إثبات المشترك ، كقول لبيد :

وغداة ربح قد كشفتُ وقيةً ^(١) * إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

وليس هناك مشار اليه يمكن أن يُجرى اسم اليد عليه كما جرى الأسد على الرجل لكنه خيل الى نفسه أن الشمال في تعريف الغداة على حكم طبيعة الإنسان المتصرف فيما زمامه ومقادئته بيده ، لأن تصرف الإنسان إنما يكون باليد في أكثر الأمور فاليد كالآلة التي تتكلم بها القدوة على التصرف ، ولما كان الغرض إثبات التصرف — وذلك مما لا يمكن إلا عند ثبوت اليد — أثبت اليد للشمال تحقيقا للغرض ، وحكم الزمام في استعارته للغداة حكم اليد في استعارتها للشمال ، وكذلك قول تأبط شرا :

إذا هزّه في عظم قرن تهالت ^(٢) * نواجد أفواه المنايا الضواحيك

لما شبه المنايا عند هزّة السيف بالمسرور — وكال فرح والسرور إنما يظهر بالضحك الذي تهلل فيه النواجد — أثبتته تحقيقا للوصف المقصود ، وإلا فليس للمنايا ما ينقل اليه اسم النواجد ، وهكذا الكلام في قول الحماسي :

سقاء الردى سيف إذ سئل أمضت * إليه ثنايا الموت من كل مرقيب

(٢٢)

(١) في الأصل : «وقوة» بالواو ، وهو تحريف . والقوة بالكسر : ما أصاب الإنسان من البرد .

(٢) هذه اللام ساقطة من الأصل ، والمقام يقتضى إثباتها .

(٣) في الأصل : «نواجدّه» والهاء زيادة من النسخ .

ومن هذا الباب قوْلهم : فلان مُرَّحِي العِنان ، ومُلَقِّ الزمام .

قال : ويسمى هذا النوع استعارة تخيلية ، وهو كإثبات الجناح للذئب في قوله تعالى : (وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) . قال : إذا عُرف هذا فالنوع الأول على أربعة أقسام :

- ٥ الأول — أن يستعار المحسوس للمحسوس ، وذلك إما بأن يشتركا في الذات ويختلفا في الصفات ، كاستعارة الطيران لغير ذى جناح في السرعة ، فإن الطيران والعدو يشتركان في [الحقيقة وهي] الحركة الكائنة ^(١) إلا أن الطيران ^(٢) أسرع . أو بأن يختلفا في الذات ويشتركا في صفة إما محسوسة كقوْلهم : رأيت شمسا ويريدون إنسانا يتהלل وجهه ، وكقوله تعالى : (وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) فالمستعار منه النار ، والمستعار له الشيب ، والجامع الانبساط ، ولكنّه في النار أقوى ؛ وإما غير محسوسة كقوله تعالى : (إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) المستعار له الريح ، والمستعار منه المرء والجامع المنع من ظهور النتيجة .

- الثاني — أن يستعار شيء معقول لشيء معقول لاشتركا في وصف عدمي أو شوقي وأحدهما أكمل في ذلك الوصف ، فيتنزل الناقص منزلة الكامل كاستعارة اسم العدم للوجود إذا اشتركا في عدم الفائدة ، أو استعارة اسم ^(٣) الوجود للعدم إذا بقيت آثاره المطلوبة منه ، كتشبيه الجهل بالموت لاشتركا في الموصوف بهما في عدم الإدراك والعقل ، وكقوْلهم : فلان لقي الموت إذا لقي الشدائد ، لاشتركا في المكوهية ، وقوله تعالى : (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ) والسكوت والزوال أمران معقولان .

٢٠ (١) التلمذة عن حسن التوسل . (٢) كذا في الأصل . وفي حسن التوسل : (المكانية) ولعلها أظهر . (٣) في الأصل : (الوصف) والسياق يقتضى ما أثبتنا كما في حسن التوسل .

الثالث — أن يستعار المحسوس للمعقول كاستعارة النور الذي هو محسوس للحجة ، واستعارة القسطاس للعدل ، وكقوله تعالى : (بَلْ نَمْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ) فالقذف والدمغ مستعاران ، وقوله تعالى : (فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ) استعارة لبيانه عما أوحى إليه كظهور ما في الزجاجة عند انصداعها ، وكلُّ خوضٍ في القرآن العزيز فهو مستعار من الخوض في الماء ، وقوله تعالى : (قَالَتَا أَتَيْنَا نِإِيعِينَ) جعل لها طاعة وقولا .

الرابع — أن يستعار اسم المعقول للمحسوس على ما تقدم ذكره في التشبيه كقوله تعالى : (إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفورُ تَكَادُ تَمَيَّرُ مِنَ الْغَيْظِ) فالشهبوق والغَيْظُ مستعاران ، وقوله تعالى : (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) والأقوال في الاستعارة كثيرة ، وقد أوردنا فيها ما يُستدلُّ به عليها .

وأما الكناية — قال : اللفظة إذا أُطِقت وكان الغرض الأصلي غير معناها فلا يخلو : إما أن يكون معناها مقصودا أيضا ليكون دالا على ذلك الغرض الأصلي وإما أن لا يكون كذلك .

فالأول هو الكناية ، ويقال له : الإرداف أيضا .

والثاني المجاز .

فالكناية عند علماء البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني لا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء الى معنى هو تاليه ويردفه في الوجود فيومي به اليه ، ويجعله دليلا عليه ، مثال ذلك قولهم : طويل النجاد وكثير رَمَادِ القِدر ، يعنون به أنه طويل القامة ، كثير القري ، ومن ذلك قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ) كنى بنفي قبول التوبة عن الموت على الكفر .

(١) في الأصل : (تأكبد) وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .

وقول الشاعر^(١) :

بعيدة مهوى القُرطِ إما لنوفيلٍ * أبوها وإما عبدُ شمسٍ وهاشمُ
أراد يذكُر طولَ جِدها [فأتى بتابعه وهو بعُد مهوى القُرطِ]، وكقول ليل الأخيلىة:
ومحسَّرٍ عنه القميصُ تخاله * وسطَ البيوت من الحياء سقيا

كنتَ عن جوده بحرق القميص من جذب العفاة له عند آزدحامهم لأخذ
العطاء، وأمثال ذلك . قال :

والكناية تكون في المثبت كما ذكرنا ، وقد تكون في الإثبات وهي ما إذا حاولوا
إثبات معنى من المعانى لشيء فيتركون التصريح بإثباته له ، ويثبتونه لما له به تعلق ،
كقولهم : المجد بين ثوبيه ، والكرم بين برديه ، وقول الشاعر^(٣) :

١٠ إن المروءة والسماحة والندى * في قبةٍ ضربت على ابن الحشرج .

قال : وأعلم أن الكناية ليست من المجاز لأنك تعتبر في ألفاظ الكناية معانيها
الأصلية ، وتفيد بمعناها معنى ثانيا هو المقصود ، فتريد بقولك : كثير الرماد حقيقته^(٤)
وتجعل ذلك دليلا على كونه جوادا ، فالكناية ذكر الرديف وإرادة المردوف .

وأما التعريض — فهو تضمين الكلام دلالة ليس لها ذكر ، كقولك : ما أفبح
البخل ! لمن تُعرض ببخله ، وكقول محمد بن عبد الله ابن الحسن : لم يُعرق في أمهات
الأولاد ، يعرض بالمنصور بأنه ابن أمة ، وأمثال ذلك .

وأما التمثيل — فإنما يكون من باب المجاز إذا جاء على حد الاستعارة ، مثاله
قولك للتحير^(٦) : فلان يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، فلو قلت : إنه في تحيره كمن يقدم

(١) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي . (٢) التكلفة التي بين مربعين عن حسن التوسل .
(٣) هو زياد الأعمى . والبيت من قصيدة قالها في عبد الله بن الحشرج وكان قد وفد عليه وهو أمير على
نيسابور . (٤) في الأصل : « معناها » والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٥) في الأصل :
« حقيقة » بدون هاء وما أثبتناه عن حسن التوسل . (٦) في الأصل : « قول المخبر » وفيه نقص
وتحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .

رجلا ويؤخر أخرى لم يكن من باب المجاز، وكذلك قولك لمن أخذ في عمل لا يتحصّل منه مقصودٌ: أراك تنفخ في غير ضرم، وتخطّ على الماء .

قال : وأجمعوا على أنّ للكناية مزيةً على التصريح لأنك إذا أثبتت كثرة القرى بإثبات شاهدها ودليلها فهو كالدعوى التي [معها] ^(١) شاهد ودليل، وذلك أبلغ من إثباتها بنفسها .

*
* *

وأما الخبر وأحكامه — فقد قال : الخبر هو القول المقتضى تصريحه نسبة معلوم الى معلوم بالنفي أو الإثبات . وتسمية أحد جزئيه بالخبر مجازية . ثم المقصود من الخبر إن كان هو الإثبات المطابق فيكون بالأسم ، كقوله تعالى : ﴿وكلهم بأسط ذراعيه بالوصيد﴾ وإن لم يتمّ ذلك إلا بإشعار زمانه فيكون بالفعل ، كقوله تعالى : ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض﴾ فإن المقصود لا يتمّ بكونه معطيا للرزق [بل بكونه معطيا للرزق] في كل حين وأوان ، والإخبار بالفعل أخصّ من الإخبار بالأسم ، وإذا أنعمت النظر وجدت الأسم موضوعا على أن تثبت به المعنى للشيء من غير إشعار بتجدده شيئا فشيئا ، بل جعل الأطلاق أو البسط مثلا صفة ثابتة بثبوت الطول أو القصر في قولك : زيد طويل أو قصير ، بخلاف ما إذا أخبرت بالفعل فإنه يشعر بالتجدد وأنه يقع جزءا بجزءا ، وإذا أردت شاهدا على ذلك فتأمل هذا البيت :

لا يَأْلَفُ الدرهم المضروبُ صُرَّتَنَا * إِلَّا يَمِئْرُ عليها وهو منطوق ^(٥)

(١) الزيادة عن حسن التوسل ، وصحة العبارة تقتضيا . (٢) الزيادة عن حسن التوسل ، والمقام يقتضى إثباتها . (٣) في الأصل : « بثبوت » والباء زيادة من النسخ . (٤) البيت للنضر ابن جؤبة بن النضر . (٥) في تلخيص المفتاح ومعاهد التنصيص ص ٩٦ ط بولاق : « لكن » .

بغاء بالأسم، ولو أتى بالفعل لم يحسن هذا الحسن. والفعل المتعدي الى جميع
مفعولاته خبر واحد، حتى اذا قلت: ضرب زيد عمرا يوم الجمعة خلف المسجد ضربا
شديدا تأديبا له كان الخبر شيئا واحدا وهو إسناد الضرب المقيد بهذه القيود الى
زيد، فظهر من ذلك [أن] قولك: جاءني رجل مغاير لما دلّ عليه قولك: جاءني
رجل ظريف، وإنك لست في ذلك [إلا] كمن يضم معنى الى معنى. وحكم المبتدأ^(٤)
والخبر أيضا كذلك، فقول بشار:

كأن مثار النقع فوق رءوسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

خبر واحد. واذا قلت: الرجل خير من المرأة فاللام فيه قد تكون للعموم
أو للخصوص بأن ترجع الى معهود، أو لتعريف الحقيقة مع قطع النظر عن عمومها
وخصوصها. واذا قلت: زيد المنطق، أو زيد هو المنطق أفاد انحصار الخبر به
في الخبر عنه، فان أمكن الحصر ترك على حقيقته، وإلا فعلى المبالغة. واذا قلت:
المنطق زيد فهو إخبار عما عُرِفَ بما لم يُعْرَفَ، فكأن المخاطب عَرَفَ أن انسانا
أنطلق ولم يعرف صاحبه، فقلت: الذي تعتقد أنه منطلق زيد.

وأما الذي — فهو للإشارة الى مفرد عند محاولة تعريفه بقضية معلومة^(٥)
كقولك: ذهب الرجل الذي أبوه منطلق، وهو تحقيق قولهم: إنه يُستعمل لوصف
المعارف بالأجمل. والتصديق والتكذيب يتوجهان الى خبر المبتدأ لا إلى صفة، فاذا

(١) في الأصل: (الجر) وفيه تحريف ونقص.

(٢) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضها كما في حسن التوسل.

(٣) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل والسياق يقتضها.

(٤) في الأصل: (الابتداء) وما أثبتناه عن حسن التوسل.

(٥) في الأصل: «وأما الذي هو» بدون فاء، والصواب اثباتها كما تقتضيه القواعد.

كذبت القائل في قوله : زيد بن عمرو كريم ، فالتكذيب لم يتوجه الى كونه ابن عمرو بل الى كونه كريما .

وأما التقديم والتأخير — قال : اذا قُدم الشيء على غيره فإما أن يكون في نية التأخير، كما اذا قدم الخبر على المبتدأ؛ وإما أن يكون في نية التأخير ولكن أنتقل الشيء من حكم الى آخر، كما اذا جئت الى آسمين جاز أن يكون كل واحد منهما مبتدأ فجعلت أحدهما مبتدأ، كقولك : زيد المطلق، والمنطلق زيد . قال الجرجاني : قال صاحب الكتاب : كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم بشأنه أعنى ، وإن كانا جميعا يهتمانهم ويعينانهم ، مثاله : أن الناس اذا تعلق غرضهم بقتل خارجي مفسد ولا يبالون من صدر القتل منه، وأراد مرئياً الإخبار بذلك فإنه يقدم ذكر الخارجى [فيقول] : قتل الخارجى زيد، ولا يقول : قتل زيد الخارجى لأنه يعلم أن قتل الخارجى هو الذى يعينهم ، وإن كان قد وقع قتل من رجل يبعد في اعتقاد الناس وقوع القتل من مثله قدم المخبر ذكر الفاعل فيقول : قتل زيد رجلا لاعتقاد الناس فى المذكور خلاف ذلك . انتهى كلام الجرجاني .

(٢٤)

قال : ولندكر ثلاثة مواضع يعرف بها ما لم يذكر :

الأول الاستفهام — فإذا أدخلته على الفعل وقلت : أضربت زيدا ؟ كان الشك في وجود الفعل ، وإذا أدخلته على الاسم وقلت : أنت ضربت زيدا ؟ كان الفعل محققا والشك في تعيين الفاعل . وهكذا حكم النكرة ، فإذا قلت : أجاك رجل ؟ كان المقصود : هل وجد المجيء من رجل ؟ فإذا قلت : أرجل جاءك ؟ كان ذلك سؤالاً عن جنس من جاء بعد الحكم بوجود المجيء من إنسان ؛ وقس عليه

(١) الزيادة عن حسن التوسل ، والمقام يقتضيها .

(٢) فى الأصل : « بها لم تذكر » باسقاط « ما » والمقام يقتضى اثباتها كما فى حسن التوسل .

- الخبر في قولك : ضربت زيدا ، وزيدا ضربت ، وجاءني رجل ، ورجل جاءني ؛ ثم الاستفهام قد يبيح للانكار ، فإن كان [في] الكلام فعل ماضٍ وأدخلت الاستفهام عليه كان لانكاره ، كقوله تعالى : (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ) وإن أدخلته على الاسم فإن لم يكن الفعل مترددا بينه وبين غيره كان لانكار أنه الفاعل ، ويلزم منه نفي ذلك الفعل ، كقوله تعالى : (اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ) أي لو كان إِذْنٌ لكان من الله ، فلمَّا لم يوجد منه دلٌّ على أن لا إِذْنَ ، كما تقول : متى كان هذا ، في ليلٍ أم نهارٍ؟ أي لو كان لكان في ليلٍ أو نهارٍ ، فلما لم يوجد في واحد منهما لم يوجد أصلا ، وعليه قوله تعالى : (الَّذِينَ حَرَّمَ آمَ الْأَنْثِيَيْنِ) . وإن كان مردداً بينه وبين غيره كان إما للتقرير والتوبيخ ، وعليه قوله تعالى حكاية عن قول مُرُودَ : (أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يَا لِهَيْبَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ) . وإما لانكار أنه الفاعل مع تحقيق الفعل ، كقولك لمن اتحل شعرا : أنت قلت هذا ؟ .

وان كان الفعل مضارعا ، فإن أدخلت حرف الاستفهام عليه كان إما لانكار وجوده ، كقوله تعالى : (أَنْزَلْنَاهُ مَكْهُوْهَا وَأَنْتُمْ هُمْ كَارِهُونَ) . أو لانكار أنه يقدر على الفعل ، كقول امرئ القيس :

- ١٥ أَيْقَتَلَنِي وَالْمَشْرِقِيُّ مُضَاجِعِي * وَمَسْنُونَةٌ زُرُقٌ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ .

أو لإزالة طمَعٍ من طَمِعٍ في أمرٍ لا يكون ، فَيَجْهَلُهُ في طمعه ، كقولك :

أيرضى عنك فلان وأنت على ما يكره؟ . أو لتعنيف من يضيع الحق ، كقول الشاعر :

أَتَرَكْتُ إِنْ قَلَّتْ دِرَاهِمُ خَالِدٍ * زِيَارَتَهُ إِنِّي إِذْنٌ لِلتَّيْمِ

(١) في الأصل : «فإن كان الكلام» والزيادة عن حسن التوسل .

(٢) في الأصل : «أو» والصواب ما أثبتنا كما تقتضيه القواعد .

(٣) كذا في الأصل . والذي في حسن التوسل ودلائل الإعجاز ص ٨٧ ط المنار «أترك» والبيت

لعامة بن عقيل بن بلال بن جرير في خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني .

أو لتقديم الفاعل ، كما تقول لمن يركب الخطرَ : أخرج في هذا الوقت ؟ .
 وإن أدخلته على الاسم فهو لإنكار صدور الفعل من ذلك الفاعل إما للاستحقار
 كقولك : أنت تمنعني ؟ . أو للتعظيم كقولك : أهو يسأل الناس ؟ . أو للبالغة
 إما في كرمه ، كقولك : أهو يمنع سائله ؟ ؛ وإما في خساسته ، كقولك : أهو يسمح
 بمثل هذا ؟ . وقد يكون لبيان استحالة فعلٍ ظنَّ ممكناً ، كقوله تعالى : (أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ
 ٥ أَلْصَّمَّ أَوْ تَهْدِي أَعْمَى) وكذلك إذا أدخلته على المفعول ، كقوله تعالى : (أَغَيَّرَ اللَّهُ
 أَتَّخِذُ وَلِيًّا) و (أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ) و (أَبَشَّرْنَا مِنَّا وَاحِدًا نَبِيَّهُ) .

الثاني في التقديم والتأخير في النفي — إذا أدخلت النفي على الفعل فقلت :
 ما ضربتُ زيدا فقد نقيت عن نفسك ضربا واقعا بزيد ، وهذا لا يقتضي كون
 زيد مضروبا . ١٠

وإذا أدخلته على الأسم فقلت : ما أنا ضربتُ زيدا أقتضى من باب دليل
 الخطاب كون زيد مضروبا ، وعليه قول المتنبي :

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله * ولكن لشعري فيك من نفسه شعراً
 ولهذا يصح أن تقول : ما ضربتُ إلا زيدا ، وما ضربتُ زيدا ولا ضربه أحد
 من الناس ، ولا يصح أن تقول : ما أنا ضربتُ إلا زيدا ، وما أنا ضربتُ زيدا ولا ضربه
 ١٥ أحد من الناس .

أما الأول فلا تنقض النفي بيلاً يقتضي أن تكون ضربته ، [وتقديمتك ضميرك^(١)
 وإيلاءه حرف النفي يقتضي ألا تكون ضربته] فيتدافعان .^(٢)

(١) الكلمة عن حسن التوسل . والمقام يقتضيها . (٢) في حسن التوسل : « أن تكون »
 بحذف لا النافية ، والسياق يقتضي اثباتها كما يستفاد من دلائل الإيجاز ص ٩٣ ط مطبعة المنار . ٢٠



وأما الثاني فلأن أول الكلام يقتضى أن يكون زيدٌ مضروبا ، وآخره يقتضى ألا يكون مضروبا فيتناقضان . إذا عُرِفَ هذا في جانب الفاعل فإنه مثله في جانب المفعول ، فإذا قلت : ما ضربتُ زيدا لم يقتضِ أن تكون ضاربا لغيره ، وإذا قلت : ما زيدا ضربتُ اقتضى ذلك ، ولهذا صح ما ضربتُ زيدا ولا أحدا من الناس ولا يصح [ما] زيدا ضربتُ ولا أحدا من الناس .

وحكم الجار والمجرور حكم المفعول ، فإذا قلت : ما أمرتُك بهذا لم يقتض أن تكون قد أمرته بشئ غير هذا ، وإذا قلت : ما بهذا أمرتُك اقتضاه .

وإذا قدمت صيغة العموم على السلب وقلت : كلُّ ذاك لم أفعله ، برفع كلِّ كان نفيًا عامًا ، وينقضه الإثبات الخاص ، فلو فعلت بعضه كنت كاذبا .

وإن قدمت السلب وقلت : لم أفعَلْ كلَّ ذاك كان نفيًا للعموم ولا ينافي الإثبات الخاص ، فلو فعلت بعضه لم تكن كاذبا ، ومن هذا ظهر الفرق بين رفع كلِّ ونصبه في قول أبي النجم :

قد أصبحت أمُّ الخييار تدعى * على ذنبا كله لم أصنع

فإن رفعته كان النفي عامًا ، وأستقام غرض الشاعر في تبرئة نفسه من جملة

الذنوب ، وإن نصبته كان النفي نفيًا للعموم ، وهو لا ينافي إثبات بعض الذنب فلا يتم غرضه .

الثالث في التقديم والتأخير في الخبر المثبت — ما تقدم في الاستفهام والنفي قائم هنا ، فإذا قدمت الأسم وقلت : زيد فعل وأنا فعلت فالقصد الى الفاعل ، إما لتخصيص ذلك الفعل به ، كقولك : أنا شفعت في شأنه مدعيًا الأنفراد بذلك

(١) الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ وصحة التمثيل تقتضى إثباتها كما في حسن التوسل .

أولنا كيد إثباتِ الفعل له لا للمصر، كقولك : هو يعطى الجزيل ، لتمكّن في نفس السامع أن ذلك دأبه دون نفيه عن غيره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ فإنه ليس المراد تخصيص المخلوقة بهم ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ نَجَرُوا بِهِ ﴾

وكقول درّی بذتِ عمبۀ :

هما يلبسان المجد أحسن لبسة * شحيحان ما أسطاعا عليه كلاهما

وقول الآخر :

هموا يفرشون اللبد كل طميرة^(٢) * وأجرد سباح يمد المغالب^(٣)

قال : والسبب في هذا التأكيد أنك إذا قلت مثلاً : زيد ، فقد أشعرت بأنك

تريد الحديث عنه فيحصل للسامع تشوّق إلى معرفته ، فإذا ذكرته قبلته النفس

[قبول العاشق معشوقه] فيكون ذلك أبلغ في التحقيق ونفي الشك والشبهة ، ولهذا

تقول لمن تعدّه : أنا أعطيك أنا أكفيك ، أنا أقوم بهذا الأمر ، وذلك إذا كان

من شأن من يسبق له وعد أن يعترضه الشك في وفائه ، ولذلك يقال في المدح :

أنت تعطى الجزيل ، أنت تجود حين لا يجود أحد ، ومن هاهنا تعرف الفخامة

في الجمل التي فيها ضمير الشأن والقصة كقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ وأن فيها

ما ليس في قولك : فإن الأبصار لا تعمى ، وإن الكافرين لا يفلحون ، وهكذا

(١) في الأصل وفي حسن التوسل : « عنعنة » بناء من مثلثين ؛ وهو تحريف ، والتصويب عن

القاموس . (٢) هي الطويلة القوائم الخفيفة من الأفراس . (٣) في الأصل : « بيد المعاليا »

وفي حسن التوسل : « يسد المعاليا » وهو تحريف في كليهما ، والتصويب عن دلائل الإعجاز ص ٩٥

ط المنار . ويبد بالذال المعجمة : يغلب . (٤) التكلفة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ،

وقد نقلناها عن حسن التوسل إذ بها يتم التعليل ، فإن مجرد قبول النفس لا يكفي في تعليل هذا التأكيد .

في الخبر المنفي، فإذا قلت: أنت لا تُحسِنُ هذا، كان أبلغ من قولك لا تُحسِنُ هذا، فالأول لمن هو أشدَّ إعجاباً بنفسه وأكثر دعوى بأنه يُحسِنُ.

قال: واعلم أنه قد يكون تقديمُ الأسم كالألزام نحو قوله:

يا عاذلي دعني من عدلكا * مثلي لا يقبل من مثلكا

وقول المتنبي:

مِثْلُكَ يَثْنِي الْحَزْنَ عَنْ صَوْبِهِ * وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غَرْبِهِ

وقول الناس: مِثْلُكَ يَرَعِي الْحَقَّ وَالْحَرَمَةَ، وما أشبه ذلك مما لا يُقصد فيه

إلى إنسان سوى الذي أُضيف إليه وجرى به للبالغة، وقد عبر المتنبي عن هذا المعنى فقال:

وَلَمْ أَقُلْ مِثْلَكَ أَعْنِي بِهِ * سِوَاكَ يَا فَرْدًا بِلَا مُشْبِهِ.

وكذلك حكم «غير» إذا سلك فيه هذا المسلك، كقول المتنبي:

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ * إِنْ قَاتَلُوا جَبُنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجَعُوا

أى لست ممن ينخدع ويعتر، ولو لم يقدم مثلاً وغيراً في هذه الصور لم يؤدَّ هذا المعنى.

قال: ويقرب من هذا المعنى تقديمُ بعض المفعولات على بعض في نحو قوله

تعالى: ((وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ)) فإن تقديمَ شركاء على الجن أفاد أنه ما ينبغي لله

شركاء لا من الجن ولا من غيرهم، لأن شركاء مفعول ثان لجعلوا، ولله متعلق به

والجن مفعوله الأول، فقد جعل الإنكار على جعل الشريك لله على الإطلاق من غير

اختصاص بشيء دون شيء، لأن الصفة إذا ذكرت مجردة عن مجراها على شيء كان

(١) في الأصل: «النامي». وهو تحريف.

(٢) في الأصل: «يقل». وهو تحريف صوابه ما اثبتنا كما في حسن التوسل.

(١)

الذى تعلق بها من المنفى^(١) عاما في كل ما يجوز أن تكون له تلك الصفة، فإذا قلت :
ما في الدار كريم، كنت نفيت الكينونة في الدار عن كل شيء يكون الكرم صفة له،
وحكم الإنكار أبدا حكم النفي، فأما إذا أحرقت شركاء فقلت : وجعلوا الجن شركاء^(٢)
[لله فيكون^(٣) جعل الشركاء مخصوصا غير مطلق فيحتمل أن يكون المقصود بالإنكار
جعل الجن شركاء] لا جعل غيرهم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فقدم شركاء نфия
لهذا الاحتمال .

فصل في مواضع التقديم والتأخير

قال : أما التقديم فيجسن في مواضع :

الأول : أن تكون الحاجة إلى ذكره أشد، كقولك : قطع اللص الأمير .

الثاني : أن يكون ذلك أليق بما قبله من الكلام أو بما بعده، كقوله تعالى :
(وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ) فإنه أشكل بما بعده وهو قوله : (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)
وبما قبله وهو : (مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ) .

الثالث : أن يكون من الحروف التي لها صدر الكلام، كحروف الاستفهام
والنفي، فإن الاستفهام طلب فهم الشيء، وهو حالة إضافية فلا تستقل بالمفهومية
فيشتد اتصاله بما بعده .

الرابع : تقديم الكلي على جزئياته، فإن الشيء كلما كان أكثر عموما كان أعرف
فإن الوجود لما كان أعم الأمور كان أعرفها عند العقل .

الخامس : تقديم الدليل على المدلول .

(١) في حسن التوسل : « من النفي » ، وهو أظهر .

(٢) في الأصل : « الانكار » ؛ وهو تحريف .

(٣) التكملة عن حسن التوسل ؛ ولا يستقيم المعنى بدونها .

(٤) في الأصل : « كلما أعم » ؛ وهو غير مستقيم ، والتصويب عن حسن التوسل .

وأما التأخير فيحسُن^(١) في مواضع :

الأول : تمام الأسم كالصلة والمضاف اليه .

الثاني : توابع الأسماء .

الثالث : الفاعل .

الرابع : المضمَر، وهو أن يكون متأخرا لفظا وتقديرا، كقولك : ضرب زيدُ غلامه
أو مؤخرا في اللفظ مقدما في المعنى كقوله تعالى : ((وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ)) أو بالعكس
كقولك : ضرب غلامه زيد ؛ وإن تقدم لفظا ومعنى لم يجوز كقولك : ضرب
غلامه زيدا .

الخامس : ما يفيض إلى اللبس ، كقولك : ضرب موسى عيسى ، أو أكرم هذا

هذا ، فيجب فيه تقديم الفاعل .

السادس : العامل الذي هو ضعيف عمله ، كالصفة المشبهة والتمييز وما عمل فيه

حرف أو معنى ، كقولك : هو حسنٌ وجهها ، وكريمٌ أبا ، وتصيب عرقا ، وخمسة وعشرون

درهما ، وإن زيدا قائم ، وفي الدار سعد جالسا . ولا يجوز الفصل بين العامل

والمعمول بما ليس منه ، فلا تقول : كانت زيدا الحمى تأخذ إذا رفعت الحمى بكانت^(٢)

للفصل بين العامل وما عمل فيه ، فإن أضمرت الحمى في كانت صحت المسألة .

وأما الفصل والوصل - فهو العلم بمواضع العطف والاستئناف ، والتهدي

إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها ، وهو من أعظم أركان البلاغة ، حتى إن

(١) أراد بالحسن هنا ما يعم الوجوب .

(٢) في الأصل : « فكانت » ؛ بالفاء وهو تحريف .

بعضهم حدّ البلاغة بأنها معرفة الفصل والوصل . وقال عبد القاهر : إنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة .

قال : اعلم أن فائدة [العطف] ^(١) التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه ، ثم من الحروف العاطفة ما لا يفيد إلا هذا القدر وهو الواو ، ومنها ما يفيد فائدة زائدة كالفاء

﴿٧﴾

وتمّ وأو ، وغرضنا هنا متعلق بما لا يفيد إلا الأشتراك فنقول : العطف إما أن يكون في المفردات ، وهو يقتضى التشريك في الإعراب ، وإما أن يكون في الجمل ، وتلك الجملة إن كانت في قوة المفرد كقولك : مررت برجل خلقه حسن وخلقته

قبيح ، فقد أشركت بينهما في الإعراب [والمعنى] ^(٢) لاشتراكهما في كون كل واحد منهما تقييدا للموصوف ، ولا يتصور أن يكون أشتراك بين شيئين حتى يكون هناك

معنى يقع ذلك الأشتراك فيه ، وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين ، وبحيث إذا عرف السامع حاله الأول عساه يعرف حاله الثاني ، يدلك على ذلك أنك إذا

عطفت على الأول شيئا ليس منه بسبب ولا هو مما يذكركه لم يستقم ، فلو قلت : خرجت اليوم من دارى ، وأحسن الذى [يقول] بيت كذا قلت ما يضحك منه ،

ومن هاهنا عابوا على أبي تمام قوله :

لا والذى هو عالم أن النوى * صبر وأن أبا الحسين كريم .

وإن لم تكن في قوة المفرد فهى على قسمين :

الأول أن يكون معنى إحدى الجملتين لذاته متعلقا بمعنى الأخرى كما إذا كانت كالنوكيد لها أو كالصفة ، فلا يجوز إدخال العاطف عليه ، لأن التوكيد والصفة

(١) الكلمة التى بين مربعين عن حسن التوسل ، واستقامة الكلام تقتضى اثباتها .

(٢) فى الأصل : « ما لا يفيد » وهو غير مستقيم ، والصواب حذف اللام كما فى حسن التوسل .

(٣) الزيادة عن حسن التوسل ، والمقام يقتضيا . (٤) الزيادة عن حسن التوسل ، وصحة

التمثيل تقتضيا . (٥) فى الأصل : « الآخر » وصوابه ما أثبتنا .

متعلقان بالمؤكّد والموصوف لذاتهما، والتعلق الذاتى يغنى عن لفظ يدل على التعلق، فمثال التوكيد قوله تعالى: ﴿لَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فلا ريب فيه توكيد لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ كأنه قال: هو ذلك الكتاب، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ تأكيد ثان أبلغ من الأول، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ ولم يقل: ويخادعون، لأن المخادعة ليست شيئا غير قولهم: آمنا مع أنهم غير مؤمنين، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ ولم يقل تعالى: وكأن، وأمثلة [ذلك] فى القرآن العزيز كثيرة .

- ١٠ القسم الثانى ألا يكون بين الجملتين تعلق ذاتى، فإن لم يكن بينهما مناسبة فيجب ترك العاطف أيضا، لأن العطف للتشريك ولا تشريك، ومن ها هنا أيضا عابوا على أبى تمام البيت المتقدم، لا والذى هو عالم...، إذ لا مناسبة بين مرارة النوى وبين كرم أبى الحسين، ولذلك لم يحسن جواز العاطف .
وإن كان بينهما مناسبة فيجب ذكر العاطف .

- ١٥ ثم إن كان المحذوّر عنه فى الجملتين شيئين فللمناسبة بينهما إما أن تكون بالذى أخبر بهما، أو بالذى أخبر عنهما، أو بهما كليهما، وهذا الأخير هو المعتبر فى العطف .
قال: ونعنى بالمناسبة أن يكونا متشابهين، كقولك: زيد كاتب وعمرو [شاعر] (١)
[أو متضادين تضادا على الخصوص، كقولك زيد طويل وعمرو] قصير، وكقولك: العلم حسن والجهل قبيح، فلو قلت: زيد طويل والخليفة قصير لا آختل معنى عند

٢٠ (١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ومن حسن التوسل، وتمام التمثيل يقتضى إثباتها .
(٢) هذه النكحة التى بين مربعين ساقطة من الأصل، والسياق يقتضها كما فى حسن التوسل .

ما لا يكون لزيد تعلق بحديث الخليفة، ولو قلت: زيد طويل وعمرو شاعر لا آحتل لفظاً، إذ لا مناسبة بين الطويل القامة والشاعر.

وإن كان المحذث عنه في الجملتين شيئاً واحداً، كقولك: فلان يقول ويفعل ويضرّ وينفع، ويأمر وينهى، ويسىء ويحسن، فيجب إدخال العاطف فإن الغرض جعله فاعلاً لأمرين، فلو قلت: يقول يفعل بلا عاطف لتوهم أن الثاني رجوع عن الأول.

وإذا أفاد العاطف الاجتماع آزداد الأشتراك^(١)، كقولك: العجب من أنك أحسنت وأسأت، والعجب من أنك تنهى عن شيء وتأتى مثله، وكقوله: لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم * وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

فإن المعنى جعل الفعلين في حكم واحد، أى لا تطمعوا أن تروا إكرامنا إياكم يوجد مع إهانتكم إيانا.

قال: وقد يجب إسقاط العاطف في بعض المواضع لاختلال المعنى عند إثباته كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ فقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ كلام مستأنف، وهو إخبار من الله تعالى، فلو أتى بالواو لكان إخباراً عن اليهود بأنهم وصفوا أنفسهم بأنهم يفسدون فيختل المعنى، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ وأمثال ذلك كثيرة؛ وإذا كان كذلك فلا حاجة إلى العاطف بخلاف قوله تعالى: ﴿يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (ومكروا ومكر الله) فإن كل واحدة من الجملتين خبر من الله تعالى.

(١) في الأصل: «اشتباك» وهو تحريف.

قال: ومما يجب ذكره هاهنا الجملة إذا وقعت حالا فإنها تجيء مع الواو تارة وبدونها أخرى فنقول: الجملة إذا وقعت حالا فلا بد أن تكون خبرية تحتل الصدق^(١) والكذب، وهو على قسمين:

الأول وله أحوال:

٥ الأولى: أن يُجمع لها بين الواو وضمير صاحب الحال، كقولك: جاء زيد ويده على غلامه، ولقيت زيدا وفرسه سابقه، وهذه الواو تسمى واو الحال.

الثانية: أن تجيء بالضمير من غير واو، كقولك: كلمته فوه الى في، وهو في معنى مُشافِها، والرابط الضمير، فلو قلت: كلمته الى في فوه، ولقيته عليه جبة وشي لم يكن من باب وقوع الجملة حالا، لأنه يمكننا أن نرفع فوه وجبة بالحجاز والمجورور فيرجع الكلام الى وقوع المفرد حالا، والتقدير كلمته كأننا الى في فوه، ولقيته مستقرّة^{١٠} عليه جبة وشي، وعليه قول بشر:

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها * غدوت مع البازي على سواد.

الثالثة: أن تجيء الواو من غير ضمير وهو كثير، كقولك: لقيتك والجيش قادم وزرتنا والشتاء خارج. ويجوز أن يُجمع بين حالين مفرد وجملة إذا أجزنا وقوع حالين كقولك: لقيتك راكبا والجيش قادم، فالجملة حال من التاء أو من الكاف، والعامل^{١٥} فيها لقيت، أو من ضمير "راكبا" و"راكبا" هو العامل فيها.

القسم الثاني الجملة الفعلية، ولا بد أن تكون ماضيا أو مضارعا أما الماضي فلا بد معه من الإتيان بالواو وقد أو بأحدهما، كقولك: تكلمت وقد

(١) كذا في الأصل وحسن التوصل بتدبير الضمير. وهو عائد على الحال لا على الجملة، والحال

يذكر ويؤنث. أنظر المصباح مادة «حال».

عجلت ، وجاء زيد قد ضرب عمرا ، وجئت وأسرعت في الحجى ، قال الله تعالى :
 ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ ولم يُجِزِ البَصْرِيُّونَ خَلْوَهُ عَنْهُمَا ، وقالوا في قوله
 تعالى : ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ وفي قول أبي صخر الهدلي :

وإني لتعروني لذكراك هزيمة * كما أنتفض العصفور بالله القطر :

إن قد مقدرة فيهما ، فإن الشيء إذا عُرف موضعه جاز حذفه .

وأما المضارع فإن كان موجبا فلا يؤتى معه بالواو ، فتقول : جاءني زيد
 يضحك ، ويحى عمر ويسرع ، وأجلس تحدثنا بالرفع أى محدثا لنا ، لأنه بتجوده
 عما يغير معناه أشبه اسم الفاعل إذا وقع حالا .

وإن كان منفيا جاز حذف الواو مراعاة لأصل الفعل الذى هو الإيجاب
 وجاز إثباتها ، لأن الفعل ليس هو الحال ، فإن معنى قولك : جلس زيد ولم يتكلم
 جلس زيد غير متكلم ، بجرى الجملة الإسمية ، فالحذف كقولك : جاء
 زيد ما يقوه بنت شفة ، قال الله تعالى : ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَآيَمَسْنَا
 فِيهَا نَنْسِبَ وَلَا يَمَسْنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ فتقوله : لا يمسنا في موضع نصب على الحال من
 ضمير المرفوع فى أحلنا ، والإثبات كقولك : جلس زيد ولم يتكلم ، قال الله تعالى :
 ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ . قال : وشبهوا به الفعل
 الماضى فقالوا : جاء زيد ما ضرب عمرا ، وجاء زيد وما ضرب عمرا .

وأما الحذف والإضمار — فقد قال : الأفعال المتعدية التى ترك ذكر مفعولاتها

على قسمين :

الأول : ألا يكون له مفعول معين ، فقد يترك مفعوله لفظا وتقديرا ويُجعل حاله
 كحال غير المتعدى ، كقولهم : فلان يحلّ ويعقد ، ويأمر وينهى ، ويضرب وينفع

(١) فى الأصل : «إلا بالواو» وقوله : «إلا» زيادة من النسخ ، إذ هى تفيد خلاف المراد .

والمقصود إثبات المعنى في نفسه للشيء من غير التعرض لحديث المفعول، فكأنك قلت: بحيث يكون منه حلّ وعقد وأمر ونهي ونفع وضرر، وعليه قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أى هل يستوى من له علم ومن لا علم له من غير أن ينص على معلوم، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَصْحَبُكَ وَأَبَى﴾ الى قوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَوَقَىٰ﴾ وبالجمله فمتى كان الغرض بيان حال الفاعل فقط فلا تعدّ الفعل، فإن تعديته تنقض الغرض. ألا ترى أنك اذا قلت: فلان يعطى الدنانير كان المقصود بيان جنس ما يتناوله الإعطاء لا بيان حال كونه معطيا؟

الثانى: أن يكون له مفعول معلوم إلا أنه يُحذف في اللفظ لأغراض:

الأول: أن يكون المراد بيان حال الفاعل وأت ذلك الحال دأبه لا بيان المفعول

كقول طُفَيْل:

جزى الله عنا جعفرًا حين أزلقت * بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبوا أن يملؤنا ولو أن أمنا * تلاقى الذى لاقوه منا لملت
هم خطونا بالنفوس وألجؤا * الى حجرات أدفات وأظلت^(٢)

والأصل أن تقول: لملتنا وألجؤونا وأدفاتنا وأظلتنا، فحذف المفعول المعين من هذه

المواضع الأربعة، وكأنه قد أبهم ولم يقصد قصد شيء يقع عليه، كما تقول: قد مل فلان، تريد قد دخل عليه الملأل من غير أن تخص شيئاً بل لا تزيد على أن تجعل

(١) في حسن التوسل: «الفعل» والمعنى يستقيم على كليهما.

(٢) في الاصل: «من النقوش» بقاف مثناة وشين معجمة، وهو تحريف، والتصويب عن دلائل

الإيجاز وغيره من كتب البلاغة والأدب.

(٣) كذا في الأصل وحسن التوسل. عبارة دلائل الإيجاز ص ١١٥ ط المنار: «وكان الفعل

قد أبهم أمره ولم يقصد به قصد شيء يقع عليه» وهى أظهر.

المَلال من صفته، فلذلك الشاعرُ جعل هذه الأوصاف من دأبهم، ولو أضاف الى مفعول معين لبطل هذا الغرض، وعليه قوله تعالى: (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ) الى قوله تعالى: (فَسَقَى لَهُمَا) فقد حذف المفعول في أربعة مواضع، فإن ذكره ربما يُخل بالمقصود، فلو قال تعالى مثلاً: تذودان غنمهما لتوهم أن الإنكار إنما جاء من ذودهما الغنم لا من مطلق الذود، كقولك: مالك تمنع أحاك؟ فإن الإنكار من منع الأخ لا من مطلق المنع.

الثاني: أن يكون المقصود ذكره إلا أنك لا تذكره إيهاماً بأنك لا تقصد ذكره كقول البحرى:

شَجْوُ حَسَادِهِ وَغَيْظُ عِدَائِهِ * أَنْ يَرَى مَبْصِرًا وَيَسْمَعُ وَاعٍ

المعنى أن يرى مبصرٌ محاسنه، أو يسمع واعٍ أخباره، ولكنه تغافل عن ذلك إيداناً بأن فضائله يكفى فيها أن يقع عليها بصرٌ أو يعيها سمع حتى يعلم أنه المتفرد بالفضائل، فليس لحساده وعداه أشجى من علمٍ بأن هنا مبصراً وسامعاً.

الثالث: أن يُحذف لكونه بيناً، كقولهم: أصغيت إليك، أى أذنى، وأغصيت عليك، أى جفنى.

فصل فى حذف المبتدأ والخبر

قال: قد يحسن حذف المبتدأ حيث يكون الغرض أنه قد بلغ فى استحقاق الوصف بما جعل وصفاً له الى حيث يعلم بالضرورة أن ذلك الوصف ليس إلا له سواء كان فى نفسه كذلك، أم بحسب دعوى الشاعر على طريق المبالغة، فذكره

(١) فى الأصل: «أو» والصواب ما أثبتنا كما تقتضيه القواعد؛ قال فى معنى اللبيب ص ٤٢ ط الحلبي: إذا عطف بعد الهمزة بأوفان كانت همزة التسوية لم يجز قياساً، وقد أوع الفقهاء وغيرهم بأن يقولوا: سواء كان كذا أو كذا، وهو نظير قولهم: يجب أقل الأمرين من كذا أو كذا؛ والصواب العطف فى الأول بأم... الخ.

يُطِلُّ هَذَا الْغُرْصَ ، وَهَذَا قَالَ الْإِمَامَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : مَا مِنْ أَسْمٍ يُحْذَفُ فِي الْحَالَةِ
الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يُحْذَفَ فِيهَا إِلَّا وَحْدَهُ أَحْسَنُ مِنْ ذِكْرِهِ ، فَمَنْ حَذَفَ الْمَبْتَدَأَ قَوْلَهُ
تَعَالَى : (سُورَةَ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا) أَي هَذِهِ سُورَةٌ ، وَقَوْلُ الشَّاعِرِ :

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ التَّلْبِيبَ وَالسَّغَارَاتِ إِذْ قَالَ الْخَمِيسَ نَعَمَ

- أَي هَذِهِ نَعَمَ . قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : وَمِنْ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَطَّرِدُ فِيهَا حَذْفُ الْمَبْتَدَأِ
بِالْقَطْعِ وَالِاسْتِنْفَافِ أَنَّهُمْ يَبْسُدُونَ بِذِكْرِ الرَّجُلِ وَيَقْدَمُونَ بَعْضُ أَمْرِهِ ، ثُمَّ يَدْعُونَ
الْكَلَامَ الْأَوَّلَ وَيَسْتَأْنِفُونَ كَلَامًا [آخِرَ] وَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَتَوْنَا فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ بِجَهْرٍ مِنْ
غَيْرِ مَبْتَدَأٍ ، مِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

وَعَلِمْتُ أَنَّ يَوْمَ ذَا * كَ مَنْزِلٍ كَعْبًا وَنَهْدًا

قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ * تَمْتَرُوا خُلُقًا وَقِدَا

١٠

وَقَالَ الْحَطِيبِيُّ :

هُمْ حُلُومٌ مِنَ الشَّرَفِ الْمَعْلِيِّ * وَمِنْ حَسَبِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاءُوا

بُنَاةٌ مَكَارِمٌ وَأَسَاةٌ كَلِّمٌ * دَمَاؤُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشِّفَاءِ

وَأَمْثَلُهُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ .

- ١٥ (١) التلبيب : التعزم بالسلاح ، يريد التهيؤ للحرب . (٢) كذا في الاصل . وعبارة دلائل
الإيجاز ص ١٠٦ ط المنار : «القطع والاستئناف بيدهون» الخ بسقوط الباء . وقوله : «أنهم» ، والمعنى
يستقيم على كلتا العبارتين . (٣) الزيادة عن دلائل الإيجاز . (٤) في الأصل : «في ذلك» وقوله
«في» زيادة من النسخ . (٥) كذا في الأصل بالخاء المعجمة . وفي دلائل الإيجاز ص ١٠٧
ط المنار : «حلقا» بالخاء المهملة ، والمعنى يستقيم على كل من الروايتين ، والقَدْ بكسر القاف : الجلد .
٢٠ (٦) الكلب بالتحريك : داء يعرض للانسان من عض الكلب الكلب فيصيبه شبه الجنون فلا يعرض
أحدًا إلا كلب ، وتعرض له أعراض رديئة ، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشا . وأراد الحطبي
بهذه العبارة وصف من يمدحهم بالشرف والسيادة ، قال الخباني : إن الرجل الكلب يعرض إنسانا فيأتون
رجلا شريفا فيقطر لهم من دم أصبعه فيسقون الكلب فيبرأ .

ومن حذف الخبر قوله تعالى : (لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) أى لولا أتم مضلونا
وقولُ عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لولا على هلكَ عمر ، أى لولا على حاضر
أو مُفتٍ .

فصل

الإضمار على شريطة التفسير كقولهم : أكرمني وأكرمت عبد الله
أى أكرمني عبد الله وأكرمت عبد الله ، ومما يشبه ذلك مفعول المشيئة اذا جاءت
بعد لو ، فإن كان مفعولها أمرا عظيما أو غريبا فالأولى ذكره ، كقوله :
ولو شئتُ أن أبكى دما لبكىته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

فإن بكاء الإنسان دما عجبٌ ، وإن لم يكن كذلك فالأولى حذفه ، كقوله
تعالى : (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى) والتقدير لو شاء الله أن يجمعهم على الهدى
لجمعهم ، وكذلك قوله تعالى : (وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) وقوله تعالى : (فَإِنْ يَسْأَلِ اللَّهُ
يُحْتَمِ عَلَى قَلْبِكَ) و(مَنْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَضِلَّهُ وَمَنْ يَسْأَلِ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

قال : واعلم أنه قد تُترك الكناية الى التصريح لما فيه من زيادة الفخامة
كقول البحترى :

قد طلبنا فلم نجد لك فى السو * دد والمجد والمكارم مثلا

المعنى قد طلبنا لك مثلا ، ثم حذف ، لأن هذا المدح إنما يتم بنفى المثل ، فلو قال :
قد طلبنا لك مثلا فى السوِّدِّ والمجد فلم نجده لكان قد أوقع نفي الوجود على ضمير
المثل ، فلم يكن فيه من المبالغة ما اذا أوقعه على صريح المثل ، فإن الكناية لا تبلغ مبلغ

(١) البيت للخرمى ، وهو إسحاق بن حسان ، ويكنى بأبي يعقوب ، وكان من العجم ، وكان مولى
ابن خزيمة الذى يقال لأبيه خزيمة الناعم . وهذا البيت من قصيدة يرثى بها أبا الهيثم ، وهو عامر بن
عمارة الخزمي ، وهو والد موسى بن عامر المحدث . أنظر معاهد النصيص ص ١١٣ و ١١٦ ط بولاق .

الصريح ، ولهذا لوقلت : وبالحق أنزلناه وبه نزل ، وقل هو الله أحد وهو الصمد لا تجد من الفخامة ما تجده في قوله تعالى : ﴿وَالْحَقُّ أَنزَلْنَاهُ بِالْحَقِّ نَزْلًا﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ وعلى ذلك قول الشاعر :

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئًا * نَعَصَ الْمَوْتُ ذَا الْغَنَى وَالْفَقِيرَا .

وأما مباحث إن وإنا — فإنه قال : أما إن فلها فوائد :

- الأولى أن تربط الجملة الثانية بالأولى ، وبسببها يحصل التأليف بينهما حتى كأن الكلامين أفرغا إفرغا واحدا ، ولو أسقطتها كان الشاني نائبا عن الأول ، كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ وقوله تعالى : ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ . وقوله تعالى : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ وقد تنكر في كلام واحد ، كقوله تعالى : ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ . ثم متى أسقطت « إن » من الجملة التي أدخلتها عليها ، فإن كانت الجملة الثانية إنما تذكر لإظهار فائدة ما قبلها كما في الآيات المذكورة أحتجت إلى الفاء ، وإلا فلا ، كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ إِنْ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ فلو قلت : فالمتقون لم يكن كلاما ، وكذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فقله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ في موضع خبر إن ، فدخول الفاء يوجب عطف الخبر على المبتدأ ، وهو غير جائز عند أكثر النحويين .

الثانية : أنك ترى لضمير الشأن والقصة في الجملة الشرطية مع «إن» من الحسن واللفظ لا تراها إذا هي لم تدخل عليها ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ مِنْ يَتَّقٍ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وقوله تعالى : ﴿أَنَّهُ مِنْ يَحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وقوله تعالى : ﴿أَنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

(١) الثالثة : أنها تهيئ النكرة وتصلحها لأن يحدث عنها ، كقوله :

إِنَّ شِوَاءَ وَنَشِوَةَ * وَخَبَّ الْبَازِ الْأُمُونِ (٢)

فلولا هي لم يكن كلاما ، وإن كانت النكرة موصوفةً جاز حذفها ولكن دخولها أصلح ، كقول حسّان :

إِنَّ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِجُمْلٍ * لَزَمَانَ يَهْمُ بِالْإِحْسَانِ .

٣١

الرابعة : أنها قد تُغني عن الخبر ، كما إذا قيل لك : الناس إلب عليكم فهل لكم أحد؟ فقلت : إن زيدا وإن عمرا ، أي لنا ، قال الأعشى :

إِنَّ مَحَلًّا وَإِنْ مُرْتَحَلًا * وَإِنْ فِي السَّفَرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلًا .

(١) البيت لسلي بن ربيعة .

(٢) الخبب هو المراحة بين اليدين والرجلين في السير ، أو هو نقل الأيمن جميعا والأيسر جميعا فيه .

والأمون : الناقة الوثيقة الخلق ، المأمونة العنار والإعياء ، جمعه أمن ككتب .

(٣) الإلب بكسر الهمزة ، وتفتح في لغة : الجماعة .

(٤) هو الأعشى الأكبر واسمه ميمون بن قيس بن جندل بفتح الجيم .

(٥) كذا في الأصل وحسن التوسل . والذي في معاهد التنصيص ص ٩٢ ط بولاق : (وإن في شعر من مضى مثلا) وكلتا الروايتين تؤدى معنى صحيحا ؛ ورواية اللسان مادة «حلل» : « وإن في السفر ما مضى مهلا » ، وقال في تفسيره : أراد بالسفر الذين ماتوا فصاروا في البرزخ ، والمهل : البقاء والانتظار .

الخامسة : قال المبرد : اذا قلت عبد الله قائم ، فهو إخبار عن قيامه ، فاذا قلت :
 إِنْ عبد الله قائم ، فهو جواب عن إنكارٍ مُنْكَرٍ لقيامه ، سواء كان المنكر هو السائل
 أو الحاضرين ؛ والدليل على أنَّ إِنْ إنما تذكر لجواب السائل أنهم ألزموها الجملة من
 المبتدأ والخبر ، نحو : والله إِنْ زيدا لمنطلق ، فالحاجة إنما تدعو الى « إِنْ » اذا كان
 للسامع ظنٌ يخالف ذلك ، ولذلك تراها تزداد حسنا اذا كان الخبر بأمرٍ يبعد ، كقول
 أبي نواس :

عليك بالياس من الناس * إِنْ غنى نفسك في الياس .

ومن لطيف مواقعها أن يُدعى على المخاطب ظنُّ لم يظنَّه ولكن [صدر] منه فعل
 يقتضى ذلك الظنَّ ، فيقال له : حالك تقتضى أن تكون قد ظننت ذلك ، كقول
 الشاعر^(٤) :

جاء شقيق عارضا رحمه * إِنْ بنى عمك فيهم رماح

أى مجيئك هذا مُدْلاً بنفسك مجيء من يعتقد أنه ليس مع أحد ربح غيره .
 وقد تجيء اذا وجد أمر كان المتكلم يظنُّ أنه لا يوجد ، كقولك للشيء الذى يراه المخاطب
 ويسمعه : إنه كان من الأمر ما ترى ، إنه كان منى إليه إحسان فقابلنى بالسوء
 كأنك ترد على نفسك ظنك الذى ظننت ، وعليه قوله عز وجل حكاية عن أم مریم :
 (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ) وحكاية عن نوح : (قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمٌ كَاذِبُونَ) .

(١) فى الأصل : « بأن » ؛ والباء زيادة من النسخ .

(٢) فى الأصل : « ينفد » ، وفى حسن التوسل : « متعد » وهو تحريف فى كليهما .

(٣) الكلمة التى بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ واستقامة الكلام تقتضى اثباتها . انظر حسن التوسل

ص ٣٩ ط الوهابية .

(٤) هو مجل بن فضله .

(٥) كذا فى حسن التوسل ص ٣٩ ط الوهابية . والذى فى الأصل : « له » .

وأما إنما - فتارة تجيء للحصر بمعنى أن هذا الحكم لا يوجد في غير المذكور وهي بمنزلة ليس إلا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا﴾ .

وتارة تجيء لبيان أن هذا الأمر ظاهر عند كل حد، سواء كان كذلك أم في زعم المتكلم، ومنه قول الشاعر: ^(٢)

إنما مُصْعَبٌ شهاب من اللّٰه تجلّت عن وجهه الظّماء

مدعياً أن ذلك مما لا يُبكره أحد من الناس. قال: وأعلم أنه يُستعمل للتخصيص ثلاث عبارات:

الأولى: إنما جاء زيد؛

الثانية: جاءني زيد لا عمرو، والفرق أن في الأولى يُفهم إيجاب الفعل من زيد ونفيه عن غيره دفعة واحدة، ومن الثانية دفعتين، ثم إنهما كلتيهما يُستعملان لإثبات التخصيص لا لفي التشريك، وفيه نظر.

الثالثة: ما جاءني إلا زيد، وهي بأصل الوضع تفيد نفي التشريك، ولهذا لا يصح ما زيد إلا قائم لا قاعد، لأنك بقولك: إلا قائم نفيت عنه كل صفة تنافي القيام، فيندرج فيه نفي التعود، فاذا قلت بعده: لا قاعد كان تكراراً لأن لفظة «لا» موضوعة لأن ينفي بها ما أوجب الأؤل لا لأن يعاد بها نفي ما نفي أولاً، ويصح إنما زيد قاعد لا قائم، لأن صيغة «إنما» بأصل وضعها تدل على تخصيص الحكم بالمذكور،

(١) في الأصل: «أو»؛ والصواب ما أثبتنا كما تقتضيه القواعد، انظر معنى اللبب ص ٤٢ ط الحلبي.

(٢) هو عبد الله بن قيس الرقيات، قاله في مصعب بن الزبير، وكان منقطعاً إليه كثير المدح له.

(٣) في الأصل: «كلاهما» بالالف، واللغة تقتضي ما أثبتنا.

(٤) في حسن التوسل ص ٣٩ ط الوهابية: «يفاد» بالفاء الموحدة؛ والمعنى يستقيم على كليهما.

وأما نفي الشُّرْكَة فهو لازمٌ من لوازمها ، فليس له من القوَّة ما لمَّا يدلُّ عليه بوضعه ،
ولهذا يصحُّ : زيد هو الجائي لا عمرو^(١) ، فثبت أنَّ دَلالةَ الأوَّلَيْنِ على التخصيص
أقوى ، ودَلالةُ الثالثة على نفي التشريك [أقوى]^(٢) ، لكن الثالثة قد تقام بمقام الأوَّلَيْنِ
في إفادة التخصيص ، كما إذا ادعى واحد أنك قلت قولاً ثم قلت بخلافه ، فقلت له :
ما قلت الآن إلا ما قلته قبل ، وعليه قوله تعالى حكايةً عن عيسى عليه السلام :
﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ ليس المعنى أني لم أزد على ما أمرتني به شيئاً ، ولكن
المعنى أني لم أدع مما أمرتني به [أن] أقوله شيئاً .

قال : وحكم «غير» حكم «إلا» فاذا قلت : ما جاءني غير زيد أحتمل أن يكون
المراد نفي أن يكون جاء معه إنسان آخر ، وأن يكون المراد تخصيص الحكم بالمذكور
لا نفيه عما عداه .

فصل



إذا دخل ما وإلا على الجملة المشتملة على المنصوب كان المقصود
بالذكر ما اتصل بإلا متأخراً عنها ، فاذا قلت : ما ضرب عمراً إلا زيد ، فالمقصود
المرفوع ، واذا قلت : ما ضرب زيد إلا عمراً ، فالمقصود المنصوب ، واذا قلت :
ما ضرب [إلا] زيد عمراً ، فالاختصاص للضارب ، واذا قلت : ما ضرب إلا زيدا
عمرو ، فالاختصاص للضروب ، فاذا قلت : لم أكس إلا زيدا جبةً ، فالمعنى تخصيصُ

(١) في الأصل : « الجاني » وهو تحريف .

(٢) الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ، وقد نقلناها عن حسن التوسل ، والمقام يقتضي إثباتها .

(٣) عبارة الأصل : « به أقره » بسقوط لفظة « أن » ؛ وما أثبتناه عن حسن التوسل من نسخته

المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٧ أدب .

(٤) في الأصل : « من الذكر » ؛ والسياق يقتضي الباء كما أثبتنا .

(٥) الكلمة الموضوعه بين مربعين عن حسن التوسل ، وصحة التمثيل تقتضيها .

زيد من بين الناس بكسوة الجبّة، وإن قلت : لم أكس إلا جبّة زيدا، فالمعنى تختص كسوة الجبّة من بين الناس بزيدا، وكذلك الحكم حيث يكون بدل أحد المفعولين جارٍّ ومجورراً، كقول السيد الحميريّ :

لو خير المنبر فرسانه * ما آختر إلا منكم فارسا .

وكذلك حكم المبتدأ والخبر والفعل والفاعل، كقولك : ما زيد إلا قائم، وما قام

إلا زيد .

وأما إنما فالاختصاص فيها يقع مع المتأخر، فاذا قلت : إنما ضرب زيدا عمرو فلا اختصاص في الضارب، وقوله تعالى : ((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)) فالغرض بيان المرفوع وهو أن الخاشين هم العلماء، ولو قدم المرفوع لصار المقصود بيان الخاشي منه، والأقول اتمّ، ومنه قول الفرزدق :

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما * يدافع عن أحسابكم أنا أو مثلي

فإن غرضه أن يحصر المدافع بأنه هو لا المدافع عنه، ولو قال : إنما أنا أدافع عن أحسابكم، توجه التخصيص الى المدافع عنه، [وحكم المبتدأ والخبر] إذا أدخلت عليهما إنما، فإن قدمت الخبر فالاختصاص للمبتدأ، وإن لم تقدمه فالخبر، فاذا قلت : إنما هذا لك فالاختصاص في "لك"، بدليل أنك بعده تقول : لا لغيرك، فاذا قلت إنما لك هذا فالاختصاص في "هذا"، بدليل أنك بعده تقول : لا ذلك، وعليه قوله تعالى : ((إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ)) وقوله تعالى : ((إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ)) فالاختصاص في الآية الأولى للبلاغ والحساب، وفي الثانية في الخبر الذي هو على الذين دون المبتدأ الذي هو السبيل .

(١) هذه التكمة الموضوعة بين مرتبين ساقطة من الأصل ومن حسن التوسل ؛ وسياق الكلام يقتضيها .

(٢) في الأصل : « ذلك » وهو محريف .

وإذا وقع بعدها الفعل فالمعنى أن ذلك الفعل لا يصح إلا من المذكور، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾، ثم قد يجتمع معه حرف النفي، إما متأخرا عنه كقولك، إنما يحيى زيد لا عمرو: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ عَلَيْهِمْ بِمُصِطِرٍ﴾ وقال لبيد:

فإذا جوزيت قرضا فاجزه * إنما يجزي الفتى ليس الجمل^(١)

وإما مقدما عليه، كقولك: ما جاءني زيد وإنما جاءني عمرو، فهذا هنا لو لم تقل: إنما، وقلت: ما جاءني زيد وجاءني عمرو لكان الكلام مع من ظنَّ أنهما جاءك جميعا، وإذا أدخلتها فإن الكلام مع من غلط في الجأى أنه زيد لا عمرو.

قال: واعلم أن أقوى ما تكون «إنما» إذا كان لا يراد بالكلام الذي بعدها نفس

معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه، فإننا نعلم أنه ليس الغرض من قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أن يعلم السامعون ظاهر معناه، ولكن أن يذم الكفار

ويقال لهم: إنهم من فرط العناد في حكم من ليس بذي عقل، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ

مُنذِرٌ مِّنْ يُحْشَاهَا﴾ و﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يُحْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ والتقدير إن من لم تكن

له هذه الخشية، فهو كمن لم تكن له أذن تسمع وقلب يعقل، فالإنذار معه كلا إنذار،

وهذا الغرض لا يحصل دون «إنما» لأن من شأنها تضمين الكلام معنى النفي بعد

الإثبات، فإذا أسقطت لم يبق إلا إثبات الحكم للمذكورين، فلا يدل على نفيه [عن^(٣)

غيرهم إلا أن يذكّر في معرض مدح الإنسان بالتيقظ والكرم وأمثالهما، كما يقال:

كذلك يفعل العاقل، هكذا يفعل الكريم.

(١) عجز هذا البيت يضرب مثلا في المكافأة، والمراد: إنما يجزيك من فيه إنسانية لا بهيمية.

(٢) في الأصل: «وما تقدم» وهو تحريف. (٣) عبارة الأصل وحسن التوسل:

«نفي غيرهم» وفيها نقص لا يستقيم به المعنى. وما أثبتناه تقتضيه صحة العبارة، وما قبله يؤيده.

تشبيهه — قال : كاد تقرب الفعل من الوقوع ، فنفيها ينفي القرب ، فإن لم يكن في الكلام دليل على الوقوع فيفيد نفي الوقوع ونفي القرب منه ، كقوله تعالى : ﴿لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا﴾ (١) [أى لم يرها] ولم يقارب رؤيتها ، وكقول ذى الرمة :

إذا غيّر النأى المحيّن لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح

٣٣

المعنى أن برّاح حبها لم يقارب الكون فضلا عن أن يكون .

وأما النظم — فهو عبارة عن توحى معانى النحو فيما بين الكلام ، وذلك أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو بأن تنظر في كل باب إلى قوانينه والفروق التى بين معانى اختلاف صيغته (٤) ، وتضع الحروف مواضعها وتراعى شرائط التقديم والتأخير ، ومواضع الفصل والوصل ، ومواضع حروف العطف على اختلاف معانيها ، وتعتبر الإصابة في طريق التشبيه والتمثيل .

وقد أطبق العلماء على تعظيم شأن النظم ، وأن لا فضل مع عدمه ولو بلغ الكلام في غرابة معناه إلى ما بلغ ، وأن سبب فساده [ترك] (٥) العمل بقوانين النحو وأستعمال الشيء في غير موضعه .

ثم قال : الجمل الكثير إذا نظمت نظما واحدا فهى على قسمين :

الأول : أن لا يتعلّق البعض ببعض ولا يحتاج واضعه إلى فكر وروية في أستخراجه ، بل هو كمن عمّد إلى اللآلى ينظمها في سلك ، ومثاله قول الجاحظ

(١) التكمة الموضوعة بين مربعين عن حسن التوسل ؛ والمقام يقتضى إثباتها .

(٢) فى الأصل : « ما » والتصويب عن حسن التوسل وغيره . ورسيس الهوى : بقبته وأثره ،

أوهو الثابت الذى قد لزم مكانه ولم يبرحه .

(٣) فى الأصل : « مقاربتها » وهو تحريف ؛ والتصويب عن حسن التوسل .

(٤) فى الأصل : « صنعته » ؛ وهو تحريف .

(٥) الكلمة الموضوعة بين مربعين عن حسن التوسل ؛ واستقامة الكلام تقتضى إثباتها .

في مصنفاته : جَنَّبَكَ اللهُ الشُّبُهَةَ ، وَعَصَمَكَ مِنَ الْحَيْرَةِ ، وَجَعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَعْرُوفِ نَسَبًا ، وَبَيْنَ الصَّدَقِ سَبَبًا ، وَحَبَّبَ إِلَيْكَ التَّثَبُّتَ ، وَزَيَّنَ فِي عَيْنِكَ الْإِنصَافَ وَأَذَاقَكَ حَلَاوَةَ التَّقْوَى ، وَأَشْعَرَ قَلْبَكَ عِزَّ الْحَقِّ ، وَأَوْدَعَ صَدْرَكَ بَرْدَ الْيَقِينِ ، وَطَرَدَ عَنْكَ ذُلَّ الطَّمَعِ ، وَعَرَّفَكَ مَا فِي الْبَاطِلِ مِنَ الدَّلَّةِ ، وَمَا فِي الْجَهْلِ مِنَ الْقِلَّةِ . وَكَقَوْلِ النَّابِغَةِ لِلنُّعْمَانِ وَتَفْضِيلِهِ إِيَّاهُ عَلَى ذِي فَاثٍ يَزِيدُ بْنُ أَبِي جَفْنَةَ ^(١) ، وَكَقَوْلِ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ لِلْحَارِثِ الْجَفْنِيِّ يَفْضُلُهُ عَلَى النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، وَكَقَوْلِ ضَرَّارِ بْنِ صُمَيْرَةَ لِمَعَاوِيَةَ فِي وَصْفِ عَلِيٍّ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُ أَقْوَالِهِمْ فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقِسْمِ الثَّلَاثِ مِنْ هَذَا الْقَنْ فِي الْمَدْحِ ، وَهُوَ فِي السَّفَرِ الثَّلَاثِ فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى إِعَادَتِهِ . وَهَذَا النَّظْمُ لَا يَسْتَحِقُّ الْفَضْلَ إِلَّا بِسَلَامَةِ مَعْنَاهُ وَسَلَامَةِ أَلْفَاظِهِ ، إِذْ لَيْسَ فِيهِ مَعْنَى دَقِيقٌ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِثَاقِبِ الْفِكْرِ .

قال : وربما ظنَّ بالكلام أنه من هذا الجنس ولا يكون منه ، كقول الشاعر :

سالت عليه شعابُ الحَيِّ حين دعا * أنصاره بوجوه كالدنانير

فإن الحسن فيه ليس مُجَرَّدَ الاستعارة ، بل لما في الكلام من التقديم والتأخير ، ولهذا لو أزلت ذلك وقلت : سالت شعابُ الحَيِّ بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره ، فإنه يذهب بالحسن والحلاوة .

(١) كذا في الأصل . وصوابه سلامة بن يزيد بن سلامة من ولد يعصب بن مالك ، وكان النابغة منقطعاً إليه قبل اتصاله بالنعمان ، كما في السفر الثالث من هذا الكتاب الذي أحال عليه . وفاش : موضع باليمن كان يحجبه سلامة بن يزيد كما في شرح القاموس . وقال ياقوت في معجم البلدان ج ٣ ص ٨٤٩ ط المدرسة المحروسة بمدينة غنتغة : « وفاش واد في أرض اليمن » ، وبه سمى سلامة بن يزيد بن عريب بن تريم بن مرثد : ذافاش .

(٢) في حسن التوسل ص ٤١ ط الوهايبية : « وسلاسة » بالسين المهملة ، والمعنى يستقيم على كل منهما .

(٣) في الأصل : « الكتاب » وهو تحريف .

الثانى : أن تكون الجملة المذكورة يتعلّق بعضها ببعض ، وهناك تظهِر قوّة الطبع ، وجوّد القريحة ، وأستقامة الدّهن .

ثم [ليس] لهذا الباب قانون يُحفظ ، فإنه يجيء على وجوه شتى :^(١)

منها الإيجاز ، وهو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف ، وهو على ضربين : إيجاز قصر ، وإيجاز حذف ، وقد تقدّم الكلام على ذلك وذكر أمثله عند ذكر الفصاحة .

ومنها التأكيد — وهو تقوية المعنى وتقديره ، إما بإظهار البرهان ، كقول

قابوس :

ياذا الذى بصروف الدهر عيرنا * هل عاند الدهر إلا من له خطر

أما ترى البحر تعلق فوقه جيف * وتستقر بأقصى قعره الدرر

وفي السماء نجوم ما لها عدد * وليس يحسب إلا الشمس والقمر^(٢)

وإما بالعزيمة ، كقوله تعالى : (فَوَرَّبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ) وقوله تعالى :

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ) وكقول

الأشتر النخعي :

بقيت وفري وأنحرفت عن العلا * ولقيت أضيافي بوجه عبوس

إن لم أشنّ على ابن حرب غارة * لم تخلّ يوما من نهاب نفوس

يريد معاوية بن أبي سفيان ، وكقول أبي نواس .

لا فزع الله عني إن مددت يدي * إليه أسأله من حبك الفرجا

٣٤

(١) الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ واستقامة العبارة تقتضى إثباتها . انظر حسن التوسل

ص ٤١ ط الوهاية .

(٢) في الأصل وفي حسن التوسل : « غير ذى عدد » ، وهو غير مستقيم ؛ والتصويب عن الذخيرة

لابن بسام المحفوظ منها بعض أجزاء مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٣٤٨ أدب .

وكقول أبي تمام :

حُرِمْتُ مَنَى مَنْكَ إِنْ كَانَ ذَا الَّذِي * تَقَوْلُهُ الْوَاشُونَ حَقًّا كَمَا قَالُوا .

أو بالتكرار، كقولهم : اللهُ اللهُ، والأَسَدُ الأَسَدُ، وكقول الحَادِرَةِ (١) :

أَطَاعِنَةٌ وَمَا تَوَدَّعْنَا هِنْدُ * وَهِنْدُ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبَعْدُ

وهذا في التنزيل كثير، والعلم فيه سورة الرحمن .

وأما التجنيس — فهو يتشعب منه شعب كثيرة :

فمنه المستوفى التام — وهو أن يجيء المتكلم بكلمتين متفقتين لفظاً، مختلفتين

معنى، لا تفاوت في تركيبهما، ولا اختلاف في حركاتهما، كقول الغزّيّ :

لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ إِنْسَانٌ يَلَاذِبُهُ * فَلَا بَرِحَتْ لِعَيْنِ الدَّهْرِ إِنْسَانَا

وقول عبدالله بن طاهر :

وَإِنِّي لِلثَّغْرِ الْمُخُوفِ لِكَالِي * وَلِلثَّغْرِ يَجْرِي ظَلْمُهُ لَرَشُوفِ

وكقول البُستيّ :

سَمَا وَحَمِي بَنِي سَامٍ وَحَامٍ * فَلَيْسَ كَمَثَلِهِ سَامٌ وَحَامِي

وذكر التبريزيّ أن التجنيس المستوفى كقول أبي تمام :

مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ * يَجِيءُ لَدَى يَجِيءُ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ

وقال : وإنما عدت من هذا الباب لاختلاف المعنيين ، لأن أحدهما فعل ،

والآخر اسم .

(١) هوقطة بن أوس الثعلبيّ ، والحادرة لقبه .

(٢) الظلم بفتح الظاء المعجمة : ماء الأسنان وبريقها .

ومنه المركب وهو على ضربين :

الأول : ما هو متشابه لفظا وخطا ، كقولهم : هَمَّتْكِهِمَّةُ الْفَاتِرَةِ ، وفي صميم قلبك أَلْفَاتِرُهُ ، ومن النظم قول البُسْتِيِّ :

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَاهِبُهُ * فَدَعَهُ فِدْوَلْتُهُ ذَاهِبُهُ

وقول الآخر :

عَضْنَا الدَّهْرَ بِنَابِهِ * لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَابِهِ

وقول طاهر البَصْرِيِّ :

نَاطِرَاهُ فِيمَا جَنَى نَاطِرَاهُ * أَوْدَعَانِي رَهْنًا بِمَا أَوْدَعَانِي .

الثاني : ما هو متشابه لفظا لاخطا ويسمى التجنيس [المفروق] ^(١) ، كقوله :

كُنْتُ أَطْمَعُ فِي تَجْرِيكِ ، وَمَطَايَا الْجَهْلِ تَجْرِي بِكَ ؛

ومن النظم قول الشاعر :

لَا تَعْرِضَنَّ عَلَيَّ الرِّوَاةَ قَصِيْدَةً * مَا لَمْ تَكُنْ بِالغَتِّ فِي تَهْذِيْبِهَا

فَإِذَا عَرَضْتَ الْقَوْلَ غَيْرَ مَهْدَّبٍ * عَدُوهُ مِنْكَ وَسَاوَسَا تَهْذِيْبِهَا

وأمثال ذلك كثيرة .

١٥ ومن أنواع المركب المرفق ، وهو أن تجمع بين كلمتين إحداهما أقصر من

الأخرى ، فتضم إلى القصيرة حرفا من حروف المعاني أو من حروف الكلمة المجاورة لها حتى يعتدل ركا التجنيس ، كقولهم :

يَا مَغْرُورَ أَمْسِكْ ، وَقِسْ يَوْمَكَ بِأَمْسِكْ ؛

ويقرب منه قول الهمداني :

٢٠ إن لم يكن لنا حَظٌّ فِي دَرَكِ دَرَكٍ ، نَخَالِصُنَا مِنْ شَرِّكَ شَرِّكَ ؛

(١) الكلمة التي بين مربعين عن حسن التوسل ص ٤٤ ط الوهابية ؛ واستقامة الكلام تقتضي إثباتها .

وقول الحريري :

إن أخليت منا مبارك مبارك، نخلصنا من معارك معارك؛

ومن النظم قول البستي :

فهِمْتُ كِتَابَكَ يَا سَيِّدِي * فَهِمْتُ وَلَا عَجَبٌ أَنْ أَهِيَا

ومنه قول الآخر :

ذو راحة وكففت ندى وكففت ردى * وقضت يهلك عاداته وعاداته

كالغيث في إروائه ورؤائه * والليث في وثباته ووثباته.

ومنه المزدوج — ويقال له التجنيس المردد والمكرر أيضا — وهو أن يأتي

في أواخر الأبيجاع وقوافي الأبيات بلفظتين متجانستين إحداهما نيممة الأخرى

وبعضها، كقولهم : الشراب بغير النعم غم، وبغير الدسم سم؛

وقول البستي :

أبا العباس لا تحسب لشيني ^(١) * بأنى من حلى الأشعار عارى

فلى طبع كسلسال معين * زلال من ذرى الأبحار جارى

إذا ما أكتب الأدوار زندا * فلى زند على الأدوار وارى .

ومن أجناس التجنيس المصحف — ويقال له تجنيس الخط أيضا —

وهو أن تأتي بكلمتين متشابهتين خطأ لا لفظا، كقوله تعالى : ﴿وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ

يُحْسِنُونَ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِي وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾

وقوله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالأبكار فإنهن أشد حبا وأقل حبا » وقول [النبي

صلى الله عليه وسلم] لعلى رضى الله عنه : قَصْرٌ مِنْ ثِيَابِكَ فَإِنَّهُ أَبْقَى وَأَنْقَى وَأَتْقَى .

(١) فى حسن التوسل : « لشيني » بالباء، وهو تحريف . (٢) عبارة الأصل وحسن

التوسل : « وقول على » وفيها نقص ؛ والتكلمة عن خزانة الأدب للمحوى ص ٤٤ ط بولاق .

وكقول أبي فراس :

من بحر شعرك أَعْرِفَ * وبفضل علمك أَعْرِفَ .

ومنه المضارع - ويسمى المطمَع - وهو أن يُجاء بالكلمة ويبدأ بأختها على مثل أكثر حروفها، فتطمع في أنها مثلها، فتخالفها بحرف؛ ويسمى المُطَرَّف وهو أن تجمع بين كلمتين متجانستين لا تفتاوت بينهما إلا بحرف واحد من الحروف المتقاربة، سواء وقع آخرًا أو حشواً، كقوله صلى الله عليه وسلم : « الخيل معقود بنواصيها الخير » ومنه قول الخطيئة :

مَطَاعِينُ فِي هَيْجَامَطَاعِيمٍ فِي الدَّبْحِ * بَنَى لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَبَنَى الْجَدَّ وَقَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ :

ظَلَمْتُ أَرْجَمُ فَيْكَ الظُّنُونُ * أَحَاجِمُهُ أَنْتَ أَمْ حَاجِبُهُ؟



وإن كان التفاوت بغير المتقاربة سمي التجنيس اللاحق، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ وقول البحتري :

هل لما فات من تلاقٍ تلافٍ * أم لشاك من الصبابة شافٍ .

ومنه المشوَّش - وهو كل تجنيس يتجاذبه طرفان من الصنعة فلا يمكن إطلاق اسم أحدهما عليه، كقولهم : فلان مليح البلاغة، صحيح البراعة

(١) في الأصل : « الالتفات » وهو تحريف صوابه ما أبتنا كما يدل عليه السياق .

(٢) في الأصل وحسن التوسل : (الصيغة) بياء مثناة بعدها عين معجمة؛ وهو تحريف، والنصوب عن شرح الباعونية المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٣ بلاغة، وهو شرح على بديعها الموسومة بالفتح المين في مدح الأمين .

٢٠

(٣) كذا ورد هذا المثال في الأصل وحسن التوسل . ووجه التثليل به خفي، ولم تقف عليه فيما لدينا من المراجع .

ومنه تجنيس الاشتقاق - ويسمى الاقتضاب أيضا، ومنهم من عدّه أصلا برأسه، ومنهم من عدّه أصلا في التجنيس - وهو أن يجيء بالفاظ يجمعها أصل واحد في اللغة، كقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ وقوله تعالى: ﴿يَحْقُقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ذوالوجهين لا يكون عند الله وجيها» وقوله: «الظلم ظلمات يوم القيامة» ومن النظم قول أبي تمام:

عَمَّمتَ الخلقَ بالنِّعماءِ حتى * غدا الثقلان منها مُثقلين

وقول المطرزي:

وإني لأستحي من المجد أن أرى * حليف غواني أو أليف أغاني^(١)

وقول الصاحب بن عباد:

وقائلة لم عرّتك الهموم * وأمرك ممتثل في الأمم

فقلت ذريتي على غصتي * فإن الهموم بقدر الهمم

وقول آخر:

إن ترى الدنيا أغارت * ونجوم السعد غارت

فُصروف الدهر شتى * كلما جارت أجات

(٣)

(٢)

ومما يشبه المشتق - ويسميه بعضهم المشابه، وبعضهم المغاير - قوله

تعالى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿لِيرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾

(١) في الأصل: «غواني»؛ وهو تحريف.

(٢) في الأصل: «المشتق»؛ وهو تحريف.

(٣) في الأصل: «المشابهة والمغايرة»، بتأنيث اللغظين؛ والتصويب عن حسن التوسل.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَسَأَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾

ومن النظم قول البحترى:

وإذا ما رياح جُودك هبّت * صار قول العذال فيها هباءً.^(١)

ومن أجناس التجنيس تجنيس التصريف - وهو ما كان كالمصحف

- (٢) [إلا] في آتحد الكتابة، ثم لا يخلو من أن تتقارب فيه الحروف باعتبار المخارج
أو لا تتقارب فإن تقاربت سُمي مضارعا، وإن لم تتقارب سُمي لا حقا.

مثال الأول قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿بِمَا كُنْتُمْ
تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ وقول قُصَّ بن ساعدة الإيادي:
”من مات فات“

وقول الشاعر:

فيا لك من حزم وعزم طواهما * جديدُ البلي تحت الصفا والصفائح

وهذا البيت يشتمل على المضارع والمتعم؛

ومثال الثاني قول علي رضي الله عنه: الدنيا دار ممر، والآخرة دار مقر، وقول

عبد الله بن صالح وقد وصف اليمن: ليس فيه إلا ناسج بُرد، أو سأس قرد.^(٤)

- ١٥ (١) في الأصل: «رمح» بالميم، وهو تحريف.

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد نقلناها عن حسن التوسل ليستقيم بها التعريف ويصح بها التمثيل
الآتي، فإنه ليس بين قوله: «ينهون» و«ينثون» اتحاد في الكتابة. وعبارة ابن أبي الإصبع في تحرير التحير
المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٥: بلاغة في تعريف هذا النوع: «وهو
اختلاف صيغة الكلمتين بإبدال حرف من حرف إما من مخرجه أو من قريب منه».

- ٢٠ (٣) عبارة الأصل: «من أن تفاوتت فيه الحروف باعتبار المخارج أو لا تفاوتت، فإن تفاوتت» الخ.
بفاء، موحدة في الكلمات الثلاث وواو وتاء مثناة فوقية، وهو تصحيف لا يستقيم به المعنى.

(٤) في الأصل: «سامر»، وما أثبتناه عن حسن التوسل.

ومنها التجنيس المخالف - وهو أن تشتمل كل واحدة من الكلمتين على حروف الأخرى دون ترتيبها، كقول أبي تمام :

بيض الصفائح لا سودُ الصخائف في * متوهن جلاء الشك والريب
وقوب البحترى :

شواجر أرماع تقطع بينهم * شواجر أرحام ملوم قطوعها

وقول المتنبي :

ممنعة ممنعة رداح * يكلف لفظها الطير الوقوعا

(٢٧)

فإن أشتملت كل كلمة على حروف الأخرى، وكان بعض هذه قلب حروف هذه خص باسم جناس العكس، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: «يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرأ وأرق» وقول عبد الله بن رواحة^(١) يمدح [النبي] صلى الله عليه وسلم:

تحمّله الناقة الأدماء معتجرا * بالبرد كالبرد جلى نوره الظلما.

ومنها تجنيس المعنى - وهو أن تكون إحدى الكلمتين دالة على الجنس بمعناها دون لفظها، وسبب استعمال هذا النوع أن يقصد الشاعر المجانسة لفظا ولا يوافقه الوزن على الإتيان باللفظ المجانس فيعدل إلى مرادفه، كقول الشاعر يمدح المهلب ويذكر فعله بقطري بن الفجاءة، وكان قطري يكنى أبا نعامة :

حدا بأبي أم الرئال فأجفلت * نعامته من عارض متلب^(٢)

أراد أن يقول : حدا بأبي نعامة فأجفلت نعامته أى روحه ، فلم يستقم له فقال : بأبي أم الرئال ، وأم الرئال هى النعامة، وكقول الشماخ :

(١) التكملة عن حسن التوسل . (٢) فى الأصل : «مهلّب» ، وما أثبتناه عن حسن التوسل إذ هو

المناسب لما هنا ، ولعل ما فى الأصل مقلوب عن متلهب ، أى متوقد غير وحيّة . والمتلبب : المتحزم بالسلاح ، يريد المتهى للقتال .

وما أروى وإن كُرمَت علينا * بأدنى من موقفة حرون^(١)

أروى : اسم امرأة . والموقفة الحرون من الوحش : أروى ، وبها سميت المرأة فلم يمكنه أن يأتي باسمها فأنى بصفتها ، وقد صرح بذلك المعترى في قوله :

أروى النِّياق كَأروى النِّيقِ يَعِصِمها * ضرب يظلل له السرحان مبهوتا^(٢)

- وبعضهم لا يدخل هذا في باب التجنيس . قال : وإنما يحسن التجنيس إذا قل ، وأتى في الكلام عفو من غير كد ولا استكراه ، ولا بعد ولا ميل إلى جانب الركة ولا يكون كقول الأعشى :

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني * شاوٍ مشلٍ شلٍ شلٍ شلٍ^(٤)

ولا كقول مسلم بن الوليد :

- سُلتٌ وسُلتٌ ثم سُلٌ سليلها * فأنى سليل سليلها مسلولاً^(٥)

ولا كقول المتنبي :

فقلقتُ بالهم الذي قلقل الحشا * قلاقل عيش كلهم قلاقل

وأما الطِّباق — قال : المطابقة أن تجمع بين ضدين مختلفين ، كالإيراد والإصدار والليل والنهار ، والسواد والبياض ، قال الأخفش وقد سئل عنه : أجد قوماً يختلفون

١٥ (١) الموقفة من الوقف ، وهو الخلل أو السوار من العاج وغيره ، وأراد به هنا : الأروى التي في رجلها أو يديها بياض تشبها لها بلاسة الخلل أو السوار .

(٢) النيق بالكسر : أرفع موضع في الجبل ، جمعه نياق وأنياق ونيوق .

(٣) في الأصل : « كدر » براء زائدة في آخره ، وسياق الكلام يقتضى ما أمئتنا .

(٤) قال في اللسان مادة شل : الشاوى : الذى شوى . والشلول : الخفيف . والمشل :

٢٠ المطرد . والشلسل : الخفيف القليل . وكذلك الشول . والألفاظ متقاربة أريد بذكرها والجمع بينها المبالغة .

فيه ، فطائفة — وهم الأكثر — يزعمون أنه الشيءُ وُضدُهُ ، وطائفة تزعم أنه اشتراك المعنيين في لفظ واحد ، كقول زياد الأعمى :

وَبَنَيْتَهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ بِكَاهِلٍ * وَلَلْوَمُّ فِيهِمْ كَاهِلٌ وَسَنَامٌ

ثم قال : وهذا هو التجنيس بعينه ، ومن ادعى أنه طباق فقد خالف الأصمعي والخليل ، ف قيل له : أو كانا يعرفان ذلك ؟ فقال : سبحان الله ! وهل أعلم منهما بالشعر وتمييز خبيثه من طيبه ؟ . ويسمونه المطابقة والطباق والتضاد والتكافؤ وهو أن تجتمع بين المتضادين مع مراعاة التقابل ، فلا تجيء بأسم مع فعل ولا بفعل مع اسم ، مثاله قوله تعالى : ﴿ فَيُضْحِكُوا قَلِيلًا وَيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتًا هُمْ رُقُودٌ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ ﴾ إلى قوله : ﴿ يَغْيِرِ حِسَابِ ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم للأنصار : « إنكم لتكثرُونَ عند الفزع وتقلون عند الطمع » ومن النظم قول جرير :

وباسط خير فيكم يمينه * وقابض شر عنكم بشمالها

وقول البحري :

وأمة كان قبح الجور يُسخطها * حيناً فأصبح حسن العدل يرضيها

وقوله أيضاً :

تبسم وقطوب في ندى ووعى * كالبرق والرعد وسط العارض البرد

وقول دعييل :

لا تعجبي يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكي

وقول ابن المعتز :

مها الوحش إلا أت هاتا أو انس * قنا الخط إلا أت تلك ذوابل

فإن هاتما للحاضر، وتلك للغائب، فكانتا متقابلتين؛ وقد تجيء المطابقة بالنفي
[والإثبات] كقول البحرى^(١) :

تقيض لى من حيث لا أعلم النوى * ويسرى إلى الشوق من حيث أعلم.

وقال الزكى بن أبي الإصبع المصرى فى الطباق: وهو على ضربين : ضرب يأتى

٥. بالفاظ الحقيقة ، وضرب يأتى بالفاظ المجاز ، فما كان بلفظ [الحقيقة] سُمى طباقا^(٢)
وما كان بلفظ المجاز سُمى تكافؤا، فمثال التكافؤ قول أبي الأشعث العبسى من إنشادات
قُدامة :

حلو الشمائل وهو مرّ باسل * يحجى الذمار صبيحة الإرهاق

لأن قوله : حلو ومرّ خارج فخرج الاستعارة، إذ ليس الإنسان ولا شمائله مما^(٤)

١٠

يذاق بحاسة الذوق .

ومن أمثلة التكافؤ قول ابن رَشِيْق :

وقد أطفأوا شمس النهار وأوقدوا * نجوم العوالى فى سماء عجاج

وقد جمع دِعِيل فى بيته المتقدم بين الطباق والتكافؤ، وهو :

لا تعجبي ياسلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكي

١٥

لأن ضحك المشيب مجاز، وبكاء الشاعر حقيقة .

قال : هكذا قال ابن أبي الإصبع، وفيه نظر، لأنه إذا كان الطباق عنده هو التضاد

من حقيقتين ، والتكافؤ التضاد من مجازين، فليس فى البيت ما شرطه .

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ومن حسن التوسل؛ والمقام يقتضى إثباتها .

(٢) فى الأصل : « يقتص » وهو تحريف .

(٣) التكملة عن حسن التوسل ص ٤٨ ط الوهاية؛ واستقامة الكلام تقتضها .

(٤) فى الأصل : « لما كان » وما أثبتناه عن حسن التوسل، إذ به يستقيم الكلام .

٢٠

قال : ومما جمع بين طباق السلب والإيجاب قولُ الفرزدق من إنشادات
أبن المعتز :

لعن الإله بنى كليب إنهم * لا يَغْدِرُونَ ولا يَفُونَ لِحَارِ
يستيقظون إلى نهيق حميرهم * وتسام أعينهم عن الأوتار.

وذكر في آخر الباب طباق التردد، وهو أن يرد آخر الكلام المطابق إلى أوله
فإن لم يكن الكلام مطابقاً فهو رد الأعمى على الصدور، ومثاله قول الأعشى :

لا يَرِيعُ الناس ما أوهوا وإن جَهدوا * طُولَ الحياة ولا يُوهون ما رَقَعُوا.

وأما المقابلة ^(١) — وهي أعم من الطباق، وذكر بعضهم أنها أخص، وذلك

أن تضع معاني تريد الموافقة بينها وبين غيرها أو المخالفة، فتأتي في الموافق بما وافق،

وفي المخالف بما خالف أو تشترط شروطاً وتعد أحوالاً في أحد المعنيين فيجب

أن تأتي في الثاني بمثل ما شرطت وعددت [في الأول]، كقوله عز وجل : (فَأَمَّا

مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ

بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) وقوله تعالى : (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ

لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَمَّا يُصْعَدُ فِي السَّمَاءِ) ومثاله

من النظم قولُ الشاعر :

فيا عَجبا كيف آتفتنا فَناصح * وفي مطوئ على الغلِّ غادر!

وقول آخر :

تَقاصرن وأحلوَيْن لي ثم إنه * أتت بعد أيام طوَال أمرتِ

(١) عنوان هذا الفصل ساقط من الأصل؛ والسياق يقتضى إثباته .

(٢) التكمة عن حسن التوسل .

وقولُ زهير بنِ أبي سُلمي :

حُلماءُ في النادى إذا ما جئتهم * جُهلاءُ يومَ عِجاجةٍ ولقاء.

ومن فساد ذلك أن يقابل الشيء بما لا يوافقُه ولا يخالفه، كقول أبي عدى

القرشى :

٥ يا ابنَ خير الأخيـار من عبد شمس * أنت زين الدنيا وغيثُ جُود

فليس قوله : غيث جود موافقا لقوله : زين الدنيا ولا مخالفه

٣٩

وكقول الكُميت :

وقد رأينا بها حورا منعمَةً * بيضا تكامل فيها الدلَّ والشَّنب

فالشَّنب لا يشاكل الدلَّ .

وقولِ آخر :

١٠

رُحماءُ بذى الصلاح وضربون قِدا لما لهُ الصَّنديد.

قال : وقد ذكر بعض أئمة هذا الفن تفصيلا في المقابلة فقال :

فن مقابلة آئينين بأئين قوله تعالى : (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) ؛ وقولُ

النابغة :

١٥ فتيّ تمّ فيه ما يُسرُّ صديقه * على أن فيه ما يسوء الأعدايا ؛

ومن مقابلة ثلاثة بثلاثة قول الشاعر :^(١)

ما أحسن الدينَ والدنيا إذا آجتماعا * وأقبحَ الكفرَ والإفلاسَ بالرجل

وقولُ أبي نُواس :

أنا أستدعيّ عفوك من قريب * كما أستعفيتُ سُخْطَكَ من بعيد؛

٢٠

(١) يعزى هذا البيت لأبي دلامة .

ومن مقابلة أربعة بأربعة قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرَهُ لِلْإِسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرَهُ لِلْعُسْرَى ﴾ المقابل بقوله تعالى : « أَسْتَغْنَى » قوله تعالى : « وَاتَّقَى » لأن معناه : زهد فيما عند الله وأستغنى بشهوات الدنيا عن نعم الآخرة ، وذلك يتضمن عدم التقوى ، ومنه قول النابغة :
إذا وطئنا سهلا أثارنا عجاجة * وإن وطئنا حزنا تشظى الجنادل ؛

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول المتنبي :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وأنتني وبياض الصبح يُغري بي
قابل أزور بأنثني ، وسواد ببياض ، والليل بالصبح ، ويشفع بيغري ، ولي
بقوله : بي .

وأما السجع — فهو أن كلمات الأَسْجَاعِ موضوعة على أن تكون ساكنة الأَعْجَازِ (١) موقوفا عليها ، لأن الغرض أن يجانس بين قرائن ، ويزاوج بينها ، ولا يتم ذلك إلا بالوقف ، ألا ترى الى قولهم : « ما أبعد ما فات ، وما أقرب ما هوات » فلو ذهبت تصل لم يكن بُدٌّ من إعطاء أواخر القرائن ما يقتضيه حكم الإعراب ، فتختلف أواخر القرائن ، ويفوت الساجع غرضه ، واذ رأيناهم يخرجون الكلمة عن أوضاعها للازدواج فيقولون : أتيتك بالغدايا والعشايا ، وهنأني الطعام ومرأني ، وأخذَه ما قَدُم وما حدث ، « وأنصرفن مازورات غير ماجورات » ، يريد الغدوات ، وأمرأني وحدت ، وموزورات ، مع أن فيه ارتكابا لمخالفة اللغة [فما الظن بأواخر الكلم المشبهة بالقوافي] .

(١) في الأصل : « سألقة » ؛ وهو تصحيف .

(٢) النكلة عن حسن النوسل ص ٤٩ ط الوهابية .

- قال : والسجع أربعة أنواع وهي : الترصيع والمتوازي والمطرّف والمتوازن .
 أما الترصيع — فهو أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان متّفقة الأعجاز ،
 كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ
 لَنِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَنِي جَحِيمٍ ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم : ” اللهم أقبل توبتي ،
 وأغسل حوبتي “ وقولهم : فلان يفتخر بالهمم العاليه ، لا بالرّم الباليه ؛ وقولهم : عاد
 تعريضك تصريحاً ، وتمريضك تصحيحاً ؛

ومن النظم قولُ الخنساء :

حامي الحقيقة محمود الخليفة مهديّ الطريقة نفاعٌ وضرار
 جواب قاصية جراز ناصية * عقاد أولية للخيل جزار

وقد يجيء مع التجنيس ، كقولهم :

إذا قلت الأنصار ، كلت الأبصار ؛ وما وراء الخلق الدميم ، إلا الخلقُ الذميم ؛

ومن النظم قولُ المطرزيّ (١) :

وزندُ ندى فواضله وريّ * وردُ رُباً فضائله نضير
 ودرّ جلاله أبداً ثمين * ودرّ نواله أبداً غزير .

وأما المتوازي — فهو أن يراعى في الكلمتين الأخيرتين من القرينتين الوزنُ

مع اتفاق الحرف الأخير منهما ، كقوله عزّ وجلّ : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ
 مَوْضُوعَةٌ ﴾ .

(١) في الأصل : « المطرز » بدون باء ، والتصويب عن حسن التوسل ، وهو ناصر بن أبي المكارم

عبد السيد بن علي ، ويكنى أبا الفتح ؛ وكانت وفاته سنة عشر وستمائة هـ . انظر وفيات الأعيان ج ٢

ص ٢٢٤ طـ دار الطباعة المصرية .

وقول الحريري: ^(١) أَلْجَانِي حَكْمٌ دَهْرٌ قَاسِطٌ، إِلَى أَنْ أَنْتَجَعَ أَرْضَ وَاسِطٍ .

وقوله: وَأَوْدَى النَّاطِقِ وَالصَّامِتِ، وَرَثِي لَنَا الْحَاسِدَ وَالشَّامِتَ .

وَأَمَّا الْمَطْرَفُ - فَهُوَ أَنْ يَرَاعَى الْحَرْفَ الْأَخِيرُ فِي كَلِمَتِي قَرِينَتِيهِ مِنْ غَيْرِ مِرَاعَاةِ الْوِزْنِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ وَقَوْلِهِمْ: جَنَابَهُ مَحَطُّ الرَّحَالِ، وَنُحْمِ الْآمَالِ .

وَأَمَّا الْمُتَوَازِنُ - فَهُوَ أَنْ يَرَاعَى فِي الْكَلِمَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ مِنَ الْقَرِينَتَيْنِ الْوِزْنَ مَعَ اخْتِلَافِ الْحَرْفِ الْأَخِيرِ مِنْهُمَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَمَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَائِبٌ مَبْشُوثَةٌ﴾ وَقَوْلِهِمْ: اصْبِرْ عَلَى حَرِّ الْقِتَالِ، وَمَضْمُضِ النَّزَالِ، وَشِدَّةِ الْمِصَاعِ، وَمَدَاوِمَةِ الْمِرَاسِ؛ فَإِنْ رَاعَى الْوِزْنَ فِي جَمِيعِ كَلِمَاتِ الْقِرَائِنِ أَوْ أَكْثَرِهَا، وَقَابَلَ الْكَلِمَةَ مِنْهَا بِمَا يَعَادِلُهَا وَزْنَهَا كَانَ أَحْسَنَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا آلَ صِرَاطٍ الْمُسْتَقِيمِ﴾، وَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ: اسْوَدَّ يَوْمِي الْأَبْيَضَ، وَأَبْيَضَ قَوْدِي الْأَسْوَدَ؛ وَيُسَمَّى هَذَا فِي الشُّعْرِ الْمُوَازَنَةَ، كَقَوْلِ الْبَحْرِيِّ:

فَقَفُّ مُسْعِدًا فِيهِنَّ إِنْ كُنْتَ عَادِرًا * وَسِرُّ مُبْعِدًا عَنْهُنَّ إِنْ كُنْتَ عَاذِلًا

(١) قال في معجم البلدان ص ٨٨١ ج ٤ ط المدرسة المحروسة بمدينة غنغنه: واسط في عدة مواضع: نبدأ أولاً بواسطة الحجاج لأنه أعظمها وأشهرها ثم تتبعها الباقي. فأول ما نذكر لم سميت واسطاً ولم صرفت؟ فأما تسميتها فلائها متوسطة بين البصرة والكوفة لأن منها إلى كل واحدة منهما خمسين فرسخاً الخ. ثم ذكر بعد ذلك نقلاً عن أبي حاتم أنه مصروف لأنه مذكر، فإنهم أرادوا به بلداً واسطاً أو مكاناً واسطاً؛ وأنه قد يذهب به مذهب البقعة أو المدينة فيمنع من الصرف للتأنيث حينئذ. وقد ابتداء الحجاج في عمارتها ستة أربع وثمانين و فرغ منها ستة ست وثمانين .

(٢) كذا في الأصل وحسن التوسل . ومحل التمثيل هذه القرينة مع القرينتين اللتين بعدها دون التي قبلها لانتفاء الحرف الأخير فيهما .

قال : ومما هو شرطُ الحسن في هذا المحافظةُ على التشابه ، وهو أسم جامع للملاءمة والتناسب .

فالملاءمة : تأليف الألفاظ الموافية بعضها لبعض على ضرب من الاعتدال كقول لبيد :

وما ألمرء إلا كالشهاب وضوئهِ * يعود رمادا بعد إذ هو ساطع
وما أَمَلُّ والأهلون إلا وديعَةٌ * ولا بدّ يوماً أن تُردَّ الودائع

وبعضهم يعدُّ التلفيق من باب الملاءمة ، وهو أن تضمّ الى ذكر الشيء ما يليق به ويجرى مجراه ، أى تجمع الأمور المناسبة ، ويقال له : مُراعاة النظر أيضاً ، كقول ابن سَمْعُون الملهبي^(١) :

١٠ أنت أيها الوزير إبراهيمي الجُود ، إسماعيلي الوعد ، شعبيّ التوفيق ، يوسفى العفو ، محمدى الخلق .

وكقول أبي الفوارس الحمداني^(٢) :

أأخا الفوارس لو رأيت موافقى * وانخيلُ من تحت الفوارس تحطّ^(٣)
لقرأت منها ما تحطّ يد الوغى * والبيض تشكّل والأسنة تنقط^(٤)

١٥ (١) فى الأصل : « ابن سمعون الملهبي » بالشين المعجمة وسقوط اللام ؛ وفى حسن التوسل : « ابن سمعون الملهبي » بالمهملة ، ولم تقف على هذه النسبة لكلا الشخصين فيما بين أيدينا من كتب التراجم ومعاجم الأعلام ، ولعل صواب العبارة ما أثبتنا ؛ والمهلبى هو الوزير أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون يتصل نسبه بالمهلب بن أبي صفرة ؛ وكان وزيراً لمعز الدولة بن بويه . وكانت وفاته سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة انظر وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٠١ ط دار الطباعة المصرية . وابن سمعون هو أبو الحسين محمد بن أحمد ابن اسماعيل الواعظ البغدادي ؛ وتوفى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة هـ وفيات الأعيان ج ١ ص ٧٠١ .

٢٠ (٢) كذا فى الأصل . والذى فى حسن التوسل : (أبو العشار) وكلاهما من آل حمدان ، ولم نعرّف فيما بين أيدينا من المظان على ما يرجح إحدى الروايتين ، كما أننا لم نقف على هذين البيتين فى شعر أبي فراس الحمداني كما يتوهم تحريف ما هنا عنه .

(٣) فى الأصل : « أأجاد » وهو تحريف .

٢٥ (٤) تنقط : من النحط ، وهو صوت الخيل من الثقل والإعياء ، يكون بين الصدر الى الخلق .

وكقول آخر :

وكم سائل بالغيب عنك أجبتُه * هناك الأيادي الشفُّع والسودد الوتر

عطاءً ولا منُّ وحكم ولا هوَى * وحلم ولا عجز وعزٌّ ولا كبر

وقول ابن حيوس^(١) :

يقينك والتقوى وجودك والغنى * ولفظك والمعنى وسيفك والنصر

والتناسب : هو ترتيب المعاني المتأخية التي تتلاءم ولا تتنافر، كقول النابغة :

والرفق بمن والأناة سعادة * فاستأن في رزق تال نجاحا^(٢)

والياس عمافات يُعقب راحةً * ولرب مطمعة تعود ذباحا

ويسمى التشابه أيضاً، وقيل : التشابه أن تكون الألفاظ غير متباينة بل متقاربة

في الجزالة والرقّة والسلاسة، وتكون المعاني مناسبة لألفاظها من غير أن يكسو اللفظ^(٣)

الشريف المعنى السخيف، أو على الضدّ، بل يصاغان معا صياغةً تناسب وتلائم .

فصل في الفقر المسجوعة ومقاديرها

قال : قصر الفقرات يدلّ على قوة التمكن وإحكام الصناعة ، وأقل ما تكون

كلمتان ، كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ وأمثال ذلك

في الكتاب العزيز كثيرة ، لكن الزائد على ذلك هو الأكثر ، وكان بديع الزمان يُكثر من

(١) هو محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس ، ويكنى أبا الفتيان ، ويلقب بصفيّ الدولة .

(٢) في الأصل : « والرزق » بالزاي المعجمة ، وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .

(٣) في الأصل : « يكثر » بالنا. المثلثة والراء المهملة ، وهو تحريف .

ذلك في رسائله ، كقوله : ^(١) كُتِبَتْ نَهْدٌ ، كَأَنَّ رَاكِبَهُ فِي مَهْدٍ ؛ يَلِطُمُ الْأَرْضَ بَزْبَرٍ
ويُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ بَجَبَرٍ . قالوا : لكن التذادُ السامع بما زاد على ذلك أكثر ، لتشوقه الى
ما يرد متريدا على سمعه .

فأما الفقر المختلفة فالأحسن أن تكون الثانية أزيد من الأولى ولكن لا بقدر

- كثير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فيقلّ التذادُ بسامعها ، فإن زادت
القرائن على اثنين فلا يضّرّ تساوى القرينتين الأولىين وزيادة الثالثة عليهما وإن
زادت الثانية عن الأولى يسيرا ، [والثالثة على الثانية] فلا بأس ، لكن لا يكون
أكثر من المثل ، ولا بدّ من الزيادة في آخر القرائن ، مثاله في القرينتين : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ
الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَيَخِرُّ
أَلْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ ومثاله في الثالثة قوله تعالى : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ
بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا
ضَبَقًا مَقْرِنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ وأقصر الطوال ما كان من إحدى عشرة لفظة
وأكثرها غير مضبوط ، مثاله من إحدى عشرة لفظة : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً
ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَيْسٌ كَفُورٌ ﴾ والتي بعدها من ثلاث عشرة كلمة ؛ ومثاله من
عشرين لفظة قوله تعالى : ﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَاكِبٍ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَوْهُمْ كَثِيرًا لَفَسِحَّتُمْ
وَلَتَنَارَظَمُنَّ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ .

(١) الكهيت من الخليل يستوى فيه المذكر والمؤنث ، ولونه الكهيت ، وهي سواد تشوبه حمرة تكون في الإبل

والخيل . والنهد من الخيل : الحسن الجسم المشرف .

(٢) التكلة عن حسن التوسل .

(٣) في الأصل : « في » وما أثبتناه عن حسن التوسل .

(٤) في الأصل : « وأنى » وهو تحريف .

وأما ردَّ العَجْزِ على الصدر - فهو كل كلام منثور أو منظوم يلاقى آخره أوله بوجه من الوجوه، كقوله تعالى: ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ وقولهم: "القتل أنفى للقتل" و"الحيلة ترك الحيلة" وقولهم: طلب ملكتهم فسلب ما طلب، ونهب ما لهم فوهب ما نهب .

وهو في النظم على أربعة أنواع :

الأول : أن يقعا طرفين، إما متفقين صورة ومعنى، كقوله :

سريع إلى ابن العم يشتم عرضه * وليس إلى داعي الندى بسريع

وقوله :

سكران سكر هوى وسكر مدامة * أنى يقيق فقى به سكران ؛

أو متفقين صورة لا معنى، وهو أحسن من الأول، كقول السرى :

يسار من سجيته المنايا * ويمنى من عطيتها اليسار

وقول الآخر :

ذوائب سود كالعناقيد أرسلت * فمن أجلها منا النفوس ذوائب ؛

أو معنى لا صورة، كقول عمر بن أبي ربيعة :

واستبدت مرة واحدة * إنما العاجز من لا يستبد

وقول السرى :

ضرائب أبدعتها في السماح * فلسنا نرى لك فيها ضربيا

(١) في الأصل : « لا صورة له » وقوله : « له » زيادة من الناصح .

وقول الآخر :

تُبِّكُ أَهْلَ الْفَضْلِ قَدْ دَلَّنِي * أَنْكَ مَقْصُوصٌ وَمُثْلُوبٌ

أولا صورةً ولا معنىً ولكن بينهما مشابَهة اشتقاق، كقول الحريري :
وَلَا حَ يَلْحَى عَلَى جَرَى الْعِنَانِ إِلَى * مَلَهَا فَسُحِقًا لَهُ مِنْ لَأْتِحَ لِأَحَى

الثاني : أن يقع في حشو المصراع الأول وعجز الثاني، إما متفقين صورةً
ومعنى كقول أبي تمام :

وَلَمْ يَحْفَظْ مُضَاعَ الْمَجْدِ شَيْءٌ * مِنْ الْأَشْيَاءِ كَالْمَالِ الْمُضَاعِ

وقول آخر :

أَمَّا الْقُبُورُ فإِنَّهُنَّ أَوَانِسُ * بِجِوَارِ قَبْرِكَ وَالْدِيَارُ قُبُورُ

أوصورةً لا معنىً، كقول النعالي :

وَإِذَا الْبَلَابِلُ أَفْصَحَتْ بُلْغَاتِهَا * فَآتَفَ الْبَلَابِلُ بِاحْتِسَاءِ بِلَابِلِ

فالأول جمع بُبْلٌ، والثاني جمع بَبْلَةٌ وهي الهَمُّ^(١) [والثالث جمع بُبْلَةٌ الإبريق]

وقول الزمخشري :

وَأَنْحَرْنِي دَهْرِي وَقَدَّمْ مَعَشِرًا * لِأَنْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَأَعْلَمُ

فمذ أفلح الجهال أعلم أني * أنا الميم والأيام أفلح أعلم^(٢)

(١) التلمذة عن حسن التوسل، وتام الكلام يقتضى إثباتها. والذي في كتب اللغة : ان البلبلة بضم
الباءين وسكون اللام بينهما : كوز فيه بلبل الى جنب رأسه .

(٢) كذا في الأصل . والذي في حسن التوسل ص ٥٣ ط الوهايبة : « على أنهم » ؛ وكننا الروايتين
تؤدى معنى صحيحا .

(٣) في حسن التوسل : « أيقنت » ؛ ولا شاهد فيه على هذه الرواية .

(٤) الأفلح : المشقوق الشفة السفلى . والأعلم : المشقوق الشفة العليا، يريد تشبيه الأيام في جهل
قدره بالأفلح الأعم الذي لا يستطيع النطق بالميم .

أو معنى لا صورة، كقول امرئ القيس :

إذا المرء لم يَخْزُنْ عليه لسانه * فليس على شيء سواه بخزان

وقول أبي تمام :

دَمِنَ أَلَمٌ بِهَا فَقَالَ سَلَامٌ * كَمْ حَلَّ عُقْدَةَ صَبْرِهِ الْإِلْمَامُ

وقول أبي فراس :

وما إن شبتُ من كبرٍ ولكن * لقيتُ من الأحبة ما أشابا؛

أو في الاشتقاق فقط، كقول أبي فراس :

مَنَحْنَاهَا الْحِرَابُ غَيْرَ أَنَا ^(١) * إِذَا جُرْنَا مَنَحْنَاهَا الْحِرَابَا؛

الثالث : أن يقعا في آخر المِصرَعِ الأَوَّلِ وَعَجْزِ الثَّانِي، إما متفقين صورةً

ومعنى كقول أبي تمام :

ومن كان بالبيض الكواعب مغرما * فما زلت بالبيض القواضب مغرما؛

أو صورةً لا معنى، كقول الحريري :

فمشغوف بآيات المثنى * ومفتون برنات المشاني؛

أو معنى لا صورة، كقول البحري :

ففعلك إن سئلت لنا مطيع * وقولك إن سألت لنا مطاع؛

الرابع : أن يقعا في أول المِصرَعِ الثَّانِي وَالْعَجْزِ، إما متفقين صورةً ومعنى ^(٢)

كقول الحماسي :

(١) واحده حرية، وهو المال الذي يعاش به، أو هو المال المسلوب، يريد : رددنا عليها ما سلبته

فرساننا من أموالها فيما سلف .

(٢) في الأصل : « يتفقا »؛ وما اثبتناه عن حسن التوسل، وهو أنسب ليوافق ما قبله .

فإلا يكن إلا مَعْلَلٌ ساعةٍ ^(١) * قليلاً فإنى نافعٌ لى قليلها

أو صورةً لامعنى، كقول أبي دؤاد :

عهدت لها متزلاً دائراً * وآلاً على الماء يجملن آلاً ^(٢)

فالأول الأتباع، والثاني أعمدة الخيام، وكقول آخر ^(٣) :

رماك زمان السوء من حيث لا ترى * فرأى ولم يظفر بما هو راما

أو معنى لا صورةً، كقول أبي تمام :

توى فى الثرى من كان يحيا به الثرى * ويغمر صرف الدهر نائله الغمر ^(٤)

وقد كانت البيض البواتر فى الوغى * بوآتر فهى الآن من بعده بتر

قال : ومن نوادر هذا الباب بيتا الحريرى اللذان سماهما المطرئين، وهما :

سِمٌ سِمَةٌ تحسن أنارها * وأشكر لمن أعطى ولو سمسمة
والمكرمهما أسطعت لا تأته * لتبتغى السودد والمكرمه.

قال : فإن لم يقع فى العجز فليس من هذا الباب، كقوله :

ونبتتهم يستنصرون بكاهل * وللؤم فيهم كاهل وسنام ^{معه وجه}

(١) فى ديوان الحماسة ج ٢ ص ١٣٥ ط التوفيق : « معرّج » بفتح الراء المهملة مع التشديد

والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٢) فى اللسان مادة أول : « عرفت » وكلاهما يستقيم به المعنى . ودائر كدارس وزنا ومعنى ،

والأخيرة رواية اللسان . (٣) فسر فى اللسان آلال الأول بأنه عيدان الخيمه ، والثانى بأنه الشخص .

(٤) كذا فى الأصل وديوان أبي تمام ص ٣٣١ ط الأدبية ببيروت . والذى فى حسن التوسل :

* ويأمن صرف الدهر جاهله الغمر * ومؤدى الروايتين مختلف . والغمر بفتح الغين

على رواية الأصل والديوان : الكثير . وبالضم على رواية حسن التوسل : من لا خير فيه ولا غناء عنده

فى عقل ولا رأى ولا عمل .

وكقول الأَفَوَه الأَوْدَى :

وأَقْطَعِ الهَوْجَلَ مَسْتَأْسَا * يَهْوَجَلُ عَيْرَانَةً عَنْتَرِيَسَ^(١)

فالهَوْجَلَ الأَوَّلُ : الفَلَاةُ ، والثاني : الناقَة السريعة .

وأما الإِغْنَاتُ — ويقال له التضييقُ والتشديدُ ولزومُ ما لا يلزم — فهو أن يُعْنِتَ نفسه في ألتزامِ رِدْفٍ أو دَخِيلٍ أو حرفٍ مخصوصٍ قَبْلَ حرفِ الرويِّ ، أو حركةٍ مخصوصةٍ ، كقوله تعالى : (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) ، وقولِ النبي صلى الله عليه وسلم : «اللهم بك أحاول ، وبك أصاويل» وقوله عليه الصلاة والسلام « شرٌّ ما في المرء شُحُّ هَالِعٍ ، أو جُبْنٌ خَالِعٌ^(٢) » وقوله عليه الصلاة والسلام : « زُرْ غَيْبًا تَزِدُّ حُبًّا » وقولِ عمرَ رضِيَ اللهُ عنه : لا يَكُنْ حُبُّكَ كَلْفًا ، ولا بُغْضُكَ تَلْفًا ؛ وقولِ المَعْرَى :

ضَحْكًا وَكَانَ الضَّحْكُ مَنَا سَفَاهَةً * وَحَقَّ لِسُكَّانِ البَسِيطَةِ أَنْ يَبْكُوا

يُحْطَمْنَا صَرَفَ الزَّمَانِ كَأَنَّا * زُجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يَعَادُ لَهُ السَّبْكُ

وقولِ آخَرَ :

يقولون في البستان للعين لذة * وفي الخمر والماء الذي غير آسن

إذا شئت أن تلقى المحاسن كلها * ففي وجه من تهوى جميع المحاسن

وقد ألتزم ابن الرومي الفتحَ قَبْلَ حرفِ الرويِّ — وكان أولع الناس بذلك —

فقال :

لِمَا تُؤَدِّنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا * يَكُونُ بُكَاءُ الطِّفْلِ سَاعَةً يُولَدُ

(١) العيرانة من النياق : الناجية في نشاط . والعنتريس : الغليظة الوثيقة .

(٢) قال في النهاية مادة خلع في تفسير هذه الكلمة : أى شديد ، كأنه يخلع فؤاده من شدة خوفه .

وإلا فما يُبكيه فيها وإنتها ^(١) * لَأَوْسَعُ مِمَّا كَانَ فِيهِ وَأَرْغَدُ
 إِذَا أَبْصَرَ الدُّنْيَا أَسْتَهْلَّ كَأَنَّهُ * بِمَا سَيْلَاقِي مِنْ أَذَاهَا يُهَدِّدُ
 وَأَمْتَالُ ذَلِكَ فِي الشَّعْرِ كَثِيرَةٌ .

وأما المذهب الكلامي — فهو إيراد حجةٍ للطلوب على طريقة أهل الكلام

نحو قوله عز وجل : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ومنه قولُ النابغةِ يعتذر
 إلى النعمان :

حلفتُ فلم أترك لنفسي ريبَةً * وليس وراءَ الله للسرِّ مذهبٌ
 لئن كنتَ قد بُلِّغْتَ عني جنابةً * لمبْلُغُ الواشي أغش وأكذبُ
 ولكنني كنتُ امرءاً لى جانبٍ * من الأرضِ فيه مُستَرادٌ ومذهبُ
 ١٠ ملوكٍ وإخوان إذا ما مدحتهم * أحكمٌ في أموالهم وأقربُ
 كفعلك في قوم أراك أصطنعتهم * فلم ترهم في مدحهم لك أذنبوا

يقول : أنت أحسنت إلى قوم فدحوك ، وأنا أحسن إلى قوم فدحتهم ، فكما
 أن مدح من أحسنت إليه لا يُعدّ ذنباً فكذا مدح من أحسن إلى لا يُعدّ ذنباً .
 قال ابن أبي الإصبع ، ومن شواهد هذا الباب قولُ الفرزدق :

١٥ لكلِّ امرئٍ نفسانِ نفسٌ كريمةٌ * ونفسٌ يعاصيها الفتى ويطيعها
 ونفسك من نفسك تشفعُ للندى * إذا قلَّ من أحرارهنَّ شفيعها

يقول : لكلِّ إنسانِ نفسانِ : نفسٌ مطمئنةٌ تأمره بالخير ، ونفسٌ أمارةٌ تأمره
 بالشرِّ ، والإنسان يعاصي الأمانة مرّةً ويطيعها أخرى ، وأنت إذا أمرتكَ الأمانة

(١) في رواية : « منها » .



بترك الندى شفعت المطمئنة إليها في الندى في الحالة التي يقل فيها الشفيق في الندى
من النفوس، فأنت أكرم الناس .

وأما حسن التعليل — فهو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف
وهو أربعة أضرب : لأن الصفة إما ثابتة قصد بيان علتها، أو غير ثابتة أريد إثباتها
فالأولى إما لا يظهر لها في العادة علة، كقوله :

لم يحك نائلك السحاب وإتما * حمت به فصبيها الرخصاء^(١)

أو يظهر لها علة، كقوله :

ما به قتل أعاديهِ ولكن * يتقى إخالفاً ما ترجو الذئاب^(٢)

فإن قتل الأعداء في العادة لدفع مضرّتهم لا لما ذكره .

والثانية إما ممكنة^(٣)، كقوله :

يا واشيا حسنت فينا إساءته * نجى حذارك إنساني من الفرق^(٤)

فإن استحسان إساءة الواشى ممكن، لكن لما خالف الناس فيه عقبه بما ذكره .

أو غير ممكنة، كقوله :

لو لم تكن نيّة الجوزاء خدمته * لما أتت وعليها عقود متطوق^(٥)

(١) البيت لأبي الطيب المنبيّ؛ والرخضاء بضم الراء وفتح الحاء المهملة : العرق أثر الحمى .

(٢) البيت لأبي الطيب المنبيّ كسابقه ؛ انظر معاهد التنصيص ص ٣٥٨ ط بولاق .

(٣) في الأصل : « بركة » ؛ وهو تحريف ، ولا معنى له .

(٤) في الأصل : « جدواك » وهو تحريف ؛ والتصويب عن معاهد التنصيص ص ٣٥٩ ، والبيت

لمسلم بن الوليد .

(٥) في معاهد التنصيص ص ٣٦٧ ط بولاق أن هذا البيت مترجم من الفارسية ولم يسم قائله .

قال : وألحق به ما بُني على الشكّ ، كقول أبي تمام :

رُبّاً شَفَعَتْ رِيحَ الصَّبَا لِرِيَاضِهَا * إِلَى الْمُنِّ حَتَّى جَادَهَا وَهُوَ هَامِعٌ
كَأَنَّ السَّحَابَ الْغُرَّغِيِّنَ تَحْتَهَا * حَبِيْبًا فَمَا تَرَقَّا لَهْنٌ مَدَامِعُ

وقد أحسن ابن رشيق في قوله :

سَأَلْتُ الْأَرْضَ لِمَ كَانَتْ مُصَلِّئًا * وَلِمَ كَانَتْ لَنَا طَهْرًا وَطِيْبًا
فَقَالَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ لِأَنِّي * حَوِيْتُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ حَبِيْبًا .

وأما الالتفات — فقد فسره قدامة بأن قال : هو أن يكون المتكلم أخذًا

في معنى فيعترضه إما شكُّ فيه وإما ظنُّ أنَّ رادًّا يردّه عليه ، أو سائلاً له عن سببه
فيلتفت إليه بعد فراغه منه ، فلما أن يُجَلَّى الشكُّ ، أو يؤكِّده ، أو يدكر سببه ، كقول
الرمّاح بن ميادة :

فَلَا صَرْمُهُ يَبْدُو فَنِي الْيَأْسِ رَاحَةٌ * وَلَا وَصْلُهُ يَصْفُو لَنَا فَنَكَارُمُهُ

كأنه توهم أن فلانا يقول : ما تصنع بصرمه ؟ فقال : لأن في اليأس راحة .

وأما ابن المعتز فقال : الالتفات أنصراف المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة ، ومثاله

في القرآن العزيز الإخبار بأن الحمد لله رب العالمين ، [ثم قال] : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ ﴾ ومثاله في الشعر قول جرير :

مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بَدَى طُلُوحًا ^(٣) * سُقِيَتِ الْغَيْثُ أَيَّتَهَا الْخِيَامُ ؛

(١) عبارة قدامة : « أن يكون الشاعر » ، كما في كتابه نقد الشعر ص ٥٢ ط الجواذب ؛

وما هنا أعم .

(٢) التكملة عن حسن التوسل ص ٥٦ ط الوهاية .

(٣) ذو طولوح : موضع في حزن بن يربوع بين الكوفة وفيد .

أو أنصرف المتكلم عن المخاطبة [إلى الإخبار] ^(١)، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ ومثال ذلك في الشعر قول عنترة: ولقد نزلت فلا تظني غيره * متى بمنزلة المحب المكرم ثم قال مخبراً عنها:

كيف المزار وقد ترعب أهلها * بعنيتين ^(٢) وأهلنا بالغيم؛

أو أنصرف المتكلم من الإخبار إلى التكلم، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُبْرِئُ السُّحَابًا فَسُقْنَاهُ﴾؛

أو أنصرف المتكلم من التكلم إلى الإخبار، كقوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُذِئِبْكُمْ وَنَأْتِي بِمُخَلِّقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ وقد جمع أمرؤ القيس الالتفاتات الثلاثة في ثلاثة أبيات متواليات، وهي قوله:

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالْإِثْمِ ^(٤) * وَنَامَ الْخَلِيَّ وَلَمْ تَرْقُدْ
وَبَاتَ وَبَاتَ لَهُ لَيْلَةٌ * كَلِيلَةُ ذِي الْعَارِ الْأُرْمَدِ ^(٥)
وَذَلِكَ مِنْ نَبِيٍّ جَاءَنِي * وَخَبَّرْتُهُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ

(١) الزيادة عن حسن التوسل . وصحة العبارة تقتضى إثباتها .

(٢) عنيتين تثنية عنيزة، وهو بمعناه : موضع بين البصرة ومكة، أو هو من أودية اليمامة؛ والغيم : موضع ذكره ياقوت ولم يعينه .

(٣) كذا وردت هذه الآية بالنون في الكلمات الثلاث في خزانة الأدب للحموي ص ٧٤ ط بولاق وعليه يستقيم التمثيل، وقال الحموي بعد إيراد الآية : « والقراءة في الكلمات الثلاث بالنون شاذة نقلها صاحب البحر الزاخر . » والذي في الأصل وحسن التوسل وشرح الباعونية : « إن يشأ يذهبكم وبأت » بالياء المثناة في الكلمات الثلاث؛ والتمثيل بها على هذه القراءة غير مستقيم .

(٤) الإثم : موضع ذكره ياقوت في معجمه ولم يعينه .

(٥) العار : كل ما أعل العين، أو هو بئر في الجفن الأسفل منها .

يخاطب في البيت الأول ، وأنصرف إلى الإخبار في البيت الثاني ، وأنصرف
عن الإخبار إلى التكمّل في البيت الثالث على الترتيب .

وأما التمام — وهو الذي سماه الخاتمي التتميم ، وسماه ابن المعتز اعتراض
كلام في كلام لم يتم معناه ، ثم يعود المتكلم فيتمّمه ، وشرح حدّه بأنه الكلمة التي إذا
طُرحت من الكلام نقصُ معناه ومبالغته ، مع أن لفظه يوهّم بأنه تام ؛ وهو
على ضربين : ضرب في المعاني وضرب في الألفاظ ، فالذي في المعاني هو تميم المعنى
والذي في الألفاظ هو تميم الأوزان ، والأوّل هو الذي قُدّم حدّه ، ومثاله قوله تعالى :
(مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) فقوله تعالى : (مَنْ
ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ) [تتميم ، وقوله : (وَهُوَ مُؤْمِنٌ)] تميم ثان في غاية البلاغة ، ومن هذا القسم
قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد مسلم يصلى لله كل يوم اثنتي عشرة ركعة
من غير الفريضة إلا آتيتني الله له بيتا في الجنة » فوقع التتميم في هذا الحديث في ثلاثة
مواضع : قوله عليه السلام : مسلم ، ولله ، ومن غير الفريضة ، ومن أناشيد قدامة على
هذا القسم قول الشاعر :
(٢)

أناس إذا لم يُقبَلِ الحقّ منهم * ويعطّوه عادوا بالسيوف القواضب .
(٣)

وأما الذي في الألفاظ فهو الذي يُؤتى به لإقامة الوزن بحيث لو طُرحت الكلمة
أستقلّ معنى البيت بدونها ؛ وهو على ضربين : أحدهما مجيء الكلمة لا تنفيذ غير إقامة

(١) التكملة عن حسن التوسل . واستقامة الكلام تقتضيها .

(٢) هو نافع بن خليفة الغنوي ؛ انظر نقد الشعر لقدامة ص ٩٤ ط الجواب .

(٣) كذا في الأصل وحسن التوسل بالبدال المهملة . وفي نقد الشعر لقدامة : « عاذوا » بالذال

الوزن فقط، والثاني : مجيئها تنقيد مع إقامة الوزن نوعا من الحسن، فالأول من العيوب والثاني من المحاسن ؛ قال : والكلام هنا في الثاني ، ومثاله قول المتنبي :

وَحُفُوقِ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتَ لَهْيِهِ * يَا جَنَّتِي لظننتِ فِيهِ جَهَنَّمَا

فإنه جاء بقوله يا جنتي لإقامة الوزن ، وقصد بها دون غيرها مما يسد مسدّها أن يكون بينها وبين قافية البيت مطابقة لا تحصل غيرها .

وأما الاستطراد — وهذه التسمية ذكر الحاتمي في حلية المحاضرة أنه نقلها عن البحرى ، وقيل : أن البحرى نقلها عن أبي تمام ، وسماه ابن المعتز : الخروج من معنى إلى معنى ، وفسره بأن قال : هو أن يكون المتكلم في معنى فيخرج منه بطريق التشبيه أو الشرط أو الإخبار أو غير ذلك إلى معنى آخر يتضمّن مدحا أو قدحا أو وصفا ، وغالب وقوعه في الهجاء ، ولا بد من [ذكر ^(١)] المستطرّد به باسمه بشرط أن لا يكون تقدّم له ذكر .

فمن أول ما ورد في ذلك من النظم قول السموعل بن عادياء :

وإنّا لقوم مانرى القتل سُبّةً * إذا ما رآته عامر وسَلول

ومنه قول حسان :

إن كنتِ كاذبة الذى حدّثتني * فنجوت منجا الحارث بن هشام

ترك الأحبّة لم يقاتل دونهم * ونجا برأس طِمْرَة وِلجام ^(٣)

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن حسن التوسل إذ لا يستقيم الكلام بدونها .

(٢) في الأصل : « فن أولها » والسياق يقتضى حذف الهاء .

(٣) الطمّرة من الأفراس : المستعدّة للعدو . وقد أشار حسان في هذين البيتين الى فرار الحارث

ابن هشام بن المغيرة يوم بدر : انظر سيرة ابن هشام وغيرها من كتب السيرة .

(١) وقول أبي تمام في وصف حافر الفرس بالصلابة :

أيقنت إن لم تثبت أت حافره * من صخر تدمر أو من وجه عثمان^(٢)

ومن أحسن ما قيل في ذلك قول ابن الزمكدم أربعة استطرادات متواليه :

وليل كوجه البرقيدي ظلمة^(٣) * وبرد أغانيه وطول قرونيه

سريت ونومي فيه نوم مشرد^(٤) * كعقل سليمان بن فهدي^(٥) ودينه^(٦)

على أولق فيه التفات كأنه * أبو صالح في خطبه وجنونه^(٧)

إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه * سنا وجه قرواش وضوء جبينه^(٨)

وقول البحرى في الفرس أيضا :

ما إن يعاف قدى ولو أوردته * يوما خلائق حمدويه الأحول

ومما جمع المدح والهجاء قول بكر بن النطاح :

فتي شقيت أمواله بنواله * كما شقيت بكر بأرماع تغلب



(١) في الأصل : « جاء في الفرس » وما أثبتناه عن حسن التوسل وهو أنسب بقوله بعد : « بالصلابة » .

(٢) في الأصل : « انفتت » بالفاء الموحدة بعدها ياء مثناة ، وهو تصحيف . وتدمر : مدينة قديمة في بركة الشام بينها وبين حلب خمسة أيام باقوت . ويريد بعثمان المذكور في البيت : عثمان بن إدريس

السامي ؛ انظر ديوان أبي تمام ص ٢٠١ ط الوهنية .

(٣) البرقيدي : نسبة الى برقيد ، وهي بلدة في طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين .

(٤) في الأصل : « وهب » وهو تحريف ؛ والتصويب عن معجم باقوت ج ١ ص ٥٧٢ ط

المحروس : بمدينة غنتغه والوافي بالوفيات للصفدي .

(٥) في الأصل : « أوقل » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما في المعجم ، والأولق : الجنون ، يريد :

على فرس ذي أولق . (٦) كذا في الأصل . ولعله يريد وصف الفرس بأنه يلتفت في سيره يمنة ويسرة فلا يستقيم في وجهة واحدة ، بل يخط في سيره كما يدل عليه معجم البيت . وفي معجم البلدان :

« الهباب » ؛ والهباب بكسر الهاء : النشاط والسرعة . (٧) في معجم باقوت : « أبو جابر » .

(٨) هو قرواش بن مقلد أمير بن عقيل .

(١) ومما جاء به على وجه المجون قول بعضهم :

إكشفي وجهك الذي أوحلّني * فيه من قبل كشفه عينك

غلطى في هوائك يشبه عندي * غلطي في أبي علي بن زكي

(٢) ومما جاء في النسيب على وجه التشبيه قول امرئ القيس :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا * نبكى الديار كما بكى ابن حمام .

وأما تأكيد المدح بما يشبه الذم — فهو ضربان : أفضلهما أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها ، نحو قوله تعالى : (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا) فالناكيد فيه من جهة أنه كدعوى الشيء بينة ، وأن الأصل في الاستثناء الاتصال ، فذكر أدواته قبل ذكر ما بعدها يوهم إخراج الشيء مما قبلها ، فإذا وليها صفة مدح جاء التأكيد .

والثاني : أن يثبت لشيء صفة مدح ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « أنا أفصح العرب بيد أتي من قريش » وأصل الاستثناء في هذا الضرب أيضا أن يكون منقطعا ، لكنه باق على حاله لم يقدر

(١) به ، أى بالاستطراد . وعبرة حسن التوسل : « ومما جاء على وجه » الخ .

(٢) فى الأصل : « التشبيه » ؛ وهو تحريف .

(٣) كذا فى الأصل وحسن التوسل ، والنذى فى شرح ديوان امرئ القيس للوزير أبى بكر عاصم ابن أبوب ص ١٤٤ ط انطورية : « لأننا » بهمز بعده نون ، وهى لغة فى « لعلنا » حكى الخليل : أن بعض العرب يقول : إيت السوق أنك تشتري لنا سويقا ، أى لعلاك . وابن حمام : شاعر يقال له : امرئ القيس أيضا كما فى الشرح ؛ ولم تقف على ضبطه ؛ ورواية الديوان « ابن حذام » بالذال المعجمة ، ولم يسمه شارحه الوزير أبوبكر المتقدم ؛ وروى أبو عبيدة : « ابن حزام » بالحاء المهملة والزاي المعجمة ؛ وليس هو عمرو بن حزام العذرى كما يتوهم . (٤) فى الأصل : « أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم » والصواب العكس كما يقتضيه التمثيل .

متصلا فلا يفيد التأكيـد إلا من الوجه الثاني من الوجهين المذكورين، ولهذا كان الأول أفضل .

ومن أمثلة الأول قولُ النابغة الذبياني :

ولا عيبَ فيهم غيرَ أن سيوفَهم * بهنَّ فلول من قراعِ الكتائب

ومن أحسن ما قيل في ذلك قولُ حاتم الطائي :

ولا تستكيني جارتى غيرَ أنى * إذا غاب عنها بعلمها لا أزورها

ومن الثاني قولُ النابغة الجعديّ :

فنتى كُلمت أخلاقه غيرَ أنه * جواد فمأينقى من المال باقيا

ومن أحسن ما ورد في هذا الباب قولُ بعضهم :^(١)

ولا عيب فينا غيرَ أن سمأحنا * أضربنا والبأس من كلِّ جانب^(٢)
فأفنى الردى أعمارنا غيرَ ظالم * وأفنى الندى أموالنا غيرَ عاتب .

وأما تأكيد الذمِّ بما يشبه المدح - فهو ضربان :

أحدهما أن يُستثنى من صفة مدح منقبةٍ عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها كقولك : فلان لا خير فيه إلا أنه يسىء إلى من أحسن إليه .^(٣)

والثاني : أن تُثبت للشيء صفة ذم وتعقب بأداة استثناء تليه صفة ذم له أخرى

كقولك : فلان فاسق إلا أنه جاهل ، وتحقيق القول فيها على قياس ما تقدم .

(١) هو أبو هفان . انظر معاهد التنصيص ص ٣٨٩ ط بولاق .

(٢) في الأصل وحسن التوسل ص ٥٨ ط الوهايبية : « والناس » بالنون ، وهو تحريف ؛

والتصويب عن معاهد التنصيص . وصدر البيت الثاني يدل عليه أيضا .

(٣) في الأصل : « لا يسىء » ؛ وصحة التمثيل تقتضى حذف اللام .

وأما تجاهل العارف — فهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه
ليُخرج كلامه مُخَرَّج المدح أو الذم، أو ليُدلَّ على شدَّة التدلُّه في الحبِّ ، أو لتُصد
التعجب أو التوبيخ أو التقرير؛ وقال السكاكي: هو سَوَقُ المعلوم مَسَاقٍ غيره لنكتة^(١)
كالتوبيخ، كما في قول الخارِجِيَّةِ وهي ليلي بنت طَريف :

أيا شجر الخابور مالك مُورقا * كأنك لم تَجزع على ابن طَريف^(٢)

والمبالغة في المدح، كقول البحترى :

المُع برق سرى أم ضوء مصباح * أم آبتسامتها بالمنظر الضاحي

أو الذم، كما قال زهير :

وما أدري ولست إخال أدري * أقوم آل حصن أم نساء^(٣)

أو التدلُّه في الحبِّ، كقوله :

بالله ياظبيات القاع قلن لنا * ليلاي منكن أم ليلي من البشر^(٤)

وقول البحترى :

بدا فراع فؤادي حسن صورته * فقلت هل ملك ذاك الشخص أم ملك .

(١) في الأصل : « لكنته » ؛ وهو تحريف .

(٢) الخابور : نهر كبير ، بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة ولاية واسعة وبلدان حمة غلب
عليها اسمه فنسبت إليه ، وأصل هذا النهر من العيون التي برأس عين ، وينضاف إليه فائمنل الحرماس ومد
وهو نهر نصيبين فيصير نهرا كبيرا انظر معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨٣ ط جوتنجن .

(٣) في معاهد التنصيص ص ١٧ ط بولاق : « وسوف » والبيت يستقيم على كلتا الروايتين .

(٤) نسب هذا البيت الى ذى الرمة والمجنون والعرجي ، وأكثرهم على أنه للاحير ؛ انظر معاهد

التنصيص الصفحة المتقدمة الذكر .

وأما الهزل الذي يراد به الجِدُّ — فهو أن يقصد المتكلم ذمَّ إنسان
أو مدحه فيخرج ذلك مخرج المَجُون، كقول الشاعر: ^(١)
إذا ما تيممى أذاك مُفأخرا * فقلِّ عدَّ عن ذا كيف أكلك للضبِّ.

وأما الكنايات — فهي أن يُعبرَ المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن
وعن الفاحش بالطاهر، وقد تقدّم الكلام على ذلك في باب الكناية والتعريض
وهو الباب الرابع من القسم الثاني من هذا الفن، وهو في السفر الثالث من كتابنا هذا.
وأما المبالغة — وتسمى التبليغ والإفراط في الصفة — فقد حدّها قدامة بأن
قال: هي أن يذكر المتكلم حالا من الأحوال لو وقف عندها لأجزأت فلا يقف
حتى يزيد في معنى ما ذكره ما يكون أبلغ في معنى قصده، كقول عمير بن كريم التغلبي: ^(٢)

ونكريم جارنا ما دام فينا * وتنبّعه الكرامة حيث مالا

ومن أمثلة المبالغة المقبولة قول امرئ القيس يصف فرساً:

فعدّى عداءً بين ثور ونعجة * درا كما ولم ينضح بماء فيغسل ^(٣)

يقول: إنه أدرك ثورا وبقرة في مضمار واحد ولم يعرق.

وقول المتنبي:

وأصرع أيّ الوحش قفّيته به * وأنزل عنه مثله حين أركب

(١) هو أبو نواس، والبيت من قصيدة يهجو بها تميا وأسدا ويفتخر بقحطان؛ انظر معاهد التنصيص
ص ٤١٣ ط بولاق.

(٢) كذا ورد هذا الاسم في الأصل وحسن التوسل ص ٥٩ وخزانة الأدب للحموي ص ٢٧٩ ط
بولاق. والذي في معاهد التنصيص ص ٣٤٤ ط بولاق عمرو بن الأهم. قال: ولم أقف على ترجمة

ابن الأهم التغلبي قائل البيت. وفي الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٢٨٨ ط الأستانة: عميرة
ابن الأهم، ولم نقف فيما بين أيدينا من المراجع على ما يربح إحدى هذه الروايات الثلاث.

(٣) العداء: الطلق الواحد بكسر الطاء وسكون اللام، وهو الشوط.

- ولا يعاب في المبالغة إلا ما خرج عن حد الإمكان، كقوله :
- وأخفت أهل الشرك حتى إنه * لتخافك النطف التي لم تُخسأق^(١)
- وأما إذا كان كقول قيس بن الخطيم :
- طعنتُ ابنَ عبد القيس طعنةً نائر * لها نَفْدٌ لولا الشعاعُ أضاءها
ملكْتُ بها كَفِّي فأنهتُ فَنَهتُ^(٢) فَتَقَهَا * يرى قائماً من دونها ما وراءها
- فإن ذلك من جيد المبالغة إذ لم يكن قد خرج مخرج الاستحالة مع كونه قد بلغ النهاية في وصف الطعنة، ومن أحسن ذلك وأبلغه قول أحد شعراء الحماسة :
- رَهنتُ يدي بالعجز عن شكرِ ربه * وما بعد شكرى للشكور مزيد
ولو كان مما يستطيع أستطعته * ولكن ما لا يستطيع شديد.
- وأما عتاب المرء نفسه - فهو من أفراد ابن المعتز، ولم ينشد عليه سوى
- ١٠ بيتين ذكر أن الآمدى^(٤) أنشدهما عن الجاحظ وهما :
- عصاني قومي في الرشاد الذي به * أمرتُ ومن يعص الحرجب يندم
فصبوا بنى بكر على الموت إننى * أرى عارضا ينهل بالموت والدم
- قال : ولا يصلح أن يكون شاهدا لهذا الباب إلا قول أحد شعراء الحماسة :
- أقول لنفسي في الخلاء ألومها * لك الويل ما هذا التجلّد والصبر
- ١٥

(١) البيت لأبي نواس من قصيدة يمدح بها الرشيد انظر معاهد التنصيص ص ٤٥ ط بولاق .

(٢) أنهرت : وسعت .

(٣) في الحماسة : « وما فوق » ومعنى البيت يستقيم على كلتا الروايتين .

(٤) كذا في الأصل وحسن التوصل . والذي في تحرير التحير لابن أبي الإصبع المحفوظ منه

نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٥ بلاغة وخرانة الأدب للمحوى ص ١٨٠ ط بولاق :

« الأمدى » ولم تقف فيما بين أيدينا من المظان على ما يرجح إحدى الروايتين .

وقول الآخر :

فقدتِك من نفس شعاعِ فإني * نهيتِك عن هذا وأنتِ جميع

وما ناسب ذلك من الأمثلة .

وأما حُسن التضمين - فهو أن يضمن المتكلم كلامه كلمةً من آية

أو حديث أو مثلٍ سائر أو بيت شعر ؛

ومن إنشادات ابن المعتز عليه :

عَوَّذَ لما بتّ ضيفاً له * أقراصه مني بياسين

فِيَتْ والأرض فراشي وقد * غنّت قفا نَبِكِ مَصاريني

فضمن بيته الأول كلمةً من السورة بتوطئة حسنة ، وبيته الثاني مطلع قصيدة امرئ القيس .

ومما ضمن معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم قول الآخر :

وأخ مسّه نزولى بقَرَج * مثلما مسّني من الجوع قَرَح

بتّ ضيفاً له كما حكم الدهم* وروفي حكمه على الحرّ قبح

قال لي مذ نزلت وهو من السك*رة بالهم طاخ ليس يصحو :

لم تغرّبت؟ قلت : قال رسول الله والقول منه نُصحٌ ونُجج :

« سافروا تغنموا » فقال : وقد قال تمام الحديث : « صوموا تصحوا »

ومن تضمين الشعر قول بعضهم :

وقفنا بأضواء حكتنا لَواعِب * « على مثلها من أربيع وملاعب »

وهو مطلع قصيدة لأبي تمام ،

(١) الشعاع من النفوس : ما تفرقت همومها . والجميع : المجتمع . (٢) في الأصل : « داح »

وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل . (٣) في الأصل : « حكينا » بالياء المثناة التحتية ،

وفي حسن التوسل : « حنيناً » بنون موحدة بعدها ياء مثناة ، وهو تحريف في كليهما .

ومنه قولُ الغزّي :

طُولُ حياةٍ ما لها طائل * نَعَصَ عندي كُلُّ ما يُشْتَهَى
أصبحتُ مثلَ الطفلِ في ضعفه * تَشَابَهَ المبدأ والمُنْتَهَى
فلا تلم سمعي إذا خانتني * « إنَّ الثمانينَ وبلغتُها »

المراد من التضمين هاهنا تمام البيت : * قد أحوجتُ سمعي إلى تَرْجُمان *
وإنما تركه لأن أول البيت يدلُّ عليه لأشتهاره، وهذا قد أكثر المتأخرون من استعماله
في أشعارهم، وضمنوا البيت الكامل بعد التوطئة له .

وأما التلميح - وهو من التضمين، وإنما بعضهم أفرده - فهو أن يشير
في فحوى الكلام إلى مثَلٍ سائر، أو بيت مشهور، أو قضية معروفة من غير أن يذكره،
كقول الشاعر :

المستغيثُ بعمرٍ عند كُرْبته * كالمستغيث من الرضاء بالنار

أشار إلى قضية كليب حين استغاث بعمر بن الحارث ؛ ومنهم من يسمي ذلك
أقتباسا، وإيراد المثل كما هو تضمينا .

وأما إرسال المثل - فهو كقول أبي فراس :

تَهَوَّنَ علينا في المعالي نفوسنا * ومن يخطب العلياء لم يُغْلِه المهر^(١)
وكقول المتنبي :

تُبَّتْجِي عليهنَّ البطاريقُ في الدجى * وهنَّ لدينا مُلَقِياتُ كَواسِدِ
بذا قضيت الأيام ما بين أهلها * مصائبُ قوم عند قوم فوائد .

(١) لم يغله المهر : أى أنت مهرها لم يجعل من يخطبها غالبا عليها، يريد أن مهرها نفس خاطبها
وفي حسن التوسل وغيره : « لم يغلها » بتأنيث الضمير ، والمعنى عليه أن المهر الذى يدفع لها لا يصيرها
غالبة عليه أيا كان نوعه وقيمته .

وأما إرسال مثلين - فهو الجمع بين مثلين ، كقول لبيد :

ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل * وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائل

وابيات زهير بن أبي سلمى التي فيها ومن ومن ، وقد تقدم ذكر ذلك مستوفى في باب الأمثال ، وهو الباب الأول من القسم الثاني من هذا الفن ، وهو في السفر الثالث .

وأما الكلام الجامع - فهو أن يكون البيت كله جارياً مجرى مثل واحد

كقول زهير :

ومن يك ذا فضلٍ ويخُلُّ بفضله * على قومه يُستغرن عنه ويذمم

ومن لا يصانع في أمور كثيرة * يُضرس بأنياب ويوطأ بمسهم^(١)

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

وكقول أبي فراس :

إذا كان غير الله في عُدّة الفتى * أنته الرزايا من وجوه الفوائد

وكقول المتنبي :

وكم من عائب قولاً صحيحاً * وأفتنه من الفهم السقيم

وقوله :

ومن نكد الدنيا على الحزن أن يرى * عدوّ له ما من صداقته بدّ

وقوله :

ومن البليّة عدلٌ من لا يعوى * عن جهله وخطابٌ من لا يفهم

وقوله :

إنا لنرى زمن ترك القبيح به * من أكثر الناس إحساناً وإجمالاً .

(١) المسم : خف البعير .

وأما اللَّفّ والنشر — فهو أن يذكر اثنين فصاعدا ثم يأتي بتفسير ذلك جملة مع رعاية الترتيب ثقةً بأن السامع يردّ إلى كل واحد منها ما له ، كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ،
ومن النظم قول الشاعر :

ألست أنت الذي من ورد نعمته * وورد راحته أجنى وأغترف
وقد لا يراعى فيه الترتيب ثقةً بأن السامع يردّ كل شيء إلى موضعه سواء تقدّم أو تأخر، كقول الشاعر :

كيف أسلو وأنت حقف وغصن * وغزال لحظا وقدًا وردفا .^(٢)

وأما التفسير — وهو قريب منه — فهو أن يذكر لفظاً ويتوهم أنه يحتاج إلى بيانه فيعيده مع التفسير، كقول أبي مسهر :

غيثٌ وليثٌ [فغيثٌ] حين تسأله * عرفاً وليثٌ لدى الهيجاءِ ضرغام
ومنه قول الشاعر :

يُحْيِي وَيُرْدِي بِجَدْوَاهِ وَصَارِمِهِ * يُحْيِي الْعُفَاةَ وَيُرْدِي كُلَّ مَنْ حَسَدَا
ومن ذلك أن يذكر معاني ويأتي بأحوالها من غير أن يزيد أو ينقص
كقول الفرزدق :

لقد جئتَ قوماً لو لحأت إليهمو * طريد دم أو حاملاً ثقل مغرم
لألقيت فيهم معطياً ومطاعنا * وراءك شزراً بالوشيج المقوم^(٤)
لكنه لم يراع شرط اللَّفّ والنشر

(١) في الأصل : « يرمى تفسير » وفيه نقص وتحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .

(٢) الحقف بالكسر : الرمل المعوج . (٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد نقلناها عن

حسن التوسل إذ بها يستقيم الوزن والمعنى . (٤) أراد بالوشيج الرماح .

وقول آخر :

فوا حسرتا حتى متى القلب مَوْجِعٌ * بفقد حبيب أو تعذر إفضال
فراق حبيب مثله يورث الأسى * وخلة حرّ لا يقوم بها مالى^(١)

ومنه قول ابن شرف :

سل عنه وأنطق به وأنظر إليه تجد * ملء المسامع والأفواه والمقل

ومن احسن ما فى هذا الباب قول ابن الرومى :

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * فى الحادثات إذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصباح * تجلوا الدجى والأخريات رجوم

وفساد ذلك أن يأتى بإزاء الشيء بما لا يكون مقابلاً له ، كقول الشاعر :

فياها الحيران فى ظلم الدجى * ومن خاف أن يلقاه بغي من العدا
تعال إليه تلقى من نور وجهه * ضياءً ومن كفيه بحرا من الندى

فأتى بالندى بإزاء بغي العدا ، وكان يجب أن يأتى بإزائه بالنصر أو العصمة
أو الوزر وما جانسه ، أو يذكّر فى موضع البغى الفقر والعدم وما جانس ذلك .

وأما التعديد — ويسمى سياقة الأعداد — فهو إيقاع أسماء مفردة على

سياق واحد ، فإن روعى فى ذلك ازدواج أو جناس أو تطبيق أو نحو ذلك كان
غاية فى الحسن ، كقولهم : وضع فى يده زمام الحلّ والعقد ، والقبول والرد ، والأمير
والنهى ، والبسط والقبض ، والإبرام والنقض ، والإعطاء والمنع ؛ ومن النظم قول
المتنبى :

الخيّل والليلّ والبيداء تعرفنى * والضرب والطعن والفرطاس والقلم .

(١) فى الأصل : « يالى » بالياء المثناة ، وهو تحريف ؛ والخلة : الحاجة .

وأما تنسيق الصفات — فهو أن يذكر الشيء بصفات متوالية، كقوله عز وجل: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ”ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكتافاً، الذين يألفون ويؤلفون“؛

ومن النظم قولُ أبي طالب في النبي صلى الله عليه وسلم :

وأبيضٌ يُستسقى الغمامُ بوجهه * ثمالُ التيامي عِصمةٌ للأرامل

وقولُ المتنبي :

دانٍ بعيدٌ محبٌ مبغضٌ بهيج * أغرُّ حلوٌ مُرٌّ لِينٌ شرسٌ .

وأما الإيهام — ويقال له التورية والتخييل — فهو أن يذكر ألفاظاً لها معانٍ قريبة وبعيدة، فإذا سمعها الإنسان سبق إلى فهمه القريب، ومراد المتكلم البعيد، مثاله قول عمر بن أبي ربيعة :

أيها المنكح الثريا سهيلاً * عمرك الله كيف يلتقيان

هي شاميةٌ إذا ما استقلت * وسهيلٌ إذا استقلَّ يمانى

فذكر الثريا وسهيلاً ليوهم السامع أنه يريد النجمين، ويقول: كيف يجتمعان والثريا من منازل القمر الشامية، وسهيل من النجوم اليمانية؟ ومراده الثريا التي كان يتغزل بها لما تزوجت بسهيل، ومن ذلك قول المعزى :

إذا صدق الجحد أفتري العم للفتى * مكارم لا تحفى وإن كذب الخلال

فإن وهم السامع يذهب إلى الأقارب، ومراده بالحدّ: الحظّ، وبالعمّ: الجماعة من الناس، وبالخال: الخيلة، ومن ذلك قول الحريري في [وصف الإبرة والميل في] المقامة الثامنة:

وقوله أيضا:

- ٥ يا قوم كم من عاتق عانس * ممدوحة الأوصاف في الأنديه
قتلتها لا أتقى وارثا * يطلب مني قودا أو ديه
يريد بالعاتق العانس: الخمر، وبقتلها: مزجها، كما قال حسّان:
إن التي عاطيتني فرددتها * قتلت قتلت فهاتها لم تقتل
وأمثال ذلك كثيرة.

- ١٠ وعند علماء البيان: التخيل تصوير حقيقة الشيء للتعظيم، كقوله تعالى:
(وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) والغرض منه
تصوير عظمته والتوقيف على كونه جلاله من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى
جهة حقيقة أو مجاز، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما نحن حفنة من
حنّات ربنا" قال الزمخشري: ولا يرى باب في علم البيان أدقّ ولا ألطف من
هذا الباب.

١٥

(١) هذه التكملة ساقطة من الأصل. وقد نقلناها عن حسن التوسل لاقتضاء المقام إثباتها.

(٢) العاتق: الجارية التي أدركت وبلغت في بيت أبيها نخدرت فيه ولم تتزوج، سميت بذلك لأنها عتقت من الصبا ومن خدمة أبيها ولم يملكها زوج بعد، واجمع عواتق. والعانس التي كبرت في بيت أبيها ولم تتزوج.

٢٠ (٣) كذا في حسن التوسل وغيره. والذي في الأصل: « والتوقف في كنه » وما أثبتناه أظهر في المراد وأدّل على الغرض.

وأما حُسن الابتداءات — قال: هذه تسمية ابن المعتز، وأراد بها ابتداءات
القوائد، وفتح المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال، وهو أن يأتي الناظم
أو الناثر في ابتداء كلامه بيت أو قرينة تدل على مراده في القصيدة أو الرسالة
أو مُعظّم مراده؛ والكاتب أشدّ ضرورةً إلى ذلك من غيره لِيَتَنَى كلامه على نَسَقٍ
واحد دَلّ عليه من أولِ عِلْمٍ بها مقصده، إِمَّا في خُطبة تَقْلِيد، أو دَعَاء كِتَاب، كما قِيل
لكاتب: أكتب إلى الأمير بأن بقرة ولدت حيوانا على شكل الإنسان، فكتب:
أما بعد حمد الله خالق الإنسان في بطون الأنعام

وكقول أبي الطيّب في الصلح الذي وقع بين كافر وبين ابن مولاه:

حَسَمَ الصَّلْحُ مَا أَشْتَهَتْهُ الْأَعَادَى * وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ الْحَسَادِ

وَأَمثال ذلك .

قال: وينبغي أن لا يتدنى بشيء يُتَطَيَّرُ منه، كقول ذي الرقة:

* مَا بِالْأَعْيُنِ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ *

وقول البحترى:

* لَكَ الْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ تَقْصُرُ آخِرُهُ *

وكقول المتنبي:

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا * وَحَسْبُ الْمُنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا

وكقوله:

مِلْتُ الْقَطْرَ أَعْطَشَهَا رُبُوعًا * وَإِلَّا فَاسَقَهَا السَّمُّ النَّقِيعَا^(٢)

(١) كذا في الأصل . وهو غير ظاهر، والذي يلوح لنا أن في هذه العبارة تقديمًا وتأخيرًا وزيادة

٢٠ . هاء، والأصل فيها هكذا: « دل على مقصده من أول علم به » أخذًا من عبارة حسن التوسل ص ٦٥ ط

الوهابية، ونصها: « فينبى كلامه على نسق يستدل منه على مقصده من أول وهلة » .

(٢) المثلث: من اللث، وهو دوام المطر .

قال : وينبغي أن يراعى في الابتداءات ما يقرب من المعنى إذا لم تئات له براعة الاستهلال ، وتسهيل اللفظ وعدوبته وسلاسة ألفاظه ، وقيل : إن أحسن ابتداء ابتدأت به العرب قول النابعة :

كَلَيْنِي لَهْمٌ يَا أُمِّمَيْمَةَ نَاصِبٌ * وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءُ الْكَوَاكِبِ

ومن أحسن ما ابتدأ به مولد قول إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

هَلْ إِلَى أَنْ تَتَامَ عَيْنِي سَبِيلٌ * إِنَّ عَهْدِي بِالنُّومِ عَهْدٌ طَوِيلٌ

ويحسن أن يبتدئ في المديح بمثل قول أبزون العاني :

عَلَى مَنبَرِ الْعِلْيَاءِ جَدُّكَ يَخْطُبُ * وَلِلْبَلَدَةِ الْعِذْرَاءِ سَيْفُكَ يَخْطُبُ^(١)

وقول المتنبي :

١٠ عَدْوُكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ * وَإِنْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمْرَانِ

وقول التيفاشي :

مَا هَرَّ عَظْفِيهِ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ * مِثْلَ الْخَلِيفَةِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ

وفي التشبيب كقول أبي تمام :

عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبَعٍ وَمَلَاعِبٍ * أَذْيَلَتْ مَصُونَاتُ الدَّمُوعِ السُّوَاكِبِ

١٥ وفي النسب كقول المتنبي :

أَتْرَاهَا لِكَثْرَةِ الْعِشَاقِ * تَحْسَبُ الدَّمْعَ خَلْقَةً فِي الْمَآقِ

وفي المراثي كقول أبي تمام :

كَذَا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ وَيَفْدَحِ الْأَمْرُ * وَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عَذْرُ .

(١) في الأصل : «العلماء» وهو تحريف .

وأما براعة التخايص — فهو أن يكون التشيب أو النسيب مزوجا بما بعده
من مدح وغيره غير منفصل عنه، كقول مسلم بن الوليد :

أَجِدُّكَ هَلْ تَدْرِينِ أَنْ رَبَّ لَيْلَةٍ * كَأَنَّ دَجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ تُنْشَرُ
نَصَبْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بَغْرَةٌ * كَعُزَّةٍ يُحْيِي حِينَ يُذَكَّرُ جَعْفَرُ
وكقول المتنبي :

نودّعهم والبين فينا كأنه * قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق .

وأما براعة الطلب — قال : وهو أن تكون ألفاظ الطلب مقترنة بتعظيم
المدوح، كقول أمية بن أبي الصلت :

أَذْكَرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي * حَيَاؤُكَ إِنِّ شِمْتِكَ الْحَيَاءُ
إِذَا أَثَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا * كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشُّنَاءُ
وكقول المتنبي :

وفى النفس حاجاتٌ وفيك فطانهٌ * سكوته بيانٌ عندها وخطاب .

وأما براعة المقطع — فهو أن يكون آخر الكلام الذى يقف عليه المترسل
أو الخطيب أو الشاعر مستعدبا حسنا، لتبقى لذته فى الأسماع، كقول أبى تمام :

أَبَقْتُ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمَصْفَرِّ كَأَسْمِهِمْ * صُفْرَ الْوَجْهِ وَجَلَّتْ أَوْجَهُ الْعَرَبِ
وكقول المتنبي :

وَأُعْطِيتَ الَّذِي لَمْ يُعْطَ خَلْقٌ * عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ

وكقول الغزوى :

بَقِيَتْ بَقَاءَ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ * وَهَذَا دَعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلٌ .

وأما السؤال والجواب — فهو كقول أبي فراس :

لك جسمي تُعَلِّه * فدمي لم تَطْلُه^(١) ؟
قال إن كنتُ مالكا * فلي الأمرُ كُلُّه

وأمثال ذلك . وقد أوردنا منه في باب الغزل ما فيه كفاية .

٥ وأما صحة الأقسام — فهو عبارة عن استيفاء أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه بحيث لا يغادر منه شيئاً ؛

ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ وليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق ، والطمع في المطر ؛

وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ فلم يبق قسماً من أقسام الهيئات حتى أتى به ؛

١٠ وقوله تعالى : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يَزْوَاجَهُمْ ذُرِّيًّا وَإِنَاءً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾ ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفئيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت" ولا رابع لهذه الأقسام ؛

١٥ ووقف أعرابي على حلقة الحسن البصري فقال : رحم الله من تصدق من فضل ، أو واسبى من كفاف ، أو آثر من قوت ؛ فقال الحسن : ما ترك الأعرابي منكم أحدا حتى عمه بالمسألة ؛

ومن أمثلة هذا الباب في الشعر قولُ بشار :

فراح فريق في الإسار ومِثْلُهُ * قتيل ومِثْلُهُ لاذ بالبحر هاربه

٢٠ (١) في حسن التوسل : « تحله » ومعنى البيت يستقيم على كلتا الروايتين ، وتطله : من طل دمه إذا أهدر ولم يؤخذ بتأره .

وأصله قول عمرو بن الأهتم :

إشربا ما شربتا فهُدَيْلٌ * من قَتِيل وهارب وأسير

ومن جيد صحة الأقسام قول الحماسي :

وهبها كشيء لم يكن أو كإزح * به الدار أو من غيَّبته المقابر

فاستوفى جميع أقسام المعدوم ؛

وقول أبي تمام في الأَفْشِين لما احترق بالنار :

صَلَّى لها حَيًّا وكان وَقودَها * مِيتًا ويَدخلها مع الفَجَّار

ومن قديم ما في ذلك من الشعر قول زهير :

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله * ولكنني عن علم ما في غدٍ عَمِي

ومن النادر في صحة الأقسام قول عمرو بن أبي ربيعة :

تيم إلى نُعم فلا الشَّمْلُ جامعٌ * ولا الحبل موصول ولا أنت مُقصر

ولا قُرْبُ نُعم إن دنت لك نافعٌ * ولا بُعدها يُسلي ولا أنت تصبر .

٥٣

وأما التوشيح - فهو أن يكون معنى الكلام يُدَلُّ على لفظ آخره ، فيتنزل

المعنى منزلة الوشاح ، ويتنزل أوَّل الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يجول

عليهما الوشاح .

وقال قدامة : هو أن يكون في أوَّل البيت معنى إذا علم علمت منه قافية البيت

بشرط أن يكون المعنى المقدم بلفظه من جنس معنى القافية بلفظه ، كقول

الراعي التَّمِيرِي :

(١) كذا ورد هذا التعريف في الأصل وحسن التوسل في النسخة المخطوطة منه المحفوظة بدار الكتب

المصرية تحت رقم ٧٧ أدب ؛ وعبارة قدامة في كتابه نقد الشعراء ص ٦٣ ط الجوائب : هو أن يكون

أوَّل البيت شاهدا بقافيته ومعناها متعلقا به حتى أن الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها إذا سمع

أوَّل البيت عرف آخره وبانت له قافيته .

(١)

فإن وُزِنَ الحصى فوزنت قومي * وجدت حصى ضيريتهم رزينا
فإن السامع إذا فهم أن الشاعر أراد المفاخرة برزاة الحصى ، وعرف القافية
والروى ، علم آخر البيت ؛ ومن أمثله ما حكي عن عمر بن أبي ربيعة أنه أنشد عبد الله
ابن عباس رضى الله عنهما :

* تَسِطُّ غدا دار أحبابنا *

فقال له عبد الله :

* وللدارُ بعد غد أبعدُ *

فقال له عمر : هكذا والله قلتُ ، فقال له عبد الله : وهكذا يكون .

وأما الإيغال — فمعناه أن المتكلم أو الشاعر إذا انتهى إلى آخر القرينة أو البيت

- ١٠ أستخرج سجعاً أو قافيةً تفيد معنى زائدا على معنى الكلام ، وأصله من أوغل
في السير إذا بلغ غاية قصده بسرعة .

وفسره قدامةً بأن قال : هو أن يستكمل الشاعر معنى بيته بتمامه قبل أن

يأتى بقافيته ، فإذا أراد الإتيان بها أفاد معنى زائدا على معنى البيت ، كقول ذى الرمة :

قِفِ العيسَ في آثارِ ميةَ واسألِ * رسوما كأخلاق الرداء المسلسلِ^(٢)

- ١٥ فتتم كلامه قبل القافية ، فلما احتاج إليها أفاد بها معنى زائدا ، وكذلك صنع في البيت
الثاني فقال :

أظنّ الذي يُجِدِي عليك سؤلها * دموعا كتبذير الجمان المفصل

فإنه تمّ كلامه بقوله : كتبذير الجمان ، واحتاج إلى القافية ، فأتى بها تفيد معنى
زائدا لو لم يؤت بها لم يحصل .

٢٠

(١) الضريبة : السجية والطبيعة ، يصفهم برجاجة الحلم وسكون الطبع .

(٢) الثوب المسلسل : الردىء النسج .

وحكى عن الأصمعي أنه سئل عن أشعر الناس فقال : الذى يأتى إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كثيرا ، وينقضى كلامه قبل القافية ، فإن احتاج إليها أفاد بها معنى ، فقليل له : نحو من ؟ فقال : نحو الفاتح لأبواب المعانى أمرى القيس حيث قال :

كأن عيونَ الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجَزَعُ^(١) الذى لم يثَقِّبِ
ونحو زهير حيث يقول :

كأن فُتاتِ العِهنِ فى كلِّ منزل * نزلن به حَبُّ الفِنا لم يحطِّمِ^(٢)
ومن أبلغ ما وقع فى هذا الباب قولُ الخنساء :

وإن صحرا لتأتمَّ العُفاةُ به * كأنه عَلمٌ فى رأسه نار^(٣)

ومنه قول ابن المعتز لابن طباطبا العلوى :

فأتم بنوا بنته دوننا * ونحن بنوا عمه المسلم^(٤)

ومن أمثلة ذلك من شعر المتأخرين قولُ البانحرزى :

أنا فى فؤادك فارم طرفك نحوه * ترنى فقلت لها وأين فؤادى

وقول آخر :

تعجبت من ضنى جسمى فقلت لها * على هواك فقلت عندى الخبر.

(١) الجزع بفتح الجيم وتكسر : الخرز اليماني فيه سواد وبياض تشبه به الأعين .

(٢) ألفنا بالقصر : عنب الثعلب ، الواحد فناة . وفى الأصل : « القنا » بالقاف المثناة ؛ وهو

تحريف .

(٣) فى رواية : « الهداة » كما فى حسن التوسل وغيره ، ومعنى البيت يستقيم على كلتا الروايتين .

(٤) فى الأصل : « فنحن بنوا بيته » وهو تحريف لا يستقيم به معنى البيت ، والتصويب عن حسن

التوسل وغيره من كتب الأدب .

وأما الإشارة — فهي أن يشتمل اللفظ القليل على معان كثيرة بإيحاء إليها،
 وذكر لحة تدلّ عليها، كقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾، ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ
 الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾.

وكقول امرئ القيس:

٥ فإن تهلك شنوءة أو تبدل^(١) * فيسرى إن في عسان خالا
 بعزهمو عززت وإن يذلوا * فذلهمو أنالك ما أنا لا

وكقوله أيضا:

فطل لنا يوم لذيذ بنعمة * فقل في نعيم نحسه منغيب.

وأما التذييل — وهو ضد الإشارة — فهو إعادة الألفاظ المترادفة على

١٠ المعنى الواحد حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكد عند من فهمه، كقوله:
 إذا ما عقدنا له ذمة * شددنا العناج وعقد الكرب^(٢)
 وقول آخر:

ودعوا نزال فكننت أول نازل * وعلام أركبه إذا لم أنزل

ويقرب منه التكرار، كقول عبيد:

١٥ هل لا سألت جموع كـ * سدة يوم ولوا أين أين؟

(١) يريد أزد شنوءة؛ قال ياقوت: شنوءة بالفتح ثم الضم وواو ساكنة ثم همزة مفتوحة وهاء: خلاف بالين بينها وبين صنعاء اثنان وأربعون فرسخا، تنسب إليها قبائل من الأزد يقال لهم: أزد شنوءة. ثم قال: والنسبة اليهم شنوائى؛ قال ابن السكيت: ربما قالوا أزد شنوءة بالتشديد بغير همزة، ينسب اليهم: شنوى.

٢٠ (٢) العناج: جبل يشد في أسفل الدلو العظيمة ثم يشد في العراق. والكرب بالتحريك جبل يشد في وسط العراق ليلي الماء فلا يعفن الحبل الكبير.

وكقول آخر :

وكانت فزارةً تصلى بنا * فأولى فزارةً أولى فزارا.

وأما التريد — فهو أن تعلق لفظة في البيت بمعنى ، ثم تردّها فيه بعينها وتعلّقها بمعنى آخر ،

كما قال زهير :

من يلقَ يوما على عِلاته هَرِما * يلقى السباحة منه والندی خُلُقا

وكقول آخر :

وأحفظ مالى فى الحقوق وإنه * بلجم وإن الدهر جمّ عجائبه

وكقول أبى نواس :

صفراء لا تنزل الأحران ساحتها * لو مسها حجر مسسته سراء .

وأما التفويف — فهو مشتق من الثوب المفوف ، وهو الذى فيه خطوط بيض ، وهو فى الصناعة عبارة عن إتيان المتكلم بمعانٍ شتى من المدح أو الغزل أو غير ذلك من الأغراض ، كلُّ فن فى سبعة منفصلة عن أختها مع تساوى الجمل فى الوزنيّة ، وتكون فى الجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة ؛

فمثال ما جاء منه فى الجمل الطويلة قول النابغة الذبباني :

فله عينا من رأى أهل قبة * أضر لمن عادى وأكثر نافعا

وأعظم أحلاما وأكبر سيّدا * وأفضل مشفوعا إليه وشافعا

ومثال ما جاء منه بالجمل المتوسطة قول أبى الوليد بن زيدون :

تَه أَحتمل ، وأستطل أصبر ، وعزّ آهن * وولّ أقبل ، وقيل أسمع ، ومُرّ أطلع

ومثال ما جاء منه بالجمل القصيرة قول المتنبي :

أقلّ أنلّ أقطع أيل علّ سلّ أعد * زدّهشّ بشّ تفضّل أدنّ سرّ يصل .

وأما التسميم — فهو مأخوذ من البُرد المسهم، وهو المخطَّط الذي لا يتفاوت ولا يختلف، ومنهم من يجعل التسميم والتوشيح شيئاً واحداً، ويُشرك بينهما بالتسوية، والفرق بينهما أن التوشيح لا يدلُّك أوله إلا على القافية فحَسْب، والتسميم تارة يدلُّ على عَجْز البيت، وتارة على ما دون العجز؛

- ٥ وتعرفه أن يتقدّم من الكلام ما يدلُّ على ما يتأخر، تارة بالمعنى، وتارة باللفظ، كأبيات جنّوب أختِ عمرو ذى الكلب، فإن الحدّاق بمعنى الشعر وتأليفه يعلمون أن معنى قولها :

* فَأَقْسَمُ يَا عَمْرُو لَوْ نَبَّاهُكَ *

يقتضى أن يكون تاممه :

- ١٠ * إِذَنْ نَبَّاهُكَ مِنْكَ دَاءٌ عُضَالًا *

دون غيره من القوافي، كما لو قالت مكان «داء عضالا»: لَيْثًا غَضُوبًا، أو أفعَى قَتُولًا، أو سَمًّا وَحِيًّا، أو ما يناسب ذلك، لأن الداء العضال أبلغ من جميع هذه الأشياء وأشد، إذ كلُّ منها يمكن مغالبتها أو التوقُّ منه، والداء العضال لا دواء له، فهذا مما يُعرف بالمعنى؛

- ١٥ وأما ما يدلُّ فيه الأَوَّل على الثَّانِي دِلَالَةً لَفْظِيَّةً فهو قولها بعده :

إِذَنْ نَبَّاهُ لَيْثَ عَرِّيْسَةٍ * مُفِيْتًا مُفِيْدًا نَفُوسًا وَمَالًا

فإن الحدّاق بصناعة الكلام إذا سمع قولها: «مفيتها مفيدا» تتحقّق أن هذا اللفظ يقتضى أن يكون تاممه: «نفسا ومالا»؛ وكذلك قولها :

* فَكُنْتُ النَّهَارَ بِهِ شَمْسَهُ *

- ٢٠ (١) في الأصل: «من قولها»، وقوله «من» زيادة من النسخ.

يقتضى أن يكون [بعده] :^(١)

* وكنت دجى الليل فيه الهللا *
 * وإذا حاربوا أذلوا عزيزا *

ومن ذلك قولُ البحترى :

* وإذا حاربوا أذلوا عزيزا *

يحكم السامع بأن تمامه :

* وإذا سالموا أعزّوا ذليلا *^(٢)

وكذلك قوله :

أحلت دمي من غير جرم وحرّمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامي

* فليس الذي حالته بحلل *
 * وليس الذي حرّمته بحرام * .

يعرف السامع أن تمامه :

* وليس الذي حرّمته بحرام * .

وأما الاستخدام — فهو أن يأتي المتكلم بلفظة لها معنيان، ثم يأتي بلفظتين

يستخدم كل لفظ منهما في معنى من معني تلك اللفظة المتقدمة، وربما آلتبس

الاستخدام بالتورية من كون كل واحد من البابين مفتقرا إلى لفظها معنيان،

والفرق بينهما أن التورية آستعمال أحد المعنيين من اللفظة، وإهمال الآخر،

والاستخدام آستعمالهما معا، ومن أمثله قولُ البحترى :

فَسَقَى الغَضَى والسَّاكِنِيهَ وَإِنْ هَمُو * شَبَّوهُ بَيْنَ جَوَانِحِ وَقُلُوبِ .

(١) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل، والسياق يقتضى إثباتها أخذا من عبارة حسن

التوسل ص ٧١ ط الوهابية وغيره، فإن عبارته : « يقتضى أن يتلوه » .

(٢) في الأصل : « وان » وهو تحريف .

(٣) عبارة الأصل : « من معاني ذلك » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٤) في الأصل : « الناس » ؛ وهو تحريف .

فإن لفظة الغضى محتملة للموضع والشجر، والسقيا صالحة لهما، فلما قال :
« والساكنية » أستعمل أحد معني اللفظ، وهو دلالته بالقرينة على الموضع، ولما
قال : « شَبَّوه » أستعمل المعنى الآخر، وهو دلالته بالقرينة على الشجر؛ ومن ذلك
قول الشاعر :^(١)

إذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وإن كانوا غضابا

أراد بالسماء الغيث، وبضميره النَّبْتَ .

وأما العكس والتبديل — فهو أن يقدم في الكلام أحد جزئيه ثم يؤخره؛
ويقع على وجوه :

منها أن يقع بين طرفي الجملة، كقول بعضهم : عادات السادات، سادات
العادات ؛

ومنها أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين، كقوله تعالى : (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ
الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) ومنه بيت الحماسة :

فردّ شعورهن السود بيضا * وردّ وجوههن البيض سودا ؛

ومنها أن يقع بين كلمتين في طرفي جملتين، كقوله تعالى : (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ
وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لِهِنَّ) وقوله تعالى : (لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لِهِنَّ)
وقول أبي الطيّب :

ولا مجدّ في الدنيا لمن قلّ ماله * ولا مال في الدنيا لمن قلّ مجده .

وأما الرجوع — فهو أن يعود المتكلم على كلامه السابق بالنقض لنكتة
كقول زهير :

قف بالديار التي لم يعفها القدم * بلى وغيّرها الأرواح والديم

(١) هو جرير بن عطية الخطّاني .

(٢) في الأصل : « من » وما أثبتناه عن حسن التوسل .

كأنه لما وقف على الديار عرته روعة ذهل بها عن رؤية ما حصل لها من التغيير
فقال : «لم يعفها القدم» ثم ثاب إليه عقله وتحقق ما هي عليه من الدروس ، فقال :
بلى عفّت وغيرها الأرواح والديم ؛

ومنه بيت الحماسة :

أليس قليلا نظرة إن نظرتها * إليك وكلا ليس منك قليل .^(١)

وأما التغير — فهو أن يغير المتكلم الناس فيما عادتهم أن يمدحوه فيذمه
أو يذموه فيمدحه ؛

فمن ذلك قول أبي تمام يغير جميع الناس في تفضيل التكرم على الكرم :

قد بلونا أبا سعيد حديثا * وبلونا أبا سعيد قديما

فوردناه سائحا وقلبا * ورعيناه بارضا وجميا^(٢)

فعلما أن ليس إلا بشق النفس صار الكريم [يدعى] كريما^(٣)

وهو مغاير لقوله على العادة المألوفة :

لا يتعب النائل المبذول همته * وكيف يتعب عين الناظر النظر

ومنه قول ابن الرومي في تفضيل القلم على السيف :

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الأمم

فالموت والموت لا شيء يعادله * ما زال يتبع ما يجرى به القلم

(١) البيت ليزيد بن الطثرية .

(٢) البارض : أول ما يظهر من نبات الأرض ، والجيم : النبات الكثير ، أو هو ما نهض وانتشر منه .

وفي الأصل : «سنيا» وفي حسن التوسل : «هشيا» ، وهو تحريف في كليهما ، والتصويب عن ديوان

أبي تمام ص ٣٦٠ ط الأدبية .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن ديوان أبي تمام إذ بها يستقيم البيت .

كذا قضى الله للأقلام مذبُرَيْت * أن السيوف لها مذبُرَيْت خَدَم

وغيره المتنبي على الطريق المألوف فقال :

حتى رجعتُ وأقلامي قوائِلُ لى * المجد لل سيف ليس المجد للقلم
اكتب بها أبداً قبل الكِتابِ بنا * فإنما نحن للأسياف كالحَدَم.

- ٥ وأما الطاعة والعصيان — فإنه قال : هذا النوع آستنبطه أبو العلاء المعزى عند نظره في شعر أبي الطيب، وسمّاه بهذه التسمية، وقال : هو أن يريد المتكلم معنى من المعاني التي للبديع فيستعصى عليه لتعدّد دخوله في الوزن الذي هو آخذ فيه فيأتي موضعه بكلامٍ غيره يتضمّن معنى كلامه، ويقوم به وزنه، ويحصل به معنى من البديع غير الذي قصده، كقول المتنبي :

- ١٠ يردّ يدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصى الهوى في طيفها وهو راقد
فإنه أراد أن يقول : يردّ يدا عن ثوبها وهو مستيقظ، حتى إذا قال :

* ويعصى الهوى في طيفها وهو راقد *
يكون في البيت مطابقة، فلم يقطع الوزن، فأتى بقادر في موضع مستيقظ لتضمّنه معناه، فإن القادر لا يكون إلا مستيقظاً وزيادة، فقد عصاه في البيت الطباق وأطاعه الجناس بين قادر وراقد، وهو جناس العكس ؛

١٥

(١) كذا في الأصل وحسن التوسل وشرح الباعونية المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٣ بلاغة؛ وعبارة ابن أبي الإصبع في تحرير التحرير المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٥ بلاغة : « أن يريد المتكلم معنى من معاني البديع » .

(٢) كذا في تحرير التحرير وحسن التوسل . والذي في الأصل : « عن » .

- ٢٠ (٣) كذا في حسن التوسل ص ٧٣ ط الوهية وتحرير التحرير لابن أبي الإصبع . وعبارة الأصل : « فإنه لو أراد » ؛ وقوله : « لو » زيادة من النسخ بدليل قوله فيما سيأتي « فلم يقطع » بإثبات الفاء ؛ على أنه يؤخذ مما سبق في تعريف هذا القسم من قوله : « أن يريد المتكلم » أن التمثيل لا يتم إلا بأن يكون الشاعر قد أراد ذلك بالفعل .

وأُنكرَ ابنُ أبي الإصبع أن يكون هذا الشاهد من باب الطاعة والعصيان ، لأنه كان يمكنه أن يقول عوض قادر : ساهر ، وإنما المتنبى قصد أن يكون في بيته طباقٌ معنويٌّ ، لأن القادر ساهر وزيادة ، إذ ليس كلُّ ساهر قادرا ، وأن يكون فيه جناس العكس .

وقال : إن شاهد الطاعة والعصيان عنده أن تعصيه إقامة الوزن مع إظهار مراده ، فتطبعه لفظة من البدع يتم بها المعنى وتزيده حسنا ، كقول عوف بن مُحلم :
 إن الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

فإنه أراد أن يقول : إن الثمانين قد أحوجت سمعى إلى ترجمان ، فعصاه الوزن وأطاعه لفظة من البدع وهي التميم ، فزادته حسنا وكملت مراده ، وكل التميم من هذا النوع .

وأما التسميط — فهو أن يجعل المتكلم مقاطيع أجزاء البيت أو القرينة على سجع يخالف قافية البيت أو آخر القرينة ، كقول مروان بن أبي حفصة :
 هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا * أجاوبوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
 فإن أجزاء البيت مسجعة على خلاف قافيته فتكون القافية بمنزلة السمط ، والأجزاء المسجعة بمنزلة حبّ العقد .

وأما التشطير — فهو أن يقسم الشاعر بيته شطرين ، ثم يُصرع كل شطر من الشطرين ، ولكنه يأتي بكل شطر من بيته مخالفا لقافية الآخر ، كقول مسلم ابن الوليد :

مُوفٍ على مَهجٍ في يومٍ ذى رَهجٍ * كأنه أجلٌ يسعى إلى أمل
 وكقول أبي تمام :

تدبيرٌ معتصمٌ بالله متقيم * لله مرتقبٌ في الله مرتغب .

وأما التطريز — فهو أن يتبدى الشاعر بذكر جمل من الذوات غير مفصلة
ثم يُخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب تعداد جمل تلك الذوات تعداد
تكرار واتحاد، لاتعداد تغاير، كقول ابن الرومي :

أموركو [بني] خاقان عندي * مَجَابٌ في مَجَابٍ في مَجَابٍ ^(١)
قُرُونٌ في رءوس في وجوه * صِلَابٌ في صِلَابٍ في صِلَابٍ

وكقوله :

وتسقينى وتشرب من رَحِيقٍ * خَلِيقٌ أن يُشَبَّهَ بالخَلِيقِ
كأن الكأس في يدها وفيها * عَقِيقٌ في عَقِيقٍ في عَقِيقٍ .

وأما التوشيع — فهو مشتق من الوشيعَة ، وهي الطريقة في البرد، وكان

- الشاعر أهمل البيت كله إلا آخره ، فأتى فيه بطريقة تُعدُّ من المحاسن ؛ وهو عند
أهل هذه الصناعة أن يأتي المتكلم أو الشاعر بأسم مثنى في حشو العجز ، ثم يأتي بعده
باسمين مفردين هما عين ذلك المثنى ، يكون الآخر منهما قافيةً بيته ، أو سبعة كلامه
كأنهما تفسير لما شاء ، كقول النبي صلى الله عليه وسلم : "يشيب ابن آدم وتشيب فيه
خصلتان : الحرص وطول الأمل"

ومن أمثلة ذلك في النظم قول الشاعر :

أمسى وأصبح من تذكركم وصبا * يرثي لى المُشْفِقان الأهل والولد
قد خدد الدمع خدى من تذكركم * واعتادنى المُضِنان الوجد والكمد
وغاب عن مقلتي نومي لغيتكم * وخانى المُسْعِدان الصبر والجلد
لم يبق غير خفى الروح في جسدى * فدى لك الباقيان الروح والجسد .

- (١) الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ، وقد نقلناها عن حسن التوسل وغيره ، إذ بها يستقيم
الوزن والمعنى . (٢) في الأصل : « بناء » بالباء الموحدة ، وهو محريف .

قال ^(١) ابن أبي الإصبع : وما بما قلته في هذا الباب من بأس ، وهو :
 بي محتان ملام في هوى بهما * رثى لى القاسيان الحُبِّ والحجر
 لولا الشفيقان من أمنية وأسأ ^(٢) * أودى بي المرديان الشوق والفكر
 قال : ويحسن أن يسمى ما في بيتيه مطرف التوشيع ، إذ وقع المثنى في أول
 كل بيت وآخره .

وأما الإغراق — وهو فوق المبالغة ودون الغلو ، ومن أمثله قول ابن المعتز :
 صبنا عليها ظالمين سياطنا * فطارت بها أيدي سراع وأرجل
 فوضع الإغراق من البيت قوله : ظالمين ، يعني أنها استفرغت جهدها في العدو
 فما ضربناها إلا ظلما ، فمن أجل ذلك خرجت من الوحشية إلى الطيرية ؛ ولولم يقل :
 « ظالمين » لما حسن قوله : « فطارت » ولكنه بذكر الظلم صارت الاستعارة كأنها
 حقيقة ، وقد عدت من الإغراق لا المبالغة قول امرئ القيس :
 تتورثها من أذرعات وأهلها * بيثرب أدنى دارها نظراً على .
 وأما الغلو — فمنهم من يجعله هو والإغراق شيئاً واحداً ، ومن شواهد
 قول مهلهل :

فلولا الريح أسمع من بحجر ^(٣) * صليل البيض تُقرع بالذكور ^(٤)

(١) في الأصل وحسن التوسل : « لى » باللام ؛ وما أثبتاه عن تحرير التعبير لابن أبي الإصبع .
 (٢) الأسي بضم الهمزة وكسرهما : جمع أسوة بالضم والكسر أيضاً ، وهي القدوة ، يريد اقتدائه بغيره
 ممن مسهم من المحن ما مسه ، فهو يتأسى بهم فيما ناله منها .
 (٣) أذرعات : بلد بأطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان ، ينسب إليه الخمر ، والنسبة إليه أذرعى .
 (٤) حجر بفتح الحاء : مدينة اليمامة وأم قراها . والبيض بفتح الباء واحده بيضة ، وهي الخوذة
 التي تلبس على الرأس في الحرب ، سميت بذلك لأنها تشبه بيضة النعامة . وأراد بالذكور : السيف ؛
 والذكر من الحديد : أيسه وأشدّه وأجوده .

ومثله قول المتنبي في وصف الأسد :

ورد إذا ورد البحيرة شاربا * بلغ الفرات زئيره والنيل

قالوا : ومن أمثلة الغلو قول المرين تولب في صفة السيف :

تظل تحفر عنه إن ضربت به * بعد الدراعين والساقين والهادي .

- ٥ • وأما القسم — فهو أن يريد الشاعر الحلف على شيء فيأتى في الحلف بما يكون مدحا [له] وما يكسبه نفرا، أو يكون هجاء لغيره، أو وعيدا، أو جاريا مجرى التغزل والترقي؛

فمثال الأول قول مالك بن الأشتر النخعي^(٣) : * بقيت وفري وانحرفت عن العلاء *

وقد تقدم الاستشهاد بهما في النظم ، فإنها تضمنت نفرا له ، ووعيدا لغيره ، وكقول

- ١٠ • أبي علي البصير يعرض بعلي بن الجهم :

أكذبت أحسن ما يظن مؤملي * وعدمت ما شادته لي أسلافي

وعدمت عاداتي التي عودتها * قديما من الإخلاف والإتلاف

وغضضت من ناري ليخفي ضوؤها * وقريت عذرا كاذبا أضيافي

إن لم أشن علي علي^(٤) (غارة) * تضحى قدي في أعين الأشراف

٢٨

- ١٥ • وقد يقسم الشاعر بما يزيد المدوح مدحا، كقول القائل :

إن كان لي أمل سواك أعدته * فكفرت نعمتك التي لا تكفر

(١) الورد من الأسود : ما أشبه لونه لون الورد .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد نقلناها عن حسن التوسل إذ السياق يقتضى إثباتها .

(٣) في الأصل : « كقول » ، والكاف زيادة من النسخ .

٢٠ • (٤) كذا في شرح الباعونية المحفوظة منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٣ بلاغة ؛

والذي في الأصل وحسن التوسل : « خلة » بجاء معجمة بعدها لام ، ولم نجد من معانيه ما يلائم معنى

البيت ، ولعله محرف عن « حملة » بجاء مهملة بعدها مم .

ومما جاء من القسم في النسب قول الشاعر :

فإن لم تكن عندي كعيني ومسمعى * فلا نظرت عيني ولا سمعت أذني

ومما جاء في الغزل قول الآخر :

لاوالذي سلّ من جفنيه سيف ردّى * قُدت له من عذاريه حمائله

ما صارمت مقلتي دمعا ولا وصلت * غمضا ولا سالمت قلبي بلائله .

وأما الاستدراك — فهو على قسمين : قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير

لما أخبر به المتكلم وتوكيد، وقسم لا يتقدمه ذلك ؛ فمن أمثلة الأول قول القائل :

وإخوانٍ تحذثهمو دروعا * فكانوها ولكن للاعادي

وخلتهمو سهاما صائبات * فكانوها ولكن في فؤادي

وقالوا قد صفت منا قلوب^ك * لقد صدقوا ولكن من ودادي

وقول الأرجاني :

غالطنتي إذ كست جسمي صني * كسوة أعزت من الجلد العظاما

ثم قالت أنت عندي في الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما

وأما القسم الثاني الذي لا يتقدم الاستدراك فيه تقرير ولا توكيد فكقول زهير :

أخونقة لا يهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله .

وأما المؤتلفة والمختلفة — فهو أن يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين

فيأتي بهمان مؤتلفة في مدحهما ، ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة

لا يتقص بها الآخر ، فيأتي لأجل الترجيح بهمان تخالف التسوية ، كقول الخنساء

في أخيها وأبيها — وراعت حق الوالد بما لم يتقص الولد --

جَارَى أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهُمَا * يتعاقبان ملاءة الحُضِرِ^(١)
 وَهُمَا وَقَدْ بَرَزَا كَأَنَّهُمَا * صَمْرَانِ [قَدْ] حَطَّأَ إِلَى وَكْرٍ^(٢)
 حَتَّى إِذَا نَزَّتِ الْقُلُوبُ وَقَدْ * لَزَّتْ هُنَاكَ الْعُذْرُ بِالْعُذْرِ^(٣)
 وَعَلَا هَتَافُ النَّاسِ : أَيُّهُمَا * قَالَ الْمُجِيبُ هُنَاكَ : لَا أَدْرِي
 بَرَقَتْ صَحِيفَةٌ وَجِهَ وَالِدِهِ * وَمَضَى عَلَى غُلُوبِهِ يَجْرِي
 أَوْلَى فَأَوْلَى أَنْ يَسَاوِيَهُ * لَوْلَا جَلَالُ السَّنِّ وَالْكِبَرِ

وأول من سبق إلى هذا المعنى زهير حيث قال^(٤) :

هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَلْحَقْ بِسَأَوْهُمَا * عَلَى تَكَالِيفِهِ فَمِثْلُهُ لِحَقَا
 أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهْلٍ * فَمِثْلُ مَا قَدَّمَا مِنْ صَالِحٍ سَبَقَا

وتداوله الناس، فقال أبو نواس :

ثُمَّ جَرَى الْفَضْلُ فَانْتَبَى قَدَمًا * دُونَ مَدَاهُ بِغَيْرِ تَرْهِيْقِ
 فَقِيلَ رَأْسًا سَهْمًا تُرَادُ بِهِ السَّغَايَةُ وَالنَّصْلُ سَابِقُ الْفُوقِ^(٥).

وأما التفريق المفرد - فهو كقول الشاعر :

مَا نَوَّالِ الْغَمَامِ يَوْمَ رُبَيْعٍ * كَنُؤَالِ الْأَمِيرِ يَوْمَ سِنَاءِ

فَنُؤَالِ الْأَمِيرِ بَدْرَةَ عَيْنٍ * وَنَوَّالِ الْغَمَامِ قَطْرَةَ مَاءِ.

(١) الحضر : الارتفاع في العدو .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد نقلناها عن كتب الأدب إذ بها يستقيم الوزن .

(٣) العذر : جمع عذار ، وهو السير الذي يكون على خد الدابة من اللجام .

(٤) عبارة الأصل : «قول زهير» ؛ وكلمة «قول» زيادة من النسخ ، والصواب إسقاطها كما يقتضيه

ما قبله وما بعده من الكلام . وعبارة حسن التوسل : وأول من سبق إلى هذا المعنى زهير بقوله .

(٥) الفوق بضم الفاء ، موضع الوتر من السهم ، واجمع أفواق .

وأما الجمع مع التفريق ^(١) - فهو أن يشبه شيئين بشئ ثم يفرق بين وجهي الاشتباه، كقول الشاعر :

فوجهك كالنار في ضوءها * وقلي كالنار في حرها.

وأما التقسيم المفرد ^(٢) - فهو أن يذكر قسمة ذات جزأين أو أكثر، ثم يضم إلى كل واحد من الأقسام ما يليق به، كقول ربيعة الرقي :

يزيد سليم سالم المال والفتى * فقي الأزدي للأموال غير مسلم
كشأن ما بين اليزيديين في الندى * يزيد سليم والأغر بن حاتم
فهم الفتي الأزدي إتلاف ماله * وهم الفتي القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب التتمام أني هجوته ^(٣) * ولكنني فضلت أهل المكارم

وكقول ابن حيوس :

ثمانية لم تفترق إذ جمعتها * فلا أفتقرت ماذب عن ناظر شفر
يقينك والتقوى، وجودك والغنى * ولنظك والمعنى، وسيفك والنصر ^(٤)

(١) في الأصل : « بالتفريق » وما أثبتناه هو المعبر به في جميع كتب البلاغة ، كما أنه هو الموافق لما سيأتي من قوله : « وأما الجمع مع التقسيم . وقال صاحب التجريد ج ٢ ص ٢٣٨ ط الأميرية نقلا عن عبد الحكيم ما نصه : « أورد كلمة : « مع » إشارة إلى أن المحسن اجتمعها .

(٢) في الأصل : « بالمفرد » ، والباء زيادة من الناسخ اذ لا مقتضى لها في هذه العبارة ، فإن قوله : « المفرد » صفة للتقسيم ، يريد التقسيم المفرد الذي ليس معه جمع كما يدل عليه ما سبق من قوله : « وأما التفريق المفرد » ، أي التفريق الذي ليس معه جمع أيضا . وعبارة حسن التوسل وغيره من كتب البلاغة : « التقسيم المفرد » بدون باء .

(٣) تتم الرجل متممة اذا تردد في التأء فهو تتمم بالفتح . وقال أبو زيد : هو الذي يعجل في الكلام ولا يفهمك .

(٤) في الأصل : « يمينك » ؛ وهو تحريف .

وقول آخر:

للمتمسبي الحاجات جمع بابه * فهذا له فن وهذا له فن
فللخامل العليا، وللعدم الغنى * وللمذنب الرُحْمى، وللخائف الأمن
ويجوز أن يعد هذا من الجمع مع التقسيم .

٥ وأما الجمع مع التقسيم - فهو أن يجمع أموراً كثيرة تحت حكم، ثم يقسم
بعد ذلك، أو يقسم^(١) ثم يجمع، مثال الأول قول المتنبي:
حتى أقام على أرباض نحرشنة * تشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبي ما نكحوا، والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا، والنار ما زرعوا
بجمع في البيت الأول أرض العدو وما فيها من معنى الشقاوة، وذكر التقسيم
في البيت الثاني .

ومثال الثاني قول حسان :

قوم إذا حاربوا ضرتوا عدوهمو * أوحاولوا النفع في أشياهم نفعوا
سبيّة تلك منهم غير محدثة * إن الحوادث فاعلم شرها البدع .

١٥ وأما التزاوج - فهو أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء، كقول
البيحري:

إذا مانهى الناهى وجّحّ بي الهوى * أصاغت إلى الواشى فلاجها الهجر .

وأما السلب والإيجاب - فهو أن يوقع [الكلام]^(٢) على نفي شئ وإثباته
في بيت واحد، كقوله :

(١) في الأصل : « ويقسم » ، والمقام يقتضى العطف بأو .

٢٠ (٢) نحرشنة بفتح الخاء وسكون الراء : بلد قرب ملطية من بلاد الروم .

(٣) الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

وُنَكِرَ إِنْ شَتْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ * وَلَا يُنَكِّرُونَ الْقَوْلَ حِينَ يَقُولُ

وَكَقَوْلِ الشَّمَاخِ :

هَضِيمِ الْحَشِيِّ لَا يَمْلَأُ الْكَفَّ خَصْرَهَا * وَيَمْلَأُ مِنْهَا كُلَّ حَجَلٍ وَدُمْلُجٍ ^(١).

وَأَمَّا الْأَطْرَادُ - فَهُوَ أَنْ يَطْرُدَ الشَّاعِرُ أَسْمَاءَ مِتَّالِيَةِ زَيْدِ الْمَدُوحِ بِهَا

تَعْرِيفًا، لِأَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا أَسْمَاءَ آبَائِهِ تَأْتِي مَنْسُوقَةً غَيْرَ مَنْقُوعَةٍ مِنْ غَيْرِ ظَهْوَرِ كَلْفَةٍ
عَلَى النَّظْمِ كَأَطْرَادِ الْمَاءِ وَأَنْسَجَامِهِ، وَذَلِكَ كَقَوْلِ الْأَعَشِيِّ ^(٢) :

أَقَيْسُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ * وَأَنْتَ الَّذِي تَرْجُو حِبَاءَكَ وَأَنْتَ لُ

وَكَقَوْلِ دُرَيْدٍ :

قَتَلْنَا بَعْدَ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ * ذُوَابَ بْنِ أَسْمَاءِ بْنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبِ

وَهَذَا أَحْسَنُ مِنَ الْأَوَّلِ، لِأَطْرَادِ الْأَسْمَاءِ فِي حَجَزِ الْبَيْتِ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ : وَقَدْ أَرَبَى عَلَى هَؤُلَاءِ بَعْضُ الْقَائِلِينَ حَيْثُ قَالَ :

مَنْ يَكُنْ رَامَ حَاجَةً بَعُدَتْ عِنْدَ * مَهْ وَأَعَيْتَ عَلَيْهِ كَلَّ الْعِيَاءِ

فَلَهَا أَحْمَدُ الْمَرْجِيُّ ابْنُ يُحْيَى بـ * مِنْ مُعَاذِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ رَجَاءِ

لَوْ لَمْ يَقَعْ فِيهِ الْفَصْلُ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ بِلَفْظَةِ الْمَرْجِيِّ .

وَمِنْهُ مَا كَتَبَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الدِّينُ بْنُ الظَّهِيرِ الْحَنْفِيُّ عَلَى إِجَازَةِ :

أَجَازَ مَا قَدْ سَأَلُوا * بِشَرَطِ أَهْلِ السَّنَدِ

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بـ * مِنْ عَمْرَ بْنِ أَحْمَدَ

فَلَمْ يَفْصَلْ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ فِي الْبَيْتِ بِلَفْظَةِ أَجْنَبِيَّةٍ . ^(٣)

(١) الجَل : الخَلْخَالُ . وَالدَّمْلُجُ وَالدَّمْلُوجُ : الْمُعْضَدُ مِنَ الْحَلِيِّ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَاسْتَحَابَهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « يَدْخُلُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ثُبُوتُ الْبَاءِ فِي قَوْلِهِ بَعْدَ :

« بِلَفْظِهِ » وَقَوْلُهُ فِيمَا سَبَقَ : « لَوْ لَمْ يَقَعْ فِيهِ الْفَصْلُ » .

وأما التجريد — فهو أن يتترع الشاعر أو المتكلم من أمر ذي صفة أمرا آخر
مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه؛ وهو أقسام : منها نحو قولهم : لي [من] فلان^(١)
صديقٌ حميم ، أى بلغ من الصداقة حداً صحَّ معه أن يُستخلص منه صديقٌ آخر ؛

ومنها نحو قولهم : لئن سألت لتسألنَّ به البحر ، ومنه قول الشاعر :

وشوّهاء تعدوبى إلى صارخ الوغى * بمستلئمٍ مثلِ الفَيِّيقِ المُرَحَّلِ
أى تعدوبى ومعى من استعدادى للحرب لايسُ لأمة ؛

ومنها نحو قوله تعالى : ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ لأن جهنم — أعادنا الله منها —
هى دار الخلد، لكن أنترع منها مثلها وجعل فيها معدّاً للكفار تهويلاً لأمرها ؛
ومنها نحو قول الحماسي :

فلئن بقيت لأرحلنَّ بغزوة * نحو الغنائم أو يموت كريم
وعليه قراءة من قرأ : ﴿فَإِذَا أَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدَّهَانِ﴾ بالرفع ، بمعنى
فخصلت سماءٌ وردةٌ ، وقيل : تقدير الأول أو يموت منى كريم ، والثانى : فكانت
منها وردةٌ كالدّهان ، وفيه نظر ؛
ومنها نحو قوله :

ياخير من يركب المطى ولا * يشرب كأساً بكفّ من بخلا
ونحو قولي الآخر :

إن تلقنى — لا ترى غيرى يناظره — * تنس السلاح وتعرف جبهة الأسد^(٢)
ومنها مخاطبة الإنسان غيره وهو يريد نفسه ، كقول الأعشى :

ودع هريرة إن الركب مرتحل * وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

(١) الزيادة تقتضيا صحة التثنية .

(٢) فى الاصل : « بين » ، وهو تحريف ؛ والتصويب عن حسن التوسل .

وقول المتنبي :

لا خيلَ عندك تُهدِيها ولا مالٌ * فليُسعِدِ النُّطقُ إن لم تسعِدِ الحالُ
ومنه قول الحِصَّصِ بَيَّصَ :

إلام يراك المجد في زِيِّ شاعر * وقد نَحَلتْ شوقا فروع المنابر
كَنَمَتَ بصيتِ الشَّعرِ علما وحكمة * ببعضهما يتقاد صعبُ المفاخر
أما وأبيك الخير إنك فارس ال * كلام ومُحِي الدارسات الغوابر.

وأما التكميل — فهو أن يأتي المتكلم أو الشاعر بمعنى من مدح أو غيره من فنون الكَلِمِ وأغراضه ، ثم يرى مدحه بالأقتصار على ذلك المعنى فقط غير كامل ، كمن أراد مدح إنسان بالشجاعة ، ثم رأى الأقتصار عليها دون مدحه بالكرم مثلا غير كامل أو بالبأس دون الحِلْمِ ، ومثال ذلك قولُ كعب بن سعد الغنَوِيِّ :

حَلِيمٌ إذا ما ألحِمَ زَيْنَ أهله * مع الحِلْمِ في عين العدو مهيب
قوله : " إذا ما الحِلْمُ زَيْنَ أهله " احتراس لولاه لكان المدح مدخولا ، إذ بعض التغاضي قد يكون عن عَجْزٍ ، وإنما يزين الحِلْمُ أهله إذا كان عن قدرة ، ثم رأى أن يكون مدحه بالحلم وحده غير كامل ، لأنه إذا لم يُعَرَفْ منه إلا الحِلْمُ طَمَعَ فيه عدوه فقال : « في عين العدو مهيب » ؛ ومنه قول السَّمِوعِ بنِ عادِياءَ :

وما مات منا سيّد في فراشه * ولا طُلَّ منا حيث كان قتيل
لأت صدر البيت [وإن] تَصَمَّنَ وصفهم بالإقدام والصبر بما أوهم العجز^(٣)

١٥

(١) كذا في الأصل . يريد : ثم اعتقد كون مدحه الخ وعلى هذا التفسير لا يحتاج فعل « رأى » الى مفعول ثان . وعبرة حسن التوسل : « ثم رأى أن مدحه » الخ والمعنى عليه يستقيم أيضا .
(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، واستقامة العبارة تقتضى إثباتها ؛ انظر حسن التوسل .
(٣) عبارة الأصل : « فيا أوهم الفخر » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(١) [لأن] قتل الجميع يدل على الوهن والقلة فكلمه بأخذهم للنار، وكلم حسنه بقوله :
 "حيث كان" فإنه أبلغ في الشجاعة؛ ومن ذلك في النسيب قول كثير :
 لو أن عزة حاكت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها
 لأن قوله : "عند موفق" تكميل للمعنى ، إذ ليس كل من يحاكم إليه موقفاً ، ومنه
 قول المتنبي :

أشدُّ من الرياح الهوج بطشا * وأسرع في الندى منها هبوبا .

وأما المناسبة — فهي على ضربين : مناسبة في المعنى ، ومناسبة في الألفاظ

فالمعنوية أن يتبدى المتكلم بمعنى ، ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ ، كقوله
 تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنْ
 فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
 ١٠ بِهِ زُرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ فقال تعالى في صدر الآية التي
 الموعظة فيها سمعية : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ ، وقال بعد ذكر الموعظة : ﴿ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾
 وقال في صدر الآية التي موعظتها مرئية : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ وقال بعد الموعظة :
 ﴿ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

ومن أمثلة المناسبة المعنوية قول المتنبي :

١٥

على سابع موج المنايا بنخره * غداة كأت النبل في صدره وبلى

فإن بين لفظة السباحة ولفظتى الموج والوبل تناسباً صار البيت به متلاحماً ، وقول

ابن رشيق :

أصح وأقوى مارويناه في الندى * من الخبر المأثور منذ قديم

٢٠

(١) التكملة عن حسن التوسل ، واستقامة العبارة تقتضى إثباتها .

أحاديثُ تروِيها السيولُ عن الحي * عن البحر عن جُود الأمير تميم
فإنه وَقَّى المناسبةَ حَقَّها في صحَّة العنَّنة برواية السيول عن الحي عن البحر، وجَعَلَ
الغاية فيها جُودَ الممدوح .

والمناسبة اللفظية : تَوَخَّى الإتيان بكلمات مترنات، وهي على ضربين : تامة
وغير تامة

فالتامة : أن تكون الكلمات مع الأتزان مقفاة، فمن شواهد التامة قوله تعالى :
(لَبَّ وَاقِلِمَ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ)
ومن الحديث النبوي - صلاة الله وسلامه على قائله - قولُ النبي صلى الله عليه وسلم
للحسن والحسين - رضى الله عنهما - : " أعيدُ كما بكلمات الله التامة ، من كل
شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة " ولم يقل : « مامة » وهي القياس لمكان المناسبة
اللفظية التامة ؛

ومن شواهد الناقصة قوله صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ
وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجَالِسَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوْطَّؤُونَ أَكْفَافًا »

ومما جمع بين المناسبتين قوله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةَ تَهْدِي
بِهَا قَلْبِي، وَتَجْعَلُ بِهَا أَمْرِي، وَتَلُمَّ بِهَا شَعْتِي، وَتُصَلِّحَ بِهَا غَايَتِي، وَتَرْفَعَ بِهَا شَاهِدِي، وَتَزَكِّيَّ
بِهَا عَمَلِي، وَتُلْهِمَنِي بِهَا رُشْدِي، وَتَرُدَّ بِهَا أَلْفَتِي، وَتَعَصِّمَنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ، اللَّهُمَّ
إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَوْنَ فِي الْقَضَاءِ، وَنُزْلَ الشَّهْدَاءِ، وَعَيْشَ السَّعْدَاءِ، وَالنَّصَرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ،
فَنَاسِبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ قَلْبِي وَأَمْرِي، وَغَايَتِي وَشَاهِدِي مَنَاسِبَةً غَيْرَ تَامَةٍ، لِأَنَّهَا
فِي الرِّزَّةِ دُونَ التَّقْفِيَةِ، وَنَاسِبَ بَيْنَ الْقَضَاءِ وَالشَّهْدَاءِ وَالسَّعْدَاءِ وَالْأَعْدَاءِ مَنَاسِبَةً تَامَةً
فِي الرِّزَّةِ وَالتَّقْفِيَةِ؛

ومن أمثلة المناسبتين قول أبي تمام :

مَهَا الْوَحِشُ إِلَّا أَنْ هَاتَا وَأَوَّسٌ * قَنَا الْخَطُّ إِلَّا أَنْ تَلَّكَ ذَوَابِلُ

فناسب بين مَهَا وقَنَا مناسبة تامّة ، وناسب بين الوحش والخط ، وأونس وذوابل مناسبة غير تامّة .

وأما التفرّيع — فهو أن يُصدّر المتكلم أو الشاعر كلامه باسم منفيّ بـ"مَا" خاصة ، ثم يصف الاسم المنفيّ بمُعْظَم أو صافه اللاتقة به في الحسن أو القبح ، ثم يجعله أصلاً يُفْرَعُ منه جملةً من جارٍّ ومجرورٍ متعلّقة [به] ^(٢) تعلق مدح أو هجاء أو غير أو نسيب أو غير ذلك ، يُفهم من ذلك مساواة المذكور بالاسم المنفيّ الموصوف كقول الأعشى :

١٠ ماروضةٌ من رياض الحزنِ مُعْشِبَةٌ * خضراءُ جادَ عليها مُسْبِلٌ هِطْلُ
يضاحك الشمس منها كوكب شَرِقٌ * مؤزَّرٌ بعَمِيمِ النَّبْتِ مَكْتَهْلُ
يوما بأطيب منها طيب رَأْحَةٍ * ولا بأحسن منها إذ دنا الأُصْلُ
وقول عاتكة المريّة :

١٥ وما طعم ماء أي ماء تقوله * تحَدَّرَ من غُرٍّ طَوَالِ الذَّوَابِلِ
بمنعرجٍ من بطنٍ وادٍ تقابلت * عليه رياحُ الصيفِ من كلِّ جانبِ

(١) يريد خط عمان ، وهو الذي تنسب إليه الرماح الخطية ، قال ابن سيده : الخط سيف البحرين

وعمان .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن حسن التوسل ص ٨٠ ط الوهية .

(٣) كوكب الروضة : نورها . قال في التهذيب : الكوكب معروف من كواكب السماء ، ويشبه به

النور فيسمى كوكبا . انظر اللسان مادة كوكب .

٢٠

(٤) كذا في الأصل وزهر الآداب ج ١ ص ١٦٧ ط الرحمانية ؛ وعبارة حسن التوسل :

« بعزلة » والمعنى يستقيم دلي كلتا الروايتين .

نَفَتْ جَرِيَّةُ الْمَاءِ الْقَذَى عَنْ مُتُونِهِ * فَلَيْسَ بِهِ عَيْبٌ تَرَاهُ لِعَائِبٍ
بِأَطْيَبَ مَنْ يَقْصِرُ الطَّرْفَ دُونَهُ * تَقَى اللَّهَ وَأَسْتَحْيَاءُ بَعْضِ الْعَوَاقِبِ
وقد وقع الأصل والفرع لأبى تمام في بيت واحد، وهو :
مَارِعَ مِيَّةَ مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ * غَيْلَانُ أَهْبَى رَبًّا مِنْ رَبِّعِهَا الْخَرْبِ
ولا الخدودُ وإن أُدْمِينَ مِنْ نَجَلٍ * أَشْمَى إِلَى نَاطِرِي مِنْ خَدَّهَا التَّرِبِ
ومما ورد في النثر رسالةُ أبنِ التَّمِيمِ التي كتبها إلى سبيل بن أحمد صاحبِ صنعاء :
وأما حال عبده بعد فراقه في الجلد، فما أتم تسعة من الولد؛ ذكور، كأنهم عقبانُ
وكور، اختُرِمَ منهم ثمانية، فهي على التاسع حانية، فنادى النذير في البادية، ياللعادية
ياللعادية، فلما سمعتُ الداعي، ورأت الخيل سواعي، أقبلت تنادى ولدها :

الآنأة الأناة، وهو يناديها : القنأة القنأة

بَطَّلُ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ * يُحْدِي نَعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بَتَوَامٍ^(٣)

فلما رمقته يخال في غُضُونِ الزَّرْدِ الْمَوْضُونِ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

أَسَدٌ أَضْبَطُ يَمْشِي * بَيْنَ طَرْفَاءَ وَغَيْلٍ^(٥)

لَيْسُهُ مِنْ نَسِجِ دَاوٍ * دَكْضَحْضَاحِ الْمَسِيلِ^(٦)

(١) في الأصل : « الكراعي » ؛ وهو تحريف .

(٢) السرحة : واحدة السرح ، وهو ما عظم وطال من الشجر ، يريد وصفه بطول القامة وخطامة الجسم والبيت لعنترة العبدي .

(٣) السبت بكسر السين : الجلد المدبوغ ، وفي المصباح أنه يقال : نعل سبتية : أي لا شعر فيها .

(٤) الموضون : المنسوج حلقتين حلقتين ، أو هو المقارب النسيج .

(٥) الطرفاء : من الغضاه ، وله هذب كهذب الأثل ، وليس له خشب ، وإنما يخرج عصيا سمحة في السماء ، وقد تخمض به الإبل إذا لم تجد حمضا غيره . والغيل بكسر الغين وتفتح : الشجر الكثير الملتف ، أو هو جماعة القصب والحقاء .

(٦) الضحضاح والضحضح : الماء الذي لا غرق فيه ، شبه الدرع به في بريقه واطراد مثنه .

عَرَضَ له في البادية أَسَدٌ هَصُورٌ، كَأَنَّ ذِرَاعَهُ مَسَدٌ مَعْصُورٌ

فَتَطَاعَنَا وَتَوَاقَفْتُ خِيَلَهُمَا * وَكِلَاهُمَا بَطْلُ اللَّذَاءِ مَقْنَعٌ

فلما سمعت الرِّعِيلَ ، برزت من الصرم بصبر قد عِيلَ^(١) ؛ فسألت عن الواحد
فَقِيلَ : لِحَدِّهِ الْأَحَدُ^(٢)

فَكَرَّتْ تَبْتِغِيهِ فِصَادْفَتُهُ * عَلَى دِمِهِ وَمَصْرَعِهِ السَّبَاعَا

عَبَسَ بِهِ فَلَمْ يَتْرُكْ إِلَّا * أَدِيمًا قَدْ تَمَزَّقَ أَوْ كُرَاعَا

بَأَشَدِّ مِنْ عِبْدِهِ تَأْسُفًا ، وَلَا أَعْظَمَ كَمْدًا وَتَلْهَفًا .

قال : وذ كر ابن أبي الإصبع في التفريع قسما ذكره في صدر الباب ، وقال :

إنه هو الذي أستخرجه ، وهو أن يتبدى الشاعر بلفظة هي إما اسم أو صفة ، ثم

١٠ يكررها في البيت مضافة إلى أسماء وصفات تتفرع عليها جملة من المعاني في المدح
وغيره ، كقول المتنبي :

أَنَا بِنُ اللَّقَاءِ أَنَا بِنُ السَّخَاءِ * أَنَا بِنُ الضَّرَابِ أَنَا بِنُ الطَّعَانِ

أَنَا بِنُ الْفِيصَانِ أَنَا بِنُ الْقَوَافِ * أَنَا بِنُ السَّرُوجِ أَنَا بِنُ الرِّعَانِ^(٣)

طَوِيلُ النَّجَادِ طَوِيلُ الْعِمَادِ * طَوِيلُ الْقِنَاةِ طَوِيلُ السَّنَانِ

١٥ حَدِيدُ اللَّحَاطِ حَدِيدُ الْحِفَاطِ * حَدِيدُ الْحَسَامِ حَدِيدُ الْجَنَانِ .

(١) الصرم بكسر الصاد : الجماعة .

(٢) في الأصل : « الملاحد » ، والميم زيادة من الناسخ .

(٣) الرعان : أنوف الجبال المتقدمة منها ، واحده رعن ؛ يريد أنه لكثرة قطعه للجبال وسلوكه فيها

ومعرفته بشعابها كأنه ابن لها .

وأما نفي الشيء بإيجابه - فهو أن يُثبت المتكلم شيئاً في ظاهر كلامه
ويُنفي ما هو [من] سببه مجازاً ، والمنفى في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبتته
كقول امرئ القيس :

على لاحب لا يُهتدى بمناره * إذا سافه العودُ النَّبَاطِيَّ جَرَجَرًا^(٢)

فظاهر هذا الكلام يَقْتَضِي إثبات منار لهذه الطريق ، ونفي الهداية به مجازاً^(٣)
وباطنه في الحقيقة يَقْتَضِي نفي المنار جملة ، والمعنى أن هذه الطريق لو كان لها منار
ما أهتدى به ، فكيف ولا منار لها ، كما تقول لمن تريد أن تسلبه الخير : ما أقل
خيرك ! فظاهر كلامك يدل على إثبات خير قليل ، وباطنه نفي الخير كثيره وقليله .

وقول الزبير بن عبد المطلب يمدح حُمَيْلَةَ بن عبد الدار - وكان نديماً له - :

صَحِبْتُ بِهِمْ طَلْقًا يَرِاحُ إِلَى النَّدَى * إِذَا مَا أَنْتَشَى لَمْ تَحْتَضِرْهُ مَفَاقِرُهُ

ضعيف بَحَثِ الكَأْسِ قَبْضُ بَنَانِهِ * كَلِيلِ عَلَى وَجْهِ النَّسِيمِ أَظَافِرُهُ^(٥)

فظاهر هذا أن للمدوح مفاقر لم تحتضره إذا انتشى ، وأن له أظافر يَحْمِشُ بها وجهه
نديمه نَحْمَشًا ضعيفاً ، وباطن الكلام في الحقيقة نفي المفاقر جملة ، والأظافر بتة .

(١) في الأصل : « ما هو سببه » بسقوط « من » وقد أثبتناها عن حسن التوسل وغيره .

(٢) في الأصل : « سافه » بالقاف المثناة ، وهو تحريف ، ولا معنى له يناسب السياق ، والتصويب
عن شرح ديوان امرئ القيس . وسافه : شمه . والعود : الجمل المسنن . وجرجر : رغا ، وإنما يرغو
الجمل لمعرفة بعد الطريق .

(٣) وردت هذه العبارة في الأصل هكذا : « ونفي بد الهداية » وفيها قلب وتحريف لا يستقيم بهما
المعنى ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا . انظر تحوير التحبير لابن أبي الإصبع المحفوظ منه نسخة مخطوطة
بدار الكتب المصرية برقم ٤٦٥ بلاغة .

(٤) هذه نسبة إلى جده ، أما أبوه فهو السباق بن عبد الدار . انظر المتقضب من جهمرة النسب
لياقوت المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٨٥ تاريخ .

(٥) في الأصل : « بحيث الكأس فضل » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ، والتصويب عن
حسن التوسل . وفي تحوير التحبير : « فيض » بقاء موحدة بعدها ياء مثناة ؛ وهو تحريف .

وأما الإيداع — قال : وأكثر الناس يجعلونه من باب التضمين ، وهو منه إلا أنه مخصوص بالنثر، وبأن يكون المودع نصف بيت ، إما صدرا أو عجزا فإنه قول على رضى الله عنه في جواب كتاب معاوية :

ثم زعمت أنى لكل الخلفاء حسدت ، وعلى كلهم بغيت ، فإن يكن ذلك كذلك فلم تكن الجناية عليك ، حتى تكون المَعْدِرَةُ إليك * وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها * ٥

وأما الإدماج — فهو أن يُدمج المتكلم غرضاً له في جملة معنى من المعانى قد نحاه ليوهم السامع أنه لم يقصده ، وإنما عَرَضَ في كلامه لتتمة معناه الذى قصده ، كقول عبيد الله بن عبد الله لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين وَزَرَ للعضد — وكان ابن عبيد الله قد آخَلَّتْ حاله ^(١) — فكتب الى ابن سليمان :

أبى دهرنا إسعافنا فى نفوسنا * وأسعفنا فىمن نُحِبُّ ونكرم
فقلت له نَعْمَاك فىهم أئمتها * ودع أمرنا إن المهم المقدم
فأدج شكوى الزمان فى ضمن التهنية ، وتلطّف فى المسألة مع صيانة نفسه عن التصريح بالسؤال .

وأما سلامة الاختراع — فهو أن يَخْتَرِعَ الشاعر معنى لم يُسبق اليه ولم يتبعه أحد فيه ، كقول عنترة فى الذباب :

هَزِنَ جَا يُحِكُّ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ * قَدَحَ ^(٢) الْمِكَبِّ عَلَى الزنَادِ الْأَجْدِمِ
وكقول عدى بن الرقاع فى تشبيه ولد الظبية :

تُرْجَى أَعْرَبَ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ * قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مَدَادَهَا

(١) عبارة الأصل : « كقول عبد الله بن عبيد الله لعبد الله » الخ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا انظر معاهد النصيب ص ٤٠٢ ط بولاق ، ووفيات الأعيان ترجمة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر .
(٢) فى الاصل : « كقدح » ، والكاف زيادة من الناصح .

وكقول النابغة في وصف النسور :

تراهن خلف القوم زورا عيونها * جلوس الشيوخ في مسوك الأراب^(٢)
وكقول أبي تمام :

لا تتكرى عطل الكريم من الغنى * فالسيل حرب للكان العالى
وقوله :

ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا * إن السماء تُرجى حين تتحجب
وقول ابن حجاج :

وإنى والمولى الذى أنا عبده * طريفان فى أمر له طرفان^(٤)
بعيدا ترانى منه أقرب ما ترى * كأنى يوم العيد فى رمضان.

وأما حسن الأتباع — فهو أن يأتى المتكلم إلى معنى قد اخترعه غيره
فيُتبعه فيه أتباعا يوجب له استحقيقه ، إما باختصار لفظه ، أو قصر وزنه
أو عذوبة نظمه ، أو سهولة سبكه ، أو إيضاح معناه ، أو نتميم قصه ، أو تحليته
بما توجه الصناعة ، أو بغير ذلك من وجوه الاستحقاقات ؛
كقول شاعر جاهلي في صفة جمل :

وعود قليل الذنب عاودت ضربه * إذا هاج شوقى من معاهدها ذكر

(١) كذا فى تحرير التحبير لابن أبى الإصبع . وهو جمع أزور ، والأزور الناظر بؤخر عينيه .
والذى فى الأصل : « زرقا » ؛ وهو تحريف .

(٢) المسوك : الجلود ، واحده مسك بفتح الميم .

(٣) فى الأصل وحسن التوسل : « ترانى » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه قوله بعد :

« طريفان » ببايئات الألف ؛ وانظر تحرير التحبير لابن أبى الإصبع .

(٤) فى الأصل : « طريفان » بالطاء المعجمة ؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « مسكة » ؛ وهو تحريف .

وقلت له ذلفاءً ويحك سببت * لك الضرب فأصبر إن عادتك الصبر
فأحسن ابن المعتز أتباعه حيث قال يصف خيله :

وخيل طواها القود حتى كأنها * أنا يئب سمر من قنا الخط ذبيل^(١)

صَبَبْنَا عَلِيهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنَا * فطارت بها أيدٍ سراعٍ وأرجل

وأتبع أبو نواس جريرا في قوله :

إذا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ * حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ وُغَضَابَا

فقال أبو نواس — ونقل المعنى من الفخر إلى المدح — :

وليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وقول الثميري في أخت الحجاج :

فهن اللواتي إن برزن قتلني * وإن غبن قطعن الحشى حسرات

فأتبعه ابن الرومي فقال :

ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت * وقع السهام ونزعهن أليم .

وأما الذم في معرض المدح — فهو أن يقصد المتكلم ذم إنسان فيأتي

بالفاظ موجّهة ، ظاهرها المدح ، وباطنها القّدح ، فيؤهم أنه يمدحه وهو يهجوّه

كقول بعضهم في الشريف بن الشّجّريّ :

يا سيدي والذي يعينك من * نظم قريض يصدا به الفكر

ما فيك من جدك النبيّ سوى * أنك لا ينبغي لك الشعر .

وأما العُنوان — فهو أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر

أو مدح أو هجاء أو غير ذلك ، ثم يأتي لقصد تكميله بالفاظ تكون عنواناً لأخبار

متقدّمة ، وقصص سالفة ، كقول أبي نواس :

(١) كذا في الأصل . وفي حسن التوسل : « السير » ؛ والمعنى يستقيم على كلنا الروايتين .

يا هاشم بن حديج ليس نخركمو * بقتل صهر رسول الله بالسدد
أدرجتمو في إهاب العير جثته * لبئس ما قدمت أيديكو لغد
إن تقتلوا ابن أبي بكر فقد قتلت * حُجراً بدارة ملحوب بنو أسد^(١)
ويوم قلتم لعمر وهو يقتلكم * قتل الكلاب لقد أبرحت من ولد
ورب كندية قالت لجارتها * والدمع ينهل من مثنى ومن وحد^(٢)
ألهى أمراً القيس تشيب بغانية * عن ثاره وصفات النوى والوتد

فقد أتى أبو نواس في هذه الأبيات بعدة عنوانات : منها قصة قتل محمد بن
أبي بكر، وقتل حُجْرِ أبي امرئ القيس، وقتل عمرو بن هند كندة في ضمن هجو من أراد
هجوّه، وغير المهجّو بما أشار إليه من الأخبار الدالة على هجاء قبيلته ؛

ومثل ذلك قول أبي تمام في استعطاف مالك بن طوق على قومه :
رفدوك في يوم الكلاب وشققوا * فيه المزاد بحفصل غلاب^(٤)
وهو بعين أباغ راشوا للعدا * سهميك عند الحارث الحزّاب^(٦)

(١) في الأصل : « مكحون » ؛ وهو تحريف . وملحوب : اسم ماء لأسد بن خزيمة .
(٢) في الأصل : « شتى » ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « ومعة الهجو » وهو غير مستقيم ؛ والتصويب عن حسن التوسل .

(٤) الكلاب بضم الكاف : واد يسلك بين ظهري هبلان ، وفيه كان الكلاب الأول والكلاب الثاني
من أيام العرب المشهورة ، فأما الكلاب الأول فقد كان بين شرحبيل بن الحارث وأخيه سلمة ، ومع شرحبيل
بكر بن وائل وبني حفظة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، ومع أخيه سلمة بن قيس . وأما الكلاب الثاني
فكان بين بني سعد والرباب وبين بني الحارث بن كعب . وقال في اللسان مادة « كلب » نقلا عن أبي عبيد :
كلاب الأول وكلاب الثاني : يومان كانا بين ملوك كندة وبني تميم . وأشار بقوله : « وشققوا فيه المزاد »
إلى ما فعله السفاح في هذا اليوم ، وهو أنه ظمأ خيله وسفح ما في أسقية أصحابه ، وقال : « لا ماء لكم دون
الكلاب ؛ والسفاح ، هو مسلمة بن خالد بن كعب من بني حبيب بضم الحاء المهمله بن عمرو بن غنم بن تغلب .
(٥) في الأصل : « كلاب » بالكاف ؛ وهو تحريف ، والتصويب عن ديوان أبي تمام .

(٦) عين أباغ بضم الهزبة وفتحها : واد وراء الأنبار على طريق القرات إلى الشام ، وكان عندها
في الجاهلية يوم لهم بين ملوك غسان ملوك الشام ، وملوك نلم ملوك الحيرة ، قتل فيه المنذر بن المنذر بن امرئ
القيس اللخمي .

وليامي التُّرَّار والحشاك قد * جلبوا الجياد لواحق الأقراب^(٢)
ففضت كهُولهمو ودبر أمرهم * أحادتهم تدير غير صواب

وقال بعد ذلك :

لك في رسول الله أعظم أسوة * وأجلها في سنة وكتاب
أعطى المؤلفة القلوب رضاهمو * [كَمَلًا] وردَّ أخاند الأحراب^(٣)
والجعفر يون استقلت طُعْمهم * عن قومهم وهمونجوم كلاب
حتى إذا أخذ الفراق بقسطه * منهم وشط بهم عن الأحياب
ورأوا بلاد الله قد لفظتهمو * أكافها رجعوا إلى جَوَاب
فأتوا كريم الحليم مثلك صاحبا * عن ذكر أحتقاد وذكري ضباب^(٤)

- ١٠ فانظر الى ما أتى به أبو تمام في هذه الأبيات من العنوانات من السيرة النبوية وأيام العرب ، وأخبار بني جعفر بن كلاب ، ورجوعهم الى ابن عمهم جَوَاب ، وكفوله أيضا لأحمد بن أبي دؤاد :

(١) التُّرَّار : واد عظيم بالجزيرة يمد إذا كثرت الأمطار ، فأما في الصيف فليس فيه إلا منافع ومياه حامية وعيون قليلة ، وهو في البرية بين سنجار وتكريت ، وكان في القديم منازل بكر بن وائل واختص بأكثره بنو تغلب . والحشاك : هو تل عبدة ، كانت فيه وقعة تغلب على قيس .

١٥

(٢) لواحق الأقراب : أى ضمير الحصور .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن ديوان أبي تمام ، وبها يستقيم الوزن . والأخاند : جمع أخيدة ، وهو فعيلة بمعنى مفعولة ، ولم يرد بالأحزاب هنا من شهدوا غزوة الخندق من المشركين واليهود كما هو المعنى المشهور لهذا اللفظ ، فإنه لم يرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ منهم أخاند ثم ردها ولكنه ردَّ أخاند هوازن يوم حنين ، وإذن فراده بلفظ «الأحزاب» المعنى العام ، وهو كل من تحزب على الإسلام ، كما يستفاد ذلك من شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي وغيره من كتب السيرة .

٢٠

(٤) في الديوان : « مضت » ؛ ومعنى البيت يستقيم على كنا الروايتين . والضباب : الأحقاد

واحدة ضب بفتح الضاد وتكسر .

تَبَّتْ إِنْ قَوْلَا كَانَ زُورًا * أْتَى النِّعْمَانَ قَبْلَكَ عَنْ زِيَادٍ
 وَأَرَّثَ بَيْنَ حَيٍّ بَنِي جُلَاحٍ * لَطَى حَرْبَ وَحْيٍ بَنِي مَصَادٍ^(١)
 وَغَادَرَ فِي صَدُورِ الدَّهْرِ قَتْلِي * بَنِي بَدْرِ عَلَى ذَاتِ الإِصَادِ^(٢)

فأتى بعنوان يشير به الى قصة النابغة حين وُشِيَ به الى النعمان، فخر ذلك من الحروب ما تضمنت أبياته .

وأما الإيضاح — وهو أن يذكر المتكلم كلاما في ظاهره لبس، ثم يوضحه في بقية كلامه، كقول الشاعر :

يَذْكُرُنِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ كَلَّهُ * وَقِيلَ الْخَنَا وَالْعِلْمُ وَالْحُمُّ وَالْجَهْلُ

فإن الشاعر لو اقتصر على هذا البيت لأشكَل مراده على السامع بجمعه بين ألفاظ المدح والهجاء، فلما قال بعد :

فَأَلْفَاكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا مَتَزَّهَا * وَأَلْفَاكَ فِي مَحْبُوبِهَا وَلَكَ الْفَضْلُ^(٣)

أوضح المعنى المراد، وأزال اللبس، ورفع الإشكال والشك .

وأما التشكيك — فهو أن يأتي المتكلم في كلامه بلفظة تشكك المخاطب هل هي فضلة أو أصلية لا غنى للكلام عنها؟ مثل قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ﴾ فإن لفظة *بدين* تشكك السامع هل هي فضلة أو أصلية؟ فالضعيف النظر يظنها فضلة لأن لفظة *تدايتم* تعني عنها، والناظر في علم البيان يعلم أنها أصلية

(١) أزث النار: أوقدها .

(٢) هو اسم ماء لطم عليه داحس فرس قيس بن زهير، فكان من ذلك حرب داحس والغبراء، أو هو

رددة في ديار عبس وسط هضب القليب يا قوت .

(٣) في الأصل: «عن»؛ وهو تحريف .

لأن لفظة الدين لها محامل ، تقول : داينت فلانا المودّة ، يعنى جازيئه ، ومنه :
« كما تدین تُدان » ومنه قول رؤبة :

داينت أروى والديون تُقضى * فطلت بعضا وأدت بعضا

وكل هذا هو الدين المجازي الذي لا يكتب ولا يشهد عليه ، ولما كان المراد
من الآية تمييز الدين المالي الذي يكتب ويشهد عليه ، وتيسير أحكامه ، أوجب^(١)
البلاغة أن يقول : « بدين » ليعلم حكمه .

وأما القول بالموجب — فهو ضربان :

أحدهما أن تقع صفة في كلام مدح شيئاً يعنى به نفسه ، فثبتت تلك الصفة
لغيره من غير تصريح بثبوتها له ، ولا نفيها عنه ، كقوله تعالى : (يَقُولُونَ لِمَنْ رَجَعْنَا
إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا أَأَلْعَنُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) فإنهم كانوا
بالأعز عن فريقهم ، وبالأذل عن فريق المؤمنين ، فأثبت الله عز وجل صفة العزة
لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الإنحراج بصفة العزة ولا لنفيه .

والثاني حمل كلام المتكلم مع تقريره على خلاف مراده مما يَحْتَمِلُهُ بذكر متعلقه

(٢)
كقول الشاعر :

(١) كذا في الأصل . والذي في حسن التوسل : « وتبين » ؛ والمعنى يستقيم على كليهما .

(٢) كذا ورد هذا التعريف في الأصل وحسن التوسل . وهو غير ظاهر ، إذ أن الذي لا يصرح
بثبوته ولا نفيه إنما هو الحكم الذي ثبتت بواسطته تلك الصفة ، لانفس الصفة ، كما يفهم مما يأتي بعد الآية
الكرمية . وعبارة التلخيص : « أحدهما أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء . أثبت له حكم فثبتها
لغيره من غير تعرض لثبوته له أو نفيه عنه » . وقال في الإيضاح في شرح قوله : « من غير تعرض لثبوته
له » ما نصه : « أي ثبوت ذلك الحكم لذلك الغير » الخ .

٢٠

(٣) هو ابن حجاج .

قُلْتُ: تَقَلَّتْ إِذْ آتَيْتُ مِرَارًا * قَالَ: تَقَلَّتْ كَاهِلِي بِالْأَيْدِي

قُلْتُ: طَوَّلْتُ قَالَ: [لِي] بَلْ تَطَوَّلْتُ * وَأَبْرَمْتُ قَالَ: حَبَلُ الْوَدَادِ

ومنه قول الأَرَجَانِي: * غَالَطَنِي إِذْ كَسْتُ جِسْمِي ضَنْبِي * الْبَيْتَيْنِ، وَقَدْ

تَقَدَّمَ الْأَسْتِشْهَادُ بِهِمَا فِي الْأَسْتِدْرَاكِ .

وللمولى شهاب الدين محمود الحلبي الكاتب في ذلك :

رَأَيْتَنِي وَقَدْ نَالَ مَنِي النَّحْوَلِ * وَفَاضَتْ دَمُوعِي عَلَى الْخَدِّ فَيَضَا

فَقَالَتْ: بَعِينِي هَذَا السَّقَامِ * فَقُلْتُ: صَدَقَتْ، وَبِالْحَصْرِ أَيْضًا

وَقَوْلُ مَحَاسِنِ الشَّوَاءِ:

وَمَا أَتَانِي الْعَاذِلُونَ عَدْمَتَهُمْ * وَمَا فِيهِمْو إِلَّا لِلْحَمَى قَارِضٌ

وَقَدْ بَهْتُوا مَا رَأَوْنِي شَاخِبًا * وَقَالُوا: بِهِ عَيْنٌ فُقِلْتُ: وَعَارِضٌ .

وأما القلب - فهو أن يكون الكلام أو البيت كيفما آتت حروفه كان

بجمله لا يتغير، ومنه في التنزيل قوله تعالى: ((كُلُّ فِي فَلَكٍ)) (وَرَبِّكَ فَكَبْرٌ) وقولهم:

سَاكِبُ كَاسٍ ؛

ومنه قول العماد الأصفهاني للقاضي الفاضل: سِرْفَلَا بَجَا بَكَ الْفَرَسَ، وَجَوَابُ

النَّاضِي الْفَاضِلُ لَهُ: دَامَ عَلَا الْعِمَادَ، وَهِيَ أَوَّلُ قَصِيدَةِ لِلْأَرَجَانِي، مَطَّلَعَهَا: «دَامَ عَلَا

الْعِمَادَ» ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْأَرَجَانِي:

مَوَدَّتُهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوْلٍ * وَهَلْ كُلُّ مَوَدَّتُهُ تَدُومُ

(١) كذا في الأصل وحسن التوسل . والذي في خزنة الأدب لابن حجة ص ١٤٥ ط بولاق :

«قال ثقلت» في صدر البيت الأول، وفي عجزه: «قلت» وكذلك في البيت الثاني؛ وكلتا الروايتين تؤدي

معنى صحيحا .

(٢) في الأصل: «قال بل» بإسقاط «لي»؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل إذ بها يستقيم الوزن .

وأما التندير — فهو أن يأتي المتكلم ببادرة حلوة ، أو نكتة مستظرفة
 يُعَرِّضُ فيها بمن يريد ذمّه بأمر، وغالب ما يقع في الهزل، فمنه قول أبي تمام فيمن
 سرق له شعرا :

- ٥ من بُنُو بَجْدَلٍ ، من أبْنِ الحُبَابِ * من بُنُو تَغْلِبِ غَدَاةَ الكُّلَابِ
 من طُفَيْلٍ ، من عَامِرٍ ، أم من الحَا * رثُ ، أم من عَتِيْبَةَ بنِ شَهَابِ
 إنما الضَّيْغَمُ المَهْصُورُ أبو الأشد * بَالِ هَتَاكَ كَلِّ خَيْسِ وَغَابِ
 من عدت خيله على سرح شعري * وهو للخبين راتع في كتاب
 يَأْعَذَارِي الكَلَامِ صرْتَنَ من بَع * مَدَى سَبَايَا تُبَعْنَ في الأَعْرَابِ
 لو تَرَى مَنطِقِي أَسِيرَا لِأَصْبَحْتَ أَسِيرَا ذَا عَبْرَةٍ وَأَ كِتَابِ
 ١٠ طَال رَغْبِي إِلَيْكَ مِمَّا أَقَاسِدِ * مَهْ وَرُهْبِي يَارَبِّ فَاحْفَظْ ثِيَابِي

ومن ذلك ما قاله شهاب الدين بن الخيمي يُعَرِّضُ بنجم الدين بن أسرائيل لما
 تنازعا في القصيدة المعروفة لابن الخيمي التي أولها :

* يَامَطْلَبَا لَيْسَ لِي مِنْ غَيْرِهِ أَرَبٌ *

فقال من قطعة منها :

- ١٥ هُمُ العَرِيبُ بِنَجْدٍ مَذْعَرَقْتُهُمْو * لَمْ يَبْقَ لِي مَعَهُمْ مَالٌ وَلَا نَسَبُ
 فَمَا أَلْمُوا بَجِيٍّ أَوْ أَلْمَ بِهِمْ * إِلَّا أَغَارُوا عَلَى الأَبْيَاتِ وَأَتَهَبُوا
 لَمْ يُبْقِ مَنطِقَهُ قَوْلَا يَرُوقُ لَنَا * لَقَدْ شَكَتْ ظَلَمَهُ الأَشْعَارُ وَالخُطْبُ .

(١) أراد به محمد بن يزيد الأموي . انظر شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي المحفوظ منه
 نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠ أدب ش .

- ٢٠ (٢) أراد عمير بن الحباب السلمي انظر شرح ديوان أبي تمام المتقدم .
 (٣) في الأصل : « جيش » بجم فوقية وشين معجمة ، وهو تصحيف . وخيس الأسد : عربيته .
 (٤) في الأصل « باين » بالباء ، وهو تحريف ، والسياق يقتضي اللام .

وأما الإسجال بعد المغالطة — فهو أن يقصد الشاعر غرضاً من ممدوح
فيشترط لحصوله شرطاً ، ثم يقدر وقوع ذلك الشرط مغالطةً يُسجّل به استحقاق
مقصوده ، كقول بعضهم :

جاء الشتاء وما عندى لقرته * إلا أرتعادي وتصفيق بأسناني
فإن هلكت فلولانا يكفني * هبني هلكت فهبني بعض أكفاني .

وأما الأفتنان — فهو أن يأتي الشاعر بفنّين متضادين من فنون الشعر
في بيت واحد ، مثل التشبيب والحماسة ، [والمديح^(١) والهجاء ، والهناء والعزاء
فأما ما جمع فيه بين التشبيب والحماسة فكقول عنترة :

إن تُغدقِ دوني القناع فإني * طَبُّ^(٢) بأخذ الفارس المستئم

وكقول أبي دلف — ويروى لعبد الله بن طاهر — :

أحبك يا جنان وأنت مني * محلّ الروح من جسد الجبان

ولو أني أقول محلّ روحي * لخفتُ عليكِ بادرة الطعان .



وأما ما جمع فيه بين تهنئة وتعزية فقد تقدّم ذكر ذلك في بابي التهاني والتعازي
ومنه فيما لم نوردّه هناك ما كتب به المولى شهاب الدين محمود الكاتب تهنئة وتعزية
لمن رزق ولداً ذكر في يوم ماتت له فيه بنت :

ولا عتب على الدهر فيما أقترف ، فقد أحسن الخلف ؛ واعتذر بما وهب
عما سلب ، فعفا الله عما سلف .

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وصحة التمثيل تقتضى إثباتها .

(٢) أغدفت المرأة قناعها : أرسلته على وجهها . والطب بفتح أوله : الماهر الخاذق .

وأما الإبهام - بباء موحدة فهو أن يقول المتكلم كلاماً مبهماً يَحْتَمِلُ
معنيين متضادين ، كقول بعضهم في الحسن بن سهل لما تزوج المأمون ببنته
بُوران :

بارك الله للحسن * ولُبُورانَ في الختن

يا إمام الهدى ظفير * تَ ولكن بنت من

فلم يُعرف مراده «بنت من» هل أراد به الرفعة أو الضعة ؟

ومنه قولُ بشار في خياط أعورَ اسمه عمرو :

خاط عمرو لي قباء * ليت عينه سواء

فأبهم المعنى في الدعاء له بالدعاء عليه .

وأما حصر الجزئى وإلحاقه بالكلى - فهو كقول السلمي :

إليك طوى عَرْضَ البسيطة جاعلٌ * قُصارى المطايا أن يلوح لها القصر

فكنتُ وعزى في الظلام وصارحى * ثلاثة أشباه كما اجتمع النَّسر^(١)

وبشرتُ آمالى بملك هو الورى * ودارهى الدنيا، ويوم هو الدهر .

فأما حصرُ أقسام الجزئى فإن العالم عبارةٌ عن أجسام وظروفِ زمانٍ وظروفِ

مكانٍ، وقد حَصَرَ ذلك ؛

وأما جعله الجزئى كلياً فإن المدوح جزء من الورى، والدار جزء من الدنيا، واليوم

جزء من الدهر .

(١) كذا في يتيمة الدهر ج ٢ ص ١٦٣ ط الحفنية ، وخرانة الأدب للحموى ص ٤٥٤ ط

بولاق ، وتحرير التحرير لابن أبي الإصبع المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٤٦٥

٢٠ بلاغة . وفي الأصل : أشياء ؛ وما أثبتناه أقرب الى معنى البيت ، وأظهر في المراد .

وأما المقارنة - فهي أن يقرن الشاعر الاستعارة بالتشبيه أو المبالغة أو غير ذلك بوصل يخفى أثره إلا على مُدْمِن النظر في هذه الصناعة، وأكثر ما يقع ذلك بالمثل الشرطية، كقول بعض شعراء المغرب^(١) :

وكنت إذا استترلت من جانب الرضى * نزلت نزول الغيث في البلد المحل
وإن هيج الأعداء منك حفيظةً * وقعت وقوع النار في الحطب الجزل
فإنه لاعم بين الاستعارة والتشبيه المتزوع الأداة في صدرى بينه وحجزيهما .

وأما ما قرنت به الاستعارة من المبالغة فمثاله قول النابغة الذبياني^(٢) :
وأنت ربيع يبعث يبعث الناس سيئه * وسيف أعيرته المنية قاطع
فإن في كل من صدر البيت وعجزه استعارة ومبالغة ، وإنما التي في العجز أبلغ .

ومما أقرن فيه الإرداف بالاستعارة قول تميم بن مقبل :
لئن غدوة حتى نزعنا عشية * وقدمات شطر الشمس والشرط مدف
فإنه عبر بموت شطر الشمس عن الغروب ، وأستعار الدنف للشرط الثاني .

وأما الإبداع - فهو أن يأتي في البيت الواحد من الشعر، أو القرينة الواحدة من التريعة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جملته ، وربما كان في الكلمة الواحدة المفردة ضربان من البديع ، ومتى لم تكن كل كلمة بهذه المتابعة فليس بإبداع

قال ابن أبي الإصبع : وما رأيت فيما استقرت من الكلام كآية استخرجت منها أحدا وعشرين ضربا من المحاسن ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ ﴾

(١) هو لإدريس بن اليمان كما في تحرير النخيل لابن أبي الإصبع .

(٢) في الأصل : «الإرادة» ؛ وهو تحريف .

وَيَأْتِيهِمْ أَلْفَيْهِمْ وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ) : وهي المناسبة التامة في «أبلي» و«أقلي» ؛ والمطابقة بذكر الأرض
والسما ؛ والمجاز في قوله : «يَأْتِيهِمْ» ، فإن المراد - والله أعلم - يامطر السماء ؛ والاستعارة
في قوله تعالى : «أَقْلِي» ؛ والإشارة في قوله تعالى : «وَغِيضَ الْمَاءِ» فإنه عبر بهاتين
اللفظتين عن معان كثيرة ؛ والتمثيل في قوله تعالى : «وَقُضِيَ الْأَمْرُ» فإنه عبر عن
هلاك المهلكين ونجاة الناجين بغير لفظ المعنى الموضوع له ؛ والإرداف في قوله :
«وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ» فإنه عبر عن استقرارها بهذا المكان استقرارا متمكنا
بلفظ قريب من لفظ المعنى ؛ والتعليل ، لأن غيض الماء علة الاستواء ؛ وصحة
التقسيم إذ استوعب الله تعالى أقسام أحوال الماء حالة تقصيه ، إذ ليس
إلا احتباس ماء السماء ، واحتقان الماء الذي ينبع من الأرض ، وغيض الماء
الحاصل على ظهرها ؛ والاحتراش في قوله تعالى : «وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» إذ
الدعاء عليهم يُشعر أنهم مستحقو الهلاك احتراشا من ضعف العقل يتوهم أن
العذاب شمل من يستحق ومن لا يستحق ، فتأكد بالدعاء كونهم مستحقين ؛
والإيضاح في قوله : «لِلْقَوْمِ» ليبين أن القوم الذين سبق ذكرهم في الآية المتقدمة
حيث قال : «وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ» هم الذين وصفهم بالظلم ليُعلم
أن لفظة القوم ليست فضلة وأنه يحصل بسقوطها لبس في الكلام ؛ والمساواة
لأن لفظ الآية لا يزيد على معناها ؛ وحسن النسق ، لأنه تعالى عطف القضايا بعضها
على بعض بحسن ترتيب ؛ واتلاف اللفظ مع المعنى ، لأن كل لفظة لا يصلح
موضعها غيرها ؛ والإيجاز ، لأنه سبحانه وتعالى أقص القصص بلفظها مستوعبة
بجيت لم يُجَلَّ منها شيء في أقصر عبارة ؛ والتسليم ، لأن أول الآية الى قوله : «أَقْلِي»

(١) يقتضى آخرها ؛ والتهديب ، لأن مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن ، عليها رونق الفصاحة ، سليمة من التعقيد والتقديم والتأخير ؛ والتمكّن ، لأن الفاصلة مستقرّة في قرارها ، مطمئنة في مكانها ؛ والأنسجام ، وهو تحدر الكلام بسهولة كما ينسجم الماء ؛ وما في [مجموع] الآية من الإبداع ، وهو الذى سُمّي به هذا الباب . فهذه سبع عشرة لفظة تضمّنت أحدا وعشرين ضربا من البديع غير ما تكرر من أنواعه فيها .

وأما الانفصال — فهو أن يقول المتكلم كلاما يتوجه عليه فيه دخل لو اقتصر عليه ، فيأتى بما يفصله عن ذلك الدخّل ، كقول أبي فراس :

ولقد نيت إبلد * س إذا راك يصد

ليس من تقوى ولكن * ثقل فيك وبرد

والفرق بين هذا وبين الاحتراس خلو الاحتراس من الدخّل عليه من كلّ وجه .

وأما التصرف — فهو أن يتصرف المتكلم في المعنى الذى يقصده ، فيبرزه في عدّة صور : تارة بلفظ الاستعارة ، وطورا بلفظ التشبيه ، وآونة بلفظ الإرداف وحيناً بلفظ الحقيقة ، كقول امرئ القيس يصف الليل :

وليل كموج البحر مريح سدوله * على بأنواع الموم لبيتلى

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكل كل

فإنه أبرز المعنى بلفظ الاستعارة ، ثم تصرف فيه فأتى بلفظ التشبيه فقال :

(١) فى الأصل : « نقيض » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . واستقامة الكلام تقتضى إثباتها . انظر تحوير التحير لابن

أبي الإصبع .

(٣) فى الأصل : « عموم » ؛ وهو تحريف .

فإلك من ليل كأت نجومه * بكل مغار الفتل شدت يذبل^(١)

ثم تصرف فيه فأخرجه بلفظ الإرداف فقال :

ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلي * بصبح وما الإصباح منك بأمثل^(٢).

وأما الأشتراك — فمنه ما ليس بحسن ولا قبيح، وهو الأشتراك في الألفاظ

مثل أشتراك الأبيرد وأبي نواس في لفظة الاستعفاء، فإن الأبيرد قال في مرثية أخيه :

وقد كنت أستعفى الإله إذا اشتكى * من الأجر لي فيه وإن عظم الأجر

وقال أبو نواس :

تري العين تستعفيك من لعانها * وتحسر حتى ما تقيّل جفونها^(٣)

ومنه الحسن، وهو الأشتراك في المعنى، كقول امرئ القيس :

كبر المقاتاة البياض بصفرة * غذاها تيمر الماء غير المحلل^(٤)

وقول ذي الرقة :

حكلاء في برج صفراء في دجج^(٥) * كأنها فضة قد سمها ذهب

(١) يذبل : جبل بنجد في طريقها يا قوت .

(٢) في الأصل : « فيك » ؛ وهو تحريف .

١٥

(٣) في الأصل : « وتحسن » ؛ بالنون ؛ وهو تحريف . وهذا البيت في صفة الخمر ؛ يريد أن العين تكل عن النظر إليها من شدة لعان هذه الخمر و بريقها حتى إن العين تستعفى الناظر من أن يكلفها النظر إليها ، أى تطلب منه أن يعفيا من ذلك .

(٤) المقاتاة من قانيت بين الشيتين : أى خلطت أحدهما بالآخر . والمحلل : الذى لم يكثر حلول الناس

٢٠

عليه فيكدرونه بكثرة وروده ؛ يريد تشبيهه محبوبته بيضة النعامه التى يخالط بياضها صفرة ، وهو من الألوان التى تمجد عند العرب ؛ وأن غذاها الماء العذب الصافي الذى لم يكره الواردون .

(٥) البرج بفتح أوله وثانيه فى العين : نقاء بياضها وصفاء سوادها ، أو هو اتساعها . والدجج :

شدة سواد العين .

(١) فَوْقَ الْأَشْتَرَاكِ بَيْنَهُمَا فِي وَصْفِ الْمَرْأَةِ بِالصُّفْرَةِ ، غَيْرَ أَنَّ الْأَوَّلَ شَبَّهَ الصُّفْرَةَ
بِبَيْضَةِ النَّعَامَةِ ، وَالْآخَرَ وَصَفَهَا بِالْفِضَّةِ الْمُمَوَّهَةِ ؛

ومن الأشتراك المعنوي ما ليس بحسن ولا معيب ، كقول كثير :

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَّبْتِ كُلَّ قَصِيرَةٍ * إِلَى مَا تَدْرِي بِذَلِكَ الْقَصَائِرِ

عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ الْجَمَالِ وَلَمْ أُرِدْ * قِصَارَ الْخَطَا ، شَرُّ النِّسَاءِ الْبَحَاتِرِ (٢)

فإن لفظة قصيرة مشتركة ، فلو اقتصر على البيت الأول لكان الأشتراك معيباً
لكنه لما أتى بالبيت الثاني زال العيب ، ولم يبلغ رتبة الحسن لما فيه من التضمين .

وأما التهمك — فالفرق بينه وبين الهزل الذي يراد به الجِدُّ أن التهمك ظاهره جِدٌّ
وباطنه هزل ، والهزل الذي يراد به الجِدُّ على العكس منه ، فن التهمك قول الوجيه
الذروي في ابن أبي حصينة من أبيات :

لَا تَظَنَّ حَدْبَةَ الظَّهْرِ عَيْبًا * فَهِيَ فِي الْحُسْنِ مِنْ صِفَاتِ الْهَلَالِ

وَكَذَلِكَ الْقِسْيُ مُحْدَوِّبَاتٌ * وَهِيَ أَنْكَى مِنَ الظُّبَا وَالْعَوَالِي

وَإِذَا مَا عَلَا السَّنَامُ فَفِيهِ * لُقُورُ الْجَمَالِ أَيُّ جَمَالِ

وَأَرَى الْأَنْخَاءَ فِي مِخْلَبِ الْبَا * زَى وَلَمْ يَعُدْ مِخْلَبَ الرِّبَالِ

كَوْنَ اللَّهِ حَدْبَةَ فَيْكَ إِنْ شَدَّتْ * مِنْ الْفَضْلِ أَوْ مِنْ الْإِفْضَالِ

فَأَتَتْ رُبُوعًا عَلَى طُودِ عِلْمٍ * وَأَتَتْ مَوْجَةً بِمَجْرٍ نَوَالِ

مَا رَأَتْهَا النِّسَاءُ إِلَّا تَمَنَّتْ * أَنَّهَا حَلِيَّةٌ لِكُلِّ الرَّجَالِ

(١) في الأصل : « فوقوع » ، والواو الثانية زيادة من الناسخ .

(٢) البحاتر : القصار من النساء ، واحده بحترة .

ثم ختمها بقوله :

وإذا لم يكن من الهجر بدُّ * فعسى أن تزورنا في الخيال^(١)
وكقول ابن الرومي :

فياله من عمل صالح * يرفعه الله إلى أسفل .

وأما التدييج - وهو أن يذكر الشاعر أو الناثر ألوانا يقصد بها الكناية أو التورية بذكرها عن أشياء من وصف أو مدح أو هجاء أو نسيب أو غير ذلك من الفنون ، فمن ذلك قول الحريري في بعض مقاماته : فذ أزور المحبوب الأصفر وأغرب العيش الأخضر ، اسود يومى الأبيض ، وأبيض فؤدى الأسود ، حتى رنى لى العدو الأزرق ، فخبذا الموت الأحمر .

وهذا التدييج بطريق التورية . وقال بعض المتأخرين يصف موقف السلطان الملك الناصر بمصاف شقحب الكائن بينه وبين التتار في شهر رمضان سنة اثنتين وسبعائة :

وما زال بوجهه الأبيض ، تحت عامه الأصفر ، يكابد الموت الأحمر ، تجاه العدو الأزرق ، الى أن حال بينهما الليل الأسود ، وبكر في غرة نهار الأحد الأشعل وأمتطى السبيل الآحوى الى أن حلّ بالأبلى . يريد بالأبلى : القصر الظاهرى الذى بالميسدان الأخضر بظاهر مدينة دمشق ؛ ومن أمثلة هذا الباب قول ابن حيوس الدمشقى :

(١) فى الأصل : « تزورنى » ؛ والياء زيادة من النسخ .

(٢) فى الأصل : « يومى » ، وهو تحريف .

(٣) قال فى القاموس شقحب كجعفر : موضع قرب دمشق . والذى يستفاد من تاريخ أبى الفداء .

ج ٤ ص ٥٠ ط القسطنطينية أن هذا الموضع فى طرف مرج الصفر .

(٤) فى الأصل : « البيت » ؛ وهو تحريف .

إن تُردِّدِ عِلْمَ حَالِهِمْ عَنِ يَقِينِ * فَالْقَهْمُ يَوْمَ نَائِلٍ أَوْ قَتَالٍ
تَلْقَى بِيضَ الْوَجْهِ سُودَ مُثَارِ النَّتِّ * تَعِ خُضْرَ الْأَكْنَفِ حُمْرَ النَّصَالِ .

وأما الموجه — فهو الذي يمدح بشيء يقتضى المدح بشيء آخر، كقول المتنبي:

نَهَبْتَ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ * لَهَبْتِ الدُّنْيَا بِأَنْكَ خَالِدٍ

وكقوله أيضا :

عُمِّرَ الْعَدُوُّ إِذَا لَاقَاهُ فِي رَجْحٍ * أَقْلٌ مِنْ عُمُرٍ مَا يَحْوِي إِذَا وَهَبَا

فأقول البيتين وصف بفرط الشجاعة، وآخر الأهل بعلو الدرجة، وآخر الثاني بفرط الجود .

وأما تشابه الأطراف — فهو أن يجعل الشاعر [فافية] بيته الأخرى أول البيت

الثاني، وقافية الثاني أول الثالث، وهكذا إلى انتهاء كلامه، ومن أحسن ما قيل فيه قول ليلي الأخيلى تمدح الجمحاج :

إِذَا نَزَلَ الْجَمْحَاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً * تَتَّبِعَ أَقْصَى دَائِمَا فَشَفَاهَا

شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا * غَلَامٌ إِذَا هَزَّتْ الْقَنَاةُ سَقَاهَا

سَقَاهَا فَرَقَاهَا بِشُرْبِ سِجَالِهَا * دِمَاءَ رِجَالٍ يَجْلُبُونَ صَرَاهَا .^(٣)

هذا ما أورده في حسن التوسل من علوم المعاني والبيان والبديع، وقد أتينا على

أكثره بنصه لما رأيناه من حسن تأليفه، وبديع ترصيفه، وأن اختصاره لا يمكن

(١) كذا في الأصل . والذي في حسن التوسل : « هو أن يمدح » ؛ وهو أظهر، فإن التبريد عليه يكون لنفس هذا النوع من الكلام ؛ ومقتضى عبارة الأصل أن التعريف لنفس المتكلم، وهو غير ما سار عليه في تعريف سائر الأنواع .

(٢) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن حسن التوسل، إذ بها يستقيم التعريف .

(٣) الصرى : اللبن الفاسد المتغير الطعم، استعارته هنا للدماء .

إلا عند الإخلال بفائدة لا يُستغنى [عنها] فلم نحذف منه إلا ما تكرر من الأمثلة والشواهد ، لاستغنائنا بما أوردناه عمّا حذفناه ، فالنسبة فيه إلى فضائله وفضله والعمدة على شواهد من نقله ؛ فلقد أحسن التأليف ، وأجاد التعريف ، وأحتمل التوقيف ؛ وحرر الشواهد ، وأوضح السبيل حتى صار الغائب عن هذه الصناعة إذا طالع كتابه كالشاهد ؛ وأبدع في صناعة البديع ، وبيّن علم البيان بحسن التصريف والترصيع ؛ وأعنى بالفاظ المعاني فصرّف أعنتها ببنائه ، وأبان مشكلها فأحسن في بيانه ؛ وحلّ من التعقيد عقلمها الذي عجز غيره عن حلّه ، وسهّل للأفهام مقالها فأبرزته الألسنة من محرم اللفظ إلى حلّه ؛ فله المنّة فيما ألفت ، والفضل بما صنّف .

وأما ما يتصل بذلك من خصائص الكتابة - فالأقتباس

والاستشهاد والحل :

١٠

[فالأقتباس ^(١) هو أن يُضمّن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث ، ولا يُنبّه عليه للعلم به ، كما في خطب ابن نباتة ، كقوله : فيا أيها الغفلة المطرِقون ، أما أتم بهذا الحديث مصدّقون ؟ مالكم لا تُسْفِقون ؟ ﴿ فَرَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنْكُمْ تَتَطَفَّؤْنَ ﴾ . وكقوله أيضا : يوم يبعث الله العالمين خلقا جديدا ، ويجعل الظالمين لجهنم وقودا ، يوم تكونون "شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ .

١٥

ومن ذلك ما أورد المولى شهاب الدين محمود في تقليد عن الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بالسلطنة ، جاء منه : وجمع بك شمل الأمة بعد أن "كاد يزيعُ

٢٠

(١) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل . والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) كذا في حسن التوسل . والنزى في الأصل : « الكاتب » .

قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ“ ، وَعَضَّدَكَ لِإِقَامَةِ إِمَامَتِهِ بِأَوْلِيَاءِ دَوْلَتِكَ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ؛ وَخَصَّكَ بِأَنْصَارِ دِينِهِ الَّذِينَ نَهَضُوا بِمَا أَمَرُوا بِهِ مِنْ طَاعَتِكَ وَهُمْ فَارْهُونَ ، وَأَظْهَرَكَ عَلَى الَّذِينَ ”ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ“ وَأَمْثَالَ ذَلِكَ .

(٧١)

وَأَمَّا الْأَسْتِشْهَادُ بِالآيَاتِ — فَهُوَ أَنْ يَنْبَهَ عَلَيْهَا ، كَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ : فَقُلْتَ وَأَنْتَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ وَنَحْوَ ذَلِكَ .

وَفِي الْأَحَادِيثِ بِالتَّنْبِيهِ عَلَيْهَا أَيْضًا ، كَقَوْلِ الْمَوْلَى شَهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مَجْمُودٍ فِي خُطْبَةٍ تَقْلِيدِ حَاكِمِي : وَنَصَلِي عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي آسَتْخَرَجَهُ اللَّهُ مِنْ عُنْصُرِ أَهْلِهِ وَذَوِيهِ ، وَشَرَفَ قَدْرَ جَدِّهِ بِقَوْلِهِ فِيهِ : ”إِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُؤُ أَبِيهِ“ وَسَرَّهُ بِمَا أَسْرَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ فُتِّحَ بِهِ وَيُجْتَمَعُ بِنَبِيِّهِ . وَأَمْثَالَ ذَلِكَ [لَا تُحْصَرُ] .

[وَأَمَّا الْحَلُّ] — وَهُوَ بَابٌ مُتَّسِعٌ الْمَجَالِ ، وَمِثْلُكَ أَمْرُ الْمُتَّصِدِي لَهُ أَنْ يَكُونَ كَثِيرَ الْحِفْظِ [لِلْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَالْآثَارِ وَالْأَمْثَالِ وَالْأَشْعَارِ لِيُنْفِقَ مِنْهَا وَقْتَ الْإِحْتِيَاجِ إِلَيْهَا] .

قَالَ : وَكَيْفِيَّةُ الْحَلِّ أَنْ يَتَوَسَّحِيَ هَدَمَ الْبَيْتِ الْمَنْظُومِ ، وَحَلَّ فَرَائِدَهُ مِنْ سِلْكِهِ ، ثُمَّ يَرْتَّبُ تِلْكَ الْفَرَائِدَ وَمَا شَابَهَا تَرْتِيبًا مُمْتَكِّنًا لَمْ يَحْصُرْهُ الْوِزْنَ ، وَيُرِزُّهَا فِي أَحْسَنِ سِلْكَ ، وَأَجْمَلِ قَالِبٍ ، وَأَصَحِّ سَبْكِ ، وَيَكْمَلُهَا بِمَا يَنَاسِبُهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ إِنْ أَمَكَنَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ كُفَّةٍ ، وَيَخْتَارُهَا الْقُرَائِنَ ، وَإِذَا تَمَّ مَعَهُ الْمَعْنَى الْمَحْلُولِ فِي قَرِينَةٍ وَاحِدَةٍ يَغْرَمُ لَهُ مِنْ حَاصِلِ فِكْرِهِ ، أَوْ مِنْ ذَخِيرَةِ حِفْظِهِ مَا يَنَاسِبُهُ ، وَلَهُ أَنْ يَنْقُلَ الْمَعْنَى إِذَا لَمْ يُفْسِدْهُ إِلَى مَا شَاءَ ، فَإِنْ كَانَ تَسْبِيحًا وَتَأْتَى لَهُ أَنْ يَجْعَلَهُ مَدِيحًا فَلْيَفْعَلْ ، وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ

(١) هذه التلمذة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن حسن التوسل .

من الأنواع ؛ وإذا أراد الحَلَّ بالمعنى فلتكن ألفاظه مناسبةً لألفاظ البيت المحلول غيرَ قاصرة عنها، فمَن قَصُرَتْ عنها ولو بلفظة واحدة فسد ذلك الحَلُّ وَعُدَّ مَعْيِياً ؛ وإذا حَلَّ باللفظ فلا يتصرّف بتقديم ولا تأخير ولا تبديل إلا مع مُراعاة نظام الفصاحة في ذلك ، واجتناب ما ينقص المعنى ويحطُّ رتبته ؛ وهذا الباب لا تتحصّر المقاصد فيه ، ولا تجرّ على المتصرّف فيه .

قال : ومما وقع التصرف فيه بزيادة على المعنى قولُ ضياء الدين بن الأثير الجَزْرِيّ في ذكر العصا التي يتوكأ عليها الشيخ الكبير : وهذه لمبتدا ضعفى خبر، ولِقوس ظهرى وتر، وإذا كان إلقاؤها دليلاً على الإقامة فإن حملها دليل على السفر .
والمحلول في ذلك قولٌ بعضهم :

١٠ * كَأَنِّي قَوْسٌ رَامٍ وَهِيَ لِي وَتَرٌ *

وقول الآخر :

فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَأَسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى * كَمَا قَرَّ عَيْنَا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرُ .

وأما ما يحتاج فيه الى مؤاخاة القرينة المحلولة بمثلها أو ما يناسبها فكما قال المولى شهاب الدين محمود في تقليد :

١٥ فَمِ مَلَّ ضَوْءُ الصَّبْحِ مِمَّا يُغَيِّرُهُ ، وَظَلَامُ النَّقْعِ مِمَّا يُثِيرُهُ ؛ وَحَدِيدُ الْهِنْدِ مِمَّا يَلَاطُمُهُ
وَالْأَجَلُ مِمَّا يَسَابِقُهُ إِلَى قَبْضِ الْأَرْوَاحِ وَيَزَاحِمُهُ .

والقرينتان الأوليانِ نَصُفَا بَيْنَيْنِ لِلتَّنْبِي ، فأضاف الى كل قرينة ما يناسبها ، وهذا من أكثر ما يستعمل في الكتابة ، ولا ينبغي للكاتب أن يعتمد في جميع كتابته على الحَلِّ ، فيتكلَّ خاطره على ذلك ، ويذهب رونقُ الطبع السليم ، وتقلُّ مادة الانسجام بل يكون استعمال ذلك كاستعمال البدیع اذا أتى عفواً من غير تكلف ليكون كالشاهد

على صحة الكلام ، والدال على الأطلاع ، وكالرقم في الثوب ، والشذرة في القلادة
والواسطة في العقد ، إذ لا ينبغي للكاتب أن يُجَلِّيَ كلامه من نوع من أنواع المحاسن .
ويقرب من هذا النوع التلميح ، وقد تقدم ذكره في بعض أبواب البديع ،
والذي يقع في بعض استعماله في مثل ذلك مثل قول الحريري : وإني والله لطلما
لقيت الشتاء بكافاته ، وأعددت الأهبة له قبل موافاته . يشير إلى بيتي ابن سكرة :
* جاء الشتاء وعندي من حوائجه *
وهي مشهورة .

فإذا عرف الكاتب هذه العلوم ، وأتى الصناعة من هذه الأبواب تعين عليه
أموار آخر نذكرها الآن .

٧٢

ذكر ما يتعين على الكاتب استعماله والمحافظة عليه والتمسك به
وما يجوز في الكتابة وما لا يجوز

قال إبراهيم بن محمد الشيباني : فإن أحتجت إلى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء
والكُتَّاب والأدباء والخطباء والشعراء وأوساط الناس وسوقتهم ، فخاطب كلًّا على قدر
أهته وجلالته ، وعلوه وارتفاعه ، وفطنته وأنتباهه ، ولكل طبقة من هذه الطباق
معانٍ ومذاهبٍ يجب عليك أن تراها في مراسلتك إياهم في كتبك ، وترن كلامك
في مخاطبتهم بميزانه ، وتعطيه قسمنه ، وتوفيه نصيبه ، فإنك متى أهملت ذلك وأضعته
لم آمن عليك أن تعدل بهم عن طريقهم ، وتسلك بهم غير مسلكهم ، وتجرى شعاع
بلاغتك في غير مجراه ، وتنظم جوهر كلامك في غير سلكه ، فلا تعتد بالمعنى الجزل
ما لم تليسه لفظاً [لائقاً بمن كاتبته ، وملاصاً لمن راسلته] ، فإن إلباسك المعنى

(١) التكملة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٦ ط العائنية ؛ واستقامة الكلام تقتضى إبانها

وموضعها بالأصل جملة مكررة مع ما سيأتي ، وهي قوله : « مختلفاً على قدر المكتوب إليه » .

— وإن صحَّ وشرف — لفظا مختلفا عن قدر المكتوب اليه لم تجر به عادته تهجين للمعنى وإخلال بقدره، وظلم يلحق المكتوب اليه، ونقص ما يجب له، كما أن في اتباع تعارفهم، وما أنتشرت به عادتهم، وجرت به سنتهم، قطعاً لعذرهم، وخرجا من حقوقهم، وبلوغا إلى غاية مُرادهم، وإسقاطا لمُحجة أدبهم.

- وقال أحمد بن محمد بن عبد ربّه: فأمتثل هذه المذاهب، وأجر [على هذا] القوام، وتحفظ في صدور كتبك وفصولها وأفتتاحها وخواتمها، وضع كل معنى في موضع يليق به، وتخيّر لكل لفظة معنى يشاكلها، وليكن ما تختم به فصولك في موضع ذكر البلوى بمثل: « نَسألُ اللهَ دَفَعَ المحذور، وصَرَفَ المكره » وأشباه ذلك؛ وفي موضع ذكر المصيبة: « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ »؛ وفي موضع ذكر النعمة: « الحمد لله خالصا، والشكر لله واجبا » وما يشاكل ذلك، فإن هذه المواضع مما يتعيّن على الكاتب أن يتفقده ويتحفظ منه، فإن الكاتب إنما يصير كاتباً بأن يضع كل معنى في موضعه، ويعلق كل لفظة على طبقتها في المعنى.

قال: واعلم أنه لا يجوز في الرسائل استعمال ما أتت به آي القرآن من الاختصار والحذف، ومخاطبة الخاص [بالعام] والعام بالخاص، لأن الله تعالى إنما خاطب

- (١) كذا في الأصل. والذي في العقد الفريد: « بحق المكتوب » الخ، والمعنى يستقيم على كلنا الرويتين.
- (٢) في الأصل: « عليه »؛ وهو تحريف، والتصويب عن العقد الفريد.
- (٣) في الأصل: « وأجر عليها القوم »؛ وفيه نقص، والزيادة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٨ ط العثمانية، والذي في العقد: « هذه »؛ وهو غير مستقيم كما لا يخفى، والقوام بكسر القاف: نظام الأمر وملاكة وعماده.
- (٤) كذا في العقد الفريد. والذي في الأصل: « في صدرك »؛ وهو تحريف.
- (٥) الزيادة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٨ ط العثمانية؛ واستقامة الكلام تقتضى إثباتها.

بالقرآن قوماً فصحاء فهموا عنه — جلّ ثأؤه — أمره ونهيه ومراده، والرسائل إنما يخاطب بها قوم دُخلاء^(١) على اللغة لا علم لهم بلسان العرب؛ وكذلك ينبغي للكاتب أن يتجنب اللفظ المشترك، والمعنى الملتبس، فإنه إن ذهب ليكتب على معنى قول الله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وكقوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ احتاج أن يبين أن معناه: أسأل أهل القرية، وأهل العير، وبل مكركم بالليل والنهار، قال: وكذلك لا يجوز أيضاً في الرسائل والبلاغات المنثورة ما يجوز في الأشعار الموزونة، لأن الشاعر مضطر، والشعر مقصور مقيد بالوزن والقوافي، لذلك أجازوا لهم صرف ما لا ينصرف من الأسماء، وحذف ما لا يحذف منها، واعتقروا فيه سوء النظم، وأجازوا فيه التقديم والتأخير، والإضمار في موضع الإظهار، وذلك كله غير سائغ في الرسائل، ولا جائز في البلاغات؛
فما أجزى في الشعر من الحذف قول الشاعر:

* قَوَاطِنَا مَكَّةَ مِنْ وُرُقِ الْحَمَا *
يريد الحمام، وكقول الآخر:

* صَفْرُ الْبُشَاخِينِ صَمُوتِ الْخَلْخَلِ *
يريد الخلخال، وكقول الحطيئة:

فِيهَا الرِّمَاحُ وَفِيهَا كُلُّ سَابِقَةٍ * جَدَلَاءَ مَسْرُودَةٍ مِنْ فِعْلِ سَلَامٍ^(٢)
يريد سليمان، وكقول الآخر:

وَسَائِلَةٌ بِشَعْلَبَةَ بْنِ سَيْرٍ * وَقَدْ عَلِقَتْ بِشَعْلَبَةَ الْعُلُوقِ^(٤)

(١) كذا في العقد الفرید . وعبارة الأصل : « جهلاء عن » الخ ، وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « واعتبروا » ؛ وهو تحريف .

(٣) كذا في الأصل . والمشهور في روايته : « من نسج » .

(٤) العلوق بفتح العين : الميتة .

يريد ثعلبة بن سيار^(١)، وكقول الآخر:

فأست بآتيه ولا أستطيعه * ولاك أسقني إن كان مأوك ذا فضل

١٣٣

[أراد ولكن^(٢)] قال: وكذلك لا ينبغي في الرسائل أن يصغر الأسم في موضع

التعظيم وإن كان ذلك جائزا، مثل قولهم: دُوَيْهِيَّةٌ تصغير داهية، وجديل وعذيق^(٣)،
تصغير جدل وعذيق. قال لبيد:

وكل أناس سوف تدخل بينهم * دُوَيْهِيَّةٌ تصغر منها الأنامل

قال: فتخير في الألفاظ أرجحها وزنا، وأجزفا معنى، وأشرفها جوهرًا

وأكرمها حسبا، وأليقها في مكانها، وأدر الكلام في أماكنه، وقبّله على جميع

وجوهه، ولا تجعل اللفظة قلقة في موضعها، نافرة عن مكانها، فإنك متى فعلت ذلك

١٠ هجنت الموضع الذي حاولت تحسينه، وأفسدت المكان الذي أردت إصلاحه

فإن وضع الألفاظ في غير أماكنها، والقصد بها إلى غير مآطها، إنما هو كترقيق

الثوب الذي إن لم تشابهه رفاعه، ولم تتقارب أجزاءه، خرج عن حد الحدّة، وتغير

حسنه، كما قال الشاعر:

إنّ الجديد إذا ما زيد في خلق * يبين للناس أنّ الثوب مرقوع

١٥

أنتهى ما أورده ابن عبد ربه.

وقال المولى الفاضل شهاب الدين محمود الحلبي: ومما يتعين على الكاتب

استعماله، والمحافظة عليه، والتمسك به، إعطاء كل مقام حقه، فإذا كتب في أوقات

(١) في الأصل: «يسار»؛ وفيه قلب، والتصويب عن شرح القاموس. ويدل عليه أيضا ما تقدم

في البيت.

٢٠ (٢) التلمذة عن العقد الفريد ج ٢ ص ١٥٢ ط الشرفية؛ وقد أثبتناها ليوافق ما مر في الأبيات

التي قبله، إذ أنه بعد إيراد البيت يعقبه بمراد قائله من الكلمة التي حذف بعض حروفها.

(٣) الجذل: عود ينصب للإبل الجربي تحتك به لتشفى؛ أو هو ما عظم من أصول الشجر، والعذق:

النخلة بجمعها؛ أشار بهذا إلى قول الحباب بن المنذر يوم السقيفة: أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب.

الحروب إلى ثواب الملك عنه ، وإلى مقدّمى الجيوش والسرايا ، فليتوخّ الإيجاز والألفاظ البليغة الدالّة على القصد من غير تطويل ولا بسط يضيع المقصد ، ويفصل الكلام بعضه من بعض ، ولا تهويل لأمر العدو يُضعف به القلوب ، ولا تهوين لأمر يحصل به الأختار . وذكر لذلك أمثلة من إنشائه .

قال : فمن ذلك صورة كتاب أنشأته الى مقدّم سرية كسيف — ولم أكتب

به — وهو :

لا زال أخفّ في مقاصده من وطأة ضيف ، وأخفى في مطالبه من زورة طيف ، وأسرع في تنقله من سحابة صيف ، وأروع للعدا في تطلّعه من سلة سيف ، حتى يعجب عدو الدين في الأطلاع على عوراته من أين دهي وكيف ؟ ويعلم [أن] من أول قسمته اللقاء حصل عليه في مقاصده الحيف ؛ أصدرناها إليه نخشه على الركوب بطائفة أعجل من السيل ، وأهول من الليل ، وأيمن من نواصي الخيل ؛ وأقدم من النمر ، وأوقع على المقاصد من الغيث المنهمر ، وأروع في مُحاطلة العدا من الذئب الحذر ؛ على خيل تجرى ما وجدت فلاه ، وتطيع راكبها مهما أراد منها سرعة أو أناة ؛ تَسَمَّ الجبال الصم كالوعل ، وإذا جارتها البروق غدت وراءها * تمشى الهوينا كما يمشى الوجى الوجيل * وليكن كالنجم في سراه ، وبعد ذراه ؛ إن جرى فكسهم ، وإن خطر فكوهم ؛ وإن طلب فكالليل الذي هو مدرك ، وإن طلب فكالجنة التي لا يجد ريحها مشرك ؛ حتى يأتي على عدو الدين من كل شرف ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد نقلناها عن حسن التوسل .

(٢) في الأصل : « بالحيف » ؛ والباء زيادة من الناسخ إذ لا مقتضى لها في هذه العبارة .

(٣) الوعل بكسر العين وسكونها : تيس الجبل .

(٤) الوجى بكسر الجيم : من الوجى بفتحها ، وهو الخفا أو أشد منه .

وَيَرَى جَمْعَهُ مِنْ كُلِّ طَرْفٍ ، وَلَا يُسْرِفُ فِي الْإِقَامَةِ عَلَيْهِ إِلَّا إِذَا عَلِمَ أَنَّ الْخَيْرَ فِي السَّرْفِ ، وَيُحْرِزُ جَمْعَهُمْ ، وَيَسْبِقُ إِلَى التَّحَرُّزِ مِنْهُمْ بِصَرَمِهِمْ وَسَمْعِهِمْ ؛ وَيَنْظُرُهُمْ بَعَيْنٍ مَنَعَهَا الْحَزْمُ أَنْ تَرَى الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلًا ، وَصَدَّهَا الْعِزْمُ أَنْ تَرَى الْعَدُوَّ الْحَقِيرَ جَلِيلًا ؛ بَلْ تَرَى الْأَمْرَ عَلَى فَصِّهِ ، وَتَرَوِي الْخَبَرَ عَلَى نَصِّهِ ؛ وَإِنْ وَجَدَ مَغْرَرًا فَلْيَأْخُذْ خَبْرَهُ ، إِنْ قَدَّرَ عَلَى الْإِتْيَانِ بَعَيْنَهُ وَإِلَّا فَلْيَذْهَبْ آثَرَهُ ؛ وَلَا يَهَيِّجْ فِيمَا لَدَيْهِ نَارَ حَرْبٍ إِلَّا بَعْدَ الثِّقَةِ بِإِطْفَائِهَا ، وَلَا يُؤَفِّظْ [عَلَيْهِ] عَيْنَ عَدُوٍّ مَهْمَا ظَهَرَ لَهُ أَنَّ [الْمَصْلَحَةَ فِي إِغْفَائِهَا] ؛ وَلْيَكْشِفْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يُبْدِي عِنْدَ الْمُتَلَقِّي عَوْرَتَهُمْ ، وَيُجَمِّدُ فِي حَالَةِ الرَّحْفِ فَوْرَتَهُمْ ؛ وَلْيَجْعَلْ قَلْبَهُ فِي ذَلِكَ رَيْبَةً طَرْفَهُ ، وَطَلِيعَةً طَرْفَهُ ، وَسَرِيَّةً كَشَفَهُ وَاللَّهُ تَعَالَى يُمِدُّهُ بِلُطْفِهِ ، وَيَحْفَظُهُ بِمَعْقَبَاتٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ .

٧٤

- ١٠ وإذا كَتَبَ عَنِ الْمَلِكِ فِي أَوْقَاتِ حَرَكَاتِ الْعَدُوِّ إِلَى أَهْلِ الثُّغُورِ يُعَالِمُهُمْ بِالْحَرَكَةِ لِلِقَاءِ الْعَدُوِّ ، فَلْيَبْسُطِ الْقَوْلَ فِي وَصْفِ الْعِزَائِمِ ، وَقُوَّةِ الْهَيْمِ ، وَشِدَّةِ الْحِمَّةِ لِلدِّينِ ، وَكَثْرَةِ الْعَسَاكِرِ وَالْحَيُوشِ ، وَسُرْعَةِ الْحَرَكَةِ ، وَطَيِّ الْمَرَاحِلِ ، وَمُعَالَجَةِ الْعَدُوِّ ، وَتَخْيِيلِ أَسْبَابِ النُّصْرِ ، وَالْوُثُوقِ بِعَوَانِدِ اللَّهِ فِي الظَّفَرِ ، وَتَقْوِيَةِ الْقُلُوبِ مِنْهُمْ ، وَبَسْطِ آمَالِهِمْ ، وَحَثِّهِمْ عَلَى التِّيْقَظِ ، وَحَضِّهِمْ عَلَى حِفْظِ مَا بَأْيَدِيهِمْ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَيُبرِزُهُ فِي أُمَّتِنِ كَلَامٍ وَأَجَلَهُ وَأَمْكَنَهُ ، وَأَقْرَبِيهِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْبَسَالَةِ ، وَأَبْعَدِيهِ مِنَ اللَّيْنِ وَالرَّقَّةِ ، وَيَبَالِغْ فِي وَصْفِ الْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَسْتَنْزَالِ نَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ فِي تَثْبِيتِ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن حسن التوسل .

(٢) مهما في هذه العبارة إما حرف بمعنى إن الشرطية ، أو ظرف بمعنى متى ، وكلا الاستعمالين ضعيف .

انظر معنى اللبيب ج ٢ ص ١٩ و ٢٠ ط الحلبي .

(٣) هذه التكملة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن حسن التوسل إذ بها تستقيم العبارة ؛ وموضعها

في الأصل كلمتان مكررتان مع ما سيأتي ، وهما : « الزحف فورتهم » .

(٤) في حسن التوسل : « أيين » ؛ وكلاهما يصح به المعنى .

الأقدام ، والأعتصام به في الصبر ، والأستعانة به على العدو ، والرغبة إليه في خذلانهم ،
وزلزلة أقدامهم ، وجعل الدائرة عليهم ، دون التصريح بسؤال بطلان حركتهم ، ورجاء
تأخرهم ، وانتظار العرضيات في خُلْفهم ، لما في ذلك من إيها المضعف عن لقاءهم
وأستشعار الوهن والخوف منهم ، وليسلك في مثل ذلك كما سلك المولى شهاب الدين
محمود في نحو ما كتب في صدر كتاب سلطاني إلى بعض أبواب الثغور عند حركة
العدو ، فإنه قال :

أصدرناها ومنادى التفير قد أعلن : يا خيل الله أركبي ، ويا ملائكة الرحمن أصحبي^(١)
ويا وفود الظفر والتأييد أقربي ، والعزائم قد ركضت على سوابق الرعب إلى العدا
والهيمم قد نهضت إلى عدو الإسلام فلو كان في مطلع الشمس لأستقرت ما بينها
وبينه من المدى ، والسيوف قد أنفت من الغمود فكادت تنفر من قربها ، والأسننة^(٢)
قد ظمئت إلى موارد القلوب فتشوقت إلى الأرتواء من قلبها ، والكجأة قد زارت^(٣)
كالليوث إذا دنت من فرائسها ، والحياد قد مريحت لما عودتها من الأتعال بججام
الأبطال فوارسها ، والجيش قد كثرت النجوم أعدادها ، وسائرنا للهجوم على أعداء
الله من ملائكته الكرام أمدادها ، والنفوس قد أضمرت الحمية نار غضبها ، وعداها^(٤)
حر الإشفاق على ثغور المسلمين عن برد الثغور وطيب شئنها ، والنصر قد أشرق

(١) أراد بالخيل هنا فرسانها .

(٢) في الأصل : «وملائكة» ؛ وما أثبتناه عن حسن التوسل إذ هو المناسب لسياق ما قبله وما بعده

من الكلام .

(٣) القلب بضم القاف : الآبار ، واحده قلب بفتحها .

(٤) عبارة حسن التوسل : «دنت فرائسها» بدون «من» ؛ وهو أظهر ، إذ به يحصل السجع الذي

توخاه الكاتب في رسالته .

(٥) عداها : صرفها ، يقال : عدته العوادي عن كذا ، أي صرفته الصوارف .

في الوجود دلالة ، والتأييد قد ظهرت على الوجوه تحاييله ، وحسن اليقين بالله في إعزاز دينه قد أنبأت بحسن المال أوائله ؛ والألسن باستنزال نصر الله لهجه والأرجاء بأرواح القبول أرجه ، والقلوب بعوائد لطف الله بهذه الأمة مبتهجه والحماة وما منهم إلا من استظهر بإمكان قوته وقوة إمكانه ، والأبطال وليس فيهم من يسأل عن عدد عدو بل عن مكانه ؛ والنبات على طلب عدو الله حيث كان مجتمعه والخواطر مطمئنة بكونها مع الله بصدقها ، ومن كان مع الله كان الله معه ؛ وما بقي إلا طي المراحل ، والنزول على أطراف الشغور نزول الغيث على البلد الماحل ؛ والإحاطة بعدو الله من كل جانب ، وإنزال نفوسهم على حكم الأمرين الأمرين : من عذاب واصب ، وهم ناصب ؛ وإحالة وجودهم إلى العدم ، وإجالة السيوف التي [إن] أنكرتها أعناقهم فما بالعهد من قدم ؛ وأصطلامهم على أيدي العصاة المؤيدة بنصر الله في حربها ، وأبتلاؤهم من حملاتها بريح عاد التي تدمر كل شيء بأمر ربها ؛ فليكن مرتقبا لطلوع طلائعها عليه ، متيقنا من كرم الله استئصال عدوه الذي إن فرأدر كته من ورائه ، وإن ثبت أخذته من بين يديه ؛ وليجتهد في حفظ ما قبله من الأطراف وضمتها ، وجمع سوام الرعايا من الأماكن المتخوفة ولمها ، وإصلاح ما يحتاج إلى إصلاحه من مسالك الأرباض المتطرقة ورمها ، فإن الاحتياط على كل حال من أكد المصالح الإسلامية وأهمها ؛ فكأنه بالعدو وقد زال طمعه ، وزاد ظلعه ؛ وذم عقبي مسيره ، وتحقق سوء متقلبه ومصيره ، وتبرأ منه الشيطان الذي دلّاه بغروره ، وأصبح لحمه موزعا بين ذئاب الفلا وضباعها ، وبين عقبان الجحش

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن حسن التوسل ص ٩٤ ط الوهية إذ بها

يستقيم الكلام .

(٢) الأصطلام : الاستئصال .

وُسُورِهِ؛ ثِقَّةً مِنْ وَعْدِ اللَّهِ الَّذِي تَمَسَّكَ مِنْهُ بِالْيَقِينِ، وَتَحَقَّقْنَا أَنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ مَنْ
يَنْصُرُهُ وَأَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلتَّقِيَيْنِ.

قال: وزيادة البسط في ذلك ونقصها بحسب المكتوب إليه.

وَإِذَا كَتَبَ فِي التَّهَانِي بِالْفَتْوحِ، فَلَيْسَ إِلَّا بَسَطُ الْكَلَامِ، وَالْإِطْنَابُ
فِي شُكْرِ نِعَمِ اللَّهِ، وَالتَّبَرُّؤُ مِنْ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِهِ، وَوَصَفُ مَا أُعْطِيَ مِنَ النِّصْرِ،
وَذِكْرُ مَا مَنَحَ مِنَ الثَّبَاتِ، وَتَعْظِيمُ مَا يَسَّرَ مِنَ الْفَتْحِ؛ ثُمَّ مَا وَصَفَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ
عِزِّهِ وَإِقْدَامِ وَصَبْرِهِ وَجَلَدِهِ عَنِ الْمَلِكِ وَعَنْ جَيْشِهِ حَسَنَ وَصْفِهِ، وَوَلَّاقَ ذِكْرَهُ، وَرَاقَ
التَّوَسُّعَ فِيهِ، وَعَدَّبَ بَسَطُ الْكَلَامِ فِيهِ؛ ثُمَّ كَلَّمَا اتَّسَعَ مَجَالُ الْكَلَامِ فِي ذِكْرِ الْوَاقِعَةِ
وَوَصَفِهَا كَانَ أَحْسَنَ [وَأَدَلَّ عَلَى الْبَلَاغَةِ، وَأَدْعَى لِسُرُورِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ، وَأَحْسَنَ]^(١)
لِمَوْجِعِ الْمِنَّةِ عِنْدَهُ، وَأَشْمَهَى إِلَى سَمْعِهِ، وَأَشْفَى لَغَلِيلِ تَشْوِيقِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَالِ عَلَى
جَلِيَّتِهِ، وَلَا بِأَسْ بَهْوِيلِ [أَمْرٍ] الْعَدُوِّ، وَوَصَفِ جَمْعِهِ وَإِقْدَامِهِ، فَإِنْ تَصَغِيرَ أَمْرِهِ
تَحْقِيرُ اللَّظْفَرِ بِهِ؛ وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي بَابِ التَّهَانِي مِنْ ذَلِكَ مَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ، فَلَنْذَكَرَ
فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ كَلَامِهِ فِيهِ مَا لَمْ نُورِدْهُ فِي بَابِ التَّهَانِي؛

قال: وإن كان المكتوب إليه ملكاً صاحب مملكة منفردة تعين أن يكون
البسط أكثر، والإطناب أمد، والتهويل أبلغ، والشرح أتم؛ فمن ذلك فصل كتبته
في جواب ابن الأحمر صاحب غرناطة من جزيرة الأندلس، قال:

أما بعد حمد الله الذي أيدنا بجنوده، وأنجز لنا من نصر الأمة صادق وعوده
وخصنا من استدامة الفتوح بمزايا من يده، وأيدنا بنصره، ونصرنا بتأييده، والصلوة

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل ص ٩٥ ط الوهبة.

(٢) في الأصل: «ولا يأمن»؛ وهو تحريف.

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل إذ لا تستقيم العبارة بدونها.

- والسلام على سيدنا محمد أشرف رسله ، وخاتم أنبيائه ، وأكرم عبيده ، وأعز من دعا
 الأمم وقد أنكرت خالقها الى الإقرار بتوحيده ، وعلى آله وصحبه الذين أشرق أفق
 الدين منهم بكواكب سعوته ، فإننا أصدرناها ونعم الله تعالى بنا مطيفه ، ومواقع نصره
 عندنا لطيفه ، وجنود تأييده لملك الأعداء الى ممالكنا الشريفة مضيغه ، وثغور
 الإسلام بذبنا عن دين الله منيره ، وبإعلنا منار الهدى منيفه ؛ ونحن نحمد الله على ذلك
 حمدا نستدبر به أخلاف الظفر ، ونستديم به مواد التأيد على من كفر ؛ ونستمد به
 عوائد النصر التي كم أقدمها علينا إقدام ، وأسفر لنا عنها وجه سفر ؛ ونهدي إليه ثناء
 تعبق بئشر الرياض نحاته ، وتنطق بمحض الوداد مخايله ، وتشرق على أفق مفاخره غدواته
 وأصائله ؛ يشافه مجده بمصونه ، ويصارع نغره بمكنونه ، ويجلو على حضرته العلية
 عقائل الشرف من أبحار الهناء وعونه ؛ ونبدي لعلمه الكريم ورود كتابه الجليل مسفرا
 عن لوامع صفائه ، منبثا بجوامع وده ووفائه ؛ مشرقا بلائى فرائده ، محدقا بروض
 كرمه الذى سعد رأى رائده ؛ محتويا على سروره بما بلغه من أبناء النصرة التي سارت
 بها إليه سرعان الرجان ، وذلت بعز ما تلى منها عليه عباد الصلبان ؛ وطبق ذكرها
 المشارق والمغرب ، ومزقت مواكب أعداء الله التتار وهم فى رأى العين أعداد
 الكواكب ، وخلطت التراب بدمائهم حتى لم يبح بها التيمم ، ومزجت بها الفرات
 حتى ما تحل لشارب ؛ وهى النصرة التي لا يدرك الوصف كنهها ، ولا تعرف لها
 البلاغة مشبهها فتذكر شبهها ؛ ولا يتسع نطاق النطق لذكرها ، ولا تنهض الألسنة
 على طول الأبد بشكرها ؛ فإن التتار المخذولين أقبلوا كالرمال ، وأصطفوا كالجبال ؛
 وتدققوا كالبحار الزواجر ، وتوالوا كالأمواج التي لا يعرف لها الأول من الآخر ؛
 فصدمتهم جيوشنا المنصورة صدمة بددت شملهم ، وعلمت الطير أكلهم ؛ وحصرتهم

(١) فى الأصل : « بمضمونه » ؛ وما أثبتناه عن حسن التوسل ، وهو ما يدل عليه سياق الكلام .

في الفضاء، وطالبت أرواحهم الكافرة بدين دينها وأسرفت في الاقتضاء؛ وحصدت
منهم سيوفنا المنصورة ما يخرج عن وصف الواصف، ومزقت بقيتهم في الفلوات
فكانوا كرماد آسدت به الريح في يوم عاصف؛ وأحاطت بهم كتابنا المنصورة
فلم ينج إلا من لا يؤبه له من فريقهم، وقسمتهم جيوشنا المؤيدة من الفلوات الى
الفرات بين القتل والأسر، فلم يخرج عن تلك القسمة غير فريقهم؛ وأعقبهم تلك
الكسرة أن هلك طاغيهم أسفا وحسره، وحزنا على من قتل من تلك المقاتلة، وأسر
من تلك الأسره، وأماته الرعب من جيوشنا المنصورة بغناه، وأستولى عليه الوجل
بغناه من أمر الله ما جاء؛ وقعد أخوه بعده مكانه، والخوف من عساكرنا يضعض
أركانها، والفرق من جيوشنا يفرق أعوانه، ويمزق إخوانه، ويوهي سلطانه
ويبرئ منه شيطانه؛ فلاذ بالالتجاء الى سلمنا، وعاذ بإسناد الرجاء الى كفنا عنه
وحامنا؛ فكرر رسله ورسائله مستعظفا، ووالى كتبه ووسائله مستعفيا من حربنا
ومستعيفا؛ وهاهو الآن وجنوده يتوسلون بالخضوع الى مراحنا، ويتوصلون ببذل
الطاعة الى مكارمنا؛ ويسألون صفح الصفاح الإسلامية عن رقابهم، ويؤدون
ما أظهره الله عليهم من الذل الذي جعلته تلك النصرة خالدا في أعقابهم؛ وسيوفنا
تأبى قبول وسائلهم، وتصر على نهر سائلهم، وتمنع من الكف عن مقاتلتهم،
وتأنف أن تغمد إلا في قيم محاربتهم ومقاتلتهم؛ ونحن على ما نحن من الأهبة لغزوتهم
في عقر دارهم، وانتراج مواطن الخلافة وغيرها من ممالك الإسلام من بين أيوبهم
وأظفارهم؛ مستنصرين بالله على من بقي في خط المشرك منهم، قائمين فيهم بفرض
الجهاد الذي لولا دفاع الله به لم يمتنع خط المغرب عنهم؛ "ولينصرن الله من
ينصره"، ولو عددنا نعم الله علينا حاولنا عد ما لا نحصيه ولا نحصره.

٧٦

وإن أضطُرَّ أن يكتب بمثل ذلك إلى ملك غير مسلم لكنه غير مُحارَب، فالْحُكْمُ في ذلك أن يذْكَر من أسباب المودَّة ما يقتضِي المشاركة في المسارَّة، وأن أمر هذا العَدَد مع كثرتِه أخذ بأطراف الأنامل، وآل أمرُه إلى ما آل، ويُعظَّم ذِكر ما جرى عليه من القتل والأسر، وتلك عوائدُ نصر الله، وانتقامه من عادانا؛^(١)

٥. فمن ذلك ما أنشأه المُشار إليه لبعض ملوك البحر — ولم يكتب به — وهو:
- صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكْتَابَةُ مَبَشَّرَةً لَهُ بِمَا مَنَحَنَا اللَّهُ مِنْ نُصْرَةٍ أَجَزَلَ الصَّفَاءِ مِنْهَا سَهْمَهُ، وَأَجْمَلَ الْوَفَاءِ مِنَ التَّهْنِئَةِ بِهَا قِسْمَهُ؛ وَخَصَّهُ الْوِدَادُ بِأَجَلٍ أَجْرَائِهَا، وَأَجْلَسَهُ الْإِتِّحَادُ عَلَى أَسِرَّةٍ مَسْرُوتِهَا إِذَا أَجْلَسَ الْعِنَادُ غَيْرَهُ عَلَى سِطَاةٍ عَزَائِهَا؛ عَلِمَا بِأَنَّهُ الصَّدِيقُ الَّذِي تُبْرِجُهُ مَسَارُ صَدِيقِهِ، وَالصَّاحِبُ الَّذِي يَرَى مَسَاهِمَةَ صَاحِبِهِ فِي بَشْرَى الظَّفَرِ بِأَعْدَائِهِ أَدْنَى حَقْوِقِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ التَّنَارِ فِي حَرَكَاتِهِمُ الذَّمِيمَةِ، وَعَزَمَاتِهِمُ الَّتِي مَا أَحْتَفَلُوا لَهَا إِلَّا وَكَانَ أَحَدَ سَلَاحِهِمْ فِيهَا الْمَرْيَمَةَ، وَغَارَاتِهِمُ الَّتِي مَا حَشَدُوا لَهَا إِلَّا وَقَعُوا فِيهَا بِالْإِيَابِ مِنَ الْغَنِيمَةِ؛ وَأَنَّهُمْ مَا أَقْدَمُوا عَلَيْنَا إِلَّا وَعُدِمُوا، وَلَا سَلَكُوا إِلَيْنَا إِلَّا وَهَلَكُوا؛ حَتَّى إِذَا الْإَرْضُ إِلَى الْآنَ لَمْ تَجِفَّ مِنْ دِمَائِهِمْ، وَإِنَّ الْفُرَاتَ يَكَادُ يَشْفُ لِلتَّامَلِ عَنْ أَشْلَائِهِمْ؛ وَأَنَّ الشَّيْطَانَ بَعْدَ ذَلِكَ جَدَّدَ طَمَعَهُمْ، وَسَكَنَ هَلَعَهُمْ؛ وَأَنَسَاهُمْ مَصَارِعَ إِخْوَانِهِمْ، وَأَسْلَاهُمْ بِمَا زَيْنَ لَهُمْ مِنْ بَلُوغِ أَوْطَارِهِمْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ؛ وَقَالَ لَهُمْ: لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ، وَتِلْكَ الْوَقَائِعُ الَّتِي أُصِيبَتْ فِيهَا قَدْ لَا يَجْرِي الْأَمْرُ فِيهَا عَلَى الْقِيَاسِ؛ وَحَسَّنَ لَهُمُ الْمُحَالَ وَغَرَّهمُ وَجَرَّهمُ عَلَى قَصْدِ الْبِلَادِ الْمَحْرُوسَةِ، وَفِي الْحَقِيقَةِ آسَجَزَهُمْ؛ فَحَشَدُوا جَمُوعَهُمْ
- ١٠.
- ١٥.

(١) في الأصل: «وانتقامنا» بالنون؛ وهو تحريف.

(٢) في حسن التوسل: «يكشف»؛ وكلا اللفظين يستقيم به المعنى.

وجمعوا حشودهم ، وأستقرغوا في الأستتفار والأستظهار طاقتهم ومجهودهم ؛ ومالأم
على ذلك من المجاورين من أبطن شقاقه ، وكنتم نفاقه ، وأنساه الشيطان ما سلف
من تنفيسنا عنه وقد لازم الحنّف خناقه ؛ ونحن في ذلك نوسعهم إهمالا ، ونبسّط
لهم في التّوغل آمالا ، ونأخذ أمرهم بالأناة أستدراجا لهم لا إهمالا ؛ الى أن بعدوا
عن مواطن الهرب ، وحصل من أستدراجهم الأرب ؛ فوثبنا عليهم وثوب الليث إذا
ظفر بصيده ، ونهضنا نحوهم نهوض الحازم إذا وقع [عدوه] ^(١) في أحبولة كيده ؛ وصدمتهم
جيوشنا المنصورة صدمة قلّت غرهم ، وأبطلت طعنهم وضرهم ، وصبغت بدمائهم
ترهم ؛ وحكمت السيوف في مقاتيلهم ، [ومكنت الحتوف من صاحب رأيهم ومقاتيلهم] ؛
وسلّط العدم على وجودهم ، وحطّتهم عن سُروجهم الى مصارعهم أوقودهم ؛
”فغلبوا هنالك وأنقلبوا صاغرين“ ، وعادوا على عادتهم خاسئين ، ورجعوا على أعقابهم
خاسرين ؛ وما أغنى عنهم جمعهم ، وما أفادهم بصرهم فيما شاهدوه من قبل ولا سمعهم ؛
فركن من بقي منهم الى الفرار ، وعاد يبرّد الهرب من لب تلك السيوف الحار
وظنّ من أنهزم منهم أنه فات الرماح ، فتناولته بأرماح من العطش القفار ؛ فولوا
والرعب يزلزل أقدامهم ، والدعمر يقلل إقدامهم ؛ والصفاح تختطفهم من ورائهم
والحراخ تطمع الطير في أكلهم حتى تقع على أحيائهم ؛ حتى أصبحوا هشيما تلعب بهم
الصبا والدبور ، أو أحياء يئس منهم أهلهم ”كما يئس الكفار من أصحاب القبور“
وصفحنا عمن نافقنا ووافقهم ولولا ذلك لما نجا ، ورجا عواطفنا في الإبقاء على
نفسه ، فأجابه حملنا - وعلمنا أنه في القبضة - الى مارجا ؛ فليأخذ الملك حظّه من

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل ص ٩٧ ط الوهية إذ لا يستقيم الكلام بدونها .

(٢) التكملة عن حسن التوسل ؛ وتام السجع الذي التزمه الكاتب في رسالته يقتضى إثباتها .

(٣) في الأصل : «بلغت بهم» الخ وهو تحريف .

هذه البشري التي تسر قلب الولي المحب بوادرها، وتشرح صدر الحفي المحق مواردُها ومصادرُها ؛ والله تعالى يهبه عنا بسمع أمثالها ، ويديم سروره بما جلوانه عليه من مثلاً^(٢) .

قال : فإن كان المكتوب إليه متهماً بمالأة العدو كتب إليه بما يدل على التقريع

- ٥ . والتهم ، وإبراز التهديد في معرض الإخبار ، كما كتب المشار إليه عن السلطان الى مملك سيس^(٣) — وكان قد شهد الواقعة مع العدو — قال منه :

بصره الله برشده ، وأراه مواقع غيبه في الإصرار على مخالفته ونقض عهده

وأسله بسلامة نفسه عمن روعته السيوف الإسلامية بفقده ؛ صدرت تعرفه أنه

قد تحقق ما كان من أمر العدو الذي دلّاه بغروره ، وحمله التمسك بخداه على

- ١٠ بجانب الصواب في أموره ؛ وأنهم استنجدوا بكل طائفه ، وأقدموا على البلاد

الإسلامية بنفوس طامعة وقلوب خائفه ؛ وذلك بعد أن أقاموا مدة يشترون الخداعة^(٤)

بالموادعه ، ويُسرون المصارمة في المسالمة ؛ ويظهرون في الظاهر أموراً ، ويدبرون

في الباطن أموراً ، ويعدون كل طائفة من أعداء الدين مثله ويمنونهم^(٥) وما يعدهم

الشيطان إلا غروراً ؛ وكما بمكرهم عاقلين ، وعلى معالجتهم عاقلين ؛ وحين تبين مرادهم

- ١٥ وتكلم احتشادهم ؛ استدرجناهم الى مصارعهم ، واستجريناهم ليقرّبوا في القتل

من مضاجعهم ، ويعدوا في الحرب عن مواضعهم ؛ وصدناهم بقوة صدمة

(١) كذا في الأصل ؛ والذي في حسن التوسل : « الصفي » بالصاد ؛ وكلا اللغتين يستقيم به المعنى .

(٢) في الأصل : « أمثالها » ؛ والألف الأولى زيادة من النسخ .

(٣) قال ياقوت في معجم البلدان ج ٣ ص ٢١٧ ط جوتتجن : سبسية — وعامة أهلها يقولون :

٢٠ سيس — بلد هو اليوم أعظم مدن النغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة الخ .

(٤) في الأصل : « يسرون » ؛ وهو تحريف . (٥) كذا في الأصل وحسن التوسل ؛ ولم نقف

عليه في كتب اللغة بمعنى حملناهم على الجرى كما هو المعنى المتبادر من سياق العبارة ؛ ولعله : « وأجريناهم » .

لم يكن لهم بها قبيل ، وحملنا عليهم حملةً ألجأهم طوفانها الى ذلك الجبل ، وهل تعصم
من أمر الله حيل ؟ فحصرناهم في ذلك الفضاء المتسع ، وضايقناهم كما قد رأى
ومزقناهم كما قد سمع ، وأنزلناهم على حكم السيف الذي نهل من دمايهم حتى روى
وأكل من لحومهم حتى شبع ، وتبعتهم جيوشنا المنصورة تخطفهم رماحها ، ونبقتهم
صفايحها ، ويبددهم في الفلوات رعبها ، ويفرقهم في القفار طعن المتدارك وضربها ؛
ويقتل من فات السيوف منهم العطش والجوع ، ويحيل للحى منهم أت وطنه كالدينا
التي ليس لليت اليها رجوع ؛ ولعله قد رأى ذلك فوق ما وُصف عيانا ، وتحقق من
كل ما لا يحتاج أن تزيد به علما ولا تقيم له عليه بهانا ؛ وقد علم أن أمر هذا العدو
المخذول ما زال معنا على هذه الوتيرة ، وأنهم ما أقدموا إلا ونصر الله عليهم في مواطن
كثيرة ؛ وما ساقتهم الأطماع في وقتٍ إلا الى حتوفهم ، ولا عاد منهم قط في وقعة
إلا آحادٌ تُخبر عن مصارع ألوفهم ؛ ولقد أضاع الحزم من حيث لم يستدِم نعم الله
عليه بطاعتنا التي كان في مهاد أمنها ، ووهاد يمينها ، وحمية عفوها ، وبرد رأفتها التي
كدرها بالخالفة بعد صفوها ؛ يصون رعاياه بالطاعة عن القتل والإسار ، ويحیی
أهل ملته بالحدَر من الحركات التي ما نهضوا اليها إلا وجرأ ذبول الخسار ؛ ولقد
عرّض نفسه وأصحابه لسيوفنا التي كان من سَطواتها في أمان ، ووثق بما ضمن له
التار من نصره وقد رأى ما آل اليه أمرُ ذلك الضمان ؛ وجرّ لنفسه بموالات التار
عناءً كان عنه في غنى ، وأوقع رُوحه بمظاهرة المغول في حومة السيوف التي تخطف
أولياءه من هنا ومن هنا ؛ واقتحم بنفسه موارد هلاك سابت رداء الأمن عن منكبيه
وأغتره وقومه بما زين لهم الشيطان من غروره ” فلما تراءت ألفتان نكص على
عقبه “ وما هو والوقوف في هذه المواطن التي تتزلزل فيها أقدام الملوك الأكاره
وأني لضعاف المقاد قدرة على الثبات لو ثبات الأسود الضارية والليوث الكاسره ؛

- لقد اعترض بين السهم والهدف بحره ، وتعرض للوقوف بين ناب الأسد وظفيره ؛ وهو يعلم أننا مع ذلك نرعى له حقوق أسلافه التي ماتوا عليها ، ونحفظ له خدمة آبائه التي بذلوا نفوسهم ونفائسهم في الوصول إليها ؛ ونجزيه وأهل بلاده مجرى أهل ذمتنا الذين لا نُؤيسهم من عفونا مهما استقاموا ، ونسلك بهم حكم من في أطراف البلاد من رعاينا الذين هم في قبضتنا نزحوا أو أقاموا ؛ ونحن نتحقق أنه ما بقي ينسى ملازمة ربة الحنف خناقه ، ولا يرجع يهور نفسه في موارد الهلاك ، وهل يرجع الى الموت [من] ذاقه؟ فيستدرك باب الإنابة قبل أن يغلق دونه ، ويصون نفسه وأهله قبل أن تبدل السيوف الإسلامية مصونه ، ويبادر الى الطاعة قبل أن يبدلها فلا تقبل ، ويتمسك بأذيال العفو قبل أن ترفع دونه فلا تسبل ؛ ويعجل بحمل أموال القطيعة وإلا كان أهله وأولاده في جملة ما يحمل منها النيا ، ويسلم مفاتيح ما عدا عليه من فتوحنا ، وإلا فهو يعلم أنها وجميع ما تأخر في بلاده بين يدينا ؛ ويكون هو السبب في تمزق شمله ، وتفرق أهله ، وقلع بيته من أصله ؛ وهدم كائسه ، وأبدال نفسه ونفائسه ؛ واسترقاق حرمة ، واستخدام أولاده قبل خدمه ؛ واقتلاع قلاعه ، وإحراق

- (١) كذا في الأصل ؛ ومهما في هذه العبارة حرف بمعنى إن الشرطية ، وهو مذهب ضعيف ؛ وقد سبق أن أوضحنا ذلك في ت ٢ ص ١٩٠ من هذا الجزء .
- (٢) يهور نفسه ، يريد يلقى بها ، وهو من هوره إذا صرعه وألقاه . وعبارة حسن التوسل : « ولا يورد » .
- (٣) عبارة الأصل : « المؤمنين فاقة » ؛ وفيه نقص وتحريف ، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا وانظر حسن التوسل ص ٩٨ ط الوهبة .
- (٤) في الأصل : « وقد قلع » ؛ وقوله : « قد » زيادة من النسخ .
- (٥) في الأصل : « واستقلاع » بسين وتاء ؛ ولم نقف عليه فيما لدينا من كتب اللغة .

رُبوعه وِرْبَاعِهِ ، وتَعْجِيلِ رُؤْيَةِ مَا أُوعِدَ بِهِ قَبْلَ سَمَاعِهِ ، وَمَنْ لَقَا زَانَ بَأَنَّ يَجَابَ إِلَى
مِثْلِ ذَلِكَ ، أَوْ يُسَمَّحَ لَهُ مَعَ الْأَمْنِ مِنْ سَيُوفِنَا بِيَعُضِ مَا فِي يَدِهِ مِنَ الْمَمَالِكِ ؛ لِيَقْنَعَ بِمَا
أَبْقَتْ جِيُوشُنَا الْمُؤَيَّدَةُ فِي يَدِهِ مِنَ الْخَيْلِ وَالْحَوَالِ ، وَيَعِيشَ فِي الْأَمْنِ بِيَعُضِ مَا نَسَمَحُ
لَهُ بِهِ ، وَمَنْ لِلْعُورِ بِالْحَوَالِ ؛ وَالسِّيُوفِ الْآنَ مُصْغِيَةً إِلَى جَوَابِهِ لَتُكْفَفَ إِنْ أَبْصَرَ سُبُلَ
الرِّشَادِ ، أَوْ تَعَوَّضَ بِرَعُوسِ حُمَاتِهِ وَكِبَاتِهِ عَنِ الْأَعْمَادِ إِنْ أَصْرَّ عَلَى الْعِنَادِ ، وَالْخَيْرُ يَكُونُ .

وأما التقاليد والمناشير والتواقيع وما يتعلّق بذلك — فالأحسن
فيها بسط الكلام ، وتُعتبر كثرته وقلته بحسب الرتب ، ويجب أن يراعى فيها أمور :

منها براعة الاستهلال بذكر الرتبة أو الحال ، أو قدر النعمة ، أو لقب صاحب
التقليد أو اسمه بحيث لا يكون المطلع أجنبيًا من هذه الأحوال ، ولا بعيدا منها ،
ولا مبينًا لها ، ثم يستصحح ما يناسب الغرض ويوافق المقصد من أول الخطبة

(١) الرباع بكسر الراء : جمع ربيع بضم أوله وفتح ثانيه ، وهو الفصيل في أول الشاج ؛ والمراد
ماشيته ، يريد بهذه العبارة توعده بإحراق منازل وأمواله .

(٢) في الأصل : «وعده» بإسقاط الهمزة ؛ والمشهور عند أئمة اللغة وجوب إثباتها في مثل هذا
الموضع ؛ قال الأزهري : كلام العرب : وعدت الرجل خيرا ، ووعدهت خيرا ، وأوعدهت خيرا وأوعدهت
شرا ؛ فإذا لم يذكروا الخير قالوا : وعدته ولم يدخلوا ألفا ، وإذا لم يذكروا الشر قالوا : أوعدهت ولم يسقطوا
الألف ؛ وأنشد لعامر بن الطفيل :

وإني لمن أوعدهت أو وعدته * لأخلف إيعادي وأنجز موعدى

انظر اللسان وشرح القاموس . والكاتب هنا لم يذكر الشر ، فلزم إثبات الهمزة كما تقتضيه عبارة
الأزهري ؛ والذي يفهم من كلام المصباح أنه يقال في الخير والشر : وعده بدون ألف سواء أذكر الخير
والشر أم لم يذكر ، والفارق بينهما المصدر ، فانه في الخير : الوعد ، وفي الشر : الوعيد .

(٣) عبارة الأصل : «ومن العمور» ؛ وهو تحريف .

الى آخرها؛ قال : وَيَحْسُنُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ فِي التَّقْلِيدِ مَقْسَمًا إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ
مُتَقَارِبَةٍ الْمَقَادِيرِ ، فَالرُّبْعُ الْأَوَّلُ الْخُطْبَةُ ، وَالثَّانِي ذِكْرُ مَوْجِعِ الْإِنْعَامِ فِي حَقِّ الْمَقْلَدِ ،
وَذِكْرُ الرَّتْبَةِ وَتَفْخِيمُ أَمْرِهَا ، وَالثَّلَاثُ فِي أَوْصَافِ الْمَقْلَدِ وَذِكْرُ مَا يَنْسَبُ تِلْكَ الرَّتْبَةَ
وَيَنْسَبُ حَالَهُ مِنْ عَدْلِ وَسِيَاسَةِ وَمَهَابَةٍ وَبُعْدِ صِيْتٍ ، وَشُمُوعَةٍ وَشَجَاعَةٍ إِنْ كَانَ
نَائِبًا ، وَوَصْفِ الْعَدْلِ وَالرَّأْيِ وَحَسَنِ التَّدْبِيرِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِوُجُوهِ الْأَمْوَالِ ، وَعِمَارَةِ
الْبِلَادِ ، وَصَلَاحِ الْأَحْوَالِ ، وَمَا يَنْسَبُ ذَلِكَ إِنْ كَانَ وَزِيرًا ؛ وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ رَتْبَةٍ
بِحَسَبِهَا ، وَالرَّابِعُ فِي الْوَصَايَا ؛

ومنها [أن يراعى ^(١)] المناسبة وما تقتضيه الحال ، فلا يعطى أحداً فوق حقه ،
ولا يصفه بأكثر مما يراد من مثله ، ويراعى أيضاً مقدار النعمة والرتبة ، فيكون
وصف المنّة على مقدار ذلك .

ومنها أن لا يصف المتولّى بما يكون فيه تعريضٌ بالمعزول وتقصُّرٌ له ، فإن
ذلك مما يؤغّر الصدور ، ويؤرث الضغائن في القلوب ، ويدلّ على ضعف الآراء
في اختيار الأول ، وله أن يصف الثاني بما يحصل به المقصود من غير تعريض
بالأول ؛

ومنها أن يتخير الكلام والمعاني ، فإنه مما يشيع ويدبغ ، ولا يعذر المقصر في ذلك
بعجلة ولا ضيق وقت ، فإن مجال الكلام عليه متسع ، والبلاغة تظهر في القليل
والكثير ، والأمر الجارى في ذلك على العادة معروف ، لكن تقع أشياء خارجة عن
العادة ، نادرة الوقوع ، فيحتاج الكاتب فيها الى حسن التصرف على ما تقتضيه الحال ؛

(١) التكلّة عن حسن التوسل ص ١١٠ ط الوهية ؛ وسياق الكلام يقتضى إثباتها .

(٢) في الأصل : « ولا يعجل » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا انظر حسن التوسل .

فمن ذلك تقليدٌ [من] إنشاء المولى الفاضل شهاب الدين محمود الحلبي كتبه
لمتملك سيسى بإقراره على ما قاطع النهر من بلاده ، وهو :

الحمد لله الذى خصَّ أيامنا الزاهرةً باصطناع ملوك الملل ، وفضل دولتنا
القاهرةً بإجابة من سأل بعض ما أحرزته لها البيض والأسل ، وجعل من
خصائص ملكنا إطلاق الممالك وإعطاء الدول ، والمن بالنفوس التي جعلها النصر لنا
من جملة الخول ، وأغرى عواطفنا بتحقيق رجاء من مد إلى عوارفنا كفف الأمل ،
وأفاض بمواهب نعمائنا على من أناب الى الطاعة حلل الأمن بعد الوجل ، وأنترع
بالائنا [لمن تمسك بولائنا]^(٢) أرواح رعاياه من قبضة الأجل ، وجعل برد الغفو عنه
وعنهم بالطاعة نتيجة ما أذاقهم العصيان من حرارة الغضب ، إذ ربما صححت الأجسام
بالعلل ، نحمده على نعمه التي جعلت عفونا ممن رجاه قريبا ، وكرمنا لمن دعاه بإخلاص
الطاعة مجيبا ، وبرنا لمن أقبل اليه منيبا بوجه الأمل مثنيا ، وبأسنا مصيبا لمن لم يجعل
الله له فى التمسك بمراحنا نصيبا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة
تعصم دم من تمسك بذمامها ، وتحسم مواد من عاندها بانتقام حسامها ، وتقصم عمرا
الأعناق ممن أطمعه الغرور فى انفصال أحكامها وأنفصامها ، وتقصم من قصد
إطفاء ما أظهره الله من نورها ، وانقطاع ما قضاه من دوامها ، وتجعل كلمة حملتها
هى العليا ، فلا تزال أعناق جاحديها فى قبضة أوليائها وتحت أقدامها ، ونشهد أن
محمد عبده ورسوله المبعوث بالهدى ودين الحق الى كل أمه ، المنعوت فى الكتب
المنزلة بالرأفة والرحمة ، المخصوص مع عموم المعجزات بخمس منهن الرعب الذى كان
يتقدمه الى من قصده ، ويسبقه مسيرة شهر الى [من]^(١) أمه ، المنصوص

(١)

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل السلي ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٢)

(٢) التكملة عن حسن التوسل .

في الصحف المحكّمة على جهاد أمته، الذي لاحياة لمن لم يتمسك من طاعته بدمته؛
 صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فتحوا بدعوته الممالك، وأوضحوا بشرعته الى الله
 المسالك، وجلّوا بنور سنّته عن وجه الزمن كلّ حال حالك، وأوردوا من كفر برهم
 ورسله موارد المهالك، ووثقوا بما وعد الله نبيّه حين زوى له مشارق الأرض
 ومغاربها من أن ملكهم سيبلغ ما زوى الله له من ذلك؛ صلاة لا تزال الأرض لها
 مسجدا، ولا يبرح ذكرها مغيرا في الآفاق ومنجدا؛ ما استفتحت ألسنة الأسمنة
 النصر بإقامتها، وأبادت أعداءها باستدامتها، وسلم تسليما كثيرا؛

وبعد، فإنه لما آتانا الله ملك البسيطة، وجعل دعوتنا بأعنة ممالك الأقطار
 محيطه؛ ومكّن لنا في الآفاق، وأنهضنا من الجهاد في سبيله بالسنة والفرس، وجعل
 كل يوم تعرض [فيه] جيوشنا من أمثلة يوم العرض؛ وأظلتنا بوادر الفتوح؛
 وأظلت على الأعداء سيوفنا التي هي على من كفر بالله وكفر النعمة دعوة نوح
 وأيدنا بالملائكة والروح، على من جعل الواحد سبحانه ثلاثة فانتصر بالأب والابن
 والروح؛ وألقت إلينا ملوك الأقطار السلم، وبذلت كرائم بلادها رغبة في الالتجاء
 من عفونا الى ظل أعلى من علم؛ وتوسل من كان منهم يُظهر الغلظة بالذلة والخضوع
 وتوصل من كان منهم يُبدي القوة بالإخلاص الذي رأوه لهم أقوى الجئن وأوقى
 الدروع؛ عاهدنا الله تعالى ألا نردّ منهم آملا، ولا نصدّ عن مشاريع كرمنا ناهلا؛
 ولا نجيب من إحساننا راجيا، ولا نجلبى عن ظلّ ربنا لاجيا؛ علمنا أن ذلك شكر
 للقدرة التي جعلها الله لنا على ذلك الآمل، ووثوقا بأنه حيث كان في قبضتنا كما نشاء

(١) كذا في الأصل السليبي . والذي في حسن التوسل ص ١١١ : « الأرض » ؛ وهو أظهر بديل

٢٠ ما يأتي في الفقرة بعده ، ليم به السجع الذي التزمه الكاتب في رسالته .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل السليبي ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل .

نَجِّعُ عَلَيْهِ الْأَنَامِلَ ؛ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ اللَّاجِئُ لِلْغَلِّ مُسْرًا ، وَعَلَى عِدَاوَةِ الْإِسْلَامِ
 مُصْرًا ؛ فَيَكُونُ هُوَ الْجَانِي عَلَى نَفْسِهِ ، وَالْجَائِي عَلَى مَوْضِعِ رَمْسِهِ ؛ وَلَمَّا كَانَ مِنْ
 تَقَدُّمِ بِالْمَلِكَةِ الْفَلَانِيَةِ قَدْ زَيْنَ لَهُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُ ، وَعَقَدَ بِجِبَالِ الْغُرُورِ آمَالَهُ ؛ وَحَسَّنَ
 لَهُ التَّمَسُّكَ بِالنَّتَارِ الَّذِينَ هُمْ بِمَهَابَتِنَا مُحْصَرُونَ فِي دِيَارِهِمْ ، مَأْسُورُونَ فِي حَبَائِلِ
 ٥ إِدْبَارِهِمْ ؛ عَاجِزُونَ عَنِ حِفْظِ مَالِدِيهِمْ ، قَاصِرُونَ عَنِ ضَبْطِ مَا اسْتَبْتَبَهُ سَرَايَانَا
 الْمَنْصُورَةُ مِنْ يَدِيهِمْ ؛ لَيْسَ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ لَهُ عِنْدَ سَيُوفِنَا ثَارٌ ، وَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا بَدَلَ لَهُ
 عِنْدَنَا مِنْ خُطَّتِي خَسْفٌ : إِمَّا الْقَتْلَ أَوْ الْإِسَارَ ؛ وَحِينَ تَمَادَى الْمَذْكُورُ فِي غِيَّهِ ، وَحَمَلَهُ
 الْغُرُورُ عَلَى رُكُوبِ جُودِ بَغِيهِ ؛ أَمَرْنَا جِيُوشَنَا الْمَنْصُورَةَ بِخَاسَتِ خِلَالَ تِلْكَ الْمَمَالِكِ
 وَدَاسَتْ حَوَافِرُ خَيْلِهَا مَا هُنَاكَ ، وَسَاوَتْ فِي عَمُومِ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ بَيْنَ الْعَبِيدِ وَالْحُرِّ
 ١٠ وَالْمَمْلُوكِ وَالْمَالِكِ ؛ وَأَلْحَقَتْ رَوَاسِيَ جِبَالِهِمْ بِالصَّعِيدِ ، وَجَعَلَتْ حُمَاتِهِمْ كُرُوعَ
 فَلَاتِهِمْ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ؛ فَأَسْلَمَهُمُ الشَّيْطَانُ وَمَرَّ ، وَتَرَكَهُمْ وَفَزَّ ، وَمَا كَرَهُمْ وَمَا كَرَّ
 وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ السَّاعَةَ مَوْعِدُهُمْ ”وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ“ وَأَخْلَفَهُمْ مَا ضَمِنَ لَهُمْ مِنَ الْعَوْنِ
 وَقَالَ لَهُمْ : ”إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ“ ؛ وَكَانَ الْمَلِكُ فُلَانٌ مِمَّنْ يَرِيدُ طُرُقَ
 النِّجَاةِ فَلَمْ يَرِ الْإِيْمَا بِسِوَى الطَّاعَةِ سَبِيلًا ، وَيَأْمُلُ أَسْبَابَ النِّجَاحِ فَلَمْ يَجِدْ عَلَيْهَا غَيْرَ
 ١٥ صَدَقِ الْإِنْتِمَاءِ دَلِيلًا ؛ فَأَبْصَرَ بِالْحِدْمَةِ مَوْضِعَ رُشْدِهِ ، وَأَدْرَكَ بِسَعِيهِ نَافِعَ سَعْدِهِ ؛
 وَأَرَاهُ الْإِقْبَالَ كَيْفَ تَثَبَّتْ قَدْمُهُ فِي الْمَلِكِ الَّذِي زَلَّتْ عَنْهُ قَدَمٌ مِنْ سَلْفٍ ، وَأَظْهَرَ لَهُ
 الْإِسْفَاقَ عَلَى رَعَايَاهُ مَصَارِعَ مِنْ أَوْرَدِهِ سَوْءُ تَدْبِيرِ أَخِيهِ مَوَارِدِ التَّلْفِ ، وَعَرَفَهُ
 التَّمَسُّكَ بِإِحْسَانِنَا كَيْفَ آحَتَتْ يَدُهُ عَلَى مَا لَمْ يُبْقِ غَضْبُنًا فِي يَدِ أَخِيهِ مِنْهُ إِلَّا الْأَسْبَى
 وَالْأَسْفَ ؛ وَحَسَّنَتْ لَهُ الثَّقَةَ بِكُرْمِنَا كَيْفَ يَجْمَلُ الطَّلِبَ ، وَعَلَّمَتْهُ الطَّاعَةَ كَيْفَ
 ٢٠ تُسْتَنْزَلُ عَوَارِفُنَا عَنْ بَعْضِ مَا غَلَبَتْ عَلَيْهِ سَيُوفُنَا وَإِنَّمَا الدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَ ؛ وَأَنْتَمَى
 إِلَيْنَا فَصَارَ مِنْ خَدَمِ أَيَّامِنَا ، وَصَنَائِعِ إِنْعَامِنَا ، وَقَطَعَ عِلَاقَتَهُ مِنْ غَيْرِنَا ؛ فَاجَأَ مِنَّا إِلَى

- ركن شديد، وظلّ مديد، ونصير عتيد؛ وحرّم ياوى أمّله إليه، وكرم تُقرّ نضارته ناظريه، وإحسانٍ يمتعه بما أقرّه عطاؤنا في يديه، وأمّتنا يَضَع عنه إصره والأغلال التي كانت عليه؛ اقتضى إحساننا أن نُغضَى له عن بعض ما حلّت جيوشنا ذراه وحلّت سَطَوَاتُ عساكرنا عُراه؛ وأضعفت عَزَمَاتُ سَرايانا قواه، ونشرت طلائع جنودنا ما كان ستره صَفْحُنَا عنهم من عورات بلادهم وطواه؛ وأن نخوله بعض ما وردت خيولنا مَنَاهله، ووَطِئَتْ جِإدُنَا غَارِبَه وكاهله؛ وسَلَكَتْ كُمَاتُنَا فَلَكَتْ دَارِسَه وآهله؛ وأن نُنقِ مملكة البيت الذي مضى سَلْفُه في الطاعة عليه، ويستمرّ مُلْكُ الأَرَمْنِ الذي أُهْمِلُ السعِي في مصالحه بيديه؛ لِيَتِمَّنَ رعاياه به، ويعلموا أنهم أَمِنُوا على أرواحهم وأولادهم بسببه؛ وَيَحَقِّقُوا أَن أَنْقَالَهُمْ بِحُسْنِ تَوْصِلِهِ إِلَى طَاعَتِنَا
- ١٠ قد حَقَّتْ، وَأَن بُوَادِرَ الأَمْنِ بِالطَفِ تَوْصِلُهُ إِلَى مَرَضِينَا قَدْ أَطَافَتْ بِهِمْ وَحَقَّتْ وَأَن سِيُوفِنَا الَّتِي كَانَتْ مَجْرَدَةً عَلَى مَقَاتِلِهِمْ بِجَمِيلِ اسْتِعْطَافِهِ قَدْ كَفَّتْهُم بِأَسْنَا وَكَفَّتْ وَأَن سَطَوَاتِنَا الْحَاكِمَةَ عَلَى أَرَوَاحِهِمْ قَدْ عَفَّتْ [عَنْهُمْ بِمَلَاطِفَتِهِ وَعَفَّتْ]؛ فَرَسْمُ أَن يُقَلِّدَ كَيْتَ وَكَيْتَ مِنَ الْمَمْلُوكَةِ الْفَلَانِيَّةِ، وَيَسْتَقِرَّ بِيَدِهِ اسْتِقْرَارًا لَا يَنْزَاعُ فِي اسْتِحْقَاقِهِ وَلَا يُعَارِضُ فِيهَا سَبَقَ مِنْ إِعْطَائِهِ وَإِطْلَاقِهِ؛ وَلَا يَطَّالِبُ عَنْهُ بِقَطِيعِهِ، [وَلَا يُطَلِّبُ مِنْهُ بِسَبَبِهِ غَيْرُ طَوِيَّةٍ مُخْلِصَةٍ وَنَفْسٍ مُطِيعَةٍ]؛ وَلَا يَخْشَى عَلَيْهِ يَدَا جَائِرِهِ، وَلَا سَرِيَّةً فِي طَلْبِ الْغِسْرَةِ سَائِرِهِ؛ وَلَا يَطْرُقُ كِنَاسَهُ أُسْدُ جِيُوشِ مَفْتَرِسِهِ، وَلَا سَبَاعُ نِهَابٍ مُخْتَلِسِهِ؛ بَلْ تَسْتَمِرُّ بِلَادُهُ الْمَذْكُورَةُ فِي ذِمَامِ رِعَايَتِنَا، وَحَصَانَةِ عِنَايَتِنَا؛ وَكَانَفِ إِحْسَانِنَا، وَوَدِيعَةِ بَرِّنَا وَأَمْتَانِنَا؛ لَا تَطْمَحُ إِلَيْهَا عَيْنٌ مُعَانِدٍ، وَلَا يَمْتَدُّ إِلَيْهَا إِلَّا سَاعِدٌ

(١) كذا في النسخة السلبية لهذا الكتاب، وحسن التوسل ص ١١٢ ط الوهية؛ وفي بعض نسخ

حسن التوسل: «أجل» بالجيم؛ والمعنى يخلف في كلتا الروايتين.

(٢) التكلفة عن حسن التوسل؛ وسياق الكلام يقتضى إثباتها.

(٣) القطيعة: الضريبة.

مساعد، وعضدٌ مُعاضِدٌ؛ فليقابل هذه النعمة بشكر الله الذي هداه الى الطاعة
وصان بإخلاص ولأئنه نفسه ونفائس بلاده من الإضاعة؛ وليقرن ذلك بإصفاء
موارد المودّة، وإضفاء ملابس الطاعة التي لا تزداد بحسن الوفاء إلا جده؛ واستمرار
المناصحة في السر والعلن، واجتناب المخادعة ما ظهر منها وما بطن، وأداء الأمانة
فيما استقرّ معه الحلف عليه، ومباينة ما يخشى أن يتوجه بسببه وجهه عتب إليه؛
وأستدامة هذه النعمة بحفظ أسبابها، وأستقامة أحوال هذه المنّة برفض موجبات
الكدر واجتنابها، وإخلاص النية التي لا تُعتبر ظواهر الأحوال الصالحة إلا بها .
ومن تقليد كتبه المشار إليه أيضا لسلا مش بمملكة الروم حين ورد كتابه
يسأل ذلك قبل حضوره، أوله :

الحمد لله الذي أيدنا بنصره ، وأمّدتنا من جنود الظفر بما لم يؤت ملة
في عصره ، وجعل مهابتنا قائمة في جهاد عدو الدين ، إن قرب مقام كسره ، وإن
بعد مقام حصره ، ونسرد دعوة ملكنا في الأقطار كلها اذا اقتضت دعوة غيرنا من
ملوك الأمصار على مصره ، وأنجد من نادانا بلسان الإخلاص من جنود الله
وجنودنا بالجيش الذي لم تزل أرواح العدا بأسرها في أسره ، وعضد من تمسك
بطاعة الله وطاعتنا من إجابة عساكرنا بما هو أقرب الى مقاتل عدوه من بيضه
المرهفة وشمره ، وأعاد بنا من حقوق الدين كل ضالة ملك ظن العدو أنّ
أمره غالب عليها والله غالب على أمره ؛ فجنودنا إلى نصرة من دعاها بالإيمان
أقرب من رجوع نفسه إليه ، وأسرع من رد الصدى جوابه عليه ؛ وأسبق الى عدو

(١) الحلف بكسر أوله وسكون ثانيه : العهد .

(٢) في الأصل : « ودى » ؛ وهو تحريف .

الدين من مواقع عيانه ، وأقدّر على التصرف في أرواح أهل الشرك من تصرف
الكبي في عيانه ؛ وأذب عن حمى الدين من الجفون عن نواظرها ، وأضرى على
نفوس المعتدين من أسود عنت الفرائس لكواسرها ؛ قد عودها النصر الإلهي^(١)
ألا تسأل ظباها فتعمد حتى تستباح ممالك ، وصن لها الوعد المحمدي أنها الطائفة
الذين لا يزالون ظاهرين الى يوم القيامة حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ؛ فحمده
على نعمه التي لم نزل نصون بها حمى الدين ونصول ، ونقلد بينهم من لجأ إلينا سيف
نصر يصدع به ليل العدا ولو أن النجوم نُصول ، ونورد بأسمها من انتصر بنا
مورد عز يُحزّمه لمع الأسته فوقه ، فليس لظمان من العدا إليه وُصول ؛ وبعد ، فإن
أولى من أصغت عز أئمتنا الشريفة إلى نداء إخلاصه ، وأجابت مكارمنا العميمة
دعاء تميزه بالولاء واختصاصه ، وقابلت مراسمتنا انتصاره في الدين بالنفير لإعانتته
على ما ظفر باقتلاعه من يد الكفر واقتناصه ، وتكفلت له مهابتنا بالأمن على ملك
مذ وسمه باسمنا الشريف يؤس العدو من استخلاصه ؛ وأجيبت كُتبه في الاستنجاد
بسرعان الكئاب ، ولعان القواضب ، وتتابع أمداد جيوشنا التي تنوء بجملها كواهل
المشارك والمغرب ، وتدقق أمواج عساكرنا التي تُنشد طلائعها ملوك العدا :

« أين الفرار ولا مفرّ لهارب »

وتألق بروق النصر من خفق ألويتنا الشاهدة بأن قبيلنا

« إذا ما التقي الجمعان أول غالب » .

(١) في الأصل : « الفوارس » ؛ وهو تحريف ، وسياق العبارة يقتضى ما أثبتنا . والفرائس :

جمع فريسة . (٢) في الأصل : « يجزّمه » بالجم والزاي المعجمتين ؛ وهو تصحيف .

(٣) سرعان الناس بفتح السين والراء : أوائلهم المستبقون إلى الأمر ، قاله الأصمعي فيمن يبرع

من العسكر . انظر تاج العروس .

ومنه :

وَفَوَّضْتُ إِلَيْهِ مَرَامِنَا الْحُكْمَ فِي الرِّعَايَا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَقَلَّدْتُهُ ^(١) أَوْامِرَنَا مِنْ
عُقُودِ النَّظَرِ فِي تِلْكَ الْمَمَالِكِ [مَا تَوَدَّ جِبَاهُ الْمَلُوكِ] ^(٢) لَوْ حَلَّتْ بِدَرْهَا مَعَاقِدَ التَّيْجَانِ ،
وَعَلَّقَتْ بِهِ مِنَ الْأَوْامِرِ مَا بِنَا تَنْفُذَ مَوَاقِعِهِ ، وَكَذَا الْأُمُورِ الْمَعْتَبِرَةَ لِاتِّفُذِ الْإِبْسُلْطَانِ ؛
مَنْ أَلْقَى اللَّهُ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ ، وَهَدَاهُ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ فَأَصْبَحَ فِيهِ عَلَى بَيْتَةِ مَنْ رَبِّهِ ،
وَأَرَادَ بِهِ خَيْرًا فَتَقَلَّهَ مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ إِلَى حِزْبِهِ ، وَأَنْقَذَهُ بِطَاعَتِهِ مِنْ مَوَارِدِ الْهَلَاكِ
بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ أَذِنَ بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَقَدْ خَسِرَ الدِّينَ وَالْدُنْيَا وَالْآخِرَةَ ^(٥)
مَنْ أَذِنَ مِنْ اللَّهِ بِحَرْبِهِ ، وَأَيَقَظُهُ مِنْ طَاعَتِنَا الَّتِي أَوْجَبَهَا عَلَى الْأُمَّةِ لَمَّا أَبْصَرَهُ
رُشْدَهُ ، وَرَأَى قَصْدَهُ ، وَعَلِمَ بِهِ أَنَّ الَّذِي كَانَ فِيهِ كَسْرَابٌ بِقِيَعَةٍ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ، وَأَنَّ
الَّذِي آتَقَلَّ إِلَيْهِ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ ، وَأَنْهَضَهُ مِنْ مُوَالَاتِنَا بِمَا حَتَمَ بِهِ النَّهْوُضَ عَلَى كُلِّ
مَنْ كَانَ مُسْلِمًا ، وَأَخْرَجَهُ بِنُورِ الْهُدَى مِنْ عِدَادِ أَعْدَائِهِ الَّذِينَ تَرَكَهُمْ خَوْفُنَا ^(٦) كَأَمَّا
أَغْشَيْتَ وَجُوهَهُمْ قِطْعًا مِنَ الْكَلْبِ مُظْلِمًا ، وَأَرَاهُ الرُّشْدُ مَا عَلِمَ بِهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْرَثَنَا
مُلْكَ الْإِسْلَامِ فَبَطَاعَتِنَا يَتِمُّ الْإِنْتِمَاءُ إِلَيْهِ ، وَأَعْطَانَا مَقَالِيدَ الْبَسِيطَةِ فَمَنْ آعْتَصَبَ مِنْهَا
شَيْئًا آتَرَعهَ اللَّهُ لَنَا بِجُنُودِهِ الْمَسُومَةِ مِنْ يَدَيْهِ ، فَلَجَّأَ مِنْ أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ إِلَى الظِّلِّ الَّذِي
يَلْجَأُ إِلَيْهِ كُلُّ ذِي مَنَبَرٍ وَسَرِيرٍ ، وَرَجَا مِنْ كَرَمِنَا الْأَعْتَصَامَ بِجِيُوشِنَا الَّتِي مَا رَمَيْنَا بِهَا

(١) في الأصل : «وقدرته» ؛ وهو تحريف .

(٢) الزيادة عن حسن التوسل ص ١١٣ طبع لوهية ، واستقامة الكلام تقتضيها .

(٣) في الأصل : «جلت» بالجيم المعجمة ؛ وهو تحريف .

(٤) في الأصل : «وعذقت» بالذال المعجمة ، وهو تحريف .

(٥) لم يرد هذا اللفظ في حسن التوسل .

(٦) القِيَعَةُ بكسر القاف : المستوى من الأرض ، أشار بهذه العبارة إلى قوله تعالى : «والذين كفروا

أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا» .

عدوا إلا ظن أن الرمال تسيّل والجبال تسيّر؛ وتخيّرنا إلى فئة الإسلام، وانتصر
 بسيوفا التي هو يعلم كيف تسلّها على العدا الأحلام؛ ومّت إلينا بدمّة الإسلام
 وهي عندنا أبرّ الذم، وطلب تقليده الحكم منا من عرف بإعاذته النظرات الصادقة
 أنه كان يحسب الشحم فيمن شحمه ورم، وعقد بنا بناء رجائه، وهل لمسلم عن ملك
 الإسلام من معدّل؟ وأنزل بنا ركائب آماله، وهل بعد رامة لمرايم من منزل؟ فتلقّت
 نعمنا كرائم قصده بالترحيب، وأحلت وفادة آتناه بالحرم الذي شأوه بعيد ونصره
 قريب؛ وتسرعت إلى نصرته جنودنا التي أيامها مشهورة في عدوها، وآثارها مشكورة
 في رواحها وعدوها، وأعلامها منصورّة في آنتراحها ودنوها؛ وتابعت يتلو بعضها
 بعضها تتابع الغمام المتراكم، والموج المتسلاطم؛ تقدّم عليه بالنصر القريب من الأمد
 البعيد، وتعلم بوادرها أن طلائعها عنده وساقها بالصعيد؛ ولما كان فلان هو
 الذي أراد الله به من الخير ما أراد، ووطّد له بعنايته أركان الرشد؛ وجعل له بعد
 الجهل به علما، وتداركه برحمته، فما أمسى للإسلام عدوا حتى أصبح هو ومن معه
 له سلما؛ "قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا"، وبكرمه العميم فليفسحوا
 صدورهم ويشرحوا، وبارشاده الجليّ وهدايته فليدعوا قومهم الى ذلك وينصحوا؛
 وحين وصّحت له هذه الطرق أرشدته من خدمتنا الشريفة الى الطاعة، ودلّته على

(١) في الأصل: «من معادته»؛ وهو تحريف، والتصويب عن حسن التوسل.

(٢) في الأصل وحسن التوسل: «بإدارته»؛ وهو تحريف في كليهما، وسياق الكلام يقتضى

ما أثبتنا إذ بقية الكلام تدل على أنه حل لبيت المنبئ وهو:

أعيذها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

(٣) كذا في الأصل؛ والذي في حسن التوسل: «لمراد»؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين.

(٤) في الأصل: «أسمائه»؛ وهو تحريف.

مُؤَالاةِ مَلِكِ الْإِسْلَامِ الَّتِي مِنْ لَمْ يَتَمَسَّكَ [بِهَا] فَقَدْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَرَنَ طَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَاعَةِ أَوْلَى الْأَمْرِ ، وَحَثَّ عَلَى مَلَازِمَةِ الْجَمَاعَةِ فِي وَقْتٍ يَكُونُ الْمُتَمَسِّكُ فِيهِ بِدِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ ؛ وَهَذَا فِعْلٌ مِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا ، وَسَعَى مِنْ يُحْسِنُ فِي دِينِ اللَّهِ سِيرَةً وَسَيْرًا ؛ وَلِذَلِكَ أَقْتَضَتْ آرَأُونَا الشَّرِيفَةَ إِمْضَاءَ عَزْمِهِ عَلَى الْجِهَادِ بِالْإِجَادِ ، وَإِنْفَاذَ سَهْمِهِ فِي أَهْلِ الْعِنَادِ بِالْإِسْعَافِ وَالْإِسْعَادِ ؛ وَأَرْسَلْنَا الْجِيُوشَ الْإِسْلَامِيَّةَ كَمَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ يَطَّوْنُ الصَّحَاحِ ، وَيَسْتَقْرِ بُونَ الْمَدَى النَّازِحِ ، وَيَأْخُذُونَ كُلَّ كَيْفٍ فَلَوْ أَسْتَطَاعَ السَّمَاكُ لَمْ يَتَسَمَّ بِالرَّاحِ ، وَيَحْتَسِبُونَ الشُّقَّةَ فِي طَلَبِ عَدُوِّ الْإِسْلَامِ عَلَمَا أَنَّهُمْ لَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَاذِيَا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ؛ فَرُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ — لَا زَالَ يَهَبُ الدَّوْلَ ، وَيَقْلُدُّ أَجْيَادَ الْعِظَاءِ مَا تَوَدَّ لَوْ تَحَلَّتْ بِبَعْضِ فَرَائِدِهِ تِيحَانُ الْمُلُوكِ الْأَوَّلِ — أَنْ تُفَوَّضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ الْأَمْثَالِ الْفَلَانِيَّةِ تَفْوِيضًا يَصُونَ بِهِ قِلَاعَهَا ، [وَيَصُولُ بِمَهَابَتِهِ عَلَى مَنْ حَاوَلَ أَنْتَرَاعَهَا مِنْ يَدِهِ وَأَقْتَلَاعَهَا] ؛ وَيُجْرِيهَا عَلَى [مَا] أَلْفَتْ مَمَالِكًا مِنْ أَمْنٍ لَا يُرْوَعُ سِرُّهُ ، وَلَا يَكْدَرُ شَرُّهُ ؛ وَلَا يُوجَدُ فِيهِ بَاغٌ تُخَافُ السَّبِيلُ بِسَبَبِهِ ، وَلَا مَنْ يَجْرُدُ سَيْفَ بَغِيٍّ وَإِنْ جَرَّدَهُ قُتِلَ بِهِ ؛ وَلِيَحْفَظَ مِنَ الْأَطْرَافِ مَا آسْتُودِعَهُ اللَّهُ وَهَذَا التَّقْلِيدُ الشَّرِيفُ حِفْظُهُ ، وَلِيَعْمَلَ فِي قِتَالِ مُخَارِبِيهِ مِنَ الْعِدَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ .

(١) هذه الكلمة ساقطة من الاصل ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل ص ١١٤ طبع الوهية .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل ليم بها السجع الذي التزمه الكاتب

في رسالته .

(٣) في الأصل : « على ألفت » بدون « ما » والسياق يقتضى إثباتها .

ومنه : وليعلم أن جيوشنا في المسير إليه متى قصدت عدواً سابت خيولها
خيالها ، وجارت جياؤها ظلالها ، وأنفت سنا بكها أن تجعل غير مجامع الأعداء
نعالها ؛ وهاهي قد تقدمت ونهضت لإنجاده ، فلو سامها أن تخوض البحار في سبيل
الله لخاضت ، أو تصدم الجبال لصدمت .

ومنه : والشرع الشريف مهمه المقدم ، وأمره السابق على كل ما تقدم ،
فليعمل مناره ، ويستشف من أموره أنواره ؛ وينفذ أحكامه ، ويعاضد حكمه ؛
ومن عدل عن حكمه معاندا ، أو ترك شيئاً من أحكامه جاحدا ؛ فقد برئت الذمة
من دمه حتى يعي إلى أمر الله ، ويرجع عن عناده ويئيب إلى الله ؛ فإن الله يهدي
إليه من أناب " وهو الذي يقبل التوبة عن عباده " .

١٠ وأما الرسائل التي تتضمن أوصاف السلاح وآلات الحرب وأوصاف الخيل
والجوارح وأنواع الرياضات وما أشبه ذلك ، فالكتاب فيه مطلق العنان ، محلي بينه
وبين فصاحته ، موكول إلى اطلاعه وبلاغته ؛ وقد تقدم من أوصاف السلاح
ما فيه كفاية لمن يريد ذلك .

١٥ وأما الخيل والجوارح وما يلتحق بذلك من الفهود والضواري فلا غنية
للكتاب عن معرفته جياؤها ، والأمارات الدالة على قراحتها ، وكل طير من الجارح
وأفعاله وأستطالته ، وكيفية فعله ، وتمكنه من الطير والوحش ؛ وسنورد إن شاء الله
تعالى في فن الحيوان الصامت - وهو الفن الثالث من هذا الكتاب - ما يقتدى
الكتاب بمثاله ، ويتسج على منواله .

(١) كذا في الأصل . قال في تاج العروس مادة « لحق » : وقولهم : « التحق به » ، أي لحق ،

وأما الرسائل التي تُعمل رياضةً للخواطر وتجربةً للقبرائح، كالمفانرات بين
الفواكه والأزهار، ووصف الرياحين والأنهار والغدران والسواقي والحدائق والبحار
والمراكب وأمثال ذلك، فقد تقدم منها في الفن الأول من هذا الكتاب ما وقفت
أوقف عليه، وسنورد منها إن شاء الله تعالى في الفن الرابع في النبات ما تجده
هناك .

وأما الرسائل الإخوانية وما يتجدد من الأمور ويطرأ من
الحوادث وغير ذلك، فسنورد إن شاء الله تعالى منها في هذا الباب ما اتفقنا
من رسائل الكتاب والبلاء المشاركة والمعارية على ما وقف عليه، ولنبدأ من ذلك
بذكر شيء من كلام الصحابة والصدور الأول .

ذكر شيء من الرسائل المنسوبة إلى الصحابة رضي الله عنهم

والتابعين وشيء من كلام الصدور الأول وبلاغتهم

قدّمنا أن الكاتب يحتاج في صناعته إلى حفظ مخاطبات الصحابة رضي الله
عنهم، ومحاوراتهم ومرآجاتهم، فأحببنا أن نورد من ذلك في هذا الموضع ما استوقف
إن شاء الله عليه .

فمن ذلك الرسالة المنسوبة إلى أبي بكر الصديق إلى علي، وما يتصل بها من
كلام عمر بن الخطاب وجواب علي رضي الله عنهم، وهذه الرسالة قد أعتنى الناس
بها وأوردوها [في] المجاميع، ومنهم من أفردتها في جزء، وقطع بأنها من كلامهم رضي
الله عنهم، ومنهم من أنكرها ونفاها عنهم، وقال: إنها موضوعة، وأختلف القائلون
بوضعها، فمنهم من زعم أن فضلاء الشيعة وضعوها، وأرادوا بذلك الاستناد إلى

(١) [أن] علياً بن أبي طالب رضى الله عنه إنما بايع أبا بكر الصديق بسبب ما تضمنته؛ وهذا الاستناد ضعيف، وحجة واهية، والصحيح أن علياً بن أبي طالب رضى الله عنه بايع بيعة رضى باطنه فيها كظاهره، والدليل على ذلك أنه وطئ من السبي الذى سبي في خلافة أبي بكر، وأستولد منه محمد بن الحنفية، ولا جواب لهم عن هذا؛ ومنهم من زعم أن فضلاء السنة وضعوها، والله أعلم؛ وعلى الجملة فهذه الرسالة لم نوردتها في هذا الكتاب إثباتاً لها أنها من كلامهم رضى الله عنهم ولا نفيها، وإنما أوردناها لما فيها من البلاغة، وأتساق الكلام، وجودة الألفاظ، وهما نحن نوردتها على نص ما وقفنا عليه

قال أبو حيان على بن محمد التوحيدى البغدادى :

- ١٠ سمرونا ليلة عند القاضى أبى حامد بن بشر المروروذى ببغداد، فتصرف فى الحديث كل متصرف - وكان عزيز الروايه، لطيف الدرايه - بخرى حديث السقيفة، فركب كل مركباً، وقال قولاً، وعرض بشيء، ونزع إلى فن؛ فقال: هل فيكم من يحفظ رسالة لأبى بكر الصديق إلى على بن أبى طالب رضى الله عنهما وجواب على عنها، ومبايعته إياه عقب تلك المناظرة؟ فقال الجماعة: لا والله، فقال: هى والله من بنات الحقائق، ومخبات الصنادق، ومنذ حفظتها مارويتها إلا لأبى محمد المهلبى فى وزارته، فكتبها عنى بيده، وقال: لا أعرف رسالة أعقل منها ولا أبين، وإنما لتدل على علم وحلم وفصاحة ونباهة، وبُعْدِ غور، وشدة غوص؛ فقال له

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، والسياق يقتضى إثباتها.

(٢) فى الأصل: «عزيز»؛ وهو تصحيف.

العَبَّادَانِي: ^(١) أيها القاضي، لو أَتَمَّتِ المِنَّةُ عَلَيْنَا بروايتها سمعناها، فنجن أَوْعَى لها عنك ^(٢) من المهلبي، وَأَوْجِبُ ذَمَامَا عَلَيْكَ؛ فاندفع وقال: حَدَّثَنَا الخُزَاعِيُّ بِمَكَّةَ، عن ^(٣) أَبِي مَيْسَرَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ ^(٤) عن عيسى بن دَابٍ [نَبَأَ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ ^(٥) وَيَزِيدُ بْنُ رُوْمَانَ، قَالَا: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، نَبَأَ] أَبُو النَّفَّاحِ ^(٦) قَالَ: سَمِعْتُ ^(٧)

(١) العباداني: نسبة إلى عبادان؛ وعبادان: موضع منسوب إلى عباد بن حصين الحبلي لأنه أول من رابط به فنسب إليه زيادة الألف والتون على طريقة أهل البصرة ونواحيها في النسبة، فإنهم إذا سموا موضعا ونسبوه إلى رجل أو صفة يزيدون في آخره ألفا ونونا، كقولهم في قرية عندهم منسوبة إلى زياد بن أبيه: زيادان، وأخرى إلى عبد الله: عبد اللبان، وأخرى إلى بلال بن أبي بردة: بلالان، وعبادان هذه تحت البصرة قرب البحر الملح، فإن دجلة إذا قاربت البحر انفرقت فرقتين عند قرية تسمى المحرزي: ففرقة يركب فيها إلى ناحية البحرين نحو برالعرب، وهي اليمنى؛ فأما اليسرى فيركب فيها إلى سيزاف وجنابة فارس، فهي مثلثة الشكل. وعبادان في هذه الجزيرة التي بين النهرين، وهي موضع ردى. سيخ لا خير فيه، وماؤه ملح، وفيه مشهد لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. ٥١ ملخصا من باقوت ج ٣ ص ٥٩٨ طبع جوتنجن.

(٢) في صبح الأعشى: «أسمعناها» بصيغة الأمر؛ والمعنى يستقيم على كليهما.

(٣) كذا في صبح الأعشى؛ والذي في الأصل: «ابن أبي ميسرة»؛ ولم نقف عليه فيما لدينا من الكتب المدونة في أسماء الرواة.

(٤) في الأصل وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٣٧ طبع المطبعة الأميرية: «ابن أبي فليح»؛ ولم نقف عليه فيما بين أيدينا من المظان، وما أثبتناه عن خلاصة تذهيب التهذيب للخزرجي وغيرها.

(٥) كذا في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٩٣ طبع مطبعة الحلبي، والمشتبه في أسماء الرجال، وتاج العروس مادة داب، وغير ذلك من المصادر؛ والذي في الأصل: «ابن ذؤاب»؛ ولم نقف عليه فيما لدينا من المظان.

(٦) هذه التسمية ساقطة من الأصل؛ وبها يستقيم السند انظر محاضرة الأبرار لابن العربي ج ٢ ص ١٠٣ طبع السعادة.

(٧) كذا وردت هذه الكنية في محاضرة الأبرار لابن العربي المحفوظ منها نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٨ أدب م وكذلك في النسخة المطبوعة طبع السعادة السالفة الذكر، ونص فيها على أن أبا النفاح مولى أبي عبيدة بالنون والفاء. والذي في الأصل: «ابن المناح»؛ ولم نقف عليه فيما لدينا من المظان.

- مولاي أبا عبيدة يقول : لما استقامت الخلافة لأبي بكر رضي الله عنه بين المهاجرين والأنصار بعد فتنة كاد الشيطان بها ، فدفَع الله شرَّها ، ويسَّر خيرها ، بَلَّغَ أبا بكر عن عليٍّ تَلَاكُؤُ وِشْمَاسٍ ، وَتَهْمُ وَنَفَاسٍ ، فَكَّرَهُ أَنْ يَتِمَّادِيَ أَلْجَالُ فَيَسِدَ الْعَوْرَةَ ، وَتَشْتَعَلَ أَلْجَمْرَةَ ، وَتَفُرَّقَ ذَاتُ الْبَيْنِ ، فِدَعَانِي ، فَخَضَرْتَهُ فِي خَلْوَةٍ ، وَكَانَ عِنْدَهُ عَمْرُ بْنُ أَلْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَحْدَهُ ، فَقَالَ : يَا أبا عُبَيْدَةَ ، مَا أَيْنَ نَاصِيَتِكَ ، وَأَيْنَ أَلْخَيْرِ بَيْنِ عَيْدِكَ ، وَطَالَمَا أَعَزَّ اللَّهُ بِكَ الْإِسْلَامَ ، وَأَصْلَحَ شَأْنَهُ عَلَى يَدَيْكَ ، وَلَقَدْ كُنْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَكَانِ الْمَحْطُوطِ ، وَأَلْحَلُّ الْمَغْبُوطِ ، وَلَقَدْ قَالَ فِيكَ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ : "لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ" ، وَلَمْ [تَزَلْ] لِلدِّينِ مُلْتَجِئًا ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ مُرْتَجِيًّا ، وَلِأَهْلِكَ رَكْبًا ، وَلِإِخْوَانِكَ رِدْءًا ؛ قَدْ أُرِدْتُكَ لِأَمْرٍ لَهْ خَطِرٌ مَخُوفٌ ، وَإِصْلَاحُهُ مِنْ أَعْظَمِ الْمَعْرُوفِ ؛ وَلَئِنْ لَمْ يَتَدَمَّلِ جُرْحُهُ بِسَارِكٍ وَرِفْقِكَ ، وَلَمْ يُجَبَّ حَيْثُ بَرَفَيْتِكَ ، فَقَدْ وَقَعَ الْإِيَّاسُ ، وَأَعْضَلَ الْبِئَاسَ ؛ وَأَحْتَجِجُ بِعَيْدِكَ ذَلِكَ إِلَى مَا هُوَ أَمْرٌ مِنْهُ وَأَعْلَقُ ، وَأَعَسَّرُ مِنْهُ وَأَغْلَقُ ؛ وَاللَّهِ أَسْأَلُ ثَمَامَةَ بَيْتِكَ ، وَنِظَامَهُ عَلَى يَدَيْكَ ، فَتَأْتِ لَهْ يَا أبا عُبَيْدَةَ ، وَتَلَطَّفَ فِيهِ ، وَأَنْصَحَ لَهْ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَذِهِ الْعِصَابَةُ غَيْرَ آلِ جُهْدَا ، وَ[لَا] قَالِ حَمْدَا ، وَاللَّهِ كَالْتِكَ وَنَاصِرُكَ ، وَهَادِيكَ وَمُبَصِّرُكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؛ أَمْضِ إِلَى عَلِيٍّ وَأَخْفِضْ لَهْ جَنَاحَكَ ، وَأَغْضُضْ

(١) يقال : تهيم فلان الشيء ، إذا طلبه ، والمراد هنا طلب الخلافة . وفي رواية : "تهيمهم" ، وهو الكلام الخفي ؛ والمعنى يستقيم على ذلك أيضا . والنفاس : المناسة .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ واستقامة الكلام تقتضي إثباتها انظر صريح الأعشى ج ١ ص ٢٣٨ طبع المطبعة الأميرية .

(٣) كذا في الأصل ؛ وفي رواية : "بمسبارك" ؛ انظر محاضرة الأبرار ج ٢ ص ١١١ طبع السعادة في تفسير هذه الرسالة : والمسبار : فتيل يدخل في الجرح يعرف كم عمقه ؛ يقال : سيرت الجرح إذا اخترته بالمسبار .

عنده صوتك ، وأعلم أنه سُلالةُ أبي طالب ، ومكانه ممن فقدناه بالأمس صلى الله عليه وسلم مكانه ، وقل له : البحرُ مَغْرَقُه ، والبرُّ مَفْرَقُه ، والجوُّ أَكْلَفٌ ، ^(١) واللَّيْلُ أَغْدَفٌ ، والسماءُ جَلْوَاءٌ ، والأرضُ صَلْعَاءٌ ، والصُّعُودُ مَتَعَدِّرٌ ، والهبوطُ مَتَعَسِّرٌ ، والحقُّ عَطُوفٌ رءوفٌ ، والباطلُ عنوفٌ عسوفٌ ، ^(٢) والعَجَبُ قَدَاحَةٌ الشَّرُّ ، ^(٣) والضَّغْنُ رائدُ البوارِ ، والتعريضُ سِجَالُ الفِتْنَةِ ، ^(٤) والقِحَّةُ تَقُوبُ العداوةِ ، وهذا الشيطانُ مَتَكِيٌّ على شماله ، ^(٥) مُتَجَبِّلٌ بِمِئِنِهِ ، ^(٦) نَافِيحٌ حِضْنِيهِ لِأَهْلِهِ ، ^(٧) يَنْتَظِرُ الشَّتَاتَ والفرقةَ ، وَيَدْبُ بَيْنَ الأُمَّةِ بالشَّجْنَاءِ والعداوةِ ، عنادا لله عز وجل وأولاءِ ، ولآدمَ ثانياً ، ولنبيه صلى الله عليه وسلم ودينه ثالثاً ، يوسوسُ بالهَجُورِ ، وَيُدْلِي بِالغُرُورِ ، وَيُمَيِّئُ أَهْلَ الشُّرُورِ ، يُوحِي إلى أوليائه زُحْرَفَ القَوْلِ غُرُوراً بالباطلِ ، دَابَّاً له منذ كان على عهدِ أبينا آدمَ صلى الله

١٠ (١) الأكلف من الكلف ، وهولون بين السواد والحررة . وأغدف الليل : أرخى سدوله وأظلم ،

ولم نعثر عليه فيما بين أيدينا من كتب اللغة إلا فعلاً . وفي محاضرة ابن العربي ج ٢ ص ١٠٤ طبع الشهادة : « أغلف » باللام ، وذكر في تفسيره ص ١١١ أنه الشديد الظلمة اه كني بهذا عن اشتباه الأمور وخفاء طرق الهداية .

١٥ (٢) كذا في الأصل وغيره من المصادر التي بين أيدينا لهذه الرسالة ، ولم نقف على هذه الصيغة فيما لدينا من كتب اللغة .

(٣) القداحة بتشديد الدال : حجر الزند .

(٤) السجال : جمع سجال بفتح أوله وسكون ثانيه ، وهو الدلو العظيمة .

(٥) الققوب بفتح القاء : ما تشعل به النار من دقاق العيدان . والذي في الأصل : « تقوق » والفاء الموحدة ، وهو تحريف .

٢٠ (٦) المتجبل بتشديد الباء الموحدة : المتصيد بالحيلة ، وفي الأصل : « متجبل » بالياء المثناة ، وهو تصحيف .

(٧) قال في اللسان مادة « نفخ » في تفسير هذه العبارة : أى منتفخ ، مستعد لأن يعمل عمله من الشراه . وفي الأصل وصيغ الأعرشي ج ١ ص ٢٣٨ : « خصبيه » وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ، والتصويب عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٩٣ طبع مطبعة الحلبي . وفي النهاية لابن الأثير : « نافع حُضْنِهِ » بالحميم ؛ وقال في تفسيره : كنى به عن التعاطف والتكبير والتحيل .

٢٥

عليه ، وعادة له منذ أهانه الله تعالى في سالف الدهر ، لا منجى منه إلا بعض
 الناجذ على الحق ، وغض الطرف عن الباطل ، ووطء هامة عدو الله بالأشد فالأشد ،
 والأكد فالأكد ، وإسلام النفس لله عز وجل في ابتغاء رضاه ، ولا بد الآن من
 قول ينفع اذا ضر السكوت وخيف غيبه ، ولقد أرشدك من أفاء ضالتك ، وصافاك
 من أحميا مودته بعتابك ، وأراد لك الخير من أثر البقاء معك ، ما هذا الذي تسؤل
 لك نفسك ، ويدوى به قلبك ، ويلتوى عليه رأيك ، ويتخاوص دونه طرفك ، ويسرى
 فيه ظعنك ، ويترادف معه نفسك ، وتكثر عنده صعداؤك ، ولا يفيض به اسأنتك ؟
 أئحمة بعد إفصاح ؟ أتلبس بعد إيضاح ؟ أدين غير دين الله ؟ أخلق غير خلق
 القرآن ؟ أهدي غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ أمثل تمشي إليه الضراء وتدب
 له الخمر ؟ أو مثلك ينقبض عليه الفضاء ويكسف في عينه القمر ؟ ما هذه القعقة
 بالشنان ؟ وما هذه الوعوة باللسان ؟ إنك والله جدد عارف باستجابتنا إلى الله عز
 وجل ولسوله صلى الله عليه وسلم ، وبخروجنا عن أوطاننا وأموالنا وأولادنا
 وأحبينا لله عز وجل ولسوله ونصرة لدينه ، في زمان أنت فيه في كن الصبا ،

(١) يدوى : من الدوى بفتح الواو ، وهو داء باطن في الصدر .

(٢) التخاوص : غض البصر مع تحديق كمن يقوم بهما .

(٣) قال في اللسان مادة ضرا : يقال للرجل اذا ختل صاحبه ومكر به : هو يدب له الضراء ويمشي
 له الخمر ، ويقال : لا أمشي له الضراء ولا الخمر ؛ أى أجاهره ولا أخاتله ؛ والضراء الاستخفاء . ثم قال
 بعد ذلك تولا عن ابن شميل : ما وارك من شيء وادرات به فهو خمر .

(٤) نقل عن ثعلب أن الأجود أن يقال : كسفت الشمس ، وخسفت القمر انظر اللسان والمصباح

مادة «خسف» .

(٥) قال في اللسان مادة قعق : وفي المثل فلان لا يقعق له بالشنان ، أى لا يخدع ولا يروع ، وأصله

من تحريك الجلد اليابس للبعير ليقزع .

(٦) عبارة صبح الأعشى ج ١ ص ٢٣٩ «هجرة الى الله» الخ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

وَحِدْرِ الْغَرَارَةِ، وَعُنْفُونِ الشَّيْبَةِ [غافلا عما] ^(١) يَشِيبُ وَيُرِيبُ، لَا تَعِي مَا يُرَادُ وَيُسَادُ،
وَلَا تُحْصَلُ مَا يُسَاقُ وَيَقَادُ، سَوَى مَا أَنْتَ جَارٌ عَلَيْهِ إِلَى غَايَتِكَ الَّتِي إِلَيْهَا عُدِلَ بِكَ،
وَعِنْدَهَا حُطُّ رَحْلِكَ، غَيْرَ مَجْهُولِ الْقَدْرِ، وَلَا مَجْهُودِ الْفَضْلِ، وَنَحْنُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ
نَعَانِي أَحْوَالًا تُزِيلُ الرِّوَاسِيَّ، وَنَقَاسِي أَهْوَالًا تُشِيبُ النَّوَاصِي؛ خَائِضِينَ غِمَارَهَا،
رَاكِبِينَ تَيَّارَهَا؛ نَتَجَرَّعُ صَابَهَا، وَنُشْرِجُ عِيَابَهَا؛ وَنُحْكِمُ آسَاسَهَا، وَنُبْرِمُ أَمْرَاسَهَا؛
وَالْعَيُونَُ تُحَدِّجُ ^(٢) بِالْحَسَدِ، وَالْأَنْوْفُ تَعَطُّسُ بِالْكِبَرِ، وَالصَّدُورُ تَسْتَعِرُ بِالْعَيْظِ،
وَالْأَعْنَاقُ تَتَطَاوَلُ بِالْفَخْرِ، وَالشَّفَارُ تُشْجَذُ بِالْمَكْرِ، وَالْأَرْضُ تَمِيدُ بِالْخَوْفِ، لَا نَنْتَظِرُ
عِنْدَ الْمَسَاءِ صَبَاحًا، وَلَا عِنْدَ الصَّبَاحِ مَسَاءً، وَ[لَا] نَدْفَعُ فِي نَحْرِ أَمْرٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ
نَحْسُوَ الْمَوْتَ دُونَهُ، وَلَا نَبْلُغُ مُرَادًا إِلَى شَيْءٍ إِلَّا بَعْدَ جَرِّعِ الْعَذَابِ مَعَهُ، وَلَا نُقِيمُ
مَنَارًا إِلَّا بَعْدَ الْإِيَّاسِ مِنَ الْحَيَاةِ عِنْدَهُ، فَادِينِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِالْأَبِّ وَالْأُمِّ، وَالْخَالِ وَالْعَمِّ، وَالْمَالِ وَالنَّسَبِ، وَالسَّبَدِ وَاللَّبَدِ، وَالْهَلَّةِ وَالْبِلَّةِ ^(٣)،
بِطَيْبِ أَنْفُسٍ، وَفُتْرَةِ أَعْيُنٍ، وَرُحْبِ أَعْطَانٍ، وَثَبَاتِ عِزَائِمٍ، وَصِحَّةِ عَقُولٍ، وَطَلَاقَةِ
أَوْجِهٍ، وَذَلَاقَةِ أَسْنُنٍ؛ هَذَا مَعَ خَفِيَّاتِ أَسْرَارِهِ، وَمَكْنُونَاتِ أَخْبَارِكُنْتَ عَنْهَا غَافِلًا،

(١) التكملة عن صبح الأعشى؛ واستقامة الكلام تقتضى إثباتها .

(٢) عبارة الأصل: «تسب وتغيب»، وهو تحريف؛ وقوله: «ويريب»، هو من رابى الأمر وأرابى، إذا رأيت منه ما تكره .

(٣) أشرج العيبة وشرجها بدون همز: شد عراها .

(٤) التحديج بالجم: التحديق . وفي الأصل: «تخدع» بالخاء والعين؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل: «ندفع» بدون «لا»؛ واستقامة العبارة تقتضى إثباتها .

(٦) السبد واللبد: كناية عن القليل والكثير؛ وأصل السبد: الوبر، واللبد: الصوف المتلبد .

(٧) يريد بالهلة والبلة كل شئ؛ والعرب تقول: ما أصاب هلة ولا بلة: أى شدينا، ويقال: جاءنا فلان فلم يأتنا بهلة ولا بلة؛ قال ابن السكيت: فالهلة من الفرح والاستهلال، والبلة من البلل والخير .

ولولا سِنَّكَ لم تكن عن شيء منها ناكلاً ؛ كيف وفؤادك مشهور ، وعودك معجوم ؛
والآن قد بلغ الله بك ، وأنهض الخير لك ، وجعل مرادك بين يديك ، وعن علم
أقول ما تسمع ؛ فأرتقب زمانك ، وفلص أردانك ؛ ودع التمسس والتجسس لمن
لا يظلم لك إذا خطا ، ولا يترجح عنك إذا عطا ؛ فالأمر غص ، والنفوس فيأمص ؛
وإنك أدبهم هذه الأمة فلا تحلم لجأجا ، وسيقفها العصب فلا تنب أعوجاجا ، وماؤها
العذب فلا تحل أجاجا ؛ والله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا
الأمر فقال لي : ” يا أبا بكر ، هو لمن يرغب عنه لا لمن يجاحش عليه ، و لمن
يتضائل عنه لا لمن يتفجح إليه ، هو لمن يقال : هو لك ، لا لمن يقول : هو لي “ ولقد
شاورني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصهر ، فذكر فتيانا من قريش ، فقلت ؛
أين أنت من علي ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إني لأكره لفاطمة ميعة شبايه ،
وحداثة سنه ، فقلت له : متى كنته يدك ، ورعته عينك ، حقت بهما البركة ،
وأسمغت عليهما النعمة ، مع كلام كثير خاطبته به رغبة فيك ، وما كنت عرفت
منك في ذلك حوجاء ولا لوجاء ، فقلت ما قلت وأنا أرى مكاتب غيرك ، وأجد

(١) المشهور : الذكي الفؤاد المتوقد ، كالشمم .

(٢) التقلص : التشنج .

(٣) التمسس : التأخر ، كالتماسس .

(٤) المص : الألم والحزن .

(٥) حلم الجلد : وقع فيه الحلم بفتح اللام ، وهو دود يقع في الجلد فإكله ، فإذا دبع وهي موضع
الأكل منه ؛ يريد أنه الذي يجتمع به شمل الأمة وتضامن به أمورها ، فإذا فسد تفرق ما كان مجتمعاً منها
كالأديم الذي يصاب به سائر البدن .

(٦) يجاحش : يدافع .

(٧) الانتفاج : الارتجاج ؛ أو هو مستعار هنا من قولهم : انتفجت الأرنيت إذا وثبت ؛ ومعنى
العبارة يستقيم على كلا التفسيرين :

رائحة سواك، وكنتُ إذ ذاك خيرا لك منك الآن لي؛ ولئن كان عَرَضَ بك رسول
الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر فلم يكن مُعْرِضًا عن غيرك، وإن كان قال فيك
فما سكت عن سواك، وإن تَلَجَّجَ في نفسك شيءٌ فهُلِمَ فالحكم مَرَضِيٌّ، والصوابُ
مسموع، والحقُّ مُطاع؛ ولقد نُقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما عند الله
عزَّ وجلَّ وهو عن هذه العِصَابَةِ راضٍ، وعليها حِدْبٌ، يَسْرَهُ ما يَسْرَهَا، ويسوءه
ما يسوءها، ويكده ما كادها، ويرضيه ما أرضاها، ويُسْخِطُه ما أُسْخِطَها، أما تعلم
أنه لم يدع أحدا من أصحابه وأقاربه وسُجْرَائِهِ إِلَّا أَبَانَهُ بِفَضِيلَةٍ، وَخَصَّصَهُ بِمَرْيَةٍ،
وَأَفْرَدَهُ بِجَالَةٍ؟ أَتُظَنُّه صلى الله عليه وسلم ترك الأمة سَدَى بَدَا، عِبَاهِلٌ مِبَاهِلٌ،
طَلَاحِيٌّ، مَفْتَسُونَةٌ بِالْبَاطِلِ، مَعْنُونَةٌ عَنِ الْخَلْقِ، لَا ذَائِدَ وَلَا رَائِدَ، وَلَا ضَابِطَ
وَلَا حَائِطَ وَلَا رَابِطَ، وَلَا سَاقِيَّ وَلَا وَاقِيَّ، وَلَا هَادِيَّ وَلَا حَادِيَّ، وَلَا مَا أَشْتَقُّ
إِلَى رَبِّهِ تَعَالَى، وَلَا سَأَلَهُ الْمَصِيرَ إِلَى رِضْوَانِهِ وَقُرْبِهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ ضَرَبَ الْمَدَى، وَأَوْضَحَ

٨٤

(١) كذا ورد هذين الفعلين في الأصل بصيغة المضارع، والذي في صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤١ :
« ما سرها » و « ما ساءها » بصيغة الماضي، وهو أظهر لما كتبه لما بعده .

(٢) السجاء : الأصفياء، واحده سجير كأمير .

(٣) العباهل من الإبل : المهملة . والمباهل بمعناه ؛ استعار ذلك للذين تفرقت كلمتهم وتشتت
شملهم .

(٤) الطلاحى : الإبل التى تشتكى بطونها من أكل الطلح، أراد به هنا القوم الذين لا راعى لهم
بصدهم عما يضرهم، ولا قانون يمنعهم عن أن يردوا موارد تسوءهم، فهم يتبعون ما تهودهم اليه الشهوة
كالإبل التى تأكل من الطلح الذى يؤذيها حتى تشتكى بطونها .

(٥) معنونة : من عننت الفرس، أى حبسته بالعنان .

(٦) فى الأصل : « ذادى » ؛ وهو تحريف .

(٧) ضرب المدى، يريد : بين الغاية .

- الهدى ، وأبان الصوى ؛ وأمن المسالك والمطرح ، وسهل المبارك والمهايع ، وإلا
 بعد أن شدخ يافوخ الشرك بإذن الله تعالى ، وشرم وجه النفاق لوجه الله سبحانه ،
 وجدع أنف الفتنة في ذات الله ، وتفل في عين الشيطان بعون الله ، وصدع بملاء
 فيه ويده بأمر الله عز وجل ؛ وبعد ، فهؤلاء المهاجرون والأنصار عندك ومعك
 في بقعة واحدة ، ودار جامعة ، إن استقالوني لك ، وأشاروا عندي بك ، فأنا واضع
 يدي في يدك ، وصائر إلى رأيهم فيك ، وإن تكن الأخرى فادخل في صالح ما دخل
 فيه المسلمون ، وكن العون على مصالحهم ، والقاتح لمغالقتهم ، والمرشد لضالتهم ،
 والرادع لغوايتهم ، فقد أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى ، والتناصر على
 الحق ، ودعنا نقض هذه الحياة بصدور بريئة من الغل ، سليمة من الضغائن
 والحدق ، ونلق الله تعالى بقلوب سليمة من الضغن ؛ وبعد ، فالناس ثمامة فارق
 بهم ، وأحن عليهم ، وإن لهم ، ولا تُشقي نفسك بنا خاصة منهم ، وأترك ناجم الحدق

(١) في الأصل : « الصوى » بالضاد المعجمة ، وهو تحريف . والصوى بضم الصاد المهملة : مجارة
 مركومة في الطريق تجعل أعلاما .

(٢) في الأصل : « المايح » ؛ وهو تحريف ، والتصويب عن صبح الأعشى .

- (٣) في الأصل : « واستقادوني » ؛ ولم نقف عليه فيما لدينا من كتب اللغة إلا فعلا لازما ،
 نقول : استقاد فلان لى إذا أعطاك مقادته ، أو متعديا إلى مفعول من القود بفتح القاف والواو ، وهو
 القصاص .

(٤) المغالق : جمع مغلق بكسر الميم ، والمغلق : ما يغلق به الباب ، كالمغلق ؛ كما في شرح القاموس
 مادة « غلق » نقلا عن الراغب .

- (٥) كذا في الأصل ؛ وهذا اللفظ مكرر مع ما يأتي في الفقرة التي بعده مع اختلاف بينهما بالإفراد
 والجمع ، ولم يرد في المصادر التي بين أيدينا لهذه الرسالة .

(٦) الثمامة بضم التاء : واحدة الثمام ، وهو نبات ضعيف له خوص ، وربما حشى به وسده به
 خصاص البيوت ، ويشبهه به في الضعف .

(٧) في الأصل : « تتول » ولم نجد من معانيه ما يناسب المقام ، والتصويب عن صبح الأعشى .

حصيدا ، وطائر الشرواقعا ، وباب الفتنة مغلقا ، فلا قال ولا قيل ، ولا لوم ولا
(١)
تعنيف ، والله على ما تقول شهيد ، وبما نحن عليه بصير .

قال أبو عبيدة : فلما تأهبت للنهوض قال عمر رضي الله عنه : كُنْ لَدَى الْبَابِ
هُنِيَةً فَلَی مَعَكَ دُورٌ مِنَ الْقَوْلِ ، فَوَقَفْتُ وَمَا أُدْرِي مَا كَانَ بَعْدِي إِلَّا أَنَّهُ لِحِقْنِي
بِوَجْهِ يَبْدِي تَهْلًا ، وَقَالَ لِي : قُلْ لَعَلِّي : الرَّقَادُ مَحْلَمَةٌ ، وَالهُوَى مَقْعَمَةٌ ؛ (وَمَا مِنَّا
إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) ، وَحَقُّ مُشَاعٌ أَوْ مَقْسُومٌ ، وَنِسْبَةُ ظَاهِرٌ أَوْ مَكْتُومٌ ؛ وَإِنْ أَكَيْسَ
الْكَيْسَى مِنْ مَنَحِ الشَّارِدِ تَأَلَّفَا ، وَقَارَبَ الْبَعِيدَ تَأَطَّفَا ؛ وَوَزَنَ كُلُّ شَيْءٍ بِمِيزَانِهِ ، وَلَمْ
يَخْلُطْ خَبْرَهُ بَعْيَانَهُ ؛ وَلَمْ يَجْعَلْ فِتْرَةَ مَكَانٍ شِبْرَهُ دِينَارًا كَانَ أَوْ دُنْيَا ، ضَلَالًا كَانَ أَوْ هُدًى ،
وَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ مُسْتَعْمَلٍ فِي جَهْلٍ ، وَلَا خَيْرَ فِي مَعْرِفَةٍ مَشُوبَةٍ بِنُكْرٍ ، وَلَسْنَا بِجِلْدَةٍ رُفِعَ
الْبَعِيرُ بَيْنَ الْعِجَانِ وَالذَّنْبِ ، وَكُلُّ صَالٍ فَبِنَارِهِ ، وَكُلُّ سَبِيلٍ فِإِلَى قَرَارِهِ ؛ وَمَا كَانَ سَكُوتُ
هَذِهِ الْعِصَابَةِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ لَعِيٍّ وَشَيْءٍ ، وَلَا كَلَامُهَا الْيَوْمَ لِقَرَقٍ أَوْ رَفَقٍ ، وَقَدْ جَدَعَ
اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْفَ كُلِّ ذِي كِبَرٍ ، وَقَصَمَ ظَهْرَ كُلِّ جَبَّارٍ ، وَقَطَعَ
لِسَانَ كُلِّ كَذُوبٍ "فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ" ، مَا هَذِهِ الْخِزْوَانَةُ [التي] فِي فِرَاشِ
(٢)

(١) في الأصل : «تبع» وفي صبح الأعشى : «تبع» وهو تحريف في كليهما ؛ وما أثبتناه عن شرح
نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٩٤ طبع مطبعة الحلبي .

(٢) الرفع بفتح الراء وضما ، أصول الفخذين من باطن ؛ وكان وجه التشبيه في ذلك الخسة
وضعة المنزلة .

(٣) في الأصل : «الرأس» وما أثبتناه عن صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٢ إذ به يستقيم المعنى .

(٤) الشئ بكسر الشين : إتباع للشيء . وفي الأصل : «وى» بالميم ، وهو تحريف .

(٥) الخيزوانة : الكبر .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن صبح الأعشى .

(٧) فراش الرأس : عظام دقاق تلي القحف .

رأسك؟ ما هذا الشجا المعترض في مدارج أنفاسك؟ ما هذه القداة التي تغشت ناظرَكَ؟ وما هذه الوحرة^(١) التي أكلت شرا سيفك؟ وما هذا الذي ليست بسببه جلد التمر، واشتمت عليه بالشحناء والنكر، ولسنا في كسروية كسرى، ولا في قيصرية قيصر، تأمل لإخوان فارس وأبناء الأصفر؛ قد جعلهم الله جزرا لسيوفنا، ودرية لرباحنا، ومرعى لِعِطاننا، وتبعا لسلطاننا؛ بل نحن نور نبوة، وضياء رسالة، وثمره حكمة، وأثره رحمه، وعنوان نعمه، وظل عصمه؛ بين أمة مهديّة بالحق والصدق، مأمونة على الرق والفتق، لها من الله إباء أبي، وساعد قوي؛ ويد ناصره، وعين ناظره؛ أتظن ظنا يا علي أن أبا بكر وشب على هذا الأمر مُفتاتا على الأئمة، خادعا لها، أو متسلطا [عليها]؟ أترأه حل عقودها [وأحال عقولها]؟ أترأه جعل نهارها ليلا، ووزنها كيلا؛ ويقظتها رقادا، وصلاحتها فسادا؟ لا والله، سلا عنها فولت له، وتطامن لها فاصقت به، ومال عنها فالت إليه، وأشماز دونها فاشتمت عليه، حبوة حباه الله بها، وعاقبة بلغه الله إليها، ونعمة سر بالله جمالها، ويدا أوجب عليه شكرها وأمة نظر الله به لها، والله تعالى أعلم بخلقه، وأرأف بعباده، يختار ما كان لهم الخيرة، وإنك بحيث لا يجهل موضعك من بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ولا يجحد حُكك فيما أتاك الله، ولكن لك من يزاحك بمنكب أضخم من منكبك، وقرب أمس من قربانتك، وسن أعلى من سنك، وشيبة أروع من شيبتك، وسيادة لها أصل في الجاهلية وفرع في الإسلام، ومواقف ليس لك فيها جمل ولا ناقة، ولا تُذكر فيها

(١٥)

(١) الوحرة: ضرب من العذاء، وهي صغيرة حمراء تعدو في الجباين لها ذنب دقيق تمصع به إذا عدت، وهي أحبب العذاء لا تقاطع طعاما ولا شرابا إلا شتمته ولا يأكله أحد إلا دق بطنه، وربما هلك، شبه العداوة والغل بها. قال في اللسان مادة «حر»: الحر: غش الصدر وبلا به، ويقال: إن أصل هذا من الدوية التي يقال لها الوحرة، ثم قال: شبهوا العداوة ولزوقها بالصدر بالتراق الوحرة بالأرض.

(٢) التكلمة عن صبح الاعشى.

(١) في مقدِّمةٍ ولا ساقه ؛ ولا تَضْرِبُ فيها بذراع ولا إصْبَع ، ولا تَخْرُجُ منها بِبَازٍ
 ولا هُبْع ؛ ولم يزل أبو بكر حَبَّةَ قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعَلاَقَةَ نَفْسِهِ
 وَعَيْبَةَ سَرِّهِ ، وَمَفْرَعَ رَأْيِهِ ، وراحَةَ كَفِّهِ ، وَمَرْمَقَ طَرْفِهِ ؛ وذلك كلهُ بِمَحْضَرِ الصَّادِرِ
 والوارد من المهاجرين والأنصار شهرةً مغنِيَةً عن الدليل عليه ، ولعمري إنك أَقْرَبُ
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابةً ، ولكنَّه أَقْرَبُ مِنْكَ قُرْبَةً ، والقَرَابَةُ لِحُمِّ
 ودم ، والقُرْبَةُ لِنَفْسٍ وَرُوحٍ ، وهذا فَرْقٌ عَرَفَهُ الْمُؤْمِنُونَ ، ولذلك صاروا إليه
 أَجْمَعُونَ ؛ ومهما شَكَكَتَ في ذلك فلا تُشْكُ أن يد الله مع أجماعه ، وِرِضوانه لأهل
 الطاعة ، فأَدْخَلَ فيما هو خَيْرُكَ آيَوْمَ وَأَنْفَعُ غدا ، وَالْفِظُّ مِنْ فَيْكَ ما يَعلَقُ
 بِلَهَاتِكَ ، وَأَنْفُثَ سَخِيمَةَ صَدْرِكَ عَنْ تُقَاتِكَ ، فإن يك في الأمل طُولٌ ، وفي الأجل
 فُسْحَةٌ ، فسْتَأْكُلُهُ مَرِيئًا أو غير مَرِيءٍ ، وستَشْرِبُهُ هَنِيئًا أو غير هَنِيءٍ ، حين لا رادَّ
 لقولك إلا من كان منك ، ولا تابع لك إلا من كان طامعا فيك ، يَمُصُّ إهابَكَ ،
 وَيَعْرُكُ أديمَكَ ، وَيَزِرِي على هَدْيِكَ ، هنالك تَقْرَعُ ألسنٌ من نَدَمٍ ، وتَجْرَعُ المَاءَ
 ممزوجا بدم ، وحينئذ تَأْسَى على ما مضى من عَمْرِكَ ، ودارج قوتِكَ ، فتودُّ أن
 لو سُقِيَتْ بالكأس التي أَبَيْتَها ، ورُدِدَتْ إلى حالتِكَ التي آسَتِغَوَيْتَها ، والله تعالى فينا
 وفيك أمرٌ هو بِالْعُهِ ، وَغَيْبٌ هو شاهِدُهُ ، وعاقِبَةٌ هو المَرْجُو لَسْرَائِمِها وَضَرَائِمِها ، وهو
 الولىّ الحَمِيدُ ، الغَفورُ الدود .

(١) البازل والبزول : الجمل أو الناقة في التاسع من سنه ، وليس بعده سن تسمى . والهبع بضم الهاء

وفتح الباء : الفصيل في آخر التاج .

(٢) القرية : الوسيلة .

(٣) في الأصل : « هنيئا مريئا » وقوله : « هنيئا » زيادة من النسخ كما يدل على ذلك سياق ما بعده ،

وانظر صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٣ .

(١) قال أبو عبيدة : فمشيت مترقلا أنوء كأنما أخطو على رأسي فرقا من الفرقة ،
 وشققا على الأمة ، حتى وصلت إلى علي رضي الله عنه في خلاء ، فأبثته^(٢) بئى كله ،
 وبرئت إليه منه ، ورفقت به ؛ فلما سمعها ووعاها ، وسرت في مفاصله حميها ؛ قال :
 حلت معلوطة ، وولت محروطة ، وأنشأ يقول :
 (٣)

إحدى لياليك فيهيسى هيسى * لا تتعمى الليلة بالتعريس^(٤)

نعم يا أبا عبيدة ، أكل هذا في أنفس القوم يحسون به ، ويضطربون عليه ؟
 قال أبو عبيدة : فقلت : لا جواب لك عندي ، إنما أنا قاض حق الدين ، وراتق^(٥)
 فتق المسلمين ، وساد ثلثة الأمة ، يعلم الله ذلك من ججلان قلبي ، وقرارة نفسي ؛
 فقال علي رضي الله عنه : والله ما كان قعودي في كسر هذا البيت قصدا
 للخلاف ، ولا إنكارا للمعروف ، ولا زراية على مسلم ، بل لما وقذني به رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من فراقه ، وأودعني من الحزن لفقده ، وذلك أني لم أشهد
 بعده مشهدا إلا جدد على حزنا ، وذكرني شجنا ، وإن الشوق [إلى] اللحاق به كاف
 عن الطمع في غيره ، وقد عكفت على عهد الله أنظر فيه ، وأجمع ما تفرق [منه]

(١) المتزمل : المتلف ؛ يريد أنه خرج مستخفيا .

(٢) يقال : أبثته السر ، إذا أطلعته عليه .

(٣) المعلوطة : من الأعلاوط ، وهو ركوب الرأس والتقم على الأمور من غير روية ؛ والمحروطة :

السريعة .

(٤) هو مثل يضرب للرجل بأق الأمر يحتاج فيه إلى الجد والاجتهاد . والهيى : فتح الهاء : السير مطلقا .

(٥) أراد بالاضطباع هنا : الأتواء ، والأشتمال ؛ وقد استعاره من قولهم : اضطبع الشيء ، إذا جعله

تحت ضبعيه ، وهما عضدها . وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : « يضطغنون » ؛ والاضطغان :

الاشتمال أيضا .

(٦) جلجلال القلب : سويداؤه .

(٧) وقذه : تركه عليلا .

رجاء ثواب معد لمن أخلص لله عمله ، وسلم لعلمه ومشيتته ، وأمره ونهيه ؛ على أنى ما علمت أن التظاهر على واقع ، ولي عن الحق الذى سبق لى دافع ، وإذ قد أفعم الوادى بي ، وحشد النادى من أجلى ، فلا مرحبا بما ساء أحدا من المسلمين وسرتنى ، وفى النفس كلام لولا سابق عقد ، وسالف عهد ، لشفيت نفسى بخنصرى وبخنصرى ، وخضت لجته بأخصى ومفرقى ، ولكنى ملجم الى أن ألقى ربى ، وعنده أحسب ما نزل بي ، وإنى غاد إلى جماعتكم ، مبايع لصاحبكم ، صابراً على ما ساءنى وسركم ، **”لَيَقْضَىَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا“** .

قال أبو عبيدة : فعادت الى أبى بكر رضى الله عنه ، فقصصت القول على غيره ، ولم أحتزل شيئاً من حُلوه ومُرّه ، وبكرتُ غدوةً إلى المسجد ، فلما كان صباح يومئذ إذا على يَحْتَرِقُ الجماعة إلى أبى بكر رضى الله عنهما ، فبايعه ، وقال خيراً ، ووصف جميلاً ، وجلس زميتاً ، واستأذن للقيام فضى ، وتبعه عمر مكرماً له ، مستثيراً لما عنده ، فقال على رضى الله عنه : ما قعدت عن صاحبكم كارها له ، ولا أتيتيه فرقاً ، ولا أقول ما أقول تعلقةً ، وإنى لأعرف منتهى طرفى ، ومحط قدمى ، ومنزع قوسى ، وموقع سهمى ، ولكن قد أزمّت على فأسى ثقةً برّبى فى الدنيا والآخرة .

فقال له عمر رضى الله عنهما : كَفِكَفْ غَرَبَكَ ، وَأَسْتَوْقِفْ سَرَبَكَ ، ودع العصا بلحائها ، والدلاء على رشائها ، فإننا من خلفها وورائها ؛ إن قدحنا أوريانا ، وإن

(١) كذا فى صبح الأعشى ؛ وفى الأصل : « ما ترك لى » .

(٢) على غره ، يريد : على أصله ؛ وأصل الغر : الكسر المثنى فى جلد أو ثوب ، يقال : اطو الثوب على غروره ، أى على مكامره .

(٣) الزميت بتشديد الميم : الوقور ، وبابه كرم .

(٤) يقال : أزم القرس على فأس اللجام ، أى عض وأمسك ؛ يريد أنه كتم ما فى نفسه من الشكوى ، ولم يبع بما يعانیه من الألم .

مَتَحْنَا أَرْوِينَا، وَإِنْ قَرَحْنَا أَدْمِينَا، وَلَقَدْ سَمِعْتُ أُمَاثِيلَكَ الَّتِي لَعَزْتَ فِيهَا عَنْ صَدْرٍ
أَكَلَ بِالْحَوَى، وَلَوْ شِئْتُ لَقَلْتُ [عَلَى] مَقَالَاتِكَ مَا إِنْ سَمِعْتَهُ نَدَمْتَ عَلَى مَا قَلْتَ،
وَزَعَمْتَ أَنَّكَ قَعَدْتَ فِي كَسْرِ بَيْتِكَ لِمَا وَقَدَّكَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
فَقْدِهِ، فَهَوَّ وَقَدَّكَ وَلَمْ يَقْدُ غَيْرَكَ؟ بَلْ مُصَابُهُ أَعْمٌ وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنَّ مِنْ حَقِّ
مُصَابِهِ أَلَّا تَصْدَعَ شَمْلَ الْجَمَاعَةِ بِفُرْقَةٍ لِأَعْصَامِ لَهَا، وَلَا يُؤْمِنُ كَيْدُ الشَّيْطَانِ فِي بَقَائِهَا،
هَذِهِ الْعَرَبُ حَوَّلْنَا، وَاللَّهُ لَوْ تَدَاعَتْ عَلَيْنَا فِي صَبْحِ نَهَارٍ لَمْ نَلْتَقِ فِي مَسَائِهِ، وَزَعَمْتَ
أَنَّ الشُّوقَ إِلَى التَّلَاقِ بِهِ كَافٍ عَنِ الطَّمَعِ فِي غَيْرِهِ، فَمِنْ عِلَامَةِ الشُّوقِ إِلَيْهِ
نُصْرَةُ دِينِهِ، وَمُؤَاوَزَةُ أَوْلِيَائِهِ وَمَعَاوَنَتُهُمْ، وَزَعَمْتَ أَنَّكَ عَكَنْتَ عَلَى عَهْدِ اللَّهِ
تَجْمَعُ مَا تَفْتَرِقُ مِنْهُ، فَمِنْ الْعُكُوفِ عَلَى عَهْدِ اللَّهِ النَّصِيحَةَ لِعِبَادِ اللَّهِ، وَالرَّأْفَةَ عَلَى خَلْقِ
اللَّهِ، وَبَدَّلَ مَا يَصْلُحُونَ بِهِ، وَيُرْشِدُونَ عَلَيْهِ، وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ النُّظَاهِرَ
وَقَعَ عَلَيْكَ، وَأَيُّ حَقٍّ لَطَّ دُونَكَ؟ قَدْ سَمِعْتَ وَعَلِمْتَ مَا قَالَتْ الْأَنْصَارُ بِالْأَمْسِ
سِرًّا وَجَهْرًا، وَتَقَلَّبْتَ عَلَيْهِ بَطْنًا وَظَهْرًا، فَهَلْ ذَكَرْتِكِ، أَوْ أَشَارَتْ بِكَ، أَوْ وَجَدْتَ
رِضَاهُمْ عِنْدَكَ؟ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِلِسَانِهِ: إِنَّكَ تَصْلُحُ لِهَذَا الْأَمْرِ، أَوْ أَوْمَأَ بَعَيْنَهُ،
أَوْ هَمَّهِمْ فِي نَفْسِهِ؟ أَنْظَرِ أَنْ النَّاسَ ضَلُّوا مِنْ أَجْلِكَ، وَعَادُوا كَفَّارًا زَهْدًا فِيكَ،
وَبَاعُوا اللَّهَ تَعَالَى تَحَامُلًا عَلَيْكَ؟ لَا وَاللَّهِ، لَقَدْ جَاءَنِي عَقِيلُ بْنُ زِيَادٍ الْخَزْرَجِيُّ
[فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَمَعَهُمْ شُرْحَيْسِلُ بْنُ يَعْقُوبَ الْخَزْرَجِيُّ] وَقَالُوا: إِنْ عَلِيًّا يَنْتَظِرُ
الْإِمَامَةَ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ أَوْلَى بِهَا مِنْ غَيْرِهِ، وَيَنْكَرُ عَلِيَّ مِنْ يَعْقِدُ الْخِلَافَةَ، فَأَنَّكَرْتُ عَلَيْهِمْ،

(١) كذا ورد هذا الفعل بتشديد الغين في أساس البلاغة .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن صبيح الأعشى ، إذ بها تستقيم العبارة .

(٣) المهمة : الكلام الذي لا يصرح به .

(٤) التكلمة عن صبيح الأعشى ج ١ ص ٢٤٦ ؛ وما بعدها يقتضى إثباتها .

ورددتُ القول في نحوهم حين قالوا : إنه يَنْتَظِرُ الوَحْيَ ، وَيَتَوَكَّفُ ^(١) مَنَاجَاةَ المَلَكِ ،
 فقلت : ذلك أمرٌ طواه الله تعالى بعد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، أكان الأمر
 معقوداً بأنشؤة ^(٢) ، أو مشدوداً بأطراف لِيطة ^(٣) ؟ كَلَّا والله ، لا عَجْمَاءَ بِمَجْدِ الله إلا وقد
 أَفْصَحَتْ ، ولا شوكاءَ إلا وقد تَفْتَحَتْ ؛ وَمِنْ عَجَبِ شَأْنِكِ قَوْلُكَ : لولا سالفُ
 عهد ، وسابقُ عقد ، لَشَفَيْتُ غِظِي ، وهل تَرَكَ الدِّينَ لأهله أن يَشْفُوا غِظَهُمْ
 بيد أو لسان ؟ تلك جاهليةٌ قد استأصل الله شأقتها ، واقتلع جرثومتها ؛ وهَوْرٌ ليلها ^(٤) ،
 وغَوْرٌ سيلها ؛ وأبدل منها الرُّوحَ والرَّيْحَانَ ، والهدى والبرهان ؛ وزعمت أنك مُلْجِمٌ ،
 ولعمري إني من اتقى الله ، وآثر رضاه ، وطَلَبَ ما عنده ، أمسك لسانه ، وأطَبَّقَ
 فاه ، وجعل سعيه لما وراه .

فقال عليُّ رضي الله عنه : مهلاً مهلاً يا أبا حفص ، والله ما بدلتُ ما بدلتُ وأنا
 أريد نكته ، ولا أقررتُ ما أقررتُ وأنا أبتغي حوْلاً عنه ؛ وإن أخسر الناسَ صَفْقَةً
 عند الله من آثر النفاق ، وأحتضن الشقاق ؛ وفي الله سلوةٌ عن كل حادث ، وعليه
 التوكل في كلِّ الحوادث ؛ إرجع يا أبا حفص إلى مجلسك نافع القلب ، مبرود الغليل ،
 فسَيْحِ اللِّبَانِ ^(٥) ، فصَيْحِ اللِّسَانِ ، فليس وراء ما سمعتَ وقلتُ إلا ما يَشُدُّ الأزر ،
 وَيُحِطُّ الوِزر ، وَيَضَعُ الإصر ، ويجمع الألفَةَ بمشيئة الله وتوفيقه .

قال أبو عبيدة رضي الله عنه : فانصرف عليُّ وعمرُ رضي الله عنهما ، وهذا
 أصعب ما مرَّ عليَّ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) يتوكف : ينتظر ، ويقال : فلان يتوكف الأخبار ، نحو يستقطر الأخبار .

(٢) الأنشؤة : عقدة تحل إذا جذب أحد طرفيها .

(٣) الليطة : واحد الليط ، وهو قشر النصب .

(٤) هور : أذهب . (٥) اللبان : الصدر .

ومن كلام عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما، وهو ما اتصل إلينا بالرواية الصحيحة، والأسانيد الصريحة، عن محمد بن أحمد ابن [أبي] المتنى^(١)، عن جعفر بن عون، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها : أنه بلغها أن أقواما يتناولون أبا بكر رضى الله عنه، فأرسلت الى أزفلة من الناس، فلما حضروا أسدلت أستارها، وعلت وسادها، ثم قالت : أبي وما أبيه ! أبي والله لا تعطوه الأيدي، ذاك طود منيف، وظل مديد، هيات، كذبت الظنون، أنجح إذ أكديتم، وسبق إذ ونيتم "سبق الجواد إذا استولى على الأمد"^(٢) فتي قريش ناشئا، وكهفها كهلا، يفك عانيها، ويريش مملقها، ويراب شعبها، ويلم شعبها، حتى حليت قلبها، ثم استسرى في دين الله، فما برحت شكيمة في ذات الله عز وجل حتى اتخذ بفنائها مسجدا يحيى فيه ما أمات المبطلون، وكان رحمه الله غزير الدمعة، وقيد الجوانح، شجي النسيج، فانعطفت اليه نسوان مكة وولدانها يسخرون منه، ويستهنئون به، (الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) فأكبرت ذلك رجالات قريش، فحنت قسيها، وفوقت سهامها، وامتلوه غرضا فما قلوا له صفاة، ولا قصفوا له قناة، ومررت على سيسائه، حتى اذا ضرب الدين بجيرانه، وألقى برصكه، ورست أوتاده، ودخل الناس فيه أفواجا، ومن كل فرقة أرسلوا

(١) كذا ورد هذا الاسم في تهذيب التهذيب لابن حجر أشاء الكلام على جعفر بن عون، والذي في الأصل : « ابن المتنى » ، ولم ننف عليه فيما لدينا من الكتب المدونة في أسماء الرواة .

(٢) في اللسان مادة « كذا » ونجح « بدون همز .

(٣) حليته : استحلته .

(٤) في الأصل وصبح الأعشى : « وانتلوه » بالنون ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا انظر اللسان

مادة « مثل » .

وأشتاتا، اختار الله لنبيه ما عنده، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم نصب
 الشيطان رواقه، ومدَّ طنبه، ونصب حباله، وأجلب بجيله ورجله، واضطرب
 حبل الإسلام، ومرج عهده، وماج أهله، وبغى الغوائل، وظنت رجال أن
 قد أكثب نهزها^(٢)، ولات حين الذي يرجون، وأنى والصديق بين أظهرهم؟ فقام
 حاسرا مشمرا، بجمع حاشيته، ورفع قطريه، فردَّ رسن الإسلام على غريبه، ولم
 شعته بطبه، وأقام أوده بتقافه، فابدع النفاق بوطنه، وانتاش الدين فنعشه، فلما
 أراح الحق على أهله، وقزر الرؤوس على كواهلها، وحقن الدماء في أهبها، أنته منيته،
 فسد نومه نظيره في الرحمة، وشقيقه في السيرة والمعدلة، ذاك ابن الخطاب، لله در
 أم حقلت له، ودزت عليه! لقد أوجدت به، ففتنح الكفرة وديحها، وشرد الشرك^(٣)
 شذر مذر، وبعج الأرض وبعجها، فقاعت أكلها، ولفظت جنينها^(٤)، ترامه
 ويسد عنها، وتصدى له ويأبأها، ثم وزع فيها فيهما، ودعها كما صحبا، فأروني
 ما ترتابون؟ وأى يومى أبتقمون؟ أيوم إقامته إذ عدل فيكم، أم يوم ظعنه وقد
 نظر لكم؟ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

ثم أقبلت على الناس بوجهها فقالت : أنشدكم الله ، هل أنكرتم مما قلت شيئا؟

قالوا : اللهم لا .

(١) في صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٨ : «ضرب» ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٢) كذا في الأصل ؛ والذي في اللسان مادة «كثب» «أكثبت أطاعهم» ؛ وفي صبح الأعشى

ج ١ ص ٢٤٨ : «أكثبت أطاعهم نهزها» ، والمعنى يستقيم على كل من هذه الروايات الثلاث .

(٣) في الأصل : «حملت به» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما سيأتى في شرحه لهذه الكلمة .

(٤) في صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٨ : «خبأها» ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

ذكر شرح غريب رسالتها رضى الله عنها

الْأَزْفَلَةُ : الجماعة . وَتَعَطَّوْهُ : تَنَاوَلُوهُ . وَالطَّوْدُ : الجبل . وَالْمُنْيِفُ : الْمُشْرِفُ .
 وَأَكْدَيْتُمْ : خَبْتُمْ وَيُنْسَ مِنْ خَيْرِكُمْ . وَوَيْتَمٌ : فَرْتَمٌ وَضَعْفَتُمْ . وَالْأَمْدُ : الغاية .
 وَيَرِيشُ : يُعْطَى وَيُقْضَلُ . وَالْمُمْلِقُ : الْفَقِيرُ . وَيَرَّابٌ : يَجْمَعُ . وَالشَّعْبُ : الْمُتَفَرِّقُ .
 وَيَلْمٌ : يَضْمٌ . وَاسْتَشْرَى : جَدَّ وَأَنْكَشَ . وَالشَّكِيمَةُ : الْأَنْفَةُ وَالْحَمِيَّةُ . وَالْوَقِيدُ :
 الْعَلِيلُ . وَالْجَوَانِحُ : الضُّلُوعُ الْقِصَارُ الَّتِي تَقْرُبُ مِنَ الْفُؤَادِ . وَالشَّجِي : الْحَزِينُ .
 وَالنَّشِيحُ : صَوْتُ الْبِكَاءِ . وَانْعَطَفْتُ : انْتَهت . وَامْتَثَلُوهُ : مَثَلُوهُ . وَالغَرَضُ :
 الَّذِي يُقْصَدُ لِلزَّمِي . وَفَلَّوْا : كَسَرُوا . وَالصَّفَاةُ : الصَّخْرَةُ الْمُسَاءُ . وَقَصَّفُوا :
 كَسَرُوا . وَسَيْسَاؤُهُ : شِدَّتُهُ ، وَالسَّيْسَاءُ : عَظْمُ الظَّهِيرِ ، وَالْعَرَبُ تَضْرِبُهُ مَثَلًا لِشِدَّةِ
 الْأَمْرِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :^(٢)

١٠

لَقَدْ حَمَلَتْ قَيْسُ بْنُ عِيْلَانَ حَرْبَنَا * عَلَى يَابِسِ السَّيْسَاءِ مُحْدَوْدِيبِ الظَّهِيرِ^(٣)

وَالْحِرَانُ : الصَّدْرُ . وَرَسَتْ : ثَبَتَتْ . وَمَرَجَّ : اخْتَلَطَ . وَمَا جَ أَهْلُهُ :
 اضْطَرَبُوا وَتَنَازَعُوا . وَبَغَى الْغَوَائِلُ ، مَعْنَاهُ وَطِبَّ الْبَلَايَا . وَأَكْثَبَ : قَرَّبَ .
 وَالنَّهْزُ : اخْتِلَاسُ الشَّيْءِ وَالظَّفْرُ بِهِ مِبَادَرَةٌ . وَوَلَاتَ حِينَ الَّذِي يَطْلُبُونَ ، مَعْنَاهُ :
 وَوَلَّاتَ حِينَ ظَفَرِهِمْ . وَقَوْلُهَا : بِجَمْعِ حَاشِيَّتِيهِ وَرَفَعَ قَطْرِيهِ ، مَعْنَاهُ تَحَزَّمَ^(٤)
 وَوَلَّاتَ حِينَ ظَفَرِهِمْ . وَقَوْلُهَا : بِجَمْعِ حَاشِيَّتِيهِ وَرَفَعَ قَطْرِيهِ ، مَعْنَاهُ تَحَزَّمَ^(٥)
 وَوَلَّاتَ حِينَ ظَفَرِهِمْ . وَقَوْلُهَا : بِجَمْعِ حَاشِيَّتِيهِ وَرَفَعَ قَطْرِيهِ ، مَعْنَاهُ تَحَزَّمَ^(٦)

١٥

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ؛ وَعِبَارَةُ اللِّسَانِ فِي شَرْحِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ ؛ أَي نَصَبُوهُ هَدَفًا لِمَهَامِ مَلَامِهِمْ وَأَقْوَامِهِمْ
 وَهُوَ افْتَعَلَ ، مِنْ الْمَثَلَةِ هـ . (٢) هُوَ الْأَخْطَلُ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ مَادَّةُ « سَيْس » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « زَيْنَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ يَخْتَلُ بِهِ الْوِزْنُ وَالْمَعْنَى ؛ وَالتَّصْوِيبُ عَنِ اللِّسَانِ .

(٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَالَّذِي سَبَقَ فِي الْخَطْبَةِ : « يَرْجُونَ » .

٢٠

(٥) فِي الْأَصْلِ : « الشَّجَاعَةُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) عِبَارَةُ الْأَصْلِ : « وَقَوْلُهَا : فَرَفَعَ حَاشِيَّتِيهِ ، وَجَمْعُ قَطْرِيهِ » وَفِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ ، وَالصَّوَابُ

الْعَكْسُ . لِيُوَاقِفَ مَا مَرَّ فِي الْخَطْبَةِ ، وَنَصَحَا فِي اللِّسَانِ مَادَّةُ « قَطْر » « فَدَجَمَ حَاشِيَّتِيهِ ، وَضَمَّ قَطْرِيهِ »
 وَقَالَ فِي تَفْسِيرِ ذَلِكَ ، جَمَعَ جَانِبِيهِ عَنِ الْإِنْتِشَارِ وَالتَّبَدُّدِ وَالتَّفَرُّقِ .

للأمر وتأهب له . والقَطْرُ : الناحية . والطَّبُّ : الدواء . والأوْدُ : العِوَجُ .
 والثَّقَافُ : تقويمُ الرماح وغيرِها . وأبْدَعَرَّ : تَفَتَّقَ . وانتاش الدِّينَ ، أى أزال عنه
 ما يُخَافُ عليه . ونَعَّشَهُ : رَفَعَهُ . وأراحَ الحَقَّ على أهله ، أى أعاد الزكاة التي
 مَنَعَتْها العرب فقاتلَ عليها حتى رُدَّتْ الى حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقَرَّرَ
 الرءوسَ على كواهلها ، معناه وقى المسلمين القتل . والكاهلُ : أعلى الظهر وما يتصل به .
 وحقنَ الدماءَ فى أُنْهَبِها ، معناه أنه حقن دماء المسلمين فى أجسادهم . والأهْبُ :
 جمعُ إهاب ، وأصلُ الإهابِ الجِلدُ ، فَكَانَتْ به عن الجسد . وقولها : لله دَرَّ أمَّ
 حَفَلت له ، أى جمعت له اللبن . وقولها : أَوحدتْ به ، معناه جاءت به منفردا
 لا نظير له . وقولها : ففَنَخَّ الكفرةَ ، معناه أذلَّها . وديحَّها : صَغَّرَها .^(١) وبَجَّ
 الأرضَ وبَجَّعها ، معناه شَقَّها واستقصى نائِها .^(٢) وشَدَّرَ مَدَّرَ ، معناه تفريقا ، يقال :
 شَدَّرَ مَدَّرَ ، وشَغَّرَ بَغَّرَ ، بمعنى واحد . وقولها : حتى قاءت أكلَّها ، معناه أخرجت
 خبزها . وتَرَّأَمَهُ : تعطف عليه . وتَصَدَّى له : تَعَرَّضَ له .

ومن كلام علي بن أبي طالب رضى الله عنه ما كَتَبَ به إلى
 معاوية بن أبي سُفْيَانَ جوابا عن كتابه — وهو من محاسن الكتب — كتب
 رضى الله عنه :

أما بعد ، فقد أتانى كتابك تذكُّرُ فيه أصطفاء الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم
 لدينه ، وتأيمده إياه بمن أيده به من أصحابه ، فلقد خبأ لنا الدهرُ منك عَجَبًا ،

(١) كذا فى الأصل ؛ ولم تقف فيها لدينا من كتب اللغة على تعديده هذا الفعل بالباء .

(٢) فى الأصل : « عليها » وهو تحريف ؛ وذكر فى اللسان مادَّة « بجع » فى تفسير هذه الكلمة
 أن المعنى قهر أهلها وأذلهم واستخرج ما فيها من الكنوز وأموال الملوك .

(٣) فى الأصل : « جاء » ؛ وهو تحريف لا تستقيم به العبارة ، والصواب ما أئبنا كما فى صبح الأعشى

أَفْطَيْقَتْ تُخْبِرُنَا بِآلَاءِ اللَّهِ عِنْدَنَا؟ فَكُنْتِ فِي ذَلِكَ كَقَائِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجْرٍ، أَوْ دَاعِي مِدْرِهِ إِلَى النَّضَالِ؛ وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنْ تَمَّ أَعْتَرَكِ كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ قُلُّهُ؛ وَمَا أَنْتِ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ، وَالسَّائِلَ وَالْمَسْئُولَ؟ وَمَا الطُّلُقَاءُ وَأَبْنَاءُ الطُّلُقَاءِ وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ؟ هِيَهَاتَ لَقَسْدٌ «حَنْ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا»، وَطَفِيقٌ يَحْكُمُ فِيهَا مِنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا، أَلَا تَرَبِّعُ عَلَى ظَلْعِكَ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ دَرْعِكَ، وَتُنْتَخِرُ حَيْثُ أَخْرَكَ الْقَدْرَ، فَمَا عَلَيْكَ غَلْبَةُ الْمَغْلُوبِ، وَلَا لَكَ ظَفَرُ الظَّافِرِ، وَإِنَّكَ لَذَهَابٌ فِي تَيْبِهِ، رَوَاقٌ عَنِ الْفَضْلِ، أَلَا تَرَى - غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ، وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحْدِثُ - أَنَّ قَوْمًا اسْتَشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ - وَلِكُلِّ فَضْلٍ - حَتَّى إِذَا اسْتَشْهِدَ شَهِدْنَا (هُوَ حِمَزَةٌ) قِيلَ: سَيِّدَ الشَّهَدَاءِ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْمًا قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَلِكُلِّ فَضْلٍ - حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِأَحَدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ: الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ، وَذُو الْجَنَاحِينَ (هُوَ جَعْفَرٌ) وَلَوْلَا [مَا] نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَرْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لَدَكَرَ ذَاكَ كَرَفَضَائِلَ جَمَّةٍ تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تُجِجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ، فَدَعِ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الدِّينِيَّةُ فَإِنَا

١٥

(١) فِي الْأَصْلِ: «بِفِضْ»؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «وَالْتِمِيمِينَ»؛ وَهُوَ تَحْرِيْفٌ لَا تَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى.

(٣) هَذَا مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ يَفْتَخِرُ بِقَبِيلَةٍ لَيْسَ مِنْهَا، أَوْ يَتَمَدَّحُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ؛ وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْوَاحِدَ مِنْ قَدَاحِ الْمَيْسَرِ إِذَا كَانَ مِنْ غَيْرِ جَوْهَرِ أَخْوَاتِهِ وَأَجَالِهِ الْمَفِيضِ خَرَجَ لَهُ صَوْتٌ يَخَالِفُ أَصْوَاتَهَا.

(٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ، وَالَّذِي فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ج ٢ ص ١٩ طَبِعَ بِيْرُوتَ: «الْقَصْدُ»؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَى

٢٠

كَاتِبَا الرَّوَابِيتِينَ. (٥) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ؛ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِيهَا.

(٦) فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ج ٢ ص ١٩ طَبِعَ بِيْرُوتَ: «الرَّمِيَّةُ»؛ وَالرَّمِيَّةُ الصَّيْدُ تَرْمِيهِ فَنَقْضُهُ، وَالْمُرَادُ

بِهَا الدُّنْيَا؛ وَقَالَ شَارِحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ «مَالَتْ بِهِ» مَا نَصَّهُ: «وَمَالَتْ بِهِ»: خَالَفَتْ قَصْدَهُ فَاتَّبَعَهَا، مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ أَعْوَجَ غَرَضُهُ فَالَّ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ لَطَلَبِهِ.

(٧)
صنائعُ ربنا، والناسُ بعدُ صنائعُ لنا، لم يمنعنا قديمُ عزنا، وعادى طَوْلنا على قومك
أن خلطناهم بأنفسنا، فنكحنا وأنكحنا فَعَلَ الأَكْفَاءَ ولستم هناك، وأنى يكون ذلك
كذلك؟ ومنا النبيُّ ومنا المكذِبُ، ومنا أسدُ الله، ومنا أسدُ الأحلاف، ومنا سيِّدا
شباب أهل الجنة، ومنا صبيةُ النار، ومنا خيرُ نساء العالمين، ومنا حمالةُ الحطب؛
فإسلامنا قد سُمِع، وجاهليتنا لا تُدْفَع، كتابُ الله يجمع لنا ما شَدَّ عَمَّا و [هو] قوله
سبحانه: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ
أَوْلَىٰ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فنحن
مرَّةً أَوْلَىٰ بالقرابة، وتارة أَوْلَىٰ بالطاعة؛ ولما احتجَّ المهاجرون على الأنصار يوم
السَّقِيفَةِ برسول الله صلى الله عليه وسلم فلججوا عليهم، فإن يكن القُلُجُّ به فالحقُّ لنا
دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم؛ وزعمت أنى لكل الخلفاء حسدٌ،
وعلى كلِّهم بغيٌّ، فإن يكن ذلك كذلك فليست الجناية عليك، فتكون المَعْدِرَةُ إليك.
«وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها»^(٤)

(١) العادى: القديم.

(٢) المكذب: أبو جهل. وأسد الله: حمزة بن عبد المطلب. وأسد الأحلاف: أبو سفيان
ابن حرب، لأنه حزب الأضراب وحالفهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق. وسيِّدا
شباب أهل الجنة: هما الحسن والحسين ولدا على كرم الله وجهه. وصبية النار هم أولاد مروان بن
الحكم. وخير نساء العالمين: فاطمة. وحمالة الحطب: أم جميل بنت حرب عممة معاوية. وزوجة
أبي لُهب.

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل. وقد نقلناها عن صبح الأعشى ج ١ ص ٢٣٠.

(٤) يقال: ظهر عنه العار، إذا لم يعلق به ونبا عنه. وقوله: وتلك شكاة الخ عجز بيت لأبي ذؤيب
الهدلي؛ وصدرة: * وعيرها الواشون أنى أحبها * انظر اللسان مادة «ظهر».

وقلت: إني كنت أفأدك بما يقاد الجمل المحشوش حتى أبايع، ولعمر الله [لقد] أردت^(٢)
 أن تدم فمدمت، وأن تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غصاضة في أن
 يكون مظلوما ما لم يكن شاكاً في دينه، ولا مرتاباً في يقينه، وهذه هجتي إلى غيرك
 قصدها، ولكنني أطلقت لك منها بقدر ما سنع من ذكرها؛

ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان، [فلك] أن تجاب عن هذه لرجحه^(٣)
 منك، فأينما كان أعدى له، وأهدى إلى مقاتله؟ أم من بذل له نصرته فاستعده
 وأستكفه، أقم أسنصره فترأخى عنه، وبث المئون إليه، حتى [أني] قدره عليه؟^(٤)
 كلا والله ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ
 إِلَّا قَلِيلًا﴾ وما كنت أعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثاً، فإن كان الذنب إليه
 إرشادي وهدايتي له "فرب ملوم لا ذنب له"

* وقد يستفيد الظنة المنتصح^(٥) *

وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت "وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت"، وذكرت
 أنه ليس لي ولأصحابي إلا السيف، فلقد أصحكت بعد استعبار، متى ألفت
 بني عبد المطلب عن الأعداء ناكين، وبالسيوف مخوفين؟ "لبث قليلاً يلحق الهيجا^(٦)

١٥ (١) المحشوش: الذي أدخل في أنفه الخشاش بكسر الخاء، وهو ما يدخل في عظم أنف البعير
 من خشب.

(٢) الزيادة عن صحيح الأعمش ج ١ ص ٢٣٠.

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل. وقد نقلناها عن نهج البلاغة ج ٢ ص ٢١ طبع بيروت؛
 إذ لا يستقيم الكلام بدونها.

٢٠ (٤) هذه اللام ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضيها.

(٥) الظنة: التهمة. وصدر هذا البيت: * وكم سقت في آثاركم من نصيحة *

(٦) لبث بتشديد الباء، من اللبث، وهو المكث. وحمل بفتح الخاء والميم هو ابن بدر، وهذا مثل
 يضرب للتهديد بالحرب، ورواية اللسان مادة حمل: «ضح قليلاً يدرك» الخ.

حَمَلٌ“ فسيطلبك من تطلب، ويقرب منك ما تستبعد، وأنا مُرْقِلٌ نحوك في جحفل
من المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان، شديد زحامهم، ساطع قتائمهم،
متسريلين سرايل الموت، أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم، قد صحبهم ذرية بدرية،
وسيوف هاشمية، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وأهلك” وما هي
من الظالمين ببعيد“.

ومن كلام الأحنف بن قيس حين وبَّخه معاوية بن أبي سفيان بتخذيذه
عائشة رضي الله عنها، وأنه شهيد صفيين، وقال له: فعلت وفعلت؛ فقال:
يا أمير المؤمنين، لم ترد الأمور على أعقابها؟ أما والله إن القلوب التي أبغضناك بها لبيّن
جوانحنا، والسيوف التي قاتلناك بها لعلّ عواتقنا، ولئن مددت بشير من غدر، لتمدّت
بأع من ختر،^(٢) ولئن شئت لتستصفين كدر قلوبنا بصفو حالمك؛ قال معاوية: أفعل.

وجلس معاوية يوماً وعنده وجوه الناس، وفيهم الأحنف، فدخل رجل من
أهل الشام، فقام خطيباً، فكان آخر كلامه أن لعن علياً رضي الله عنه، فأطرق
الناس، وتكلم الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا القائل أنفاً ما قال لو علم أن
رضاك في لعن المرسلين للعنهم، فاتق الله، ودع علياً فقد لقي الله، وأفرد في حفرته،
وخلا بعمله، وكان والله — ما علمنا — المبرز بشقه، الطاهر في خلقه، الميمون
النقيبه، العظيم المصيبة. قال معاوية: يا أحنف، لقد أغضيت العين على القذى،
وقلت بغير ما ترى، وأيم الله لتصعدت المنبر فلتلعننه طائعا أو كارها؛ فقال الأحنف:
إن تُعفين فهو خير، وإن تجبرني على ذلك فوالله لا تجرى به شفتاي؛ فقال معاوية:
قم فاصعد؛ قال: أما والله لأنصفنك في القول والفعل؛ قال معاوية: وما أنت

(١) أخوه: حنظلة. وخاله: الوليد بن عتبة. وجدّه: عتبة بن ربيعة.

(٢) الختر: أقبج الغدر.

قائل إن أنصفتني؟ قال: أصدد فأحمد الله وأثنى عليه وأصلى على نبيه، ثم أقول: أيها الناس، إن معاوية أمرني أن ألعن عليا، ألا وإن عليا ومعاوية اختلفا واقتتلا، وآدعى كل واحد منهما أنه مبيغى عليه وعلى فبئس، فإذا دعوت فأمّنوا رحمكم الله، ثم أقول: اللهم العن أنت وملائكك وأنبيائك ورسلك وجميع خلقك الباغى منهما على صاحبه، والفئمة الباغية على المبيغى عليها، آمين يارب العالمين، فقال معاوية: ٥
إذن تُعفيك يا أبا بجر.

وَأَتَى الْأَحْنَفُ مُصْعَبَ بْنِ الزَّيْرِ يَكْتُمُهُ فِي قَوْمٍ حُبِسَهُمْ فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، إِنْ كَانُوا حُبِسُوا فِي بَاطِلٍ فَالْحَقُّ يُخْرِجُهُمْ، وَإِنْ كَانُوا حُبِسُوا فِي حَقٍّ فَالْعَفْوُ يَسَعُهُمْ، نَفْلَاهُمْ.

١٠ ولما قَدِمَ وفدُ العِراقِ على معاويةَ وفيهمُ الأحنفُ، نرجح الآذنُ فقال: إن أمير المؤمنين يعزم عليكم ألا تتكلم أحدٌ إلا لنفسه، فلما وصلوا إليه قال الأحنف: لولا عزيمة أمير المؤمنين لأخبرته أن دافّة^(١) (أى الجماعة) دفت^(٢)، ونازلة نزلت، ونايبة نابت، وكلهم بهم الحاجة إلى معروف أمير المؤمنين وبرّه؛ فقال: حسبك يا أبا بجر، فقد كفيته الغائب والشاهد.

١٥ ولما خطب زياد بن أبيه بالبصرة قام الأحنف فقال: لله الأمير! قد قلت فاستمعت، ووعظت فأبلغت^(٣)؛ أيها الأمير، إنما السيف بجده، والقوس بشده، والرجل بجده؛ وإنما الثناء بعد البلاء، والحمد بعد العطاء؛ ولن تُثنى حتى تبتلى، ولا تُحمد حتى تُعطي.

(١) في الأصل: «لأجزته» بالجيم والزاي المعجمتين؛ وهو تحريف.

(٢) دفت: أتت.

(٣) في الأصل: «ودغظت»؛ وهو تصحيف.

ولما حُكِّمَ أبو موسى الأشعريُّ أتاه الأحنف فقال له : يا أبا موسى، إن هذا مسيرٌ له ما بعده من عزِّ الدنيا أو ذلِّها آخر الدهر، أَدْعُ القوم إلى طاعة عليٍّ، فإن أبوا فادعهم أن يختار أهل الشام من قريش العراق من أحبوا، ويختار أهل العراق من قريش الشام من أحبوا، وإياك إذا لقيت ابن العاص أن تصاحبه بنية، وأن يُقعدك على صدر المجلس، فإنها خديعةٌ، وأن يضمك وإياه بيتٌ فيمكن لك فيه الرجال، ودعه فليتكلم لتكون عليه بالخيار، فالبادئُ مُستغلقٌ^(١)، والمحيبُ ناطقٌ، فما عمِلَ أبو موسى إلا بخلاف ما قال الأحنف وأشار به، فكان من الأمر ما كان، فلقبه الأحنف بعد ذلك فقال له : أَدخَلَ والله قدميك في خُفِّ واحدة .

وقال بخراسان : يا بني تميم، تحابوا [تَجتمع كلمتكم]^(٢) وتبادلوا تعبدلُ أموركم، وأبدءوا بجهادِ بطونكم وفروجكم يصلح دينكم، ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم .

ولما قدمت الوفود على عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قام هلال بن بشر^(٥) فقال : يا أمير المؤمنين : إنا غرّةٌ من خلقنا من قومنا، وسادةٌ من وراءنا من أهل مصرنا، وإنك إن تصرفنا بالزيادة في أعطياتنا، والفسرائض لعيالاتنا، يزدد بذلك

(١) أراد بالمستغلق هنا : الذى ليس له الخيار فى رد ما قال، وهو استعارة من قولهم : استغلقنى فى بيعه، إذا لم يجعل لى خيارا فى رده .

(٢) هذه التكلة ساقطة من الأصل؛ وقد أثبتناها عن البيان والتبيين ج ١ قسم ٢ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٣٧٠ .

(٣) كذا فى البيان والتبيين فى النسخة السالفة الذكر، والذى فى الأصل : « وتنازلوا »؛ وهو تصحيف إذ لم نجد من معانيه ما يلائم السياق .

(٤) عل غلولا من باب قعد : خان فى المعنى .

(٥) كذا فى الأصل؛ والذى فى البيان والتبيين ج ٢ ص ١١٣ طبع الرحمانية : « ابن وكيع » .

الشريف تأميلاً، وتكن لهم أبا ووصولاً؛ وإن تكن مع ما تمت [به] من وسائلك،
 وندي [به] من أسبابك كالجدل لا يحل ولا يرثج^(٤)، ترجع بأنوف مصلومة^(٥)، وجدود^(٦)
 عائرة، فيحننا وأهالينا بسجل مترع^(٦) (أى الدلو المملانة) من سجالك المترعة .

وقام زيد بن جبلة فقال: يا أمير المؤمنين، سؤد الشريف، وأكرم الحسيب،
 وازرع عندنا من أياديك ما تسد به الخصاصه، وتطرد به الفاقة؛ فإننا يقف من^(٧)
 الأرض يابس الأكلاف^(٨)، مقشعر الدرورة، لا متجر ولا زرع^(٩)، وإنما من العرب اليوم
 إذ أتينك برأى ومسمع .

فقام الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين، إن مفاتيح الخير بيد الله، والحرص
 قائد الحرمان، فأتق الله فيما لا يغني عنك يوم القيامة قبلاً ولا قالاً، وأجعل بينك
 وبين رعيتك من العدل والإنصاف شيئاً يكفيك وفادة الوفود، وأستاحة المتاح،
 فإن كل أمرئ إنما يجمع في وعائه إلا الأقل ممن عسى أن تقتحمه الأعين فلا يوفد
 إليك .

(١) في البيان والتبيين: «وتكن لذوى الأحساب» .

(٢) في الأصل: «تمن»؛ وهو تحريف، والتصويب عن البيان والتبيين .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، واللغة تقتضى إثباتها؛ وانظر البيان والتبيين ج ٢ ص ١١٣
 طبع الرحمانية .

(٤) كذا في الأصل؛ والذي في البيان والتبيين: كالجد الذي لا يحل» الخ وكلتا الروايتين غير
 واضحة المعنى، ولم تقف عليه فيما لدينا من المظان .

(٥) المصلومة: المقطوعة من أصلها .

(٦) في الأصل: «فرحننا»؛ وهو تحريف إذ لم تر من معانيه ما يناسب المقام، والتصويب عن
 البيان والتبيين؛ «ومحننا» من المبح، وهو الإعطاء .

(٧) في الأصل: «نقف» بالنون؛ وهو تحريف، والقف: ما ارتفع من الأرض كالقمة .

(٨) في الأصل: «نافس» وهو تحريف .

(٩) كذا في الأصل؛ والذي في البيان والتبيين: «شجر» والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

ومن كلام أم الخير بنت الحريش البارقية، - وكانت من الفصحاء -
 حكي أنها لما وفدت على معاوية قال لها كيف كان كلامك يوم قُتل عمّار بن
 ياسر؟ قالت: لم أكن والله زورته قَبْلُ ولا رويته بعد، وإنما كانت كلمات نفّس
 لساني حين الصدمة، فإن شئت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت، قال:
 لا أشاء ذلك، ثم ألفت إلى أصحابه فقال: أيكم حفظ كلام أم الخير؟ فقال رجل
 من القوم: أنا أحفظه يا أمير المؤمنين كحفظي سورة الحمد، قال: هاته، قال:
 نعم، كأتى بها يا أمير المؤمنين عليها برد زبيدي، كُشِفُ الحاشية، وهي على جمل
 أرمك، وقد أحيط حولها وببداها سوطٌ منتشر الضفر، وهي كالفضل يهدير^(٢)
 في شقشقته تقول: ((يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم)) إن الله
 قد أوضح الحق، وأبان الدليل، وتور السبيل، ورفع العلم، فلم يدعكم في عمياء
 مبهمه، ولا سوداء مدلممة؛ فأني تريدون رحمكم الله؟ أفرارا عن أمير المؤمنين، أم
 فرارا من الزحف، أم رغبة عن الإسلام، أم ارتدادا عن الحق؟ أما سمعتم الله عز
 وجل يقول: ((ولنبئوكم حتى نعلم المُجاهدين منكم والصّابرين ونبئوا أخباركم)) ثم
 رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول: اللهم قد عيل الصبر، وضعف اليقين،
 وانتشرت الرغبة، وببداك يارب أزقة القلوب، فأجمع الكلمة على التقوى، وألف
 القلوب على الهدى، ورد الحق إلى أهله، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل،

(١) كذا في صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٩؛ وزورته: نففته وهذبه، وهو من قولهم:

زور الحديث، إذا أزال زوره، أي عوجه. وفي الأصل: «رويته»؛ وما أبتناه هو المناسب للسياق.

(٢) الأرمك: من الرمكة، وهي لون التراب.

(٣) الضفر: القتل، والمراد به هنا أمم المفعول.

(٤) في صبح الأعشى ج ١ ص ٢٥٠: «فإلى أين».

وَالْوَصَى الْوَفَى، وَالصَّدِيقِ الْأَكْبَرِ؛ إِنَّهَا إِحْنٌ بَدْرِيَّةٌ، وَأَحْقَادٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَضَغَائُنٌ
 أُحْدِيَّةٌ، وَثَبَّ بِهَا مَعَاوِيَةُ حِينَ الْغَفْلَةِ لِيُدْرِكَ بِهَا نَارَاتِ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، ثُمَّ قَالَتْ :
 قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ، صَبْرًا مَعَشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ،
 قَاتِلُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَثَبَاتٍ مِنْ دِينِكُمْ، وَكَأَنِّي بِكُمْ غَدَاً قَدْ لَقِيتُمْ أَهْلَ الشَّامِ
 كَحُمُرٍ مُسْتَنْفِرَةٍ، فَتَوَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ، لَا تَدْرِي أَيْنَ يُسَلِّكُ بِهَا مِنْ فِجَاجِ الْأَرْضِ، بَاعُوا
 الْآخِرَةَ بِالْدُنْيَا، وَأَشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى، وَبَاعُوا الْبَصِيرَةَ بِالْعَمَى، وَوَعَمَّا قَلِيلٍ
 لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ^(١)، حِينَ تَحِلُّ بِهِمُ النَّدَامَةُ، فَيَطْلُبُونَ الْإِقَالََةَ، إِنَّهُ وَاللَّهِ مَنْ ضَلَّ عَنْ
 الْحَقِّ وَقَعَ فِي الْبَاطِلِ، وَمَنْ لَمْ يَسْكُنِ الْجَنَّةَ نَزَلَ النَّارَ، أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْأَيْكَاسَ
 آسَتْقَصَرُوا عَمْرَ الدُّنْيَا فَرَفَضُوهَا، وَآسَتْبَطُوا مَدَّةَ الْآخِرَةِ فَسَعَوْا لَهَا، وَاللَّهِ أَيُّهَا النَّاسُ،
 لَوْلَا أَنْ تَبْطُلَ الْحَقُوقُ، وَتَعْطَلَ الْحُدُودُ، وَيَظْهَرَ الظَّالِمُونَ، وَتَقْوَى كَلِمَةُ الشَّيْطَانِ،
 لَمَا آخَرْنَا وَرُودَ الْمَنَايَا عَلَى خَفْضِ الْعَيْشِ وَطَيْبِهِ، فإِلَى أَيْنَ تَرِيدُونَ — رَحِمَكُمُ اللَّهُ — ؟
 عَنْ أَبِي عَمْرٍو رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَزَوْجِ ابْنَتِهِ، وَأَبِي أَبِيهِ، خَلَقَ مِنْ
 طِينَتِهِ، وَتَفَرَّعَ عَنْ نَبْعَتِهِ، وَخَصَّه بِرَمَّةٍ، وَجَعَلَهُ بَابَ مَدِينَتِهِ، وَأَعْلَمَ بِحُبِّهِ الْمُسْلِمِينَ،
 وَأَبَانَ بِبَغْضِهِ الْمُنَافِقِينَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ يُؤَيِّدُهُ اللَّهُ بِمَعُونَتِهِ، وَيَمِضِي عَلَى سَنَنِ
 آسَتْقَامَتِهِ، لَا يَبْرَحُ لِرَاحَةِ اللَّذَاتِ، وَهُوَ مَفْلُقُ الْهَامِ، وَمَكْسَرُ الْأَصْنَامِ، إِذْ صَلَّى
 وَالنَّاسُ مُشْرِكُونَ، وَأَطَاعَ وَالنَّاسُ مُرْتَابُونَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قَتَلَ مِبَارِزِي بَدْرَ،
 وَأَفْنَى أَهْلَ أُحُدٍ، وَفَرَّقَ جَمْعَ هَوَازِنَ، فَيَالِهَا وَقَائِعَ زَرَعَتْ فِي قُلُوبِ قَوْمٍ نِفَاقًا، وَرِدَّةً
 وَشِقَاقًا ! وَقَدْ آجَتِهْدْتُ فِي الْقَوْلِ، وَبَالَغْتُ فِي النَّصِيحَةِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ، وَعَلَيْكُمْ
 السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

٢٠

(١) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « وَاسْتَطَابُوا الْآخِرَةَ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَى كَلِمَاتِ الرَّوَابِئِينَ .

(٢) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي الْأَصْلِ بِثَبُوتِ اللَّامِ، وَالَّذِي فِي كُتُبِ الْقَوَاعِدِ أَنَّ الْأَكْثَرَ فِي الْاسْتِعْمَالِ

عَدَمُ إِثْبَاتِهَا فِي جَوَابِ لَوْلَا الْمُنْتَهَى .

فقال معاوية : والله يا أم الخير ما أردت بهذا الإقتل ، والله لو قتلتك ما حرجت^(١)
 في ذلك ، قالت : والله ما يسوعنى يا ابن هند أن يُجرى الله ذلك على يدي من يسعدني
 الله بشقائه ، قال : هيات يا كثيرة الفضول ، ماتقولين في عثمان بن عفان؟ قالت :
 وما عسيت أن أقول فيه؟ استخلفه الناس وهم كارهون ، وقتلوه وهم راضون ، فقال :
 إيها يا أم الخير ، هذا والله أصلك الذي تبين عليه ، قالت : لكن الله يشهد^(٢) وكفى
 بالله شهيدا ، ما أردت بعثمان نقصا ، ولقد كان سبأقا الى الخيرات ، وإنه لرفيع
 الدرجات ، قال : فما تقولين في طلحة بن عبيد الله؟ قالت : وما عسى أن أقول
 في طلحة؟ اغتيل من مأمنه ، وأني من حيث لم يحذر ، وقد وعده رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الجنة ، قال : فما تقولين في الزبير؟ قالت : يا هذا لا تدعني كرجيع الضبع
 يعرك في المركن^(٣) ، قال : حقا لتقولن ذلك ، وقد عزمت عليك ، قالت : وما عسيت
 أن أقول في الزبير ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه ، وقد شهد له
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، ولقد كان سبأقا الى كل مكرمة في الإسلام ،
 وإني أسألك بحق الله يامعاوية — فإن قرشنا تحدث أنك من أهلها — أن تسعني
 بفضل حلمك ، وأن تُعفيني من هذه المسائل ، وأمض الى ما شئت من غيرها ،
 قال : نعم وكرامة ، قد أعفيتك ، وردّها مكرمة الى بلدها .

(١) عبارة الأصل : « لأقتلك » ؛ وما أثبتناه عن صحيح الأعمش ج ١ ص ٢٥١ والعقد الفريد
 ج ١ ص ١٦٤ طبع المطبعة العثمانية ؛ وهو الملائم لقوله بعد : « ما حرجت » .

(٢) كذا في صحيح الأعمش والعقد الفريد ، وهو المناسب لسياق العبارة . وفي الأصل : « الله » .

(٣) إيها : كلمة زجر بمعنى حسبك .

(٤) المركن : شبهة تور من آدم يتخذ للاء ، أو شبه لقرن ، أو هو الإجانة التي تغسل فيها الثياب
 ونحوها ؛ ولعلها تريد بهذه العبارة : لا تدعني أذنس بالدم أهل الطهارة ، وألصق العيوب بمن لا عيب
 فيه ، يدل على ذلك قولها فيما سياتي : وما عسيت أن أقول في الزبير ابن عمه رسول الله الخ .

ومن أشهر بالفصاحة والبلاغة زياد بن أبيه، والحجاج بن يوسف
الثقفى، وسند كنبذة من كلامهما فى التاريخ عند ذكرنا لأخبارهما لما ولى كل
منهما العراق، وما خطب الناس به، ولنذكر فى هذا الموضوع من كلام الحجاج
ما لم نُورده هناك

- ٥ قيل : لما قدم الحجاج البصرة خطب فقال : أيها الناس ، من أعياء
داؤه ، فعندى دواؤه ؛ ومن استطال أجله ، فعلى أن أجله ، ومن ثقل عليه
رأسه وضعت عنه ثقله ؛ ومن استطال ماضى عمره قصرت عليه باقيه ؛
إن للشيطان طيفا ، وللسلطان سيفا ؛ فمن سقمت سريرته ، صحت عقوبته ؛
ومن وضعه ذنبه ، رفعه صلبه ، ومن لم تسعه العافية ، لم تضق عنه الملكة ؛
ومن سبقته بادرة فيه ، سبق بدنه بسفك دمه ؛ إني أنذر ثم [لا] أنظر ، وأحذر
ثم لا أعذر ، وأتوعد ثم لا أعفو ، إنما أفسدكم ترنيق^(١) ولا تكم ، ومن استترحى لبيبه^(٢)
ساء أدبه ، إن الحزم والعزم سلبانى سوطى ، وأبدلانى [به] سيفى ، فقامه فى يدي ،
ونجأده فى عنقى ، وذبابه فلاة لمن عصانى ، والله لا أمر أحدكم أن يخرج من باب
من أبواب المسجد فيخرج من الباب الذى يليه إلا ضربت عنقه .

- ١٥ قال مالك بن دينار : ربما سمعت الحجاج يذكر ما صنع فيه أهل العراق
وما صنع بهم ، فيقع فى نفسى أنهم يظلمونه لبيانهم وحسن تخليصه للحجاج .

(١) الترنيق : الضعف فى الأمر .

(٢) اللبب : ما يشد على صدر الدابة أو الناقة ، يكون للرجل والمرج يعمهما من الاستبحار ، يريد

أن الهوادة واللين إفساد لأدب الرعية .

وخطب المتحاج بعد وقعة ذي الجحيم فقال : يا أهل العراق ، إن الشيطان
 قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف ،
 ثم أفضى إلى المخاخ والأصمخ ، ثم ارتفع فعشش ، ثم باض ففرخ ، فحشاكم نفاقا
 وشقاقا ، وأشعركم خلافا ، وأخذتموه دليلا لتبعونه ، وقائدا تطيعونه ، ومؤامرا
 تستشيرونه ؛ فكيف تنفعم تجربة ، أو تعظم وقعة ؛ أو يحجزكم إسلام ، أو ينفعكم
 بيان ؟ أستم أصحابي بالأهواز ؟ حيث رمت المكر ، وسعيتم بالعدر ، واستجمعتم
 للكفر ، وظنتم أن الله خذل دينه وخالفته ، وأنا أريمكم بطرفي ، تتسللون لوإذا ،
 وتنهزمون سريعا ، ثم يوم الزاوية [وما يوم الزاوية] ! بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم
 وبرأة الله منكم ، ونكوص وليكم عنكم إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها

(١) دير الجحيم بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها ؛ على طرف البر السالك إلى البصرة ، وسمى دير
 الجحيم لأنه كانت تصنع فيه الجحيم ، وهي الأقداح من الخشب ، وبهذا الموضع كانت الوقعة بين الحجاج بن
 يوسف الثقفي وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وانهمز فيها ابن الأشعث .

(٢) في العقد الفريد ج ٢ ص ١٨٥ طبع بولاق : « والأعضاء » والمعنى يستقيم على كلتا
 الروايتين . (٣) الشغاف : حجاب القلب أو حبه أو سويداؤه .

(٤) كذا ورد هذا الجمع في الأصل وغيره من المصادر التي بين أيدينا لهذه الخطبة ؛ ولم تقف في لدينا
 من كتب اللغة والقواعد على ما يفيد أن صماخ يجمع على هذه الصيغة ؛ ولعله : « والأصاخ » بتقديم الألف
 على الميم ؛ أو لعله جمع لصمخ بضم الصاد والميم ، وهو جمع صماخ .

(٥) المؤامر : من قولهم : أمره مؤامرة إذا شاوره .

(٦) في الأصل : « بالمكر » والباء زيادة من الناسخ .

(٧) كذا في العقد الفريد ج ٢ ص ١٨٥ طبع بولاق ؛ وعبارة الأصل : « واستجمعتم الكفر »
 بسقوط اللام ؛ واستجمعتم ، أي اجتمعتم . (٨) في الأصل : « عدل » ؛ وهو تحريف .

(٩) هذه التكمة ساقطة من الأصل ، وقد نقلناها عن العقد الفريد ؛ والزاوية : موضع قرب البصرة
 فيه كانت الواقعة المشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث . (١٠) في الأصل :

« تهادون » ؛ وهو تحريف . (١١) يريد الشيطان . إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنفال :

« وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم » إلى قوله : « فلها ترامت الفتان نكص على عقبيه » الآية .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

- (١) [التوازع إلى أعطانها] ؛ لا يسأل المرء عن أخيه ، ولا يُلوى الشيخ على بنيه ؛ حتى عَظَمَ السلاح ، وقصَمَتكم الرماح ، ثم دِيرُ الجماجم ، وما دِيرُ الجماجم ! بها كانت المعارك والملاحم ؛ بضرب يُزيل الهام عن مقليله ، ويصيرف الخليل عن خليله ؛ يا أهل العراق ، والكفريات بعد الفجرا ، والغدرات بعد الحترات ، والثورة بعد الثورات ؛ إن بعثتكم إلى تُغوركم غلتم وجبتم ، وإن أمتم أرجفتم ، وإن خفتم نافقم ؛ لا تدكرون حسنة ، ولا تشكرون نعمة ؛ [يا أهل العراق] هل أستخفكم ناكث ، أو استغواكم غاو ، أو استفزكم عاص ، أو استنصركم ظالم ، أو استعضدكم خالغ ، إلا اتبعتموه وأويتوه ونصرتوه وزكيتموه ؛ يا أهل العراق ، قلما شغب شاغب ، أو نعب ناعب ، أو زفر كاذب إلا كنتم أتباعه وأنصاره ؛ يا أهل العراق ، ألم تنهكم المواعظ ، ولم تزجركم الوقائع . ثم ألثفت إلى أهل الشام فقال : يا أهل الشام ، أنا لکم كالظلم الراح عن فراخه ، ينفي عنها المدر ، وياعد عنها البحر ، ويكنها من المطر ؛ ويمحيها من الضباب ، ويحرسها من الذئب ؛ يا أهل الشام ، أتم الجنة والرداء ، وأتم العدة والحذاء .

ومن مكاتباته إلى المهلب بن أبي صفرة وأجوبة المهلب له

- ١٥ كتب الحجاج إليه وهو في وجه الخوارج : أما بعد ، فإنه بلغني أنك قد أقبلت على جباية الخراج ، وتركت قتال العدو ، وإني وليتك وأنا أرى مكان عبد الله

(١) هذه العبارة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن العقد الفريد .

(٢) يقال : عظنه الحرب كعضته وزنا ومعنى .

(٣) غلتم : من الغلول ، وهو الخيانة في الغنيمة .

(٤) في البيان والتبيين ج ٢ ص ١١٥ طبع الرحمانية : « زافر » ؛ والمعنى يستقيم على كتابنا الروائين .

(٥) الظلم : ذكر النعام ؛ والراح : الضارب برجله .

(٦) في الأصل : « عن مراحه » ؛ وهو تحريف ،

ابن حكيم المجاشعي ، وعباد بن حصين الحبطي ، وأخترتك وأنت رجل من الأزد ، وأنا أقسم إن لم تلقهم في يوم كذا أشرعتُ إليك صدر الرمح . فأجابه المهلب : ورد عليّ كتابك تزعم أني أقبلت على جباية الحراج ، وتركت قتال العدو ولعجز ، وزعمت أنك وليتني وأنت ترى مكان عبد الله بن حكيم وعباد بن حصين ، ولو وليتهما لكانا مستحقين لذلك في فضلتهما وغنائهما ؛ وأنت آخرتني وأنا رجل من الأزد ، ولعمري إن شرا من الأزد لقبيلة تنازعتها ثلاث قبائل لم تستقر في واحدة منهم ؛ وزعمت أني إن لم ألقهم في يوم كذا أشرعت إلى صدر الرمح ، فلو فعلت لقلبتُ إليك ظهر المحج (٢) .

ووجه إليه المجاج يستبطئه في مناجرة القوم ، وكتب إليه : أما بعد ، فإنك جبيت الحراج بالعلل ، وتحصنت بالخنادق ، وطاولت القوم وأنت أعز ناصرا وأكثر عددا ، وما أظن بك مع هذا معصية ولا جينا ، ولكنك آتخذتهم أشكلا ، ولا يقاؤهم أيسر عليك من قتالهم ، فناجزهم وإلا أنكرتني ، والسلام .

فقال المهلب للمجراج : يا أبا عقبة ، والله ما تركت حيلة إلا آحتلتها ، ولا مكيدة إلا عملتها ، وليس العجب من إبطاء النصر ، وترأخي الظفر ، ولكن العجب أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره ، ثم ناهضهم ثلاثة أيام يغادهم ، ولا يزالون كذلك الى العصر حتى قال المجراج : قد اعتذرت ، وكتب الى المجاج : أتاني كتابك

(١) عبارة الأصل : « وإلا انتزعت » ، وفيها زيادة من النسخ وتحريف لا يستقيم بها المعنى ؛ وما يأتي في جواب المهلب يعين ما أثبتنا .

(٢) يقال : قلبت له ظهر المحن اذا تغيرت عليه وحلت عن العهد ؛ والمحج : الترس .

(٣) في الأصل : « ولا العجب » ، والقواعد تقتضي ما أثبتنا ، فان « لا » النافية اذا دخلت على المعرفة وجب تكرارها ، ولم تكررهما .

(٤) في الأصل : « ينصره » بنون وصاد مضمومة ؛ ومعناه لا يناسب ما هنا .

يستبطى لقاء القوم، على أنك لا تظنّ بي معصيةً ولا جبناً، وقد عاتبني معاتبّة الجبان، وأوعدتني وعيد العاصي، فسَل الجراح والسلام. فكتب إليه المجاح: أما بعد، فإنك تتراخى عن الحرب حتى تأتيك رُسلي ويرجعون بعذرِكَ، وذلك أنك تُمسِك حتى تَبْرأ الجراح وتُنسى القتلى^(١)، ويحجم الناس، ثم تلقاهم فتحمل منهم مثل ما يحملون منك من وحشة القتلى وألم الجراح، ولو كنت تلقاهم بذلك الحد لكان الداء قد حُسم، والقرن قد قُصم، وأعمري ما أنت والقوم سوءاً، لأن من ورائك رجالاً، وأمامك أموالاً، وليس للقوم إلا ما معهم، ولا يُدرِك الوجيف بالديب، ولا الظفر بالتعذير^(٢).

فكتب إليه المهلب: أما بعد، فإنني لم أعطِ رسلك على قول الحق أجراً، ولم أحتج منهم مع المشاهدة الى تلقين؛ وذكرت أنّي أجم القوم، ولا بد من راحة يستريح فيها الغالب ويختال المغلوب؛ وذكرت أن في الإجم^(٣) ما ينسى القتلى، ويبرئ الجراح، وهيئات أن ينسى ما بيننا وبينهم، يأبى ذلك قتل من لم يحن، وقروح^(٤) لم تنتقرف؛ ونحن والقوم على حالة، وهم يرقبون حالات، إن طمعوا حاربوا، وإن ملؤا وقفوا، ونطلب اذا هربوا، فإن تركتني فالداء بإذن الله محسوم، وإن أعجلتني لم أطعك ولم أعص، وجعلت وجهي الى بابك، وأنا أعوذ بالله من سخط الله ومقت الناس.

(١) في الأصل: «المبتلى»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه ما يأتي في جواب المهلب.

(٢) التعذير: التقصير في الأمر.

(٣) في الأصل: «في الجمجم» وهو تحريف.

(٤) تتقرف بقاف مثناة: تتقشر؛ يريد أنها لم تبرا؛ وفي الاصل: «تتفرق»؛ وهو تصحيف.

(٥) في الأصل: «فالرأى» وهو تحريف.

وقال المهلب لبنيه : يا بني تباذلوأ تحابوا ، فإن بني الأثم يختلفون ، فكيف
 بني العلات^(٢) ؛ إن البر يسأ في الأجل ، ويزيد في العدد ، وإن القطيعة تورث القلة ،
 وتعقب النار بعد الذلة ؛ واتقوا زلة اللسان ، فإن الرجل تزل رجله فينتعش ، ويزل
 لسانه فيهلك ؛ وعليكم في الحرب بالمكيدة ، فإنها أبلغ من النجدة .

ولما استخلف ابنه المغيرة على حرب الخوارج ، وعاد هو الى عند مصعب^(٣)
 ابن الزبير ، جمع الناس فقال لهم : إني قد استخلفت عليكم المغيرة ، وهو أبو صغيركم
 رقة ورحمة ، وابن كبيركم طاعة وتجيلا وبراً ، وأخو مثله مواساة ومناصحة ، فلتحسن
 له طاعتكم ، وليان له جانبكم ، فوالله ما أردت صواباً قط إلا سبقني إليه .

وخطب عبد الملك بن مروان ، فلما بلغ الغلظة قام إليه رجل من آل صوحان
 فقال : مهلا مهلا يا بني مروان ، تأمرون ولا تأتمرون ، وتنهون ولا تُنهون ، وتعضون
 ولا تتعضون ؛ أفنقتدي بسيرتكم في أنفسكم ، أم نطيع أمركم بالسنتكم ؟ فإن قلت :
 اقتدوا بسيرتنا ، فأني وكيف ، وما الحجمة ، وما المصير من الله ؟ أنقتدي بسيرة الظلمة
 الفسقة الجورة الخونة ، الذين آخذوا مال الله دولا ، وعبيده خولا ؟ وإن قلت :
 اسمعوا نصيحتنا ، وأطيعوا أمرنا ، فكيف ينصح لغيره من يغش نفسه ؟ أم كيف
 تجب الطاعة لمن لم تثبت عند الله عدالته ؟ وإن قلت : خذوا الحكمة من حيث
 وجدتموها ، وأقبلوا العظة ممن سمعتموها ، فعلام وليناكم أمرنا ، وحكمتناكم
 في دماءنا وأموالنا ؟ أما علمتم أن فينا من هو أنطق منكم باللغات ، وأفصح بالعظات ؟

٩٤

(١) في الأصل : « تنازلا » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا في البيان والتبيين .

(٢) بنو العلات : الأبناء من أمهات شتى والأب واحد .

(٣) كذا في الأصل ، ولعل قوله : « عد » زيادة من النسخ ، فإن « عند » من الظروف التي

لا تخرج عن الظرفية إلا الى الجرمين ، وجرها الى الحن ، كما في معنى اللبيب .

فَخَلَّوْا عَنْهَا ، وَأَطْلَقُوا عِقَالَهَا ، وَخَلَّوْا سَبِيلَهَا ، يَتَدَبُّ إِلَيْهَا أَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ شَرَّدْتَهُمْ فِي الْبِلَادِ ، وَمَزَّقْتَهُمْ فِي كُلِّ وادٍ ، بَلْ تَثَبَّتْ فِي أَيْدِيكُمْ لَا تَقْضَاءَ الْمُدَّةِ ، وَبُلُوغِ الْمُهْلَةِ ، وَعِظِيمِ الْمِحْنَةِ ؛ إِنَّ لِكُلِّ قَائِمٍ قَدْرًا لَا يَعْدُوهُ ، وَيَوْمًا لَا يَخْطُوهُ ، وَكِتَابًا بَعْدَهُ يَتْلُوهُ ، « لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا » ، « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » . ثُمَّ التَّمَسَّ الرَّجُلُ فَلَمْ يَوْجَدْ .

ومن كلام قطري بن الفجاءة — وكان من البلغاء الأبطال، فمن ذلك خطبته المشهورة التي قال فيها :

أما بعد ، فإني أهدركم الدنيا فإنها حلوة خضرة ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ ، وَحَلَيْتْ بِالْآمَالِ ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ ؛ لَا تَقُومُ نَضْرَتُهَا ، وَلَا تُؤَمِّنُ بَجِيْعَتُهَا ؛ غَرَارَةٌ ضَرَارَةٌ ، وَحَائِلَةٌ زَائِلَةٌ ، وَنَافِذَةٌ بَائِدَةٌ ، أَكَّالَةٌ غَوَالَةٌ ؛ لَا تَعْدُو إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَا عَنْهَا أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَيْفَ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ مع أن أمرًا لم يكن معها في حبرة (أي السرور) ، إِلَّا أَعْقَبْتَهُ بَعْدَهَا حَسْرَةٌ ، وَلَمْ يَلَقَ مِنْ سَرَائِمِهَا بَطْنًا إِلَّا مَنَحْتَهُ مِنْ ضَرَائِمِهَا ظَهْرًا ، وَلَمْ تَصِلْهُ غَيْثَةٌ رَحَاءً ، إِلَّا هَطَلَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةٌ بِلَاءٍ ؛ وَحَرِيَّةٌ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُتَصِرَةً ، أَنْ

(١) في الأصل : « قديما » ولعل صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه قوله بعد : « لا يعدوه » .

(٢) لا تقوم ، أي لا تثبت ؛ وفي صبح الأعشى ج ١ ص ٢٢٣ : « لاتدوم » .

(٣) في الأصل : « زائدة » وهو تحريف .

(٤) في صبح الأعشى : « منها » والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٥) كذا في الأصل وصبح الأعشى ؛ والذي في العقد الفريد ج ٢ ص ١٩٥ طبع بولاق :

« تطله » بالطاء ؛ وهو أقرب إلى سياق العبارة مما هنا ؛ وتطله من الطل بتشديد اللام بمعنى المطر الضعيف .

تُسمى [له] خاذلة متكره؛ وإن جانب منها أعدوذب واحلوى، أمر عليه منها جانب
 وأوبا، فإن أت أمرأ من غصونها ورقا أرهقته من نوائها تعباً، ولم يمس منها أمرؤ
 في جناح أمين إلا أصبح منها في قوادم خوف، غرارة غروراً ما فيها، فانية
 فإن من عليها؛ لا خير في شيء من زادها إلا التقوى، من أقل منها استكثر مما يؤمنه
 ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه ويطيل حزنه، ويبيكي عينه، كم واثق بها قد بختته،
 وذى حلم تبتته إليها قد صرعته، وذى احتيال فيها قد خدعته؛ وكم ذى أبهة فيها
 قد صيرته حقيراً، وذى نخوة قد رذته ذليلاً، ومن ذى تاج قد كبته للدين والغم؛
 سلطانها دول، وعيشها ريق (أى الماء الكدر) وعدبها أجاج، وحلواها صبر، وغداؤها
 سمام، وأسبابها رمام، وقطافها سلع؛ حيثما بعرض موت، وصحيحها بعرض سقم،
 ومنيعها بعرض أهتضام؛ وملكها مسلوب، وعزبها مغلوب، وسليمها منكوب
 وجارها محروب؛ مع أن وراء ذلك سكرات الموت، وهول المطلع، والوقوف بين
 يدي الحكم العدل "ليجزى الذين أسأوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسن"،

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ١ ص ٢٢٤

(٢) في الأصل: «وأولى» باللام؛ وهو تحريف.

(٣) كذا وردت هذه العبارة في الأصل وصبح الأعشى؛ والذي في العقد الفريد ج ٢ ص ١٩٥

طبع بولاق: «وإن لبس أمرؤ من غضارتها ورفاهيتها نعا أرهقته من نوائها غما».

(٤) في صبح الأعشى: «على»؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين.

(٥) كذا في الأصل وصبح الأعشى؛ والذي في العقد الفريد: «وذى تاج» بإسقاط «من»؛

وفي البيان والتبيين ج ٢ ص ١٠٤ طبع الرحمانية: «وكم من ذى تاج» الخ.

(٦) في الأصل: «وأستانها» بنونين؛ وهو تصحيف.

(٧) كذا في العقد الفريد، والذي في الأصل: «قطاها». والقطاف: جمع قطف بكسر القاف،

وهو العنقود. والسلع محرحة: ضرب من الصبر.

(٨) في الأصل: «وصحتها» وما أثبتناه عن صبح الأعشى، إذ هو المناسب للسياق.

- أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنٍ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا ، وَأَوْضَحَ مِنْكُمْ آثَارًا ، وَأَعْدَّ عِيدًا ، وَأَكْتَفَى جُنُودًا ، وَأَشَدَّ عُقُودًا ، تُعْبِدُوا لِلدُّنْيَا أَى تَعْبُدُ ، وَأَثْرُهَا أَى إِشَارَ ، وَظَعَنُوا بِالكَرِّ وَالصَّغَارِ ، فَهَلْ بَلَّغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَمَحَتْ لَهُمْ نَفْسًا بِفِدْيَةٍ ، أَوْ أَعْتَتْ عَنْهُمْ فِيمَا قَدْ أَهْلَكْتَهُمْ بِحُطْبٍ ؟ بَلْ قَدْ أَرَهَقْتَهُمْ بِالْفَوَادِحِ ، وَضَعَعْتَهُمْ بِالنَّوَابِ ، وَعَقَرْتَهُمْ بِالْفَجَائِعِ ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ تَسْكُرُهَا لِمَنْ رَادَهَا وَأَثْرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا ، حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ ، إِلَى آخِرِ الْمُسْنَدِ ؛ هَلْ زَوَّدْتَهُمْ إِلَّا السَّغْبَ ، وَأَحْلَتَهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ ، أَوْ تَوَرَّتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ ، أَوْ أَعَقَبْتَهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ ؟ أَفَهَذِهِ تَوَثُّرُونَ ، أَمْ عَلَى هَذِهِ تَحَرِّصُونَ ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَثُّونَ ؟ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسِرُونَ ﴾ فَبَسَّتِ الدَّارُ لِمَنْ أَقَامَ فِيهَا ، فَاعْلَمُوا إِذَا أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنْكُمْ تَارِكُوهَا لَا بَدَ ، فَإِنَّمَا هِيَ كَمَا وَصَفَهَا اللَّهُ بِاللَّعِبِ وَاللَّهْوِ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ [تَعَالَى] : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ .

- وَذَكَرَ الَّذِينَ قَالُوا : مِنْ أَشَدِّ مَنْهَا قُوَّةٌ ثُمَّ قَالَ : لِمَا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا ، وَأَنْزَلُوا فَلَا يُرْعَوْنَ ضَيْفَانًا ، وَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الضَّرِيحِ أَكْخَانًا ، وَمِنَ الْوَحْشَةِ أَلْوَانًا ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانًا ، وَهُمْ فِي جِيرَةٍ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا ، وَلَا يَمْنَعُونَ صَيًّا ، إِنْ

(١) تعبدوا للدنيا ، أى صيرتهم الدنيا عبيدا لها ، يقال : تعبد فلان فلانا إذا اتخذ عبيدا ؛ وعبرة الأصل : « تعبدوا الدنيا » بإسقاط اللام ؛ واستقامة العبارة تقتضى إثباتها .

(٢) فى الأصل : « وطفقوا » وهو تحريف .

(٣) الخطب : الشأن والأمر .

(٤) المسند : الدهر .

(٥) فى العقد الفريد : « يدعون » بالبدال المهملة ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٦) فى الأصل : « أحيانا » بالحاء والياء ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٧) فى الأصل : « حيوانا » وهو تصحيف .

(١) أخصبوا لم يفرحوا ، وإن قحطوا لم يقنطوا ؛ [جمع] وهم آحاد ، جيرة وهم أبعاد ؛
متنأون ، لا يزورون ولا يزرون ؛ حمساء قد ذهبت أضغانهم ، وجهلاء قد ماتت
أحقادهم ؛ لا يرجى نفعهم ، ولا يُخشى دفعهم ؛ وكما قال الله تعالى : ﴿ فِتْلِكَ مَسَاكِنُهُمْ
لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ فاستبدلوا بظهر الأرض بطنا ،
وبالسعة ضيقا ، وبالأهل غربة ، وبالثور ظلمة ، وفارقوها كما دخلوها ، حفاة
عراة فرادى ، غير أن طعنوا بأعمالهم الى الحياة الدائمة ، وإلى خلود الأبد ، يقول الله
تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ فاحذروا ما حذرکم
الله ، وانتفعوا بمواعظه ، واعتصموا بحبله ، عصمنا الله وإياكم بطاعته ، ورزقنا
وإياكم أداء حقه .

ومن كلام أبي مسلم الخراساني صاحب الدولة ، قيل له : ما كان
سبب خروج الدولة عن بني أمية ؟ فقال : لأنهم أبعدا أولياءهم ثقة بهم ، وأدنا
أعداءهم تألفا لهم ، فلم يصير العدو بالذنو صديقا ، وصار الصديق بالبعاد عدوا .

وقيل له في حديثه : إنا نراك تآرق كثيرا ولا تنام ، كأنك موكل برعي الكواكب ،
أو متوقع الوحي في السماء ، فقال : والله ما هو ذلك ، ولكن لي رأى جوال ، وغريزة
(٥)

(١) كذا في البيان والتبيين ج ٢ ص ١٠٥ طبع الرحمانية ؛ وهو المناسب لما يأتي بعده ؛ والذي
في الأصل : « جمعوا » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أمبتها عن البيان والتبيين .

(٣) في الأصل : « متساوون » وما أمتها هو المناسب لما قبله وما بعده ؛ وانظر البيان والتبيين
والعقد الفريد .

(٤) يريد دولة بني العباس ؛ وفي البيان والتبيين ج ٢ ص ٧٥ طبع الرحمانية : « صاحب
الدعوة » .

(٥) لعله : « من » .

تامة، وذهن صاف، وهمة بعيدة، ونفس تُتوق الى معالى الأمور، مع عيش كعيش
الهمج والرّاع، وحال متناهية من الاتضاع، وإني لأرى بعض هذا مصيبة لا تُجبر
بسهر، ولا تُتلافى بآرق، قيل له : فما الذى يبرد غليلك، ويسخى إجاج صدرك؟
قال : الظفر بالملك، قيل له : فاطلب، قال : إن الملك لا يدرك إلا بركوب
الأهوال، قيل : فاركب الأهوال، قال : هيئات، العقل مانع من ركوب الأهوال،
قيل : فما تصنع وأنت تبلى حسرة، وتذوب كمدًا؟ قال : سأجعل من عقلى بعضه
جهلا، وأحاول به خطرا، لأنال بالجهل ما لا يُنال إلا به، وأدبر بالعقل ما لا يُحفظ
إلا بقوته، وأعيش عيشا بين مكان حياتى فيه من مكان موتى عليه، فإن الخمول
أخو العدم، والشهرة أبو الكون .

١٠ . وكتب إليه عبد الحميد بن يحيى كتابا عن مروان بن محمد، وقال لمروان :
قد كتبتُ كتابا إن نجع فذاك، وإلا فالهلاك، وكان لكبر حجمه يُحمل على جمل،
نفت فيه حواشى صدره، وضمنه غرائب عُجْره ويَجْره، فلما ورد على أبى مسلم
دعا بنار فطرحه فيها إلا قدر ذراع فإنه كتب عليه :

١٥ . حَا السيفُ أسطَارَ البلاغةِ وَأَتَحَى * ليوث الوغى يقدم من كل جانب
فإن يقدموا نَعِمْلُ سِيوفَا شَحِيدَةٌ * يهون عليها العتبُ من كل عاتب
ورده، فأليس الناس من معالجتهم .

وقيل : إنه شجر بينه وبين صاحب مروى كلام أرّبى فيه صاحب مروى عليه ،
فاحتمله أبو مسلم وقال : مة ، لسان سبق ، وهم أخطأ ، والغضب شيطان ،

(١) الإجاج : جمع أجة ، وهى شدة الحر وتوجهه .

(٢) عجره ويَجْره ، أى كل أموره ، لم يسر عنه شيئا ؛ وأصل العجر ، العروق المتعقدة فى الجسد ،

والبجر ، العروق المتعقدة فى البطن خاصة .

وأنا جرأتك على باحتمالك، فإن كنت للذنب متعمدا فقد شاركك فيه، وإن كنت مغلوبا فالعفو يسعك؛ فقال له صاحب مرو: عظم ذنبي يمنع قلبي من الهدوء؛ فقال ابو مسلم: يا عجبا، أقابلك بإحسان وأنت تسيء، ثم أقابلك بإساءة وأنت تحسن! فقال صاحب مرو: الآن وثقت بعفوك.

ومن كلام جماعة من أمراء الدولتين

خطب يوسف بن عمر فقال: اتقوا الله عباد الله، فكم من مؤمل أملا لا يبلغه، وجامع مالا لا يأكله، ومانع ما سوف يتركه؛ ولعله من باطل جمعته، ومن حق منعه؛ أصابه حراما، وورثه عدوا؛ واحتمل إصره، وباء بوزره، وورد على ربه أسفا لا هفا "خير الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين".

وقام خالد بن عبد الله القسري^(١) على المنبر خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: أيها الناس، نافسوا في المكارم، وسارعوا إلى المغام، واشتروا الحمد بالجود، ولا تكسبوا بالمطل ذمًا، ولا تعتدوا^(٢) بالمعروف ما لم تعجلوه، ومهما يكن لأحدكم عند أحد نعمة فلم يبلغ شكرها فالله أحسن لها جزاء، وأجزل عليها عطاء؛ واعلموا أن حوائج الناس إليكم نعمة من الله عليكم؛ فلا تملوا النعم فتحوّل نقما؛ واعلموا أن أفضل المال ما أكسب أجرا، وأورث ذكرا؛ ولو رأيت المعروف رجلا رأيتوه حسنا جميلا يسر الناظرين، ولو رأيت البخل رجلا رأيتوه مشوها قبيحا، تنفر عنه القلوب، وتفض عنه الأبصار؛ أيها الناس، إن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، وأعظم الناس عفوا من عفا عن

(١) في الأصل: «القسري» بشين معجمة بعدها باء مثناة، وهو تحريف.

(٢) في الأصل: «تعتدوا»؛ وهو تحريف.

قدرة ، وأوصل الناس من وصل من قطعته ، ومن لم يصب حرته لم يرك نبتة ، والأصول عن مغارسها تنمو ، وبأصولها تسمو ؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

قيل لما ولي أبو بكر بن عبد الله المدينة وطال مكثه عليها كان يبلغه عن قوم من أهلها أنهم ينالون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسعاف من آخرين لهم على ذلك ، فأمر أهل البيوتات ووجوه الناس في يوم الجمعة أن يقربوا من المنبر ، فلما فرغ من خطبة الجمعة قال : أيها الناس ، إني قائل قولاً ، فمن وعاه وأذاه فعلى الله جزاؤه ، ومن لم يعبه فلا يعدو من ذمامها ، إن قصرتم عن تفصيله ، فلن تعجزوا عن تحصيله ، فأرعوه أبعاركم ، وأوعوه أسماءكم ، وأشعروه قلوبكم ؛ فالموعظة حياة ، والمؤمنون إخوة ^(٢) ” وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ “ ” وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ “ فأتوا الهدى تهتدوا ، واجتنبوا الغي تترشدوا ، ” وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ “ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ “ والله جل شأؤه ، وتقدست أسماؤه ، أمركم بالجماعة ورضيها لكم ، ونهاكم عن الفرقة وسخطها منكم ، ” فَمَا تَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ “ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا “ جعلنا الله وإياكم ممن تبع رضوانه ، وتجنب سخطه ، فإنما نحن به وله ؛ وإت الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالدين ، واختاره على العالمين ، واختار له أصحابا على

(١) كذا في الأصل وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٢٠ وقد راجعنا أسماء عمال المدينة وولاتها فيما بين أيدينا من المظان فلم نقف على هذا الاسم فيمن تولاها ؛ والذي وقفنا عليه هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، تولى المدينة في زمن سليمان بن عبد الملك انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٩٦ وغيره من كتب التاريخ .

(٢) يريد : فلا يخرج ؛ وتأنيث الضمير في قوله : « ذمامها » باعتبار الموعظة أو المقالة .

(٣) كذا في صبح الأعشى ، وهو المناسب لما بعده في الفقرة الثانية . وفي الأصل : « عنه بفضيلة » .

الحق ، ووزراء دون الخلق ، اختصمهم به ، وانتخبهم له ، فصداقوه ونصروه ،
وعززوه ووقروه ، فلم يقدموا إلا بأمره ، ولم يُججموا إلا عن رأيه ، وكانوا
أعدائه بعهدته ، وخلفاءه من بعده ، فوصفهم فأحسن صفتهم ، وذكركم فأثنى عليهم ،
فقال — وقوله الحق — : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ الى
قوله : ﴿ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ^(١) فمن غاظوه كفر وخاب ، وبخر وخسر ، وقال الله عز
وجل : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا ﴾ الى قوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ فمن خالف شريطة الله عليه لهم ،
وأمره بإياه فيهم ، فلا حق له في الفء ، ولا سهم له في الإسلام في آي كثيرة من
القرآن ، ففرقت مارقة من الدين ، وفارقوا المسلمين ، وجعلوهم عَضِينَ ؛ ^(٢) وتَشَعَّبُوا
أحزابا ، أَشَابَاتٍ وَأَوْشَابًا ؛ ^(٣) مخالفا كتاب الله فيهم ، وشاء عليهم ، وآدوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيهم ، فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾
﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ ؛ مالى أرى
عيونا خزرا ، ورقابا صعرا ، وبطونا يجرا ؟ ^(٤) شجى لا يُسَيِّغُهُ الْمَاءُ ، وداء لا يُشْرَبُ فِيهِ
الدواء ؛ ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴾ كَلَّا وَاللَّهِ ، بل هو

٩٧

(١) فى الأصل : «عاطون» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه قوله تعالى فى الآية السابقة :

« يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » .

(٢) العضون جمع عضة ، وهى الفرقة .

(٣) يريد : أوباش الناس وأخطاهم .

(٤) الخزر يضم الخاء : جمع أزر ، من الخزر يفتح الخاء والزى ، وهو النظر كأنه فى أحد الشقين .

(٥) البحر : العظيمة .

- (١) الهناء والطلاء حتى يظهر العذر، ويروح السر، ويصح الغيب، ويسوس الجنب؛
 فإنكم لم تُخلقوا عبثا، ولم تُتركوا سدى؛ ويحكم، إني لست أتأويا أعلم، ولا بدويا
 أفهم؛ قد حلبتكم أشطرا، وقلبتكم أبطنا وأظهرا؛ فعرفت أنحاءكم وأهواءكم، وعلمت
 أن قوما أظهروا الإسلام بالسننهم، وأسروا الكفر في قلوبهم، فضربوا بعض
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [بعض]، وولّدوا الروايات فيهم، وضربوا
 الأمثال، ووجدوا على ذلك من أهل الجهل من أبناءهم أعوانا يأذنون لهم، ويصغون
 إليهم؛ مهلا مهلا قبل وقوع القوارع، وطول الروائع، هذا لهذا ومع هذا،
 فلست أعتش أبيا ولا تائبا، ﴿عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز
 ذو انتقام﴾ فأسروا خيرا وأظهروه، وأجهروا به وأخلصوا، فطالما مشيتم القهقري
 ناكصين، وليعلم من أدبر وأصر أنها موعظة بين يدي نعمة؛ ولست أدعوكم إلى
 أهواء تبتع، ولا إلى رأي يتدع؛ إنما أدعوكم إلى الطريقة المثلى، التي فيها خير
 الآخرة والأولى؛ فمن أجاب فإلى رشده، ومن عمى فعن قصده؛ فهلم إلى الشرائع
 الجدايع، ولا تولّوا عن سبيل المؤمنين، ولا تستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير،
 (١) الهناء بكسر الهاء : القطران؛ يريد بهذه العبارة أنه سيأخذ في معالجتهم بالموعظة أو العقوبة
 حتى يقلعوا عما نهاهم عنه .
 (٢) عبارة الأصل : «حتى بطر العمر» وهو تحريف؛ والتصويب عن صحيح الأعمش ج ١ ص ٢٢٢
 (٣) يسوس بالبناء للجھول : يروض ويدلل؛ يقال : سوست له أمرا إذا روضته وذلكه . انظر
 اللسان مادة «سوس» . والجنب بضمّتين الصعب الذي لا ينقاد .
 (٤) الأتوى : الغريب عن القوم .
 (٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد أثبتناها عن صحيح الأعمش .
 (٦) لعله يريد بهذه العبارة أنه قد أعد لكل عمل جزءا لا يتجاوز؛ يدل على ذلك ما قبله وما بعده .
 (٧) الاعتناش : الظلم؛ والذي في الأصل : «أعيش»؛ وهو تحريف .
 (٨) كذا في الأصل وصحيح الأعمش ج ١ ص ٢٢٢؛ ولم تقف عليه في نيرهما؛ ولم تر من معانيه
 ما يناسب السياق؛ ولعله : «الجوامع»؛ أي التي تجمع الناس على اتباعها، كما يدل عليه ما بعده .

«نَسَّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا» إِيَّاكُمْ وَبُنْيَاتِ الطَّرِيقِ ، فَعِنْدَهَا التَّرْنِيقُ وَالرَّهْقُ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَادَّةِ ، فَهِيَ أَسَدٌ وَأَوْرَدُ ، وَدَعَا الْأَمَانِيَّ فَقَدْ أَرَدَتْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ، وَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ، وَ«لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْحَتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى» (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) .

هذا ما أتفق إيراده من رسائل وخطب بلغاء الصحابة — رضى الله عنهم — وكلام التابعين وغيرهم مما يحتاج الكاتب الى حفظه .

وأما رسائل المتقدمين والمعاصرين التي يحتاج الى النظر اليها دون حفظها — فهي كثيرة جدا ، سنورد من جيدها ما تقف عليه إن شاء الله .

ذكر شيء من رسائل وفصول الكتاب والبلغاء المتقدمين ١٠

والمتأخرين والمعاصرين من المشاركة والمغاربة

وهذه الرسائل والفصول كثيرة جدا ، وقد قدمنا منها فيما مر من كتابنا هذا ما حلا ذكروه ، وفاح نشره ؛ وأنس به سامعه ، وأيس من الإتيان بمثله صانعه ، وأوردنا في كل باب وفصل منه ما يناسبه ، وسنورد إن شاء الله في فني الحيوان والنبات عند ذكر كل حيوان أو نبات يستحق الوصف ما سمعناه وطالعناه من وصفه نظما ونثرا ، مع ما يندرج في فن التاريخ من الرسائل والفصول والأجوبة والمحاورات ١٥

(١) بنيات الطريق : الطرق الصغار التي تشعب من الجادة ، وهي الترهات ؛ يريد : إياكم وسلوك طريق غير طريق الجماعة .

(٢) الرهق : السفه ، أو هو ركوب الشر . والذي في صبح الأعشى : «الترهيق» .

عند ذكر الوقائع ، وإنما نُورده ثمّ وإن كان هذا موضعه ليكون الكلام فيه سبّاقاً ،
وتردّ الوقائع يتلو بعضها بعضاً ، فلا ينقطع الكلام على ما تقف إن شاء الله تعالى
عليه في موضعه ، فلنورد في هذا الموضع ما هو خارج عن ذلك التّمط من كلامهم ،
ولنبداً بذكر شيء من المكاتبات البليغة الموجهة ؛

- ٥ من ذلك ما كتب به عبسُ الحميد بن يحيى بالوصاية على إنسانٍ فقال : حقّ مُوصل
هذا الكتاب عليك كحقّه علىّ إذ رآك موضعاً لأمله ، ورآني أهلاً لحاجته ، وقد أنجزتُ
حاجته ، فحقّق أمله .

ومنه ما حكى أنّ المأمونَ قال لعمر بن مسعدة : أكتب الى فلان كتابَ
عنايةٍ بفلان في سطر واحد ، فكتب : هذا كتابٌ واثقٌ بمن كُتِب إليه ، مُعْتَنٍ بمن
كُتِب له ، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله .

١٠

وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون يستعطفه على الجند: كتابي الى أمير المؤمنين
ومن قبلي من أجناده وقواده في الطاعة على أفضل ما تكون عليه طاعةٌ جندٍ تأخرتُ
أرزاقهم ، واختلت أحوالهم . فأمرَ بإعطائهم رزقَ ثمانية أشهر .

وكتب أحمد بن يوسف الى المأمون يذكره بمن على بايه من الوفود فقال :

- ١٥ إن داعي نَدَاك ، ومنادي جَدْوَاك ، جمعاً ببابك الوفود ، يرجون نائلك العتيد ؛ فمنهم
من يمتُّ بجرمة ، ومنهم من يدي بخدمة ؛ وقد أبحف بهم المقام ، وطالت عليهم
الأيام ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعمهم بسبيبه ، ويحتوش ظنونهم بطوله فعل .
فوقع المأمون في كتابه : أخير متبع ، وأبواب الملوك مواطنٌ لذوى الحاجات ،

(١) في الأصل : «إليه» ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٢) يدلى : يتوسل . (٣) السيب : العطاء .

فأحص أسماءهم ، وأجل موائهم ^(١) ، ليصير الى كل أمرئ منهم قدر استحقاقه ، ولا تكدر معروفا بالمطل والمجاب ، فإن الأول يقول :

فإنك لن ترى طردا حُرًّا * كإلصاقٍ به طرف الهوانِ

ولم يجلب مودة ذى وفاء * كمثل البذل أو بسط اللسان .

وكتب محمد إلى يحيى بن هرمة ^(٣) — وكان عامله على أصفهان ، وقد تظلم منه

أهلها — : يا يحيى ، قد كثر شاكوك ، وقل شاكروك ، فإما عدلت ، وإما
اعتزلت .

وكتب أبو بكر الخوارزمي جوابا عن هدية : وصلت التحفة ، ولم يكن لها

عيب إلا أن باذنها مسرف في البر ، وقابلها مقتصد في الشكر ، والسرف مذموم ^(٥)

إلا في المجد ، والاقتصاد محمود إلا في الشكر والحمد .

وكتب ملك الروم إلى المعتصم يتوعده ويهدده ، فأمر الكتاب أن يكتبوا جوابه ،

فكتبوا فلم يعجبه مما كتبوا شيئا ، فقال لبعضهم : أكتب : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ،

(١) يريد بهذه العبارة أمره بأن يوضح ما فرض في الديوان لكل واحد منهم ، ويبين ما يستحقه

من العطاء .

(٢) كذا ورد هذا الاسم في الأصل ؛ ولم يرد بعده من الكنى ما يعينه ؛ والذي في المصادر التي بين

أيدينا أن هذا التوقيع لجعفر بن يحيى البرمكي إلى بعض عماله انظر شرح القاموس مادة « وقع » والعقد
الفريد ج ٢ ص ٢٣٢ طبع بولاق وفيات الأعيان ترجمة جعفر بن يحيى والوفاء بالوفيات للصفدي

المحفوظ منه نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسي بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢١٩ تاريخ .

(٣) كذا في الأصل ؛ ولم تقف على هذا الاسم فيمن تولى عمل أصفهان ؛ ولعل صوابه : « هرمة » .

(٤) في الكتب التي بين أيدينا : « يا هذا » .

(٥) في الأصل : « يأذن لها » ؛ وهو تحريف .

أما بعد ، فقد قرأتُ كتابك ، وفهمتُ خطابك ، والجوابُ ما ترى لا ما تسمع ،
 ” وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرِينَ عَقْبِي الدَّارِ “ .^(١)

ومن كلام بديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمدانيّ -

قيل : ذُكر الهمدانيّ في مجلس أبي الحسين بن فارس فقال ما معناه : إنَّ البديع
 قد نسيَ حقَّ تعليمنا إياه ، وعقنا وشمخ بأنفه عنا ، فالحمد لله على فساد الزمان ،
 وتغيُّرِ نوع الإنسان ؛ فبلغ ذلك البديع ، فكتب الى أبي الحسين :

نعم أطل الله بقاء الشيخ الإمام ، إنه الحمأ^(٢) المسنون ، وإن طُنَّت الظنون ؛
 والناس لآدم ، وإن كان العهد قد تقدّم ؛ وأرتبكت الأضداد ، وأختلطت الميلاذ ؛
 والشيخ يقول : فسَدَ الزمان ، أفلا يقول : متى كان صالحا ؟ أفى الدولة العباسية وقد
 رأينا آخرها وسمعنا أولها ؛ أم المدة المروانية وفي أخبارها « لا تكسع الشول بأخبارها » ؛
 أم السنين الحربية^(٥)

(١) الكافر بالإفراد : قراءة الحريمين وأبي عمرو كما سبق بيان ذلك في ص ١٠ ت ١ من
 هذا الجزء .

(٢) كذا في قيمة الدهرج ٤ ص ١٧٨ طبع دمشق وغيرها من المصادر التي بين أيدينا لهذه الرسالة ؛
 والذي في الأصل : « أنا » والحمأ : الطين الأسود . والمسنون : المتغير المتتن .

(٣) عبارة الأصل : « وتركيب الأضداد » ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى ، والتصويب عن قيمة الدهر .
 (٤) تكسع ، من الكسع وهو ترك بقية من اللبن في خلف الناقة يراد بذلك تغزيرها ، وهو أشد لها .
 والشول من التوق : ما مضى على حملها أو وضعها سبعة أشهر فقل لبنها وخف ضرعها ، واحده شائل .
 والأخبار : جمع غير بالضم ، وهو بقية اللبن ؛ وهذا صدر بيت لخارث بن حنظلة ، وتماهه : « إنك لا تدري
 من الناتج » قال في اللسان مادة « كسع » في تفسير هذا البيت : يقول : « لا تغزر إبلك تطلب بذلك قوة
 نسلها ، وأحلبها لأضيافك ، ففعل عدوا يغير عليها فيكون نتاجها له دونك » . ولعل الكاتب أشار بهذا الى
 بخل بنى مروان وقلة الخير في أيامهم .

(٥) الحربية : نسبة إلى حرب بن أمية بن عبد شمس ، يزيد بذلك خلافة معاوية ويزيد أبه .

والسيفُ يعملُ في الطلِّ (١) * والرمحُ يركزُ في الكحلِّ
ومبيتُ حجرٍ في الفلا (٢) * والحترتانُ وكربلا (٣) (٤)

أم البيعة الهاشمية (٥) وعلى يقول : ليت [العشرة [منكم] براس ، من بني فراس ؛
أم الأيام الأموية والنفير إلى الحجاز ، [والعيون إلى الأعجاز] (٥) ، أم الإمارة العدوية (٨)
وصاحبها يقول : هلموا إلى النزول ؛ أم الخلافة التيمية وهو يقول : طوبى لمن (٩) (١٠) (١١)

(١) في كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان ص ٤١٥ طبع بيروت : « يغمد » .
والطلِّ : الأعناق . واحده طلية بضم الطاء .

(٢) هو حجر بن عدى الكندي من أهل العراق ، وقد قتلته معاوية بن أبي سفيان في سنة
إحدى وخمسين لإظهاره التشيع إلى عليّ ولعنه معاوية وأصحابه ، والبراءة منهم ، وكان يجتمع عليه كل
من وافقه في هذا الرأي من أهل المصريين ، حتى ولي زياد على العراق فكتب إلى معاوية في أمر حجر
وأكثر ، فأمر معاوية زيادا أن يبعث به إليه مشدودا بالحديد ففعل ، فلما قدم عليه أمر به معاوية فضربت
عنقه ؛ وكان حجر من أشرف العراق وخياره . انظر تاريخ الطبري في حوادث سنة إحدى وخمسين .

(٣) كذا في تيمية الدهرج ٤ ص ١٧٩ طبع دمشق وغيرها من المصادر التي بين أيدينا لهذه
الرسالة ؛ وبه يستقيم الوزن ؛ وفي الأصل : « والحسين » . وأشار بهذا إلى وقعة الحرة التي كانت بين
جنود يزيد بن معاوية وأهل المدينة سنة ثلاث وستين ؛ وكانت هذه الوقعة في حرة واقم وهي شرقي المدينة
وقد قتل فيها من أهل المدينة خلق كثير . انظر تفصيل ذلك في كتب التاريخ .

(٤) كربلاء : موضع في طرف البرية عند الكوفة ، وهو الذي قتل فيه الحسين بن عليّ رضي الله
عنهما في خلافة يزيد بن معاوية .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن تيمية الدهرج ٤ ص ١٧٩

(٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن تيمية الدهر . (٧) يريد خلافة عثمان بن
عفان رضي الله عنه لأن أمية رهنه . (٨) يريد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ؛
والعدوية نسبة إلى عدى بن كعب بن لؤي ، وهم رهنه عمر . (٩) كذا في الأصل ؛ والذي في تيمية
الدهر وكشف المعاني والبيان : « وهل بعد النزول إلا النزول » ؛ والنزول : تشقق ناب البعير ،
وذلك في السنة التاسعة ؛ يريد بهذه العبارة : وهل بعد الوصول إلى الغاية إلا الأخذ في التقصان .

(١٠) يريد خلافة أبي بكر رضي الله عنه ؛ والتيمية : نسبة إلى تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، وهم
رهنه أبي بكر . (١١) كذا في الأصل ؛ والذي في التيمية : « وصاحبها » .

مات في نأناة الإسلام، [أم] على عهد الرسالة ويوم أفتح قيل: أسكني يا فلانة،^(١)
 فقد ذهبَت الأمانة؛ أم في اِباهلية وليد يقول:^(٢)
 * [وَبَقِيْتُ فِي خَلْفٍ كَحَلْدِ الْأَجْرِبِ *]^(٣)
^(٤)
^(٥)

أم قبل ذلك وأخو عادٍ يقول: [

بلادٌ بها كذا وكذا نجحها * إذ الناس ناسٌ والزمانُ زمانٌ

أم قبل ذلك ويروى لآدم عليه السلام:

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الأرض مغبرٌ قبيحٌ

أم قبل ذلك والملائكة تقول لبارئها: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ
 الدَّمَاءَ﴾ ما فسَدَ الناس، ولكن أطرَدَ القياس، ولا أظلمت الأيام، إنما امتدَّ

الإظلام، وهل يفسد الشيء إلا عن صلاح، ويمسى المرء إلا عن صباح؟
 ولعمري إن كان كرم العهد كتاباً يرد، وجواباً يصدر، إنه لقریب المنال، وإني على
 توبيخه لى لفقير إلى لقائه، شفيق على بقائه، منتسب إلى ولائه، شاكر لآلائه.

وكتب ربيع الزمان يستعطفه: إني خدمت مولاي، وإن الخدمة رقي غير إسهاد،
 وناصحته، والمناصحة للود أوثق عماد، ونادمته، والمندامة رضاع ثان، وطاعته،
 والمطاعمة^(٦) [نسب] دان، وسافرت معه، والسفر والأخوة رضيعاً لبان، وقمت بين

(١) وردت هذه العبارة في اللسان والأساس هكذا: «طوبى لمن مات في النأناة»؛ والنأناة:
 أول الإسلام؛ قال الزمخشري: ومعناها الضعف قبل أن يقوى ويعز.

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها؛ انظر رسائل بديع الزمان.

(٣) في المصادر التي بين أيدينا لهذه الرسالة: «أسكني» بالناء.

(٤) هذه التكملة ساقطة من الأصل؛ وقد أمثناها عن بئمة الدهر.

(٥) الخلف بفتح الخاء وسكون اللام: الأرديا، الأخساء؛ وصدر البيت: «ذهب الذين يعاش

في أكافهم». (٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، والسياق يقتضى اثباتها؛ انظر كشف المعاني

والبيان عن رسائل بديع الزمان ص ٣٠٣ طبع بيروت.

يديه ، والقيام والصلاة شريكاً عنان^(١) ، وأُثِّبْتُ عليه ، والثناء عند الله بمكان ؛ وأخَلَصْتُ له ، والإخلاص مشكورٌ بكلِّ لسان .

ومن كلام أبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد — وكان وزيراً كاتباً —
كتب عن ركن الدولة بن بويه كتاباً لمن عصى عليه :

كُتِبِي وأنا مترجِّحٌ بين طمع فيك ، وإيأسٍ منك ، وإقبالٍ عليك ، وإعراضٍ
عنك ؛ فإنك تُدلي بسابقِ خدمة ، وتُمتِّ بسالفِ حُرمة ؛ أيسرها يوجب رِعاية ،
ويقتضي محافظَةً وعناية ؛ ثم تَسفَعُهُما بجاذبِ غُلُولٍ وخيانة ، وتُبِعُهُما بآئِفٍ خلافٍ
ومعصية ؛ وأدنى ذلك يُحيطُ أعمالك ، ويَحَقِّقُ كُلَّ ما يُرعى لك ؛ لا جرمَ آتِي وقفت
بين مِيلٍ إليك ، ومِيلٍ عليك ؛ أقدمَ رجلاً لَصَمِدِكَ ، [وأؤنحر]^(٢) أخرى عن قَصِيدِكَ ؛
وأبسطَ يدا لأصطلامِك وأجتياحِك ، وأثني ثانيةً نحو استبقائك^(٣) وأستصلاحِك ؛
وأتوقَّف عن أمثال بعض المأمور فيك ضناً بالنعمة عندك ، ومناقسةً في الصنعة
لديك ؛ وتأميلاً [لغيتك] وأنصراً فيك ، ورجاءً لمرآجعتك وانعطافِك ؛ فقد يعزُب العقل
ثم يؤوب ، ويعزُب اللبُّ ثم يثوب ، ويذهب العزم ثم يعود ، ويفسد الحزم ثم يصلح ،
ويضاع الرأي ثم يستدرِك ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكدر الماء ثم يصفو ؛
وكُلُّ ضيقةٍ فيلى رخاء ، وكُلُّ غميرةٍ فيلى أنجلاء ؛ وكما أنك آتيت من إساءتك
ما لم تحاسبه أولياًؤك ، فلا تدع أن تأتي من إحسانك ما لم ترتقبه أعداؤك ؛ وكما

(١) يقال : بينهما شركة عنان ، إذا اشتركا على السواء ، لأن العنان طاقان مستويان .

(٢) في الأصل : « عليك » ؛ وهو تحريف .

(٣) في يتيمة الدهر ج ٣ ص ١٠ طبع دمشق : « لصدمة » ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن يتيمة الدهر .

(٥) في يتيمة الدهر : « لاستبقائك » .

(٦) في اليتيمة : “ فلا بدع ” بالباء الموحدة ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

استمرت بك الغفلة حتى رَكِبَتْ مَارَكِبَتَ، واخترت ما اخترت، فلا عجب أن تنتبه
انتباهةً تبصر فيها قبيح ما صنعت، وسوء ما آثرت؛ وسأقيم على رسمي في الإبقاء
والمسألة ما صلح، وعلى الأستيناء والمطاوله ما أمكن، طمعا في إنابتك، وتحكما^(١)
لحسن الظن بك؛ فلست أعدم فيما أظاهره من إعدارك، وأرأده من إنذارك،
احتجاجا عليك، وأستدراجا لك؛ وإن يشاء الله يرشدك، ويأخذ بك الى حظك
ويسدّدك؛ فإنه على كل شيء قدير.

وفي فصل منه : وزعمت أنك في طرف من الطاعة بعد أن كنت متوسطها،
وإن كنت كذلك فقد عرفت حالتها، وحلبت شطريها، فناشدتك الله لما صدقت
عما أسألك : كيف وجدت ما زلت عنه، وتجد ما صرت إليه ؟ ألم تكن من الأول
في ظلّ ظليل، ونسيم عليل، وريح بليل، وهواء ندى، وماء روى، ومهاد وطي؛
وكنّ كنين، ومكان مكين، وحصن حصين، يقيق المتالف، ويؤمنك المخاوف؛
ويكنفك من نواب الزمان، ويحفظك من طوارق الحدّثان؛ عززت به بعد الدلة،
وكثرت بعد القلة؛ وارتفعت بعد الضعة، وأيسرت بعد العسر، وأثريت بعد المتربة،
وأنسعت بعد الضيق، وأطافت بك الولايات، وخفقت فوقك الرايات؛ ووطئ
عقبك الرجال، وتعلقت بك الآمال؛ وصرت تكاثروا ويكاثروا بك، وتشير ويشار اليك؛

(١) في الأصل : "وتحكيمك بحسن" والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٢) في الأصل : "عدى" بالعين المعجمة ؛ وفي يتيمة الدهر "عدى" ؛ وهو تحريف في كليهما ؛

وسياق العبارة يقتضى ما أثبتنا .

(٣) في الأصل : "ويؤملك" باللام ، وهو تحريف .

(٤) في الأصل : "رمت" وهو تحريف .

٢٠

(٥) في يتيمة الدهر ج ٣ ص ١١ طبع دمشق : "وظفرت بالولايات" ؛ والمعنى يستقيم على كنا

ويذكر على المنابر اسمك، وفي المحاضر ذكرك؛ فقيم أنت الآن من الأمر؟ وما العوض مما ذكرت وعددت، والخلف عما وصفت؟ وما استفدت حين أخرجت من الطاعة نفسك، ونفصت منها كفاك، وغمست في خلافها يدك؟ وما الذي أظلك بعد انحسار ظلها عنك؟ أظلل ذو ثلاث شعب، لا ظليل ولا يغني من اللهب؟ قل: نعم، فذاك والله أكنف ظلالك في العاجلة، وأروحها في الآجلة؛ إن أقمته على المحادة والعنود، ووقفت على المشاقة والمجود.

ومنه: تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كلامي فستبكرها، والميس (٢) جسدك فانظر هل يحس، وأجسُس عرقك هل يبيض، وقش ما حَيَّ عليه أضلاعك هل تجد في عرضها قلبك؟ وهل حلا بصدرك أن تظفر بقوت مريح (٣) أو موت مريح؟ ثم قس غائب أمرِك بشاهده، وآخر شأْنِك بأوله.

وكتب الصاحب أبو القاسم كافي الكفاة في وصف كتاب: ومن هو الذي لا يحبه وهو علم الفضل، وواسطة الدهر، وقرارة الأدب والعلم، وجمع الدراية والفهم؛ أتمن يرغب عن مكاترة بمن ينسب الربيع إلى خلقه، ويكتسب محاسنه من طبعه، ويتوشح بأنواره، ويتوضح بآثار لسانه ويده؟ وصل كتابه، فارتحت لعنوانه قبل عيانه، حتى إذا فضضت ختامه أقبلت الفقر تكثر، والدرر تنثار، والغرر تنراكم، والنكت تنزاحم؛ فإذا حكمت للفظه بالسبق أنت أختها تنافس،

(١) العنود: من عند عن الطريق إذا مال.

(٢) كذا في اليتيمة؛ والذي، في الأصل: "مستكرها".

(٣) كذا في الأصل؛ والذي في يتيمة الدهر: «سريح» والمعنى يستقيم على كتابنا الروايتين

والسريح: السريح المعجل. والمزيج: من الإزاحة، وهي الإبعاد.

(٤) هذه الباء ساقطة من الأصل، والسياق يقتضى إثباتها. (٥) لعله: «تنافر»؛ إذ به

يتم السجع الذي توخاه الكاتب في أكثر رسالته؛ والتنافر، التناك في الفجور.

- وأقبلت لديها تتفاخر؛ حتى استعقيت من الحكومة، ونفضت يدي من غبار
الخصومة؛ وأخذت أقول : كلكتن صوادر عن أصل واحد فتساانن، وأرفاد عن
معدن رافد فتصالحن، وقد وليت النظر بينهما من كل لنسج برودهما، ووقى بنظم^(١)
عقودهما؛ على أنى يامولاي أنشأت هذه الأحرف وحولى أعمال وأشغال لا يسلم
معهما فكر، ولا يسلم بينهما طبع؛ وتناولت قلما كالابن العاق، بل العدو المشاق؛
إذا أردته استقال، وإذا قومته مال؛ وإذا حثته وقف، وإذا وقفته انحرف؛ أحدل^(٢)
الشق؛ متفاوت البري، معدوم الجري؛ محرف القط، مشج الخط؛ ثم رأيت^(٣)
العدول عنه ضربا من الانقياد لأمره، والانخراط في سلكه، بجهدته على رعمه،
وكدده على صعره؛ لا جرم أن جناية اللجاج بادية على صفحات الحروف لا تخفى،
وعادية المحك لأئحة^(٤) على وجوه السطور تتجلى .

- وكتب : والله أعلم أنى أخبرت بورود كتابه واستفتنى الفرح قبل رؤيته ،
وهز عظمي المرخ أمام مشاهدته ؛ فما أدري، أسمعت بورود كتاب، أم ظفرت
برجوع شباب ؟ ثم وصل بعد انتظار له شديد، وتطلع الى وصوله طويل عريض ؛
فتألمته فلم أدر ما تأملت ، أخطا مسطورا ، أم روضا ممطورا ، أم كلاما منشورا ،
أم وشيا منشورا؟ ولم أدر ما أبصرت في أثناءه ، أبيات شعر، أم عقود دُر؟ ولم أدر
ما أجمأته ، أغيت حل يوادى ظمان ، أم عوث سبق إلى لهفان؟ .

وكتب : وصل كتاب القاضى فأعظمت قدر النعمة فى مطنعه، وأجلت محل
الموهبة بموقعه؛ وفضضته عن السحر حلالا، والماء زلالا؛ وسرحت الطرف منه

(١) فى الأصل : «وارد» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٢) الأحدل : المائل .

(٣) المشج : المعنى الخفى . (٤) المحك : التماذى فى اللجاج والفضب .

في رياض رقت حواشيها، وحلّل تأنق واشيها؛ فلم أتجاوز فصلا إلا إلى أخطر منه
فصلا، ولم أتخط سطرًا إلا إلى أحسن منه نظماً ونثراً.

وكتب أيضا: وصل كتابك فجعلتُ وصوله عيداً أؤرخ به أيام بهجتي، وأفتيح
به مواقيت غبطني؛ وعرفتُ من خبر سلامتك ما سألتُ الله الكريم أن يصله
بالدوام، ويرفعه على أيدي الأيام.

وكتب أيضا: وصل كتابه — أيده الله — يضحك عن أخلاقه الأرجة،
ويتملّل عن عشرته العطرة؛ ويُخبر عن عافية الله لمن رأيتُ شمل الحُرّيّة به متظّلاً،
وشعب المروءة له ملثماً؛ ويحمّل من أنواع برّه ما أقصر عن ذكره، ولا أطمع
في شكره؛ ويؤدّي من لطيف اعتذاره في أثناء عتبه، ما تزداد أسباب المودة تمهيداً
به؛ وفهمتُه، ورغبتُ إلى الله بأخلص طويّة، وأمحض نية.

وقال أبو الفرج البغاء من رسالة إلى عدّة الدّولة أبي تغلب جاء منها: أصحّ
دلائل الإقبال، وأصدق براهين السعادة — أطال الله بقاء سيّدنا — ما شهدت
العقول بصحّته، ونطقت البصائر بحقيقته، ونعمة الله على الدّنيا والدّين بما أولاهما
من اختيار سيّدنا لحراستهما بناظر فضله، وسترهما بظلّ عدله؛ مفضحة بتكامل
الإقبال، مبشرة بتصديق الآمال

محروسة ضمن الشكر الوفي لها * على الزيادة نيل السؤل والدرك

(١) في الأصل: «أخصر» بالصاد، وهو تحريف.

(٢) في الأصل: «ولم أخط» وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه قوله بعد: «إلا إلى».

(٣) في الأصل: «عما»؛ وسياق العبارة يقتضي ما أثبتنا.

(٤) إلى هنا وردت هذه الرسالة في الأصل؛ وللكلام بقية سقطت من النسخ، ولم نقف عليه فيما

بين أيدينا من المطان.

تَحَقَّقَ العَصْرُ أَنَّ المُلْكَ منذ نشأ * له أبو تغلبَ أَسْمٌ غيرُ مُشْتَرِكٍ

وَاسْتَخَلَفَ الفَلَكُ الدَّوَارَ هِمَّتَهُ * فلو وَوَيَّ أَغْنَتْ الدُّنْيَا عَنِ الفَلَكِ

مأمونُ المَهْفُوتِ ، متناصِرُ الصِّفَاتِ ؛ رِبْعِيُّ النِّفَاسَةِ ، حَمْدَانِيُّ السِّيَاسَةِ ،

نَاصِرِيُّ الرِّيَاسَةِ ؛ عَطَّارِدِيُّ الذِّكَا ، مَوْفِقُ الآرَاءِ ؛ شَمْسِيُّ التَّأثيرِ ، قَمَرِيُّ التَّصْوِيرِ ،

فَلَكَ التَّدْيِيرِ ؛ لِلصِّدْقِ كَلَامُهُ ، وَلِلْعَدْلِ أَحْكَامُهُ ، وَلِلوَفَاءِ ذِمَامُهُ ؛ وَلِلْحَسَامِ عَنَاوُهُ ،
وَلِلْقَدْرِ مَضَاوُهُ ، وَلِلسَّحَابِ عَطَاوُهُ

دَعْوَتُهُ فَأَجَابَتْنِي مَكَارِمُهُ * ولو دَعَوْتُ سِوَى نِعْمَاءٍ لَمْ تُجِبْ

وَجَدْتُهُ الغَيْثَ مَشْغُوفًا بِعَادَتِهِ * وَالرُّوضُ يَجِيأُ بِمَا فِي عَادَةِ السَّحْبِ

لِوَفَاتِهِ النِّسْبُ الوَضَّاحُ كَانَ لَهُ * مِنْ فَضْلِهِ نَسْبٌ يُغْنِي عَنِ النِّسْبِ

إِذَا دَعَتْهُ مَلُوكُ الأَرْضِ سَيِّدَهَا * طَرَادَعَتْهُ المَعَالِي سَيِّدَ العَرَبِ .

(٤) وكتب أبو الحسن علي بن القاسم القاشاني :

مَا أَرْضِي نَفْسِي لِمَخَاطَبَةِ مَوْلَايَ إِذَا كُنْتُ مَنفَى الشَّوَاغِلِ ، فَارغَ الخَوَاطِرِ ،

مُخْلِ الجَوَارِحِ ، مَطْلَقَ الإِسَارِ ، سَلِيمَ الأَفْكَارِ ، فَكَيْفَ مَعَ كَلَالِ الحِدَّةِ ، وَأَنْغِلَاقِ

الفَهْمِ ، وَاسْتِبْهَامِ القَرِيحَةِ ، وَاسْتَعْجَامِ الطَّبِيعَةِ ؛ وَالمَعْوَلُ عَلَى النِّيَّةِ ، وَهِيَ لِمَوْلَايَ

بِظَهْرِ الغَيْبِ مَكشُوفَةٌ ، وَالمَرْجِعُ إِلَى العَقِيدَةِ ، وَهِيَ بِالوَلَاءِ المَحْضِ مَعْرُوفَةٌ ؛ وَلا مَجَالَ

لِلعُتْبِ عَنِ هَذِهِ الأَحْوَالِ ، لِلعُذْرِ وَرَاءَ هَذِهِ الخِلَالِ .

(١) يقال : تناصرت الصفات ، إذا صدق بعضها بعضا .

(٢) الربيعي : نسبة إلى الربيع على غير قياس .

(٣) عبارة الأصل : « مشغونا بقادية » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ، والتصويب عن بئمة

الدهرج ١ ص ١٨٧ طبع دمشق .

(٤) كذا في الأصل . والذي في بئمة الدهرج ٢ ص ١٠١ طبع دمشق : « أبو القاسم » .

وقال محمد بن العباس الخوارزمي : الحمد لله الذي جعل الشيخ يضرب
في المحاسن بالقِدْحِ المَعْلَى ، ويسمو منها إلى الشرف الأعلى ، ولم يجعل فيه موضعا
لِلْوَلَا ، ولا مجالا لِإِلَا ؛ فإنَّ الأستثناء إذا اعترض في المدح أنصب ماؤه ، وكُدِّرَ
صفاؤه ، وأنطلق فيه حساده وأعداؤه ؛ ولذلك قالوا : ما أحسن الظبي لولا خدس
أنفه ! وما أحسن البدر لولا كلف وجهه ! وما أطيب النجم لولا الخمار ! وما أشرف
الجود لولا الإقتار ! وما أحمد مغبة الصبر لولا فناء العمر ! وما أطيب الدنيا
لودامت

ما أعلم الناس أن الجود مكسبة * للحمد لكنه يأتي على النَّسبِ .

ذكر شيء من رسائل فضلاء المغاربة ووزرائهم وكتائبهم
من ذكرهم ابن بسام في كتابه المترجم بالذخيرة
في محاسن أهل الجزيرة

منهم ذو الوزارتين أبو الوليد بن زيدون ، فمن كلامه رسالة كتبها على لسان
محبوبته ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن الناصري إلى إنسان استمالها إلى نفسه
عنه ، وهي :

أما بعد ، أيها المصاب بعقله ، المورط بجهله ، البين سقطة ، الفاحش غلظه ؛
العائر في ذيل اغتراره ، الأعمى عن شمس نهاره ؛ الساقط سقوط الذباب على الشراب ،
المتهافت تهافت الفراش في الشهاب ؛ فإنَّ العجب أكذب ، ومعرفة المرء نفسه
أصوب ؛ وإنك راسلتني مستهديا من صلتى ما صفرت منه أيدي أمثالك ، متصديا من

(١) الخنس بفتح الخاء والنون : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة .

(٢) كذا في شرح العيون ص ١١ طبع بولاق ، وفي الأصل : « إلى » ؛ والتهافت : التناقض .

حُتِّيَ لِمَا قُرِعَتْ فِيهِ أَنْوُفُ أَشْكَالِكَ ؛ مَرِسِلَا خَلِيلَتِكَ مُرْتَادَةً ، مُسْتَعْمِلَا عَشِيقَتِكَ
 قَوَادَةً ؛ كَاذِبًا نَفْسَكَ [أَنْكَ] سَتَنَزِلَ عَنْهَا إِلَى ، وَتَحْلُفُ بَعْدَهَا عَلَيَّ^(٢)
 وَلَسْتَ بِأَقْوَى ذِي هِمَّةٍ * دَعْتَهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ^(٣)

ولا شك في أنها قتلتك إذ لم ترض بك ، وملكك إذ لم تغر عليك ، فإنها أعدرت
 في السفارة لك ، وما قصرت في النيابة عنك ؛ زاعمة أن المروءة لفظ أنت معناه ،
 والإنسانية اسم أنت جسمه وهيولاه ؛ قاطعة أنك أنفردت بالجمال ، وأستأثرت
 بالكمال ، وأستعليت في مراتب الجلال ، وأستوليت على محاسن الجلال ؛ حتى
 خيلت أن يوسف عليه السلام حاسنك فغضضت منه ، وأن امرأة العزيز
 رأتك فسكت عنه ؛ وأن قارون أصاب بعض ما كترت ، والنطف^(٥) عثر على فضل

- ١٠ (١) في بعض نسخ هذه الرسالة : «دونه» ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .
 (٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة
 المصري ص ١٤ طبع بولاق .
 (٣) البيت للنبى .
 (٤) وردت هذه الفقرة في الأصل قبل قوله : «قاطعة» الخ والسياق يقتضى تأخيرها كما في شرح
 العيون ص ٢١

١٥

- (٥) النطف : هو ابن جبير بن حنظلة اليربوعي ؛ وكان مقبياً بالبادية مع بنى تميم ؛ وكان من أمره أن
 عامل كسرى على اليمن كان يحمل ثياباً من ثياب اليمن وذهباً ومسكاً وجوهرات ، ويرسله الى كسرى مع خفراء
 من بنى الجعد المرابذة الى أن يصل الى أرض بنى تميم ، فيبعث معها هودجة من يجاوزها أرض بنى تميم ، فلما
 كان في بعض السنين في أرض بنى حنظلة تعرض لها بنو يربوع فأغاروا عليها وقتلوا من بها من العرب
 والفرس ، وكان فيمن فعل ذلك ناجية بن عقال والحريث بن عقبة والنطف بن جبير هذا ، وكانوا فرسان
 بنى تميم ، فنهبوا الأموال ، فحصل النطف على شئ كثير ، فضرب به المثل . انظر شرح العيون ص ٢٥ طبع
 المطبعة الأميرية . والذي في اللسان مادة «نطف» نقلاً عن ابن برى أنه ابن الخيسرى أحد بنى سليط
 ابن الحريث بن يربوع ؛ ونقل عن ابن دريد أيضاً أن اسمه حطان .

٢٠

(١) ماركزت؛ وكسرى حمل غاشيتك، وقصر رعى ماشيتك؛ والإسكندر قتل دارا^(٣)
 في طاعتك، وأردشير جاهد ملوك الطوائف لخروجهم عن جماعتك؛ والضحاك^(٥)
 أستدعى مسالمتك، وجذيمة الأبرش^(٦) تمني منادمتك؛ وشيرين^(٧) نافست بوران^(٨) فيك؛

(١) هو من الركاز، وهو دفين مال الجاهلية .

(٢) أراد غاشية السرج، وهي غطاؤه .

(٣) هو دارا الأصغر ابن دارا الأكبر ابن أردشير ملك الفرس؛ وكان بينه وبين الإسكندر بن فيليب ملك الروم حرب بسبب إتاوة كانت يدفعها أبو الإسكندر لمملك الفرس، فلما جاء الإسكندر منع هذه الإتاوة، فخاربه دارا، والنقي الجمعان بنصيبين الجزيرة، وانتهت الواقعة بقتل دارا وانضمام الفرس انظر شرح العيون وقد اعتمدنا عليه في أكثر شرحنا لما ورد في هذه الرسالة من الحوادث التاريخية والأبيات والأمثال .

(٤) أردشير: هو ابن بابك من ولد بهمن الملك؛ وأردشير هذا أول الفرس الثانية؛ وكان من أمره وأمر ملوك الطوائف أن الإسكندر لما قتل دارا آخر ملوك الفرس، وفرق من بقي منهم، وسماهم ملوك الطوائف صارت المملكة لليونان، فلما توفي الإسكندر وتفاصر ملك اليونان بعد مدة تحرك أردشير - وكان أحد أبناء ملوك الطوائف على اصطخر -، وخرج طالبا للملك، وأوهم أنه يطلب بنأرا بن عمه دارا، وجمع الجموع، وكاتب ملوك الطوائف في ذلك، فنهض من أطاعه ومنهم من تأخر عنه، فخرج بعساكره فقتل المتأخر، ثم عطف على بقيتهم فقتلهم، وتسمى بعد ذلك شاهنشاه الأعظم، ومعناه: ملك الملوك .

(٥) الضحاك: يزعم قوم أنه ابن الأهبوب بن عوج بن طهمورث بن آدم، وهو ابن أخت جمشيد بن أوشنج . وقال قوم إنه من العرب من قحطان، وإيمانية تدعيه . وملك بعد جمشيد، فظنى وتجبى وكثر ظلمه وفساده، وطالت مدته في الملك حتى قتل .

(٦) هو جذيمة بن مالك بن عامر التنوخي، وقيل: الأزدي، أول من قاد العرب وملك على قضاة وكانت منازل الحيرة والأنبار، وكان أبرص، فعدل عن هذا الاسم، فقيل: الأبرش بالشين المعجمة، والوضاح .

(٧) شيرين: هي زوجة أبرويز بن هرمز من ولد كسرى أنوشروان .

(٨) بوران: هي بنت أبرويز المتقدم . وقد ملكت بعد شهر يار بن أبرويز .

وَبَلْقَيْسٍ غَايِرَتِ الزَّبَاءَ عَلَيْكَ ؛ وَأَتَّ مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ إِنَّمَا رَدَفَ لَكَ ؛ وَعُرْوَةُ بْنُ جَعْفَرٍ
 إِنَّمَا رَحَلَ إِلَيْكَ ؛ وَكَلَيْبُ بْنُ رَبِيعَةَ إِنَّمَا حَمَى الْمُرْعَى بِعِزَّتِكَ ؛ وَجَسَّاسًا إِنَّمَا قَتَلَهُ
 بِأَنْفَتِكَ ؛ وَمُهَلِّلًا إِنَّمَا طَلَبَ ثَأْرَهُ بِهَيْمَتِكَ ؛ وَالسَّمُوْعَلُ إِنَّمَا وَفَى عَنِ عَهْدِكَ ،

- (١) بلقيس : هي ابنة الحرث بن سبأ ، وقصتها في القرآن معروفة في سورة النمل .
- (٢) الزباء ، هي ملكة الجزيرة ؛ وتعدّ من ملوك الطوائف ؛ ولقبت الزباء لكثرة شعرها وطوله ، واسمها : بارعة ، أو ميسون ؛ وهي ابنة عمرو بن الظرب . وقد قتله جذيمة الأبرش وأخذ ملكه وقامت هي بأخذ ثأره . انظر القاموس وشرحه .
- (٣) هو مالك بن نؤيرة بن شداد اليربوعي التيمي ، فارس ذى الخمار — وذو الخمار فرسه — وكان مالك من فرسان العرب وشجعانهم ، وذوى الردافة في الجاهلية ، وكانت الردافة لبني يربوع أيام آل المنذر ؛ وأدرك مالك بن نؤيرة الإسلام وأسلم ، وقتله خالد بن الوليد في حروب أهل الردّة في زمن أبي بكر رضي الله تعالى عنه . وفي اللسان مادة ردف أن أرداف الملوك في الجاهلية : الذين كانوا يخلفونهم في القيام بأمر المملكة بمنزلة الوزراء في الإسلام .
- (٤) هو عروة بن عتبة بن جعفر من بني عامر بن صعصعة ، وأهل بيته يتسبون الى جعفر ، فيقال : الجعفريون ؛ وكان يعرف بمرورة الرجال لرحلته الى الملوك ؛ وكان من ذوى العقل والشهامة ، وهو من أرداف الملوك .
- (٥) هو كليب بن ربيعة بن الحارث الوائلي ؛ ويضرب به المثل فيقال : "أعز من حمى كليب" وكان يحجى مواقع السحاب فلا يراه أحد غيره ، وكان اذا مرّ بمرعى قذف فيه جروا فيعوى ، فلا يرى أحد من ذلك الكلاب .
- (٦) جسّاس : هو ابن مرة بن ذهل ، وهو قاتل كليب ؛ وسبب ذلك أن كليباً رأى بين إبله ناقة كانت لخالة جسّاس فأنكرها ورماها بسهم في ضرعها ، فعظم ذلك على جسّاس وخالته ، فلم يزل جسّاس بكليب حتى قتله .
- (٧) مهلهل : هو ابن ربيعة بن الحرث أخو كليب المتقدم ذكره ، ومهلهل لقبه ، واسمه عدى ، ولقب مهلهلاً لأنه أول من لهلّل نسج الشعر ، أى أرقه ؛ وهو خال امرئ القيس بن حجر .
- (٨) السموعل : هو ابن عادياء من يهود يثرب ؛ وكان يضرب به المثل في الوفاء فيقال : «أوفى من السموعل» .

والأحنف ^(١) إنما أحتبي في بُردك ؛ وحاتم ^(٢) إنما جاد بوقرك ، ولقي الأضياف بِبشرك ؛
 وزيد بن مهلهل ^(٣) إنما ركب بفخذيك ، والسليك ^(٤) بن السلكة إنما عدا على رجليك ،
 وعامر بن مالك ^(٥) [إنما لاعب الأسنّة بيديك ؛ وقيس بن زهير ^(٦)] إنما أستعان بدّهائك ،
 وإياس بن معاوية ^(٨) إنما استضاء بمصباح ذكائك ؛ وسخبان ^(٩) إنما تكلم بلسانك ،

(١) الأحنف : هو الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصن السعدي ، وكنيته : أبو بجر ؛ وكان يضرب به المثل في الحلم والسيادة ؛ وكانت وفاته بالكوفة سنة سبع وستين كما في وفيات الأعيان والذي في شذور العنود لابن الجوزي أن وفاته كانت سنة تسع وستين .

(٢) هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي ، وكنيته أبو سفانة بتشديد الفاء وأبو عدى ؛ ويضرب به المثل في الجود . (٣) هو زيد بن مهلهل بن زيدان الطائي ؛ وكان فارسا مظفرا بعيد الصيت ، أدرك الإسلام وأسلم ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير ، وكان قبل ذلك يسمى زيد الخليل باللام ، وإنما سمى بذلك لكثرة خيله . (٤) السليك : هو ابن عمرو بن يثرب ، أحد بني مقاعس ؛ والسلكة أمه ، وهو جاهلي ؛ وكان من صعاليك العرب ولصوصهم العدائين الذين كانوا لا يلحقون ولا تتعلق بهم الخيول .

(٥) هو عامر بن مالك بن جعفر من بني صعصعة ، ويعرف بملاعب الأسنّة ، ويكنى أبا براء ، وأمّه أم البنين أنجب امرأة في العرب ، وإنما لقب بملاعب الأسنّة لقول أوس بن حجر فيه :
 يلاعب أطراف الأسنّة عامر * فراح له حظ الكائنات أجمع

(٦) هذه التلمذة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن النسخ التي بين أيدينا لهذه الرسالة . وقيس بن زهير الذي ذكره : هو قيس بن زهير بن جذيمة العبسي صاحب الحروب بين عبس وذبيان بسبب الفرسين : داحس والغبراء ، وكان فارسا شاعرا داهية ، يضرب به المثل فيقال : "أدهى من قيس" .

(٧) في الأصل : « بذهابك » بالذال والباء الموحدين ، وهو تحريف .

(٨) هو إياس بن معاوية بن قرة المزني ؛ ولى قضاء البصرة في زمن عمر بن عبد العزيز ، وهو صاحب الفراسة والأجوبة البديعة ، ويضرب به المثل فيقال : « أركن من إياس » ؛ وتوفي في سنة احدى وعشرين ومائة وهو ابن ست وتسعين سنة .

(٩) هو سخبان بن زفر بن إياس الوائلي ، — وائل باهلة — وكان خطيبا مفضحا ، يضرب به المثل في البيان واللحن ، أدرك الإسلام وأسلم ، ومات سنة أربع وخمسين .

(١) وعمر بن الأَهمّ إنّما سَخَّرَ بِيانِكَ ؛ وَأَنَّ الصِّلِحَ بَيْنَ بَكْرٍ وَتَغْلِبَ تَمَّ بِرِسَالَتِكَ ، وَالْحَمَلَاتِ
فِي دِمَاءِ عَبْسٍ وَذُبْيَانَ أُسْنِدَتْ إِلَى كَفَالَتِكَ ؛ وَأَنَّ أَحْتِيَالَ هَرَمٍ لِعَامِرٍ وَعَلْقَمَةَ حَتَّى
رَضِيَا كَانَ عَن رَأْيِكَ ؛ وَجَوَابَهُ لِعَمْرٍ وَقَدْ سَأَلَهُ عَنِ أَيِّهِمَا كَانَ يَنْفَرُ وَقَع بَعْدَ مَشُورَتِكَ ؛

(١) هو عمرو بن سنان الأهمّ التميمي المنقري ، وانما لقب أبوه بالأهم لأنه هتمت نيتيه يوم
الكلاب ؛ وكان عمرو هذا من أكابر سادات بني تميم وشعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والإسلام ، وقد
وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو والزرقان بن بدر وأسلمها ؛ وتوفي عمرو في سنة سبع وخمسين .
(٢) بكر وتغلب هما ابني وائل ؛ وأشار بهذه العبارة الى ما وقع بين الحيين من الحروب المسماة بحرب
البسوس ، وقد استمرت أعواما كثيرة الى أن تفانى الحيان ، وسببها قتل جساس بن مرة لكليب كما سبق
ذكره ، الى أن راسلهم في الصلح بينهم الحارث بن عمرو بن معاوية الكندي ملك كندة ، وهو جد
امرى القيس الشاعر ، فلكوه عليهم فتلافي بقتيمهم .

(٣) الحملات : جمع حالة بفتح الحاء ، وهى ما يحملة الرجل عن القوم من دية أو غرامة . وأشار بهذه
العبارة الى ما وقع بين عبس وذبيان من الحروب الكثيرة بسبب داحس والغبراء ، وهما فرسان : أوها لقيس
ابن زهير من عبس ، والثاني لحذيفة بن بدر من ذبيان ؛ وذلك أن رجلا من ترهنا على أى الفرسين أسبق ،
فلما سبق داحس وهو فرس قيس بن زهير أخذ قيس سبق فرسه من حذيفة ، ثم وقعت بعد ذلك الحروب
التي سلف ذكرها بين الحيين ، وكان أعظمها يوم الهباء ، الى أن أصلح بينهم هرم بن سنان والحارث بن
عوف وحملوا عن القوم المغارم والديات ، وأدبوا ذلك للقوم من مالها .

(٤) هو هرم بن قطبة بن سيار من بني فزارة كما في اللسان مادة «هرم» . والذي في شرح العيون
« ابن سنان » ؛ وهو تحريف . وكان هرم هذا حكا من حكام العرب يقضى بين ساداتهم فلا يرد
فضاؤه . وعامر : هو ابن الطفيل بن مالك . وعلقمة : هو علقمة بن علاثة بن جعفر من بني عامر بن
صعصعة ؛ وكان عامر وعلقمة قد تنافرا الى هرم بن سيار ليحكم أيهما أفضل وأكرم حسبا ، فكره هرم أن
يفضل أحدهما على الآخر وسوى بينهما ، وخشى العداوة التي تقع بينهما بسبب تفضيل أحدهما على
الآخر .

(٥) يقال : نافرت الى الحكم فنفرني عليه ، أى حاكته فغلبنى عليه انظر الأساس ؛ وأشار بهذه العبارة
الى ما وقع بين عمرو بن الخطاب رضى الله عنه وهرم بن سيار المتقدم ذكره ، وذلك أن عمر سأله يوما ،
وقال له : يا أبا عمرو أيهما كنت تنفر؟ — يعنى علقمة وعامر — ومن كان عندك الأفضل منهما ؟
فقال هرم : لو قلت الآن فيهما كلمة لعادت جذعة ، يعنى الحرب بين الحيين ، فأعجب عمر بهذا القول من
هرم ، وقال : بحق حكمتك العرب .

وَأَنَّ الْحِجَّاجَ تَقَلَّدَ وِلَايَةَ الْعِرَاقِ بِجَدِّكَ ، وَفَتْنِيَّةَ فَتْحِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ بِسَعْدِكَ ؛ وَالْمَهْلَبَ ^(٣)
 أَوْهَى شَوْكَةَ الْأَزْرَاقَةِ بِأَيْدِكَ ، وَأَفْسَدَ ذَاتَ بَيْنِهِمْ بِكَيْدِكَ ؛ وَأَنَّ هِرْمِسَ ^(٤) أُعْطِيَ
 بَلِينُوسَ مَا أَخَذَ مِنْكَ ، وَأَفْلَاطُونَ ^(٥) أَوْرَدَ عَلَى أَرِسْطُوطَالِيَسَ مَا حَدَّثَ عَنْكَ ؛

(١) الحجاج : هو ابن يوسف بن أبي عقيل الثقفي ؛ وكانت ولادته في سنة إحدى وأربعين ،
 ونشأ بالطائف ؛ وولى العراق من قبل عبد الملك بن مروان رابع خلفاء بني أمية ، فأخذ الفتن به ، وأوهى
 شوكة الخوارج هناك ؛ وتوفي بواسط سنة خمس وتسعين .

(٢) قتيبة : هو ابن مسلم بن عمرو الباهلي ؛ نشأ في الدولة مروانية وترقى الى أن ولى الإمارات ،
 وفتح الفتوحات الكثيرة ؛ وكان واليا على خراسان من قبل عبد الملك بن مروان بعد يزيد بن المهلب ،
 وهو الذي فتح بلاد ما وراء النهر ؛ وفي وفيات الأعيان انه توفي سنة ست وتسعين . وما وراء النهر :
 يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان ، فما كان في شرقه يقال له : بلاد الهياطلة ، وفي الاسلام سموه :
 ما وراء النهر ، وما كان في غربيه فهو : خراسان وولاية خوارزم .

(٣) المهلب : هو ابن أبي صفرة الأزدي العتكي البصري ؛ وقد نشأ في دولة بني أمية ، ثم أمره مصعب
 ابن الزبير على البصرة نيابة عنه في أيام أخيه عبد الله بن الزبير ، ثم ولاه عبد الله خراسان ؛ وهو الذي قاتل
 الخوارج وأوهى شوكتهم ، وكانت وفاته في زمن الحجاج سنة ثلاث وثمانين . والأزارقة : هم الخوارج
 القائلون بمذهب نافع بن عبد الله بن الأزرق ، فنسبوا اليه .

(٤) هرمس ، ذكر ابن نباتة في مريح العيون ص ١٠٨ أن هرمس هو الذي يزعم قوم من الصابئة
 أنه نبي مرسل ، وأنه إدريس عليه السلام ويسندون اليه شرائعهم . وبلينوس هو الذي تزعم الصابئة
 أيضا أن النبوة له بعد هرمس ؛ وكان بلينوس قد أخذ العلوم والأمرار عن هرمس هذا .

(٥) أفلاطون : هو ابن أرسطس ، الالهي ، معروف بالتوحيد والحكمة ، تلهذ لسقراط ،
 وخلفه بعد موته ؛ وهو أحد المشائين المشهورين ، وهي فرقة ترى مدارس الحكمة في حالة المشي
 لرياضة البدن . وأرسطوطاليس : هو ابن نيقوماخوس ؛ وهو المعروف بالمعلم الأول ، واتمى سمي
 بذلك لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية ، وقد تعلم الحكمة من أفلاطون وهو الذي علم الإسكندر
 ابن فيليب .

(١) وبطلميوس سَوَى الأَسْطُرلاب بتدبيرك، وصور الكرة على تقديرك؛ وأبقراط علم^(٢)
 العلل والأمراض بلطف حسك، وجالينوس^(٣) عرف طبائع الحشائش بدقة نظرك؛
 وكلاهما قلدك في العلاج، وسألك عن المزاج؛ وأستوصفك تركيب الاعضاء،
 وأستشارك في الداء والدواء؛ وأنتك نهجت لأبي معشر^(٤) طريق القضاء، وأظهرت^(٥)

- ٥ (١) بطلميوس : هو صاحب كتاب المحسطى الكبير والجغرافيا والأصطلاب وغير ذلك ، قال جمال الدين بن نباتة في سرح العيون ص ١١٣ إنه أول من شرح القول على هيئات الفلك ، وأخرج علم الهندسة من القوة الى الفعل ، وأكثر الرواة يقولون : إنه ثالث ملوك اليونان بعد الاسكندر . ١٥
 وأنكر ذلك القفطي في كتابه إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٩٥ طبع لبسك وقال ما نصه : وكثير من الناس ممن يدعى المعرفة بأخبار الأمم يخيله أحد البطالسة الذين ملكوا الاسكندرية وغيرها بعد الاسكندر ، وذلك غلط بين وخطأ واضح الخ . وأما الأسطرلاب بفتح الهزرة وضم الطاء كإنص على ضبطه ابن خلكان في ترجمة البديع الاسطرلابي : فقد قالوا : إنه باللغة اليونانية ميزان الشمس ، وبه يعرف مقدار الساعات وأخذ الأرصاد ومطالع الكواكب .
- (٢) أبقراط : هو سابع الأطباء الثمانية المشهورين الذين أولهم أسقنبلينوس وآخرهم جالينوس . قال في سرح العيون : كان في زمن بهمن بن اسفنديار وقال القفطي في كتابه اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٩٠ طبع لبسك أنه كان في زمن اردشير من ملوك الفرس جد دارا بن دارا . وهو الذي بث صناعة الطب في الناس ، وعلم الغرباء بعد أن كانت هذه الصناعة مقصورة على طائفة يتوارثونها بالتلقين ، ولم يكونوا يكتبون فيها شيئا ؛ وهو أول من اتخذ البيارستان ، وذلك أنه عمل بالقرب من داره موضعا مفردا للمرضى ، وجعل لهم خدما يقومون بمداواتهم ، وسماه : إخشيد ، أى جمع المرضى ، وكذلك لفظ البيارستان بالفارسية .
- (٣) جالينوس : هو آخر الحكماء المشهورين ، ويسمى خاتم الأطباء والمعلمين ، وذلك أنه عند ما ظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الأطباء السوفسطائيين ومحيت محاسنها ، فانتدب لذلك وأبطل آراءهم وشيد آراء أبقراط والتابعين له ونصرها ، وساح وطلب الحشائش ، وجرّبها ، وقاس أمرجتها وطبايعها ، وشرح الأعضاء ، ووضع الكتب النفيسة في هذه الصناعة . (٤) في سرح العيون : « حدسك » .
- (٥) أبو معشر : هو جعفر بن محمد بن عمر البلخي المنجم المشهور ؛ كان في الأول من أصحاب الحديث ببغداد ، وكان يشغ على الكندي الفيلسوف بعلوم الفلسفة ، ويعرى به العامة ، فدى له الكندي من حسن له النظر في علم الحساب والهندسة ، فدخل في ذلك ، ثم عدل الى أحكام النجوم ، فمهر فيها ، وانقطع شره عن الكندي لأن ذلك من جنس علومه ، وكانت وفاته سنة اثنتين وسبعين ومائتين . والمراد بالقضاء هنا : حكم المنجمين بتأثير الكواكب أخذنا من قول الشاعر : « يقضون بالأمر عنها وهي غافلة » أى عن النجوم .

(١) جابر بن حيان على سر الكيمياء، وأعطيت النظم أصلاً أدرك به الحقائق، وجعلت
 للكِنديّ رسماً استخرج به الدقائق؛ وأن صناعة الألحان اخترعك، وتأليف
 الأوتار توليدك وأبتدأك؛ وأن عبد الحميد بن يحيى بارى أقلامك، وسهل بن
 (٢) (٣) (٤) (٥)

(١) قال في سرح العيون عند شرحه لهذه العبارة مانصه: «وأما جابر بن حيان المذكور فلا أعرف له ترجمة صحيحة في كتاب يعتمد عليه، وهذا دليل على قول أكثر الناس: إنه اسم موضوع وضعه المصنفون في هذا الفن، وزعموا أنه كان في زمن جعفر الصادق. (٢) النظام: هو ابراهيم بن سيار ابن هاني البصري، وكنيته: أبو إسحاق؛ وهو شيخ من كبار المعتزلة وأئمتهم، متقدم في العلوم، شديد الغوص على المعاني؛ وكانت وفاته سنة إحدى وعشرين ومائتين وهو ابن ست وثلاثين سنة، كما في سرح العيون. وقال الصفيّ في كتاب الوافي بالوفيات إنه توفي سنة ثلاثين ومائتين تقريباً.

(٣) الكِنديّ: هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس، وكنيته أبو يوسف؛ وكان الكِنديّ متبحراً في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية، وهو فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها؛ وكان أبوه إسحاق بن الصباح أميراً على الكوفة للهدى والرشيد، وكان جدّه الأشعث بن قيس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وللكنديّ هذا تأليف مشهورة من المصنفات الطوال، ومن الرسائل القصار جملة متعدّدة، قال في كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٦٨ طبع لبسك نقلاً عن ابن جلجل الأندلسي في كتابه: يعقوب بن الصباح الكِنديّ كان شريف الأصل بصرياً، وكان جدّه ولي الولايات لبني هاشم، ونزل البصرة، وانتقل إلى بغداد، وهناك تأدّب، وكان عالماً بالطلب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق وتأليف المحون والهندسة وطبائع الأعداد والهيئة، وله تأليف كثيرة في فنون من العلم الخ. (٤) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامري، أحد الكتاب المحيدين الذين اشتهرت بلاغتهم حتى ضرب بها المثل، وكان كاتباً لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، فلما قتل مروان استخفى عبد الحميد حتى عثر به أصحاب أبي مسلم، فسلوه إلى السفاح، فسلوه إلى عبد الجبار صاحب شرطته فقتله سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

(٥) هو سهل بن هارون بن راهبون، وكنيته أبو عمرو، من أهل نيسابور، نزل البصرة فنسب إليها، ويقال: إنه كان شعوبياً — والشعوبية: فرقة تبغض العرب، وتتعصب عليها للفرس — وقد انفرد سهل في زمانه بالبلاغة والحكمة، وصنف الكتب معارضا بها كتب الأوائل حتى قيل له: بزجرهم الإسلام، وله اليد الطولى في النظم والنثر؛ وكان في أول أمره خصيصاً بالفضل بن سهل، ثم قدمه إلى المأمون، فأعجبه ببلاغته وعقله، وجعله كاتباً على خزنة الحكمة، وهي كتب الفلاسفة التي نقلت للمأمون من جزيرة قبرس وفي معجم الأدباء إيساقوت ج ٤ ص ٢٥٩ أنه توفي في سنة مائتين وخمسة عشر.

هارون مدونٌ كلامك ؛ وعمرو بن بحرٍ مستمليك ، ومالك بن أنسٍ مستفتيك ؛ وأنتك
الذى أقام البراهين ، ووضع القوانين ؛ وحدَّ الماهية ، وبين الكيفية والكمية ؛
وناظرَ في الجوهر والعرض ، وبين الصحة من المرض ؛ وفكَّ المعنى ، وفصل بين
الاسم والمسمى ؛ وضرب وقسم ، وعدل وقوم ؛ وصنَّف الأسماء والأفعال ، ويوب
الظرف والحال ؛ وبني وأعرَب ، ونفى وتعجَّب ؛ ووصل وقطع ، وثنى وجمع ؛ وأظهر
وأخمر ، وأبتدأ وأخبر ، وأستفهم وأهمَل وقَيَّد ، وأرسل وأسند ، وبحث ونظر ،
وتصفَّح الأديان ، ورجَّح بين مذهبي ماني وغيلان ؛ وأشار بذبح الجعد ، وقَتَلَ بشار^(١)
^(٢)

(١) هو عمرو بن بحر بن محبوب ، ويكنى أبا عثمان ، وهو المعروف بالجاحظ ؛ وهو إمام الفصحاء
والمتكلمين ؛ ولد بالبصرة ، ونشأ ببغداد ، واشتغل على أبي إسحاق النخعي بمذهب الاعتزال ، وتأمل كتب
الفلاسفة ، ومال إلى الطبيعيين منهم ، وساد على المتكلمين بفصاحته وحسن عبارته ؛ وتوفى بالقالج
سنة خمس وخمسين ومائتين .

(٢) هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر التيمي ، وكنيته أبو عبد الله ؛ إمام دار الهجرة وصاحب
كتاب الموطأ . وذكر ابن خلكان في ترجمته أنه ولد في سنة خمس وتسعين ، وتوفى سنة تسع وسبعين ومائة .
(٣) ماني : هو الذي تنسب إليه الطائفة المانوية ؛ ظهر في أيام سابور بن أردشير ، وتبعه خلق كثير من
المجوس ، وأدعوا له النبوة ، وكان يزعم أن صانع العالم اثنان : فاعل الخير ، وهو النور ، وفاعل الشر ، وهو
الظلمة ؛ وقد قتل ماني في زمن بهرام بن سابور . وأما غيلان : فهو ابن يونس القدرىّ الدمشقيّ ، كان
أبوه مولى لعثمان بن عفان ؛ وغيلان أول من تكلم في القدر وخلق القرآن ، وقد قتل غيلان في زمن هشام
ابن عبد الملك .

(٤) الجعد : هو ابن درهم مولى بني الحكم ، كان يسكن دمشق ، ويعلم مروان بن محمد آخر خلفاء
بني أمية ، فنسب إليه ، وقيل له : مروان الجعدى ؛ وكان الجعد يقول بخلق القرآن ، ثم طلب فهرب ،
ثم نزل الكوفة فتعلم منه الجهم بن صفوان القول الذي نسب إليه الجهمية ، ولم يزل الجعد بن درهم بالكوفة
حتى قتله خالد بن عبد الله القسرىّ وإلى العراق من قبل هشام بن عبد الملك .

(٥) هو بشار بن برد الشاعر المعروف ، من مخضرمي الدولتين : الأموية والعباسية ؛ وكان جدّه
من طخارستان من سبي المهلب ؛ وكان بشار يتهم بالزندقة ؛ فأمر المهديّ أن يضرب بالسياط ضرب التلف ،
فضرب حتى مات ، وكانت وفاته سنة ثمان وستين ومائة ، ودفن بالبصرة .

ابن بُردٍ ؛ وأنك لوشئتَ خرقتَ العادات ، وخالفتَ المعهودات ؛ فأحلتَ البحارَ
عذبةً ، وأعدتَ السَّلامَ رَطْبَةً ؛ وَنَقَلْتَ عِدا فِصَارَ أَمْسَا ، وَزِدْتَ فِي الْعُنَاصِرِ فَكَانَتْ
نَحْسًا ؛ وَأَنْكَ الْمَقُولُ فِيهِ : ” كَلَّ الصَّيْدَ فِي جَوْفِ الْفَرَا ”^(١)

و : ليس على الله بمستنكرٍ * أن يجمع العالم في واحدٍ^(٢)

والمعنى بقول أبي تمام :

فلو صوّرتَ نفسَكَ لم تزدِها * على ما فيكَ من كرم الطبايعِ

والمراءُ بقول أبي الطيّب :

ذُكِرَ الْأَنْأَمُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً * كُنْتَ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أَيْبَاتِهَا^(٣)

ف” كَدَمْتَ غَيْرَ مَكْدَمٍ ” وَنَفَخْتَ فِي غَيْرِ فِخْمٍ ؛ وَلَمْ تَجِدْ لِرُحِّ مَهْزَا ، وَلَا لَشَفْرَةٍ مَحْزَا ؛
بَلْ رَضِيْتَ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ ، وَتَمَنَيْتَ الرَّجُوعَ بِخُنْفَى حُنَيْنٍ ، لِأَنِّي قَلْتُ لَهَا :
” لَقَدْ هَانَ مِنْ بَالْتِ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ ”^(٤)

وَأَنْسَدْتُ :

عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صَرِنَ كُلُّهَا * عَجَائِبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَابٌ^(٥)

(١) السلام : الحجارة الصلبة ؛ واحده سلمه بفتح السين وكسر اللام .

(٢) هو مثل يضرب للشئ المرئي على غيره . والفرا : حمار الوحش .

(٣) البيت لأبي نواس .

(٤) الكدم : العض بأذى الفم ؛ والمكدم : موضع العض ؛ وهو مثل يضرب لمن يطلب شيئاً في غير

مطلبه . وفي بعض نسخ الرسالة : « كدمت في غير » .

(٥) في جمع الأمثال : « ذل » ؛ يريد : أنه بلغ في الحقايرة غايتها . وهذا عجز بيت لغاوى بن ظالم

السلمى ؛ وقيل انه للعباس بن مرداس السلمى . وصدر البيت : « أرب يبول الثعلبان برأسه » والثعلبان

بضم الناء واللام : ذكر الثعالب . انظر اللسان .

(٦) البيت لأبي تمام .

(١) وَتَحَرَّتْ وَكَفَرَتْ ، وَعَبَسَتْ وَبَسَرَتْ ؛ وَأَبْدَأْتُ وَأَعَدْتُ ، [وَأَبْرَقْتُ وَأَرَعَدْتُ]
 وَ« هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ [وَلَيْتَنِي] » ، وَلَوْلَا [أَنْ] لِلْيُجَوَارِ ذِمَّةٌ ، وَلِلضِّيَافَةِ حُرْمَةٌ ؛ لَكُنَّ
 الْجَوَابُ فِي قَدَالِ الدَّمَسْتِيقِ ، وَلَكِنَّ النِّعْلَ حَاضِرَةً إِنْ عَادَتِ الْعُقُوبَةُ ، وَالْعُقُوبَةُ
 مُمْكِنَةٌ إِنْ أَصْرَتِ الْمَذْنِبُ ؛ وَهَبَّهَا لَمْ تَلَا حِظَّكَ بَعِيْنٍ كَلْبِيَّةٍ عَنِ عِيُوبِكَ ، مَلْؤُهَا حَبِيْبُهَا ،
 وَحَسَنٌ فِيهَا مِنْ تَوَدَّدٍ ، وَكَانَتْ إِذَا حَلَّتْكَ بِحُلَاكٍ ، وَوَسَمْتِكَ بِسِيْمَاكَ ؛ وَلَمْ تُعْرِكْ
 شَهَادَهُ ، وَلَا تَكَلَّفَتْ لَكَ زِيَادَهُ ؛ بَلْ صَدَقْتِكَ سَنَ بَكْرِيهَا فِيمَا ذَكَرْتَهُ عِنْدَكَ ، وَوَضَعَتْ
 الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ الْقُنْبِ فِيمَا نَسَبْتَهُ إِلَيْكَ ؛ وَلَمْ تَكُنْ (كَاذِبَةً فِيمَا أَثْنَتْ بِهِ عَلَيْكَ) ،

(١) النخير : صوت من الأنف أكثر ما يكون عند الغضب ، ومنه سمي المنخر .

(٢) بسرت ، من البسر ، وهو القطوب .

(٣) التكلمة عن سرح العيون ؛ وتمام السجع يقتضى إثباتها .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن النسخ التي بين أيدينا لهذه الرسالة . يشير إلى

بيت ضابي بن الحارث بن أرطاة البرجمي ، وهو :

هممت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حالته

يريد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه .

(٥) أشار بهذه العبارة إلى بيت أبي الطيب المتنبي من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، وهو :

وكننت إذا كاتبته قبل هذه * كتبت إليه في قذال الدمستيق

يريد أبو الطيب الإشارة بهذا البيت إلى ما وقع بين ملك الروم وسيف الدولة ؛ وذلك أن ملك الروم جهز

جيشا لمحاربة سيف الدولة وجعل أميره الدمستيق ، فهزمه سيف الدولة شرهزيمة ، وولى الدمستيق بجيشه

هاربا . والدمستيق : لقب عندهم للقدميين من رجالهم ، أو هو أسم رجل منهم .

(٦) في الأصل : « لحلاك » باللام ؛ وما أثبتناه عن نسخ الرسالة .

(٧) هو مثل يضرب في الصدق . والبكر يفتح الباء : القتي من الإبل ، ونص المثل : « صدقتني »

بالتذكير .

(٨) الهناء : القطران الذي يطلى به الحرب . وتقال هذه العبارة لمن يضع الأشياء في مواضعها .

(٩) كذا في سرح العيون وغيره من النسخ التي بين أيدينا لهذه الرسالة . وعبارة الأصل : « لم يكن

أختر ثقله » وهو تحريف لا معنى له .

(١) فالمُعَيْدِيُّ تسمع به لا أن تراه ، هَجِينُ القَذَالِ ، أَرَعُنُ السَّبَالِ ؛ طَوِيلُ العنقِ (٢)
 والعِلاوةُ ، مُفْرِطُ الحَمِقِ والغِباوةُ ؛ جافِي الطبعِ ، سَيِّئُ الجِابَةِ والسَّمْعِ ؛ بغيضُ الهيئَةِ ،
 سَخِيفُ الذَّهابِ والجِئَةِ ؛ ظاهِرُ الوَسْواسِ ، مَنَتِنُ الأَنفاسِ ؛ كَثِيرُ المِغايِبِ ، مشهورُ
 المِثالبِ ؛ كَلامُكَ تَمَتَمَ ، وحديثُكَ تَمَغَمَ ؛ وبياناتُكَ فَهَقَمَ ، وضحكُكَ فَهَقَمَ ؛
 ومشيئُكَ هَرَوَلَةٌ ، وغِناكَ مَسالَةٌ ؛ ودينُكَ زَنَدَقَةٌ ، وعِلمُكَ مَحْرَقَةٌ

(٥) مَساوٍ لو قُسِمْنَ على العِوانِي * لَمَّا أمْهَرْنَ إلا بِالطَّلَاقِ
 حتَّى إنَّ باقِلا موصوفٌ بالبِلاغةِ إذا قَرِنَ بِكَ ، وهَبَّتَقَةٌ مستحقٌّ لاسْمِ العِقلِ (٦)
 إذا نُسِبَ مِنْكَ ، وأبَا غَبْشانَ محمودٌ مِنْهُ سَدادُ الفِعلِ إذا أَضيفَ إِلَيْكَ ، (٧)
 (٨) (٩)

(١) نصه في كتب الأمثال : " تسمع بالمعديي خير من أن تراه " ؛ و يضرب لمن خبره خير من
 مرآه ؛ والمقول فيه هذا هو شقة بن ضمرة بن جابر بن بني نهشل .

(٢) يقال : فلان هجين القذال ، أى أنه إذا أدبر عرف لؤم نسبه من قذاله لما يبدو منه من الإطراق
 حياء . والهجين اللئيم ، أو هو العربي الذي يولد من أمة . والقذال : جماع مؤخر الرأس .

(٣) العلاوة : الرأس ما دام على العنق ؛ و يعدون طول الرأس والعنق من دلائل الحق .

(٤) كذا في الأساس للزحرفي ؛ والذي في الأصل : " والإجابة " باثبات الهمزة . والجابة
 والإجابة بمعنى واحد . يشير بهذا الى قولهم : " أساء سمعا فأساء جابة " . (٥) البيت لأبي تمام .

(٦) هو باقل بن عمرو بن ثعلبة الإيادي ؛ وفي شرح القاموس أنه من ربيعة ؛ و يضرب به المثل في العي .

(٧) هبنقة : هو يزيد بن ثروان أحد بني قيس بن ثعلبة ، و يلقب بذي الودعات لأنه جعل في عنقه
 قلادة من ودع وعظام وخزف مع طول لحيته ، فسئل فقال : لئلا أضل ؛ ف ضرب به المثل في الحق .

(٨) كذا في الأصل ؛ ولم نقف على ما يفيد صحة هذا التعبير فيما راجعناه من كتب اللغة . وفي النسخ
 التي بين أيدينا لهذه الرسالة : « إليك » ولم نثبتها مع صحتها لحصول التكرار بها مع ما يأتي بعدها .

(٩) في الأصل : « عشان » بإهمال أوله وثانيه ؛ وما أثبتناه عن القاموس مادّة « العيش » ،
 قال ما نصه : « وأبو غبشان ويضم : خزاعي كان على سدانة الكعبة قبيل قريش ، فاجتمع مع قصى

في شرب بالطائف ، فأسكره قصى ، ثم اشترى المقاتيح منه بزق نحر ، وأشهد عليه ، ودفعها لابنه عبد الدار ،
 وطير به إلى مكة ، فأفاق أبو غبشان أندم من الكسعي ؛ ف ضربت به الأمثال في الحق والنسب وخسارة

الصفقة . قال في شرحه : « وهو المخترش بن حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

(١) وطويساً مأثورٌ عنه يُمنُّ الطائرُ إذا قيسَ عليك ، فوجودُك عَدَمٌ ، والأغْباطُ بك ندمٌ ،
والخَيْبَةُ منك ظَفَرٌ ، والجَنَّةُ معك سَقَرٌ ، كيف رأيتَ لؤمَكَ لكرمي كَفَاءً ، وَضَعْتَكَ
لشرفي وَفَاءً؟ وأتَى جهلتَ أن الأشياءَ إنما تتجذبُ إلى أشكالكها ، والطيْرَ إتماً تقعُ على
ألْفها؟ وهَلَّا علمتَ أن الشرقَ والغربَ لا يجتمعان ، وشعُرتَ أن نادِي المؤمنِ
والكافرِ لا يتراءيان ، وقلتَ : الخَيْبُ والطَيْبُ لا يستويان ، وتمثَلتَ :

(٢)
أيها المنكحُ الثرياً سهيلاً * عمركَ اللهُ كيف يلتقيان

وذكرتَ أتَى علقَ لا يباعُ ممن زاد ، وطائرٌ لا يصيدهُ من أراد ، وغرضٌ لا يصيبه
إلا من أجاد ؛ ما أحسبُك إلا كنتَ قد تهيأتَ للتهنئة ، وترشَّحتَ للترفة ؛ أولى لك ،
لولا أن جرحَ العجاءِ جُبَّاراً ، للقيتَ ما لقيَ من الكواعبِ يساراً ؛ فإهمَّ إلا بدونِ

١٠ (١) طويس : هو مولدُ بنِي مخزوم ، وكنيته : أبو عبد النعم ، كان من الحجان الظرفاء ، وكان
يسكن المدينة ، وهو أولُ من غنى بها على الدف بالعبدية ، وكان يضربُ به المثل في الشؤم ، لأنه ولد يوم
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفضل يوم مات أبو بكر ، وختن يوم قتل عمر . وفي القاموس
أنه بلغ الحلم يوم قتل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وولد له يوم مات علي .

(٢) كذا في بعض نسخ الرسالة ؛ والذي في الأصل : « لا يجتمعان » ؛ وهو مكرر مع ما قبله .

١٥ (٣) الشطر الأول من هذا البيت ساقط من الأصل ، وقد أثبتناه عن سرح العيون ، والبيت لعمر بن
عبد الله بن أبي ربيعة . والثريا هي بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . وسهيل ، هو ابن
عبد العزيز بن مروان .

(٤) العجاء : البهيمة . والجبار بالضم : الهدر الذي لا قصاص فيه . يشير إلى قوله صلى الله عليه
وسلم : « جرح العجاء جبار » .

٧ (٥) يسار : هو عبد أسود ، كانت النساء إذا رأينه ضحككن من قبحه ، فكان يظن أنهن يضحكن
إيجاباً بمنن به ، فدخل على امرأة مولاه يوماً وأراد مغاللتها فلما منه أنها قد أحبتّه ، فذالت له : إن لحرائر
طيباً أشمك إياه ، فقال : هاتيه ، فأنت بطيب وموسى ، فأشمته الطيب ثم جدعت أنفه ؛ وكان يلقب :
« يسار الكواعب » .

ما هممت به ، ولا تعرّض إلا لأيسر ما تعرّضت له ، أين أدعأوك رواية الأشعار ،
وتعاطيك حفظ السير والأخبار ؟

بنو داريم أكفأهم آل مسمع * وشكح في أكفأها الحيطات^(٢)

وهلا عشت^(٣) ولم تغتر^(٤) ، وما أمتك أن تكون وafd البراجم ، أو ترجع بصحيفة
المتلمس ، وأفعل بك ما فعله عقيل بن علقمة^(٦) بالجهني إذ جاءه خاطبا فدهن آسته^(٥)
بزيت وأدناه من قرية النمل^(٧) ؟ ومتى كثر تلاقينا ، واتصل ترأينا ، فيدعوني اليك

(١) في الأصل : « ولا تعرّضت » ؛ والتاء زيادة من النسخ . (٢) البيت للفرزدق .

(٣) يشير بهذه العبارة الى المثل القائل : « عش ولا تغتر » وهو مثل يضرب للاحتياط والأخذ بالثقة .

(٤) في بعض نسخ الرسالة : « وما أشك أنك تكون » الخ ، والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

١٠ ووافد البراجم : رجل من تميم ؛ والبراجم : خمسة من أولاد حنظلة بن مالك ؛ وقد أشار بهذه العبارة الى قصة عمرو بن هند مع بني تميم ، وذلك أنه أحرق منهم تسعة وتسعين رجلا لتأثره عندهم ، وكان قد حلف أن يحرق منهم مائة رجل ، فينا هو يطلب رجلا منهم يتم به المائة ، إذ مرّ رجل يسمى عمارا ، فشم رائحة القنار ، فظن أن الملك اتخذ طعاما ، فعدل اليه ، فقيل له : من أنت ؟ فقال : من البراجم ، فألق في النار ؛ فضرب به المثل وقيل : « إن الشقّ وafd البراجم » .

١٥ (٥) صحيفة المتلمس : تضرب مثلا لمن يحصل له الضرر من حيث يتوقع النفع . والمتلمس : هو جرير ابن عبد المسيح أحد بني صعصعة ، شاعر مجيد من شعراء الجاهلية ، وقد وفد هو وابن أخته طرفة بن العبد على عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة ، فحقق عمرو عليهما يوما وأراد قتلهما ، فكتب معهما كتابين الى عامله بالبحرين ، وقال لهما : إني كتبت لكما بصلة من عامل بالبحرين ، فاقبضاها منه ، فلما كانا في بعض الطريق فتح المتلمس صحيفته فاذا الملك يأمر عامله بقتله ، فألقاها في اليم ، ومضى طرفة بكتابه الى عامل البحرين فقتله .

(٦) في الأصل : « علقمة » وهو تحريف ، والتصويب عن تاج العروس مادة علق بالقاف ؛ وعقيل بن علقمة هذا شاعر من شعراء الدولة الأموية ؛ وكان أهوج جافيا شديد الغيرة والعجرفة والبذخ بنسبه ، وكان لا يرى أن له كفتا ، وقد خطب اليه عبد الملك بن مروان إحدى بناته فأبى عليه ، وكان له جارجهني ، فخطب الجهني إحدى بناته ، ففعل به ما ذكره ابن زيدون .

(٧) قرية النمل : مسكنها وبيتها .

ما دعا ابنة الخُمس^(١) الى عبدها من طول السواد ، وقرب الوِساد ؟ وهل فقدت^(٢) الأرقام^(٢) فأنتكح^(٣) في جنب ، أو عضلني همام بن مرة فأقول : ”زوج من عود ، خير من قعود“؟ ولعمري لو بلغت هذا المبلغ لارتفعت^(٤) عن هذه الحِطَّة ، وما رضيتُ بهذه الحِطَّة ؛ ف”النارُ ولا العار“ و”المنيةُ ولا الدنية“ والحوةُ تجوع ولا تأكل بشديها :

فكيف وفي أبناء قومي منكح * وفتيان هزان الطوال الغرائقة^(٥)

ما كنتُ لأتخطى المسك الى الرماد ، ولا لأمتطى الثور دون الجواد ؛ وإنما يتيم من لا يجد ماء ، ويرعى المشيم من عدم الجميم^(٦) ، ويركب الصعب من لا ذلول

(١) ابنة الخس : هي هند بنت الخس الإيادي ، قديمة في الجاهلية ، وذكروا أنها زنت بعندها ، فلامها الناس في ذلك ، وقالوا : ما حملك على الزنى ؟ فقالت : قرب الوساد ، وطول السواد ؛ والسواد : المسارة .

(٢) الأرقام : حتى من تغلب . وجنب : حتى من اليمن ؛ وقد أشار بهذه العبارة الى قول مهلهل ابن ربيعة حين هرب من حرب البسوس لما طالت مدتها ، فنزل في طريقه على حتى من اليمن ، فخطبوا اليه ابنته وساقوا له مهرها جلودا ، وغضبوه على الزواج فقال :

أعزز على تغلب بما لقيت * أخت بنى الأكرمين من جشم
أنتكحها فقدتها الأرقام من * جنب وكان الحباء من آدم .

(٣) عضل الولي المرأة : منعها من النكاح . وزوج من عود الخ : قول إحدى بنات همام بن مرة وكان له أربع بنات ، وكن يخطبن اليه فيأبى أن يزوجهن .

(٤) في الأصل : « بهذه » ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٥) هزان : بطن من العرب ؛ والغرائقة ، جمع غرنوق وغرنيق ، وهو الشاب الأبيض الجميل . والبيت للأعشى الأكبر . وقد ورد الشطر الأول منه في تاج العروس هكذا : « فقد كانت في شبان قومك منكح » وذكر أن الأعشى يخاطب به امرأة .

(٦) الجميم : النبات الناهض المنتشر الذي طال ولم يبلغ النهاية .

له ؛ ولعلك إنما غرّك من علمت صبوقى إليه ، وشهدت مساعفتى له ، من أقمار العصر ، ورياحين مصر ، الذين هم الكواكب علوهمم ، والرياض طيب شيم من تلق منهم تقل : لاقيت سيدهم * مثل النجوم التي يبرى بها السارى (٢)
 فيحن قُدح ليس منها ؛ ما أنت وهم ؟ وأين تقع منهم ؟ وهل أنت إلا وأو عمرو فيهم ، وكالوشيفة في العظم بينهم ؟ وان كنت إنما بلغت قعر تابوتك ، وتجايفت لقميصك عن بعض قوتك ؛ وعطرت أردانك ، وجررت هميانك ؛ واختلت في مشيتك ، وحذفت فضول حيتك ؛ وأصلحت شاربك ، ومططت حاجبك ؛ ودققت خط عذارك ، واستأنفت عقد إزارك ؛ رجاء الا كتاب فيهم ، وطمعا في الاعتماد منهم ؛ فظننت عجزا ، وأخطأت أسنك الحفرة ؛ والله لو كسك محرق (٧) (٥) (٦)

١٠ (١) في الأصل : «وهلك» ؛ وهو تحريف . (٢) الشطر الثاني من هذا البيت لم يرد في الأصل . وقد أثبتناه عن النسخ التي بين أيدينا لهذه الرسالة وفي شرح العيون أن هذا البيت من جملة أبيات منسوبة الى رجل اسمه العرنديس من بنى بكر بن كلاب يمدح بها بنى بدر الغنويين .

(٣) في الأصل : «فجنح» ؛ وهو تحريف ؛ يشير بهذه العبارة الى المثل القائل : «حن قدح ليس منها» يضرب لمن يشبه بالقوم وليس منهم .

١٥ (٤) الوشيفة : قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم . ويقال : فلان وشيفة في قومه ، إذا كان دخيلا فيهم وليس منهم . (٥) قال في شرح العيون في تفسير هذه العبارة : يعنى لازمت منزلك . (٦) يريد : رجاء أن تعد فيهم وتكتب منهم .

(٧) محرق : هو عمرو بن المنذر بن ماء السماء ، وهو المعروف بعمرو بن هند ؛ وأشار بهذه العبارة الى ما ذكروا من أن الوفود اجتمعت مرة عند عمرو بن هند ، فأخرج بردين من لباسه وقال : ليقيم أعز العرب فليأخذهما ، فقام عامر بن أحييمر فأخذهما فقال له عمرو : أنت أعز العرب قبيلة ؟ فقال : العز كله في معد ، والعدد في معد ، ثم في نزار ، ثم في مضر ، ثم في خندف ، ثم في تميم ، ثم في سعد ، ثم في كعب ، ثم في بهدلة فن أكر هذا فلينافرنى ؛ فسكت الناس ، فقال : هذه عشيرتك كما تزعم ، فكيف أنت في نفسك وأهل بيتك ؟ فقال : أنا أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ، وخال عشرة ؛ ثم أخذ البردين وانصرف (مرح العيون) ؛ وتاج العروس مادة « برد » .

البردين، وحلتك ماريةً بالقرطين، وقدك عمرو بالصمصامة، وحملك الحارث على النعامة؛^(٣)
 ما شككتُ فيك، ولا تكلمت بملء فيك؛ ولا سترت أباك، ولا كنت إلا ذاك؛
 وهبك ساميتهم في ذروة المجد والحسب، وجاريتهم في غاية الظرف والأدب؛ ألتست
 تأوى الى بيت قعيدته لكاع؟ اذ كلهم عزب خالى الذراع؛ وأين من أنفرد به،
 ممن لا أغلب إلا على الأقل الأخص منه؟ وكم بين من يعتمدنى بالقوة الظاهرة،
 والشهوة الوافرة؛ والنفس المصروفة الى، واللذة الموقوفة على؛ وبين آخر قد تزح
 بيه، ونصب غديره؛ وذهب نشاطه، ولم يبق إلا ضراطه؛ وهل كان يُجمع لى فيك
 إلا الحشف وسوء الحكلة. ويقترن على بك إلا الغدة والموت في بيت سلوية^(٥)؟
 تعالى الله يا سلم بن عمرو * أذل الحرص أعناق الرجال

١٠ (وهذا الشعر لأبي الغاهية يخاطب به سلم بن عمرو، ويلومه على حرصه، ويتلوه):
 هب الدنيا تصير اليك عفوا * أليس مصيرُ ذلك الى زوال

ما كان أحقك بأن تقدر بدرعك، وترجع على ظلعك؛ ولا تكون براش^(٦) الدالة

(١) مارية: هي ابنة ظالم بن وهب الكندى، وزوجة الحارث الأ كبر الغساني أحد ملوك العرب
 بالشام، وكان في قرطها لؤلؤتان كبيرتان يتوارثهما الملوك، وقد وصلنا الى عبد الملك بن مروان، فأهداهما
 الى ابنته لما تزوجها لعمر بن عبد العزيز، وروى أن مارية أهدتهما الى الكعبة.

(٢) عمرو: هو ابن معد يكرب. والصمصامة: اسم سيفه.

(٣) هو الحارث بن عباد التغلبي. والنعامة اسم فرسه.

(٤) الحشف: اليا بس الردى. من الترم. يضرب للخلتين السئتين يجتمعان فى شخص؛ ونص المثل:

”أحشفا وسوء كيلة“.

٢٠ (٥) أشار بهذه العبارة الى قول عامر بن الطفيل: حين ظهرت فى رقبته الغدة التى مات بها، وكان
 فى بيت امرأة سلوية، فقال: أغدة كغدة البعير، وموت فى بيت سلوية.

(٦) براش: اسم كلبة نجت قوما قصدوا الغارة على قوم نفخى عليهم مكانهم، فلها نجت عرفوهم

فاجتاحوهم فقالت العرب: ”أشأم من براش“.

على أهلها، وعزَّ السوء المستنيرة لحتفها؛ فما أراك إلا قد سقط العشاءُ بك على
 السرحان، وبك لا بظبي أعفر،^(٣) قد أعدرت إن أغنيتُ شيئا، وأسمعتُ لو ناديتُ حيا،^(٢)
 وقرعتُ عصا العتاب، وحدرتُ سوء العقاب. "إن العصا قرعتُ لذي الحليم"^(٤)
 "والشيء تحقره وقد ينحى".^(٥) فإن بادرت بالندامة، ورجعت على نفسك بالملامة؛
 [كنت] قد اشتريت العافية لك بالعافية منك؛ وإن قلت: "جمعجة ولا طحنا"^(٦)
 و"رُبَّ صلفٍ تحت الراعدة" وأنشدت:

لا يُؤيسنك من محبابة * قول تغلظه وإن جرحا

فعدت لما نهيته عنه، وراجعت ما استعفيت منه؛ بعثت من يزجحك إلى
 الخضراء دفعا،^(٧) وليستحجك نحوها وكذا وصفعا؛ فإذا صرت بها عيث أكاروها^(٨)
^(٩)

(١) يشير بهذه العبارة إلى ما ذكروا من أن رجلا وجد عنزا فأراد ذبحها، فلم يجد سكيناً، فبينما هو
 كذلك، إذ بحث الشاة بظلفها في الأرض، فاستنارت سكيناً فذبحها بها؛ فضربت مثلاً لمن يعين على ضرر
 نفسه. (٢) في سرح العيون: «سرحان» بدون تعريف، وهو الذئب؛ يشير بهذه العبارة إلى
 المثل القائل "سقط به العشاء على سرحان" يضرب لمن يريد أمراً فيقع على المكروه.

(٣) نص المثل: «به» الخ ويضرب للشهامة بالرجل؛ يريدون نزل به المكروه ولا نزل بظبي أعفر.

(٤) قال ابن نباتة في سرح العيون عند شرحه لهاتين العبارتين: هما مثلان يضربان في التحذير، منظومان
 في قول الحارث بن ودة البشكري وقد قتل بعض سادات قومه أخاه. ثم أورد أبياتا جاء منها:

وزعمت أنا لا حلوم لنا * إن العصا الخ البيت . وبعده:

لا تأمن قوما ظلمتهم * وبدأتهم بالشر والغشم

ان بأروا نخلا لغيرهمو * والشيء تحقره الخ البيت

(٥) لم ترد هذه الكلمة في الأصل؛ وقد أثبتناها عن سرح العيون.

(٦) جمعجة الخ أي أسمع جمعجة ولا أرى طحنا؛ قال في سرح العيون في شرح هذا المثل والذي
 بعده: هما مثلان يضربان لمن يتوعد ولا يفعل. والجمعجة: صوت الرحي. والطحن: الدقيق.
 فعل بمعنى مفعول، كدج وفرق؛ والصلف: قلة البركة والخير. وسحاب صلف: إذا كان قليل الماء،
 كثير الرعد.

(٧) في الأصل: «الخضراء» بالخاء المهملة؛ وهو تحريف؛ والخضراء: المزرعة؛ وأولعه اسم
 ضيغة انظر سرح العيون. (٨) في سرح العيون: «البا». (٩) الأكارون: الزراعون.

بك ، وَتَسَلَّطَ نَوَاطِيرُهَا عَلَيْكَ ؛ فَمِنْ قَرَعَةٍ مَعُوجَةٍ تُقَوِّمُ فِي قَفَاكَ ، وَبُخْلَةٍ مُنْتِنَةٍ يُرْمَى بِهَا
تَحْتَ خُصَّاصِكَ ؛ لَكِي تَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِكَ ، وَتَرَى مِيزَانَ قَدْرِكَ .

فَمِنْ جَهَلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ * رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى .^(٢)

وقال أيضا في رُقْعَةٍ خَاطَبَ بِهَا ابْنَ جَهَّورٍ — وَهِيَ مِنْ رِسَائِلِهِ الْمَشْهُورَةِ —

أَوْلَهَا :

يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي الَّذِي وَدَادِي لَهُ ، وَاعْتَدَادِي بِهِ ، وَاعْتِمَادِي عَلَيْهِ —

أَبْقَاكَ اللَّهُ مَا ضَىَّ حَدَّ الْعِزْمِ ، وَارَى زَنْدَ الْأَمْلِ ، ثَابِتَ عَهْدِ النِّعْمَةِ — إِنَّ

سَلَبْتَنِي أَعَزَّكَ اللَّهُ لِبَاسِ إِنْعَامِكَ ، وَعَطَلْتَنِي مِنْ حَلِي إِيْنَابِسِكَ ، وَغَضَّضْتَ عَنِي

طَرْفَ حِمَايَتِكَ ؛ بَعْدَ أَنْ نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى تَأْمِيلِي لَكَ ، وَسَمِعَ الْأَصْمُ ثَنَائِي عَلَيْكَ ،

وَأَحْسَّ الْجَمَادُ بِاسْتِنَادِي إِلَيْكَ ؛ فَلَا غَرْوَ قَدْ يَغْصُ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ ، وَيَقْتُلُ الدَّوَاءُ

الْمُسْتَشْفَى بِهِ ، وَيُؤْتِي الْحَدِيرُ مِنْ مَأْمِنِهِ ، وَتَكُونُ مَنِيَّةُ الْمُتَمَنِّيِّ فِي أَمْنِيَّتِهِ ” وَالْحَسْبُ

قَدْ يَسْبِقُ جَهْدَ الْحَرِيصِ ” وَإِنِّي لِأَتَجَلَّدُ ، وَأَرَى الشَّامِتِينَ أَنِّي لَا أَتَضَعُّعُ ، وَأَقُولُ :

(١) النواطير : جمع ناطور ، وهو حافظ الكرم والنخل .

(٢) البيت للنتبي .

(٣) كذا في النسخ التي بين أيدينا لهذه الرسالة . والذي في الأصل : « إنشادي » ؛ وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « والحرص » ؛ وهو تحريف . وهذا عجز بيت لعدي بن زيد ؛ وصدوره : « قد

يدرك المبطئ من حظه » . انظر تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون للصفدي ص ٤ طبع بغداد ؛

وقد اعتمدنا على هذا الكتاب في أكثر شرحنا لما ورد في هذه الرسالة من الأبيات والأمنال والأخبار

فلا حاجة إلى التنبيه عليه بعد هذا فيما نقله عنه .

(٥) كذا في الأصل ؛ والذي في نسخ الرسالة : « أني لرب الدهر لا أتضعع » . وهذا عجز

بيت لأبي ذؤيب الهذلي ، وصدوره : « وتجلدي للشامتين أريهمو » انظر المفضليات .

هل أنا إلا يد أدامها سوارها، وجبين عضه إكليله، ومشرق^(٢) أصرقه بالأرض
صاقله،^(٣) وسمهري^(٣) عرضه على النار مثقفه،^(٤) وعبد ذهب سيده مذهب الذى يقول :
فقسا ليزدجروا^(٥) ومن يك حازما * فليقس أحيانا على من يرحم^(٥)
والعتب محمود عواقبه،^(٦) والنبوة غمرة^(٧) ثم تتجلى، والنكبة^(٧) وسحابة صيف عن قريب^(٨) تقشع^(٨)،
وسيدى إن أبطأ معذور^(٩).

فإن يكن الفعل الذى ساء واحدا * فأفعاله اللاتى سررت^(١٠) ألوف

فليت شعرى ما الذنب الذى أذنبت ولم يسعه العفو؟ ولا أخلو من أن أكون
بريئا فأين العدل؟ أو مسيئا فأين الفضل؟ وما أرانى إلا لو أمرت بالسجود لآدم
فأبيت واستكبرت، وقال لى نوح: "اركب معنا" فقلت: "سأوى إلى جبل يعصمني

(١) فى بعض نسخ الرسالة: «عض به» .

(٢) المشرقى: نسبة الى المشارف، وهى قرى باليمن؛ أو هى من أرض العرب تدنو من الريف
تنسب اليها السيوف المشرفية .

(٣) السمهري: الرخ الصليب العود، ويقال إنه منسوب الى سمهر، وهو رجل كان يقوم الريح
فنسبت اليه . والمتقف: المقوم .

(٤) فى نسخ الرسالة: "ذهب به سيده" .

(٥) فى الأصل: «له ذنوا» وهو تحريف . والبيت لأبى تمام من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق .

(٦) فى تمام المتون: «هذا العتب» .

(٧) فى تمام المتون: «وهذه النبوة» .

(٨) تقشعت السحابة: أفلعت . وفى كتب الأمثال: "عن قليل" . وهو مثل يضرب لانتقضاء
الشيء بسرعة .

(٩) كذا وردت هذه العبارة فى الأصل؛ والذى فى النسخ التى بين أيدينا لهذه الرسالة: «ولن يرينى
من سيدى أن أبطأ سحابه، وتأخر غير ضنين غناؤه» وبعد هاتين العبارتين كلام طويل لم يرد فى الأصل، فانظره .
(١٠) البيت لأبى الطيب المتنبي من أبيات كتب بها الى أبى العشاء الحسين بن حمدان يعاتبه فى سبب
حرى عايه من غلانه .

مِنَ الْمَاءِ^(١)، وَتَعَاظَيْتُ فَعَقَرْتُ^(١)، وَأَمَرْتُ بِنَاءِ صَرْحٍ أَعْلَى أَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى، وَعَكَفْتُ^(١)
 عَلَى الْعِجْلِ^(١)، وَاعْتَدَيْتُ فِي السَّبْتِ^(١)، وَشَرَبْتُ مِنَ النَّهْرِ الَّذِي أَبْتَلَى بِهِ جُنُودُ طَالُوتَ^(١)،
 وَقُدْتُ الْفَيْلَ لِأَبْرَهَةَ^(١)، وَعَاهَدْتُ قَرِيْشًا عَلَى مَا فِي الصَّحِيفَةِ^(٢)، وَأَوَّلْتُ فِي بَيْعَةِ الْعَقْبَةِ^(٣)،

- (١) يشير بهذه العبارات الست إلى قصص ورد ذكرها في الكتاب العزيز : فيشير بالعبارة الأولى إلى قصة ناقة صالح التي ورد ذكرها في قوله تعالى في سورة القمر : (إنا مرسلو الناقة فنته لهم) إلى قوله : (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) . ويشير بالثانية إلى قوله تعالى في سورة القصص حكاية عن فرعون : (وقال فرعون يأبأ بالملأ ما علمت لكم من إله غيري) إلى قوله : (لعل أطلع إلى إله موسى) . ويشير بالثالثة إلى قوم موسى حين اتخذوا العجل وفتنوا به وقد وردت هذه القصة في قوله تعالى في سورة طه : (قال إنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري) إلى قوله حكاية عنهم (قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) . ويشير بالرابعة إلى قصة بني إسرائيل واعتدائهم في السبت ؛ قال تعالى في سورة البقرة : (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت) الآية . ويشير بالخامسة إلى قوله تعالى في سورة البقرة : (فلما فصل طالوت بالجنود) إلى قوله تعالى : (فشربوا منه إلا قليلا منهم) . ويشير السادسة إلى قصة أصحاب الفيل التي ذكرها الله تعالى في سورة الفيل حين ساروا إلى الكعبة وأرادوا هدمها وعلى رأسهم أبرهة ابن الصباح أمير اليمن من قبل النجاشي . انظر تفصيل هذه القصص في كتب التفسير .
- (٢) يشير بهذه العبارة إلى صحيفة قريش التي تعاهد فيها كفارها على بني هاشم ؛ وذلك أن قريشا لما رأت أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا إلى الحبشة قد أصابوا في هجرتهم أمنا ورخاء وعزا ومنعة من النجاشي ملك الحبشة ، ورأت فشو الإسلام في القبائل وإسلام عمر بن الخطاب وغيره من أشرافهم اجتمعوا وتعاهدوا فيما بينهم على ألا يتركوا من بني هاشم ، ولا يتركوهم ، ولا يبيعوهم ، ولا يتبعوا منهم ، وكتبوا ذلك في صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة توثيقا وتوكيدا ، فالتحزت بنو هاشم وبنو المطلب إلى شعب أبي طالب ، وظلوا كذلك سنتين أو ثلاث حتى أجهدهم الضيق ، وكان لا يصل إليهم شيء إلا استخفي به من أراد صلحهم من قريش ، حتى قام في نقض ما في الصحيفة نفر منهم اجتمعوا على ذلك . انظر تفصيل القصة في كتب السيرة .
- (٣) أشار بهذه العبارة إلى بيعة الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة التي بين منى ومكة ، ومنها ترمى جرة العقبة ؛ وهي ثلاث بيعات : بايعه في الأولى ستة نفر من الأوس ، وبايعه في البيعة الثانية اثنا عشر ، منهم الستة الذين بايعوه في الأولى ، وبايعه في البيعة الثالثة سبعون وأمرأتان ، انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٦٩٣ طبع جوتيجن . وذكر الصفدي في تمام المتون أن الذين بايعوه في البيعة الثالثة ثلاثة وتسعون وأمرأتان .

وَنَفَرْتُ إِلَى الْعَيْرِ بَيْدَرٍ ، وَأَخَذْتُ بَثْلَ النَّاسِ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَتَخَلَّفْتُ عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَجِئْتُ بِالْإِفْكَ عَلَى عَائِشَةَ ، وَأَبَيْتُ مِنْ إِمَارَةِ أُسَامَةَ ،

(١) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء ، بينه وبين الجار — وهو ساحل البحر — ليلسة . وأشار بهذه العبارة إلى وقعة بدر الكبرى ، وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع أن أبا سفيان بن حرب مقبل من الشام في عير لقريش عظيمة ، فندب الناس إلى الخروج إليها ، فسمع أبو سفيان من بعض الركبان باستنفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس له ، فاستأجر رجلا ليذهب إلى مكة فيخبر قريشا بذلك ويستنفرهم إلى أموالهم ، فخرج الرجل إلى مكة وأعلمهم الخبر ، فجهز الناس سراعا ؛ ثم كانت وقعة بدر التي نصر الله فيها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

(٢) كذا في نسخ الرسالة التي بين أيدينا . وفي الأصل : « وانجزأت » ولم تقف عليه فيما راجعناه من كتب اللغة . وأحد : جبل أحمر ليس بذي شناخيبي — والشناخيبي : رهوس الجبال — بينه وبين المدينة قرابة ميل شمالها ؛ وعنده كانت وقعة أحد التي قتل فيها كثير من المسلمين ، وقتل فيها حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم . وقد أشار ابن زيدون بهذه العبارة إلى انخزال عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين بثلث الناس في هذا اليوم ، وتركه لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه . انظر تفصيل ذلك في كتب السيرة .

(٣) أشار بهذه العبارة إلى غزوه صلى الله عليه وسلم لبني قريظة ؛ وذلك أنه لما انصرف من غزوة الخندق ووضع المسلمون سلاحهم ، أمره الله تعالى بغزو بني قريظة ، فقال لأصحابه : « لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة » وسار معه أصحابه ، فحاء وقت العصر وهم في الطريق ، فصلاه جماعة منهم حملا لأمره صلى الله عليه وسلم على قصد السرعة ، وصلاه الباكون بعد مضى وقتها في بني قريظة حملا للأمر على حقيقته ، فلم يعنف رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا منهم على عمله ، ثم حاصروا عدوهم خمسة وعشرين يوما حتى نزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم .

(٤) أشار بهذه العبارة إلى حديث الإفك الذي رميت به أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها من بعض المنافقين ، وقد ذكره الله تعالى في سورة النور فقال : « إن الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم » الآية .

(٥) كذا في الأصل ؛ وفي اللسان مادة «أبي» ما يفيد صحة تعدية هذا الفعل بـ«عن» حكى ابن سيدة عن الفارسي أنه يقال «أبي زيد من شرب الماء» والذي في نسخ الرسالة «وأقتت» . وأشار بهذه العبارة إلى ما كان قبل وفاته صلى الله عليه وسلم من تأميره أسامة بن زيد بن حارثة على جيش لقتال الروم ، وكان في هذا الجيش كبار المهاجرين الأولين كابي بكر وعمر وأبي عبيدة ، فانتقد جماعة إمرة أسامة على هذا الجيش وفيه أمثال هؤلاء ، وهو شاب لم يبلغ سبع عشرة من عمره ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قول هؤلاء ، فغضب غضبا شديدا وخرج فقال : أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ، ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله ، وإيم الله إنه كان خليقا بالإمارة ، وإن ابنه من بعده لخليق بها .

وزعمت أن خلافة أبي بكر كانت فلانة ^(١) * ورويت رحي من كتيبة خالد * ^(٢) ومزقت
الأديم الذي باركت يد الله فيه ، ^(٣) وضخيت بالأسشط الذي عنوان السجود به ، ^(٤) وكتبت
الى عمر بن سعد [أن] ^(٥) جمع بالحسين ، وبذلت لقطام .

- (١) يشير بهذه العبارة الى ما ورد في كلام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه — وقد بلغه في آخر
هجة حجة أن قوما يقولون : لو مات أمير المؤمنين لنبايعن فلانا ، نخشى عمر أن يكون في هذا إضعاف لبيعة
الناس ، فلما قدم المدينة خطب في الناس وجاء في خطبته قوله : وقد بلغنى أن قانلا يقول لو مات عمر
بايعت فلانا ، فلا يفترن امرؤ منكم أن يقول : كانت بيعة أبي بكر فلانة ؛ وليس فيكم من يقطع الأعناق
مثل أبي بكر ؛ وإنه كان من خيرنا الخ ما أورده الصدقى في تمام المتون من هذه الخطبة . رواه يونس
ابن يزيد عن الزهرى مطولا وزاد فيه : قال عمر فلا يفترن امرؤ منكم أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلانة
فتمت فإنها قد كانت كذلك إلا أن الله وقى شرها . (٢) هذا صدر بيت لأبي شجرة السلبى ، وتامه :
١٠ * واني لأرجو بعدها أن أعمر * وسبب هذا الشعر أن خالد بن الوليد رضى الله عنه لما فرغ من قتال
بنى حنيفة في حرب الردة انحدر بمن معه الى بنى سليم ، وسمعت بنو سليم بذلك فاجتمعوا لقتاله ، واستجلبوا
من يق من العرب مرندا ، وكان الذى يجمعهم أبو شجرة بن عبد العزى المتقدم ؛ فقاتلهم خالد حتى هزمهم ،
وكان أبو شجرة هذا قد أصاب في هذا اليوم من المسلمين ؛ فقال هذا الشعر الذى منه البيت السابق .
- (٣) يشير بهذه العبارة الى قول الشاعر في رثاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه :
١٥ جزي الله خير من امام وباركت * يد الله في ذلك الأديم المنزق .

(٤) يشير بهذه العبارة الى قول حسان بن ثابت يرثى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهما :

ضحوا بأششط عنوان الوجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

- (٥) جمع من الجمعجة : وهى الحبس والتضييق . يشير بهذه العبارة الى قصة قتل الحسين بن على
رضى الله عنهما ، وذلك أنه لما خرج الحسين رضى الله تعالى عنه الى الكوفة بأشارة من أهلها ليبايعوه
٢٠ بالخلافة فى مدة يزيد بن معاوية نذب ابن زياد لقتاله عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فقال الحسين لعمر :
إختر منى إحدى ثلاث : إما تركنى أرجع ، أو سيرتنى الى يزيد فأضع يدي فى يده فيحك فى ما يرى ،
فإن أبيت فسيرنى الى الترك أقاتلهم حتى أموت ؛ فأرسل عمر بذلك الى ابن زياد ، فهم أن يسيره الى يزيد
فقال بعض من حضر : لا أيها الأمير حتى ينزل على حكك ، فابى الحسين ذلك ، فكتب عبيد الله بن زياد
الى عمر : أن جمع بالحسين انظر تفصيل ذلك فى كتب التاريخ ؛ وكان قتل الحسين رضى الله تعالى عنه
٢٠ فى سنة إحدى وستين كما فى شذور العقود لابن الجوزى المحفوظ منه فى دار الكتب المصرية نسخة مأخوذة
بالتصوير الشمسى تحت رقم ٩٩٤ تاريخ .

(١) ثلاثة آلاف وععبدا وقينة * وضرب على بالحسام المخدّم
وتمتلت عند ما بلغني من وقعة الحرة :

ليت أشياخي ببدر شهدوا * جرع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرن من أشياخهم * وعدلناه ببدر فاعتدل

و رجعت الكعبة ، وصليت العائذ بها على الثنية ؛ لكان فيما جرى على ما يحتمل
أن يُسمى نكالا ، ويدعى ولو على المجاز عقابا .

وحسبك من حادثٍ بامرئ * يرى حاسديه له راحينا

(١) المخدّم : اسم فاعل من خدّمه بتشديد الذال أى قطعه . وفي تمام المتن : « المسمم » ، والمعنى
يستقيم على كلتا الروايتين . وقائل هذا البيت عبد الرحمن بن ملجم قاتل على كرم الله وجهه . وقطام التي
أرادها : امرأة بالكوفة كانت جميلة راتقة ، وأراد ابن ملجم التزوج منها ، فشرطت عليه أن يكون صداقتها
ثلاثة آلاف وععبدا وجارية وقتل على بن أبى طالب ، فقبل ذلك ابن ملجم وقال الشعر الذى منه هذا البيت ،
وبعدده :

فلا مهر أغلى من على وإن غلا * ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم .

(٢) أراد حرة واقم ، إحدى حرق المدينة ، وهى الشرقية ، وبها كانت وقعة الحرة المشهورة فى سنة
ثلاث وستين ؛ وذلك أن أهل المدينة دخلوا يزيد بن معاوية وطرّدوا عامله ، وحاصروا بنى أمية بالمدينة ،
فبعث إليهم يزيد بالجنود بقيادة مسلم بن عقبة ، فقتل رجالهم ، واستباح أموالهم وأعراضهم ، ثم أخذ البيعة
منهم ليزيد .

(٣) الأسل : الرماح . وقائل هذا الشعر عبد الله بن الزبيرى .

(٤) القرن من القوم : سيدهم .

(٥) عدلناه ببدر فاعتدل ، أى قومناه به فاستقام انظر تاج العروس مادة « عدل » .

(٦) أشار بهذه العبارة والتي بعدها الى ما صنعه الحجاج بعبد الله بن الزبير وأصحابه ؛ وذلك أنه
فى سنة أربع وستين بربيع ابن الزبير بالخلافة وانتظم فى بيعته الحجاز واليمن ومصر والعراق وخراسان ، فضاقت
بذلك عبد الملك بن مروان فندب الحجاج بن يوسف لقتاله ، فسار اليه بمكة ، ونصب المجانيق على أبى قيس ،
وظل الحصار سنة أشهر وسبعة عشر ليلة ، وقتل عبد الله بن الزبير فى هذه الوقعة بمحجر من هذه المجانيق
وكان قتله فى سنة ثلاث وسبعين ثم صلبه الحجاج بعد قتله على الثنية ، وظل مصلوبا سنة كاملة ثم أنزله .

فكيف ولا ذنب إلا نيممةً أهداها كاشحاً، ونبأ جاء به فاسق، والله ما عَشَشْتُكَ
 بعد النصيحة، ولا أنحرفتُ عنك بعد الصاغية، ولا نصبتُ لك بعد التشيع فيك،
 ففيم عيبتُ الجفأ بأذمتي، وعاثت في مودتي؟ وأتت غلبي المغلب، ونخرت على الضعيف،
 ولطمتني غير ذات سوار؟ ومالك لم تمنع مني قبل أن أفترس، وتدركني ولما أضرق،
 [أم كيف لا تتضرم جوائح الأكفء حسداً لي على الخصوص بك، وتنتقطع أنفاسُ

- (١) قال الصفدي في تمام المتن ص ١٨٣ ما نصه : والصاغية كأنها مصدر صغي يصغو صغوا
 وصاغية . ولم تقف على هذا المصدر فيما راجعناه من كتب اللغة . والمراد بالصاغية هنا : الميل .
- (٢) نصب له : عاداه . وأشار بهذه العبارة الى فرقة الناصبة : وهم المنحرفون عن علي بن أبي طالب
 رضی الله تعالى عنه ، وإلى الشيعة ، وهم المتمون اليه .
- (٣) كذا في الأصل . وعبارة نسخ الرسالة : «وعاثت العقوق في مواتي» ؛ والمعنى يستقيم على كلتا
 الروايتين . والموات بتشديد التاء : جمع مائة : وهي الحرمة والوسيلة .
- (٤) عبارة نسخ الرسالة : «ونخرت على العاجز الضعيف» . وأشار بهذه العبارة والتي قبلها الى بيت امرئ
 القيس ، وهو :
- وإنك لم يفخر عليك كفاخر * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب
 يريد أن أشد ما على الانسان أن يفخر عليه ضعيف ويغلبه مغلوب .
- (٥) يشير بهذه العبارة الى المثل القائل : «لو ذات سوار لطمتني» ويعنون بذات السوار، الحرمة،
 لأن العرب كانت قهلاً تلبس الإماء السوار ؛ ويروى : «لو غير ذات سوار» . ويريد ابن زيدون
 بهذه العبارة : لو أتت أهدنت من هو كفف لي في الشرف والمنزلة لكان علي ، ولكن سعي بي من هو دوني ،
 ونال مني من لا يناظرني في شرف ولا منزلة .
- (٦) يشير بهذا إلى قول الشاعر :
- فإن كنت ما كولا فكن خير آكل * وإلا فأدركني ولما امرق
 وقد تمثل به عثمان بن عفان رضی الله عنه يوم الدار في كتاب بعث به الى علي بن أبي طالب يستنجده على
 من حاصره .
- (٧) هاتان العبارتان لم تردا في الأصل ؛ وقد نقلناهما عن نسخ الرسالة .

النَّظْرَاءُ مَنْفَسَةٌ فِي الْكَرَامَةِ عَلَيْكَ [وَقَدْ زَانِي أَسْمُ خِدْمَتِكَ ، [وَزَهَانِي وَسَمُّ نِعْمَتِكَ]^(١)
وَأَبْلَيْتُ [الْبَلَاءُ] الْجَمِيلُ فِي سِمَاطِكَ ، وَقَمْتُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ عَلَى لِسَاطِكَ .

أَسْتُ الْمُوَالِي فِيكَ نَظْمَ قِصَائِدٍ * هِيَ الْأُنْجُمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجُمًا^(٢)
وَهَلْ لَيْسَ الصَّبَاحُ إِلَّا بُرْدًا طَرَزْتَهُ بِجَامِدِكَ ، وَتَقَلَّدْتَ الْجَوَازِءَ إِلَّا عَقْدًا فَصَلَّتُهُ
بِمَاثْرِكَ ، وَبَتَّ الْمَسْكَ إِلَّا حَدِيثًا أذَعْتَهُ بِمَفَاخِرِكَ ؛ " مَا يَوْمٌ حَلِيمَةٌ بِسِرِّ " وَحَاشَ لِلَّهِ^(٣)
أَنْ أَعُدَّ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ ، وَأَكُونَ كَالذُّبَالَةِ الْمَنْصُوبَةِ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ .

وَفِي فَصْلِ مِنْهُ : وَلَعَمْرِي مَا جَهَلْتُ [أَنْ] الرَّأْيَ فِي أَنْ أَتَحَوَّلَ إِذَا بَلَّغْتَنِي^(٤)
الشَّمْسُ ، وَبَنَى الْمَنْزَلَ ، وَأَضْرَبَ عَنِ الْمَطَامِعِ الَّتِي تَقَطُّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ ، وَلَا
أَسْتَوِطِعُ الْعِجْزَ فَيُضْرَبُ بِي الْمَثَلُ : " خَامِرِي أُمَّ عَامِر " وَإِنِّي مَعَ الْمَعْرِفَةِ بِأَنَّ الْجَلَاءَ^(٥)

١٠

(١) لم ترد هذه العبارة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن نسخ الرسالة .

(٢) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن نسخ الرسالة .

(٣) في الأصل : « من » والسياق يقتضي ما أثبتنا كما في نسخ الرسالة . والسماط : الصف .

(٤) البيت للبحرئى من قصيدة يعاتب فيها الفتح بن خاقان .

(٥) كذا في النسخ التي بين أيدينا لهذه الرسالة . والذي في الأصل : « أضعته » بالضاد المعجمة ،

وهو تحريف .

(٦) هو مثل يضرب لكل أمر متعارف . مشهور ، ويضرب أيضا للشريف النابه الذكر ؛ والمراد هنا
الأول ، وحليمة : هي بنت الحارث بن أبي شمر ؛ وكان أبوها قد وجه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء ، فأخرجت
لهم طيبا من ممرن فطيبتهم ؛ وهذا اليوم من أشهر أيام العرب .

(٧) كذا في النسخة لابن بسام المحفوظ منها بعض أجزاء مخطوطة بدارالكتب المصرية تحت رقم
٢٣٤٧ أدب ؛ والذي في الأصل : « ما جهلت الرأي » بدون « أن » . ويشير بهذه العبارة إلى قول
أبي تمام من قصيدة وجه بها إلى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتمد :

وإن صريح الرأي والحزم لامرئ * إذا بلغته الشمس أنف تخجولا

(٨) أم عامر : كنية الضبع ، ويقال لها : أم عمرو أيضا . وهذا المثل يضرب لمن عرف الدنيا
في نقضها عقود الأمور بياراد البلاء عقيب الرخاء ، ثم يسكن إليها مع ما علم من عاداتها ، كما تغير الضبع بقول
القاتل : " خامري أم عامر " وهي عبارة يقولها من أراد أن يصيدها لتطمئن إليه ؛ ومعناها : استترى
والجنى إلى أقصى مغارك .

١٠

١٥

٢٠

٢٥

(١) سِباءً، والثقلَة مثله، لَعَارِفٌ أَنْ الأَدَبَ الوَطْنَ الذِي لَا يُخْشَى فِرَاقَهُ، وَالخَاطِطُ الَّذِي
 لَا يُتَوَقَّعُ زَوَالُهُ؛ وَالنَّسَبُ الَّذِي لَا يُجْفَى، [وَالجَمَالَ] الذِي لَا يُخْفَى؛ ثُمَّ مَا قَرَأَ السَّعِدُ
 لِلكَوَاكِبِ أِبْهَى آثَرًا، وَلَا أَسْنَى خَطَرًا، مِنْ اقْتِرَانِ غِنَى النَفْسِ بِهِ، وَانْتِظَامِهَا نَسَقًا
 مَعَهُ؛ فَإِنَّ الخَائِزَ لَهَا، الضَّارِبَ بِسَهْمٍ فِيهِمَا - وَقَلِيلٌ مَا هُمْ - [أَيَّمَا تَوَجَّهَ وَرَدَ مَنَهَلَ
 بَرٍّ، وَحَطَّ فِي جَنَابِ قَبُولٍ، وَضُوحَكَ قَبِيلَ إِزَالِ رَحْلِهِ، وَأَعْطَى حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ
 وَقِيلَ لَهُ: أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا * فَهَذَا مَبِيتٌ صَالِحٌ وَصَدِيقٌ

غَيْرَ أَنَّ المَوْطَنَ مَحْبُوبٌ، وَالمَنْشَأَ مَأْلُوفٌ؛ وَاللِّيبُ يَجَنُّ إِلَى وَطْنِهِ، [حَنِينَ
 النَجِيبِ إِلَى عَطْنِهِ]؛ وَالكَرِيمُ لَا يَجْفُو أَرْضًا فِيهَا قَوَابِلُهُ، وَلَا يَنْسَى بِلَادًا فِيهِ
 مَرَاضِعُهُ؛ وَأُنشِدُ قَوْلَ الأَوَّلِ:

أَحَبُّ بِلَادِ اللهِ مَا بَيْنَ مَنَعِجٍ * إِلَى وَسَامِي أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا

- (١) الجلاء: الخروج عن الموطن. والسبأ: الأمر.
- (٢) في الأصل: «لا يجنى» وهو تحريف، والتصويب عن نسخ الرسالة.
- (٣) في تمام المتون: «زياله» والزوال بكسر أوله: الفراق.
- (٤) في بعض النسخ: «والنسب» والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين.
- (٥) لم ترد هذه التكلفة في الأصل ولا في الذخيرة لابن بسام؛ وقد أثبتناها عن بعض نسخ الرسالة.
- (٦) كذا في نسخ الرسالة؛ والذي في الأصل: «وحق» بالقاف.
- (٧) يشير بهذا إلى قول عمرو بن الأهمم، وقيل حاتم الطائي:
- أضاحك ضيفي قبل إزال رحله * ويخضب عندي والزمان جديب
- (٨) لم ترد هذه العبارة في الأصل، وقد أثبتناها عن نسخ الرسالة.
- (٩) منعج: هو واد يأخذ بين حفر أبي موسى والنباج؛ ويدفع في بطن فلج. (يا قوت) وسلهى:
- جبل لعلى شرق المدينة، وغريبه واد يقال له: «رك» به نخل وآبار مطوية بالصخر، وبحافته
 جبلان أحمران، وأعلاه برقة انظر تاج العروس مادة «سلم».

بلادها عرق الشباب تسمى * وأقول أرض مس جلدى ترأبها^(١)
 هذا إلى مغالاتي في تعلق جوارك^(٢)، ومناقستي في الحظ من قربك، وأعتقادي أن
 الطمع في غيرك طبع^(٣)، والغنى من سواك عناء، والبدل منك أعور، والِعوض لَفَاء^(٤) .
 وإذا نظرتُ إلى أميري زادني * ضناً به نظري إلى الأمراء^(٥)
 «كل الصيد في جوف الفرا» و«في كل شجر نار، وأستجد المرخ والعفار»^(٦)؛
 فما هذه البراءة ممن تولاك، والميلُ عنَّ يميل إليك؟ وهلا كان هواك فيمن هواه
 فيك، ورضاك لمن رضاه لك؟

(١) كذا في الأصل والذخيرة لابن بسام وغيرهما من نسخ الرسالة؛ ورواه يا قوت في معجمه :
 « حل » ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين . وذكر يا قوت ان هاتين البيتين لبعض الأعراب ولم يعينه .
 (٢) في بعض نسخ الرسالة « إلى مغالاتي بعقد » والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين ؛ والمغلاة في الشيء .
 إغلاؤه .

(٣) الطمع : الدنس .

(٤) ذكر الصفدي في تمام المتن ان أصل هذه العبارة أن يزيد بن المهلب لما صرف عن ولاية
 نراسان بقتيبة بن مسلم الباهلي وكان شحيحا وشيخا أعور ، قال الناس : هذا بدل أعور . وفي الأصل :
 « اعواز » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « لقاء » بالقاف المثناة ، وهو تصحيف . واللقاء بالفاء الموحدة : التراب
 أو الشيء القليل ، أو هو ما دون الحق

(٦) ذكر الصفدي أن هذا البيت لهدى بن الرقاع .

(٧) المرخ : من العضاء ، وهو ينفرش ويطول في السماء حتى يستظل فيه ، وليس له ورق ولا شوك ،
 ومنه يكون الزناد الذي يقتدح به ؛ والواحد مرخة . والعفار : شجرة تشبه شجرة الغبيراء الصغيرة ، ونورها
 كنورها ، وهو شجر خوار ، ولذلك جاد للزناد ، والعرب تضرب بالمرخ والعفار المشل في الشرف وعلق
 المنزلة ، فيقولون : « في كل شجر نار ، وأستجد المرخ والعفار » وفي القاموس مادة « مجد » ان معنى
 قولهم : « استجد المرخ والعفار » آستكثرنا من النار .

(١) يا من يعز علينا أن نفارقهم * وجدأنا كل شيء بعدكم عدم
 أعيدك ونفسي من أن أشيم خلبا ، وأستطر جهاما ، وأكدم غير مكدم ، وأشكو
 شكوى الجريح إلى العقبان والرحم ؛ وإنما أبست لك لتدتر ، وحركت لك الحوار^(٥)
 لتحن ، وسريت لك ليحمد المسرى إليك ؛ بعد اليقين من أنك إن شئت عقد أمرى^(٦)
 تيسر ، ومتى أعدرت في فك أسرى لم يتعدر ؛ وعلمك يمحيط بأن المعروف ثمره^(٨)
 النعمة ، والشفاعة زكاة المروعة ، وفضل الجاه تعود به صدقة .

(٩) وإذا أمرؤ أسدى إليك صنيعه * من جاهه فكانها من ماله
 لعلى ألقى العصا بذراك ، وتستقر بي النوى في ظلك ، فتستد جنى شكرى من^(١٠)
 غرس عارفتك ، وتستطيب عرف ثنائى من روض صنيعتك ؛ وأستأنف التأدب

- ١٠ (١) فى الأصل : « يا من لا يعز » و « لا » زيادة من الناصح يحنل بها الوزن والمعنى ؛ وهذا البيت لأبى الطيب المتنبى .
- (٢) فى الأصل : « ممن » ؛ وهو تحريف .
- (٣) الجهام : السحاب لا ماء فيه .
- (٤) الإساس : ان يقال للناقة عند حلبها : بس بس بضم الباء وتشديد السين تسكينها . والمراد بهذه العبارة التى بعدها انه قد استعطفه بالكلام ولاينه فى الخطاب ليعطف عليه ويلين له .
- ١٥ (٥) يشير بهذه العبارة الى قولهم فى المثل : « حرك لها حوارها تحن » والحوار : ولد الناقة ، ولا يزال حوارا حتى يفصل ؛ ويضرب هذا المثل فى تذكيرك المرء بعض أشجانه ليهتاج .
- (٦) كذا فى تمام المتون ؛ والذى فى الأصل : « اليك » ولم تنبها مع صحتها لحصول التكرار بها مع ما بعدها .
- ٢٠ (٧) يشير بهذه العبارة الى قولهم : « عند الصباح يحمد القوم السرى » وهو مثل يضرب للرجل يحنل المشقة لأجل الراحة .
- (٨) فى الأصل : « أمرى » بالميم ؛ وهو تحريف .
- (٩) البيت لأبى تمام من قصيدة كتب بها الى إسحاق بن ربيعى كاتب أبى دلف .
- (١٠) بذراك ؛ يقال : فلان فى ذرا فلان أى فى كنفه وظله .

(١) بَأَدَبِكَ ، وَالْأَحْتِمَالِ عَلَى مَذْهَبِكَ ؛ فَلَا أُوجِدُ لِلْحَاسِدِ مَجَالَ لِحِظَةٍ ، وَلَا أَدَعُ لِلْقَادِحِ مَسَاحَ لَفْظَةٍ ؛ وَاللَّهُ مَيَّسِرٌ (٢) مِنْ إِبْرَاهِيمَ هَذِهِ الطَّلِبَةُ ، وَإِشْكَائِي (٤) مِنْ هَذِهِ الشُّكْوَى لِصَنِيْعَةٍ تَصِيْبُ بِهَا طَرِيقَ الْمَصْنَعِ ، وَيَدٌ تَسْتَوْدِعُهَا أَحْفَظُ مُسْتَوْدَعٍ ؛ حَسْبَمَا أَنْتَ خَلِيقٌ لَهُ ، وَأَنَا مِنْكَ حَرِيٌّ بِهِ ؛ فَذَلِكَ بِيَدِهِ ، وَهَيْنَ عَلَيْهِ . وَشَفَعَهَا بِأَبْيَاتِ فَقَالَ :

الهوى في طُلُوعِ تِلْكَ النُّجُومِ * وَالْمَنَى فِي هُبُوبِ ذَاكَ النِّسِيمِ
سَرَّتْنَا عَيْشُنَا الرِّيقُ الْحَوَاشِي * لَوْ يَدُومُ السَّرُورُ لِلْمُسْتَدِيمِ
وَطَرٌّ مَا آتَقَضَى إِلَى أَنْ تَقَضَى * زَمَنٌ مَا ذِمَامُهُ بِالذَّمِّيمِ
زَارَ مُسْتَخْفِيًا وَهِيَاثَ أَنْ يَخُ * نَفَى الْبَدْرُ فِي الظُّلَامِ الْبَهِيمِ
قَوَّشَى الْحَلِيَّ إِذْ مَشَى وَهَفَا الطَّيْدُ * سُبُّ إِلَى حَيْثُ كَاثَبٌ بِالْتَّمِيمِ
أَيُّهَا الْمُؤَذِّنِي بظلم الليالي * لَيْسَ يَوْمِي بِوَاحِدٍ مِنْ ظَلُومِ (٦)

(١) كذا في بعض نسخ الرسالة . وفي الأصل : « التأدب بك » .

(٢) في الأصل : « مسيرك » بتقديم السين على الباء ؛ وما أمثناه هو المناسب لقوله فيما يأتي :
« لصنيفة » .

(٣) الإطلاب : مصدر أطلبه إذا أعطاه ما يطلب ؛ يقال طلبت منه كذا فأطلبني إياه ، أي أسعفني بقضائه . والطلبه بكسر اللام : الحاجة . وعبارة الأصل : « من هذه الطلبة » ؛ وقوله : « من » زيادة من الناسخ ؛ فإن « أطلب » من الأفعال التي تعدى بنفسها ؛ ولم تقف على تعديته بالحرف انظر اللسان وغيره من كتب اللغة .

(٤) الإشكاء : مصدر أشكيت إذا أزلت شكايته .

(٥) في الأصل : « وجرى » ؛ والتصويب عن الذخيرة لابن بسام المحفوظ منها بعض أجزاء مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٣٤٧ أدب .

(٦) في الأصل : « بواجده » بالجم المعجمة ؛ وهو تحريف ؛ يريد أن اليوم الذي أودى فيه ونكب ليس هو الوحيد من دهر ظلوم .

ما ترى البدر إن تأملت والشمس * س هـا يُكسِفان دون النجوم^(١)
وهو الدهر ليس ينفك نحو * بالمصاب العظيم نحو العظيم
بوا لله جهورا أشرف السؤدد^(٢) في السر واللباب الصميم
واحد سلم الجميع له الفضل * بل وكان الخصوص وفق العموم
قلد الغمر ذا التجارب فيه^(٣) * وأكتفى جاهل بعلم عليم

(١٠٧)

ومنها في ذكر اعتقاله :

سقم لا أعاد منه وفي الع * مائد أنس ينفى بيرة السقيم
نار بغني سرت إلى جنة الأرز * ض بيانا فأصبحت كالصريم
بأبي أنت إن تشأتك بردا^(٤) * وسلاما كنار إبراهيم
للشفيع الشفاء^(٥) ، والحمد في صو * ب الحيا للرياح لا للغيوم

١٠

ثم قال : هاكها أعزك الله يبسطها الأمل ، ويقبضها النجل ، لها ذنب التقصير ،
وحرمة الإخلاص ، فهب ذنبا حرمة ، وأشفع نعمة بنعمة ، لتأتي الإحسان من جهاته ،
وتسلك الفضل من طرقاته ، إن شاء الله تعالى .

(١) في الأصل : « كما » وهو تحريف .

(٢) الغمر يفتح أوله وضه : الجاهل الذي لم يجرب الأمور .

(٣) في الأصل : « والتجارب » ؛ والتصويب عن بعض نسخ الرسالة إذ به يستقيم المعنى .

(٤) في الأصل : « تشابك » ؛ وفي نسخ الرسالة : « أن لشانك » ؛ وكلاهما تحريف لا يظهر له

معنى ؛ ولم يرد هذا البيت في الذخيرة ضمن هذه القصيدة .

(٥) في الأصل : « العني » وهو تحريف ، والتصويب عن بعض نسخ الرسالة .

١٥

ومن كلام أبي عبد الله محمد بن أبي الخصال من جواب لابن
بسام - وكان قد كتب إليه يسأله إنفاذ بعض رسائله ليضمها كتابه الذي ترجمه
بالذخيرة، فكتب :

وَصَلَّ مِنَ السَّيِّدِ الْمُسْتَرِقِّ ، وَالْمَالِكِ الْمُسْتَحَقِّ - وَصَلَّ اللَّهُ أَنْعَمَهُ لَدَيْهِ ،
كَمَا قَصَرَ الْفَضْلَ عَلَيْهِ - كِتَابُهُ الْبَلِيغُ ، وَأَسْتَدْرَاجُهُ الْمَرِيغُ ؛ فَلَوْلَا أَنْ يَصِلِدَ زَنْدُ^(١)
أَقْتِدَاحِهِ ، وَيُرِدَّ طَرْفُ افْتِتَاحِهِ ؛ وَتُقْبَضَ يَدُ أَنْبَسَاطِهِ ، وَتُعْبَنَ صَفْقَةُ اغْتِبَاطِهِ ؛
لِلزَّمْتُ مَعَهُ قُدْرِي ، وَضَمَّنْتُ بِسْرَهُ صَدْرِي ؛ لَكِنَّهُ بِنَفْثَةِ سِحْرِهِ يَسْتَنْزِلُ الْعَصْمَ فَتَجَنَّبُ ،
وَيَقْتَادُ الصَّعْبَ فَيُصْحَبُ ، وَيَسْتَدِرُّ الصَّخُورَ فَتُحَلَبُ ؛ وَلَمَّا جَاءَنِي كِتَابُ آبْتِدَاحِهِ ،
وَقَرَّعَ سَمْعِي نِدَاةً ؛ فَرِزْتُ إِلَى الْفِكْرِ ، وَخَفَقَ الْقَلْبُ بَيْنَ الْأَمْنِ وَالْحَدَرِ ؛ فَطَارَدْتُ مِنْ
الْفَقْرِ أَوْ أَبَدَ قَفْرًا ، وَشَوَارِدَ عَفْرًا ، تَغْيِرُ فِي وَجْهِ سَائِقِيهَا ، وَلَا يَتَوَجَّهُ الْمَلْحَقُ إِلَى وَجْهِهَا^(٢)
وَلَا حَقِيهَا ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّهَا الْإِهَابَةُ وَالْمَهَابَةُ ، وَالْإِجَابَةُ وَالْأَسْتِرَابَةُ ؛ حَتَّى أَيَّاسْتَنِي الْخَوَاطِرُ ،^(٣)

(١) في الأصل : " المريع " بالعين المهملة ؛ وهو تحريف ؛ والمرغ : المخادع .

(٢) صلد الزند يصلد بكسر اللام : صوت ولم يخرج نارا .

(٣) العصم : جمع أعصم ، وهو الوعل الذي في ذراعيه بياض ؛ يقال : هو يستنزله العصم بلفظه ،
أى يذلل الصعاب بسحر منطقته وحسن حديثه . وتجنَّب : أى تنقاد ؛ يقال : جنبت الفرس إذا قدته
إلى جنبك فهو جنب ومجنوب .

(٤) في كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب : « فرغت » بالعين المعجمة والراء ؛ والمعنى يستقيم
عليه أيضا .

(٥) كذا في كتاب المعجب ص ١٢٥ طبع ليدن . وتغير من الاغبار ، وهو إمارة الغبار . وفي الأصل :
« تعز » ؛ وفيه نقص وتصحيف .

(٦) الوجيه ولاحق : اسم فرسين نجيبين من خيل العرب ؛ ونقل صاحب تاج العروس عن ابن الكلبي
مادة « وجه » أنهما كانا لغتي بن أعصر .

(١) وأخلفتني المَوَاطِرُ ، إلا زبرجا يعقُبُ جوادا ، وبهرجا لا يَحْتَمِلُ انتقادا ؛ [وأنى
 لمثلِي والقريحَةُ مُرْجَاةٌ (٢) والبضاعةُ مُرْجَاةٌ ؛ براءة الخطاب ، وبراءة الكتاب ، ولولا
 دروسُ معالمِ البيانِ ، واستيلاءُ العَفَاءِ على هذا اللسانِ ؛ ما فاز لمثلِي فيه قِدْحٌ ،
 ولا تَحَصَّلَ لِي في سوقه رِنْحٌ ؛ ولكنه جوُّ خالٍ ، ومِضْمَارٌ جُهَالٌ ؛ وأنا أعزك الله
 أربأً بقدر الذخيرة ، عن هذه التَّفِ الأخرية ؛ وأرى أنها قد بلغت مداها ، واستوفت
 حُلاها ؛ وإنما أخشِي القِدْحَ في اختيارِك ، والإخلالَ بمختارِك ؛ وعذرا اليك —
 أيدك الله — فإني خَطَطْتُ والنومُ مغازلٍ ، والقُرُ نازلٍ ؛ والريحُ تلعب بالسراجِ ،
 وتصول عليه صولةً المَحْجَاجِ .

ثم أخذ في وصف السراج كما ذكرناه في الباب الرابع من القسم الثاني من الفن

١٠ الأول في السفر الأول من هذا الكتاب .

ومن كلام الوزير الفقيه أبي القاسم محمد بن عبد الله بن الجَدِّ (٤) ،

من رسالة خاطب بها ذا الوزارتين أبا بكر المعروف بابن القصيرة — وقد قربت
 بينهما المسافة ولم يتفق اجتماعهما — :

لم أزل — أعزك الله — استتزل قربك براحة الوهم ، عن ساحة النجم ؛

١٥ وَأَنْصِبُ لَكَ شَرَكَ الْمَنِيِّ ، فِي حُلْسِ الْكُرَى ، وَأَعْلَلُّ فِيهِ نَفْسَ الْأَمَلِ ، بِضَرْبِ
 سَابِقِ الْمَثَلِ :

(١) المراد بالزبرج هنا : السحاب الرقيق الذي لا ماء فيه .

(٢) لم ترد هذه العبارة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن كتاب المعجب ص ١٢٥ طبع ليدن . ومرجاة :

من الإرجاء ، وهو التأخير .

٢٠ (٣) كذا في المعجب ؛ والذي في الأصل : « والاختلا » ؛ وهو تحريف .

(٤) كذا ضبط هذا الاسم بالقلم في المعجب ص ١٢٤ طبع ليدن .

(٥) في الأصل : « الكرم » ؛ وهو تحريف .

ما أقدر الله أن يُدنى على شحط * من داره الحزن من داره صول^(١)

فما ظنك به وقد نزل على مسافة يوم [وطلما نفر عن حباله نوم] ، ودنا حتى هم^(٢)
 بالسلام ، وقد كان من خدع الأحلام ، وناهيك من ظمئ^(٣) وقد حمت حول المورد الخصر ،
 وذمت الرشاء بالقصر ، ووقف بي ناهض القدر ، وقفة العير بين الورد والصدر ،
 فهلا وصل ذلك الأمل بباع ، وسمح الزمن باجتماع ، وطويت بيننا رقعة الأميال ،
 كما زويت مراحل أيام وليال ، وما كان على الأيام لو غفلت قليلا ، حتى أشفى بقلانك^(٤)
 غيلا ، وأنتسم من روح مشاهدتك نفسا بديلا ، ولئن أقعدتني بعوائقها عن لقاء حر ،
 وقضاء بر ، وسفر قريب ، وظفر غريب ، فما تحيقت^(٥) ودادي ، ولا ارتسقت^(٦) مدادي ،
 ولا غاضت كلامي ، ولا أحفت أقالمي ، وحسبي بلسان النبيل رسولا ، وكفى بوصوله^(٧)
 أملا وسولا ، ففي الكتاب بلغة الوطر ، ويسندل على العين بالأثر ، على أنى إنما^(٨)
 وحيث وحي المشير باليسير ، وأحلت فهمك على المسطور في الضمير ، وإن فرغت
 للمراجعة ولو بحرف ، أو لمحة طرف ، وصلت صديقا ، وبللت ريقا ، وأسديت يدا ،
 وشقيت صدى ، لا زالت أياديك بيضا ، وجاهك عمريضا ، ولياليك أسحارا ،
 ومساعيك أنوارا .

١٠٨

- ١٥ (١) الحزن : بلاد بني يربوع ، وهي أطيب البادية مرعى . وصول : مدينة في بلاد الخزر في نواحي
 باب الأبواب . (٢) لم ترد هذه العبارة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الذخيرة ليم بها السجع
 الذي التزمه الكاتب فيما أثبت هنا من رسالته . (٣) يقال : ناهيك من كذا بمعنى حسبك ، أى أنه
 غاية تنهاك عن طلب غيره . (٤) الرشاء : الحبل ؛ يريد بهذه العبارة تشبيه حاله في المقاربة وعدم
 استطاعة اللقاء بجبل الدلو الذي يقارب الماء ولا يصل إليه لقصره . (٥) عبارة الأصل : « على
 رويت مراحم » وهو تحريف . (٦) يقال : تحيقت الشيء ، أى تنقصته من نواحيه .
 ٢٠ (٧) في الأصل : « اقدمى » بالبدال ؛ وهو تحريف . (٨) يريد بلسان النبيل ، كتابه إليه .
 (٩) الوحي : الكتابة أو الإشارة .

ومن كلام أبي عبد الله محمد بن الحليّاط من رُقعةٍ طويلةٍ
الى الحاجب المظفر، أولها :

- حجّب الله عن الحاجب المظفر أعين الناثبات، وقبض دونه أيدي الحادثات .
وجاء منها : ورد له كتاب كريم جعلته عوض يده البيضاء فقبلته ، ومحتّه بدل
عُمرته الغراء فأجلتته ؛ كتاب ألقى عليه الخبر حبه ، وأهدى اليه السحر فقره ؛ أنذر^(٢)
بلوغ المنى ، وبشر بمحصول الغنى ؛ تحيّر له البيان فطبّق مَفصّله ، ورماه البنان^(٣)
فصادف مقتله ؛ ووصل معه المملوك والمملوكه اللذان سماهما هديّة ، وتزّه كرما أن
يقول عطية ؛ همّة ترجم السماكين ، ونعمة تملأ الأذن والعين ؛ وما حرك — أيده
الله — بكاتبه سا كما بحمده ، ولا نبه نأما عن قصده ؛ كيف وقد طلعت الشمس
التي صارها المغرب شرقا ، وهبت الريح التي صارها الحرمان رزقا ؛ صاحب لواء
الحمد ، وفارس ميدان المجد .
وهي رُقعةٌ طويلةٌ قد ذكرنا منها في المديح فصلا لا فائدة في إعادته .

ومن كلام أبي حفص عمر بن برد الأصغر الأندلسي ،
فن ذلك أمانٌ كتبته لمن عصى وعاود الطاعة :

- أما بعد ، فإن الغلبة لنا والظهور عليك جلباك إلينا على قدمك ، دون عهد^(٤)
ولا عقد ينعان من إراقة دمك ؛ وليكأ بما وهب الله لنا من الإشراف على سرائر^(٥)

(١) الحبر بكسر الحاء وفتحها : العالم . والحبر بكسر الحاء وفتح الباء : برود يمنية ، واحده حبرة
كعنبه ؛ يريد تشبيه الكلام في الحسن والرواق بحسن تلك البرود ووشبها .
(٢) يستعمل الإنذار بمعنى الإعلام مطلقا سواء أكان بخير أم بشر ؛ والمراد هنا الأول .
(٣) في الأصل : « البيان » بالياء المثناة ؛ وهو تحريف .
(٤) كذا في الذخيرة لابن بسام ؛ والذي في الاصل : « جلبابك » ؛ والياء زيادة من الناصح
إذ لم تقف فيما لدينا من كتب اللغة على تعدية هذا الفعل بالياء . (٥) في الذخيرة : « أسرار » .

الرياسة، والحفظ لشرائع السياسة، تأملنا من ساس جهتك قبلنا فوجدنا يد سياسته
 خرقاء، وعين حراسته عوراء، وقدم مداراته سلاء، لأنه غاب عن ترغيبك فلم ترجه،
 وعن ترهيبك فلم تخشسه، فأذتك حاجتك إلى طلاب المطامع الدنية، وقلة مهابتك
 إلى التهالك على المعاصي الوبيية؛ وقد رأينا أن تظهر فضل سيرتنا فيك، وتعتبر بالنظر
 في أمرك، فمهدنا لك الترغيب لتأنس إليه، وظللنا لك الترهيب لتفرق منه، فإن
 سوت الحالتان طبعك، وداوى الثقف والنار عودك، فذلك بفضل الله عليك،
 وبإظهاره حسن السياسة فيك، وأمان الله تعالى مبسوطاً منا، ومواثيقه بالوفاء
 معقودة علينا؛ وأنت إلى جهتك مصروف، وبعفونا والعافية منا مكتوف، إلا أن
 تطيش الصنعة عندك فتخلع الربة، وتمرق من الطاعة، فلسنا بأول من بُغى عليه،
 ولست بأول من تراءت لنا مقاتله من أشكالك إن بغيت، وانفتحت لنا أبواب
 استئصاله من أمثالك إن طليت.

ومن كلامه يعاتب بعض إخوانه :

أظلم لي جو صفائك، وتوعرت على طرق إخوانك؛ وأراك جلد الضمير على
 العتاب، غير نافع الغلة من الجفاء؛ فليت شعري ما الذي أقصى بهجة ذلك الود،
 وأذبل زهرة ذلك العهد؛ عهدى بك وصلتنا تفرق من أسم القطيعة، ومودتنا
 تسأل عن صفة العتاب ونسبة الجفاء، واليوم هي أنس بذلك من الرضيع بالثدى،
 والخليج بالكأس؛ وهذه ثغرة إن لم تحرسها المراجعة، وتذك فيها عيون الاستبصار
 توجهت منها الحيل على هدم ما بيننا، ونقض ما اقتنينا؛ وتلك نائمة الصفاء،
 والصارخة بموت الإخاء؛ لا أستند أعزك الله من الكتاب إليك - وإن رغم أنف

(١٠٩)

(١) في الأصل: «الاشيطر»؛ وهو تحريف. (٢) في الذخيرة: «والصائحة»؛ والمعنى
 يسهة تيم عليه أيضاً. (٣) كذا في الذخيرة لابن بسام؛ والذي في الأصل: «لا أستبد»؛ بآباء الموحدة.

القلم، وازنوت أحشاء القرطاس، وأحرفم الفكر، فلم يبق في أحدها إسعاد لي على مكاتبتك، ولا بشاشة عند محاولة مخاطبتك — لقوارص عتابك، وقوارع ملائك [التي أكلت أعلامك] (٣)، وأغصت كُتبتك (٤)، وأخجرت رُسلك، وضميرى طاولم يطعم تجنيا عليك، ونفسي وادعة لم تحرك ذنبا إليك، وعمدى مستحكِم لم يمسه وهن فيك؛ وأنا الآن على طرف الإخاء معك، فيما أن تبهرنى بحجة فأتصل عندك، وإما أن تنى بحقيقة فأستديم خلتك (٧)، وإما أن تازم على يسك فأقطع حبل منسك؛ كثيرا ما يكون عتاب المتصافين حيلة تُسبر المودة بها، وتُستثار دفائن الأخوة عنها، كما يعرض الذهب على اللهب، ويصفى المدام بالفدام، وقد يخلص الود على العتب خلوص الذهب على السبك، فأما إذا أعيد وأبدى وردد وتوالى فإنه يُفسد غرس الإخاء، كما يفسد الزرع توالى الماء.

ومن كلام أبي الوليد بن طريف من جواب عن المعتمد الى

ذى الوزارتين ابن ينفور صاحب شاطبة بسبب أبي بكر بن عمار:

(١) في الأصل: « وأمر » بالخاء المهملة. وفي الذخيرة لابن بسام: « وأحد » وهو تحريف في كليهما، صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق، وأجر بالجم: من الاجرار، وهو أن يشق لسان الفصيل للارضع؛ ويستعار الاجرار كما هنا للاسكات والمنع من النطق، قال عمرو بن معد يكرب:

فلو أن قومي أنطقني رماحهم * نطقت ولكن الرماح أجرت

يريد أن رماح قومه أسكته ومنعته عن الكلام. (٢) كذا في هامش الذخيرة قسم أول ترجمة أبي حفص المذكور، وهو المناسب لقوله بعد « وقوارع »؛ والذي في الأصل: « ومصاولة »؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى. (٣) هذه العبارة ساقطة من الأصل؛ وقد اثبتناها عن الذخيرة

إذ لا يستقيم الكلام بدونها. (٤) في الأصل: « وأعصت » بالعين المهملة؛ وهو تصحيف. (٥) في الذخيرة: « مستوثق »؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين. (٦) يقال: تنصل اليه من الجناية، أى خرج وتبرأ. (٧) الخلة بضم الخاء: المحبة والصدقة لا خلل فيهما. (٨) تازم بكسر الزاى المعجمة، أى تواظب وتدأب. (٩) في الذخيرة: « دفاق »؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين. (١٠) القدماء بكسر الفاء: المصفاة للكوز والإبريق ونحوهما.

وقفتُ على الإشارة الموضوعية من قبلك على إخلاصٍ دلَّ على وجوه السلامة ،
 المستنم فيها الى شرفٍ محتدكٍ وصفاءٍ معتقدك أكرم استنامة ؛ بالشفاعة فيمن
 أساء لنفسه حظ الاختيار ، وسبب لها سبب النكبة والعتار ؛ بغمطه لعظيم النعمة ؛
 وقطعه لعلائق العصمة ؛ وتخبُّطه في سنن غيِّه واستهدافه ، وتجاوزه في ارتكاب
 الجرائم وإسرافه ؛ حتى لم يدع للصالح موضعا ، وحرق ستر الإبقاء بينه وبين مؤلى
 النعمة عنده فلم يترك فيه مرقعا ؛ وقد كان قبل استشرأ رأيه ، وكشفه لصفحة
 المعاندة ، وإبدائه غدره في جميع جنائياته مقبولا ، وجانب الصفح له معرضا مبذولا ؛
 لكن عدته جوانب الغواية ، عن طرق الهداية ؛ فاستمر على ضلاله ، وزاغ عن سنن
 اعتداله ؛ وأظهر المناقضة ، وتعرض بزعمه الى المساورة والمعارضة ؛ فلم يزل يريغ
 الغوائل ، وينصب الجائل ؛ ويركب في العناد أصعب المراكب ، ويذهب منه
 في أوعر المذاهب ؛ حتى علقته تلك الأشراك التي نصبها ، وتشبثت به مساوي
 المقدمات التي جرَّها وسببها ؛ فذاق وبال فعله ، «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ»
 ولم يحصل في الأنشوطية التي تورطها ، والحنة التي اشتمت عليه وتوسطها ؛ إلا ووجه
 العفولة قد أظلم ، وباب الشفاعة فيه قد أهبم ؛ ومن تأمل أفعاله الذميمة ، ومذاهبه
 اللثيمة ؛ رأى أن الصفح عنه بعيد ، والإبقاء عليه داء حاضر عتيد .

وفي فصل منه : فوق المناضلة الدولة نبأه ، وأعمل في مكايدها جهده
 وأحتياله ؛ ثم لم يقتصر على ذلك بل تجاوزه الى إطلاق لسانه بالذم الذي صدر عن

(١) أورد ابن بسام هذه الرسالة في ترجمة الوزير أبي بكر بن عمار .

(٢) كذا في الأصل ؛ ولعله : «من» . (٣) عبارة الذخيرة : «على أخلص وجود» الخ .

(٤) في الأصل : «عن» وهو تحريف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٥) يريغ : يطلب ويريد . (٦) أهبم الباب ، أغلق .

لؤم نجاره ، والطين الشاهد بجبث طويته وإضماره ؛ ومن فسَد هذا الفساد كيف
يرجى استصلاحه ، ومن استبطن مثل غله كيف يؤمل فلاحه ؛ ومن لك بسلامة
الأديم النعل^(١) ، وصفاء القلب الدغل ؛ وعلى ذلك فلا أعتقد عليك فيما عرضت به
من وجه الشفاعة غير الجميل ، ولا أتعدي فيه حسن التأويل ؛ ولو وفدت شفاعتك
في غير هذا الأمر الذي سبق فيه السيف العدل ، وأبطل عاقل الأقدار فيه الإلطاق^(٢)
والحيل ، لتلقت بالإجلال ، وقوبلت ببالغ المبرة والاهتيال^(٣) .

ومن كلام ذي الوزارتين أبي المغيرة بن حزم من رسالة .
لم أزل أزجر لقاء سيدي السائح ، وأستطر الغادى والرائح^(٤) ؛ وأروم آقتناصه
ولو بشرك المنام ، وأحاول اختلاسه ولو بأيدى الأوهام ؛ وأعاتب الأيام فيه فلا تعتب ،
وأقودها إليه فلا تصحب ؛ حتى إذا غلب الياس ، وشمت الناس ؛ وضربت بي
الأمثال ، فقيل : أكثرُ الآمال ضلال ؛ تنبه الدهر من رقدته ، وحل من عقدته ؛
وقيل مني ، وأظهر الرضى عنى ؛ وقال : دونك ما طمح^(٦) فقد سمح^(٧) ، وإليك فقد دنا
ما قد جمح ؛ فطرتُ بجناح الأرياح ، وركبتُ الى الغمام كواهل الرياح ؛ وقلتُ :
فرصة تغتنم^(٨) ، وركن يُستلم ؛ وطرقتُ روضة [العلم] عميمة الأزهار ، فصيححة الأطيوار ؛

- ١٥ (١) الأديم : الجلد . والنعل : الفاسد في الدباغ ؛ وبابه فرح . (٢) لعله «عاجل» بالجم
كما يدل عليه سياق ما قبله . (٣) الاهتيال : الاغتنام ؛ والمراد اغتنام العمل بها .
(٤) في الأصل : «ابن» والتصويب عن الذخيرة قسم أول ترجمة أبي المغيرة بن حزم .
(٥) في الأصل : «الذاجح» بالذال المعجمة والباء الموحدة ؛ وهو تصحيف .
(٦) طمح ، من الطماح بكسر الطاء ، وهو الجمح .
(٧) في الذخيرة : «فقد سنح» بالنون ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .
٢٠ (٨) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أمثناها عن الذخيرة .

رِياً الجداول، باردة الضحى والأصائل؛ وطفت بكعبة الفضل مصونة الحبر، ملثومة^(١)
 الحجر، عزيزة المقام، معمورة المشعر الحرام؛ فما شئنا من محاضرة، تجمع بين الدنيا
 والآخرة؛ بين يدي نثر يذني الإعجاز، ونظم ما أشبه الصدور بالأعجاز؛ وحديث
 تُشَقِّفُ العقول بأرائه، وتُرَوِّى بصافى مائه؛ فحين شَمَخَ بالظفر أنفى، وأهترَّ لنيْلِ
 الأملِ عِطْفَى — والدهر يضحك سراً، ويتأبط شراباً؛ وقد أذهلنى الجدُّلُ عن سوء
 ظنِّى به، وأوهمنى نزوعه عن ذمِّمِ مذهبه — أتت ألوانه، وفساظِرُ بانه؛ ونادى: ليقيم
 من قعد، وينتبه من رقد؛ إنما قَبَّرْتُ تلك الفترة، ليكون ما رأيتَ عليك حسرة؛
 وسمحتُ لك مرّة، لتذوق من الأسف عليها كأسامرة؛ فرأيتُ وقد غطى على
 بصرى، وعقلتُ وكنت في عمياء من خبرى؛ وقلتُ: هو الذى أعهدده من لؤمه،
 وأعرفه من شؤمه؛ فما وهب، إلا وسلب؛ ولا أعطى، إلا ساعاتٍ كإبهام القطا؛
 فياله من قادرٍ ما لأُمِّ قدرته، وذابحٍ ما أَحَدٌ شَفَرْتَهُ! ولو تَسَلَّطَ علينا، من يُظْهِرُ
 شخصه إلينا، لأدركته رماحنا، [وعصفتُ به رباحنا]^(٥)؛ لكنه أميرٌ من وراء سِجْفٍ،
 يسعى بلا رجلٍ ويصول بلا كفٍ.

ومن كلام الوزير الكاتب أبى محمد بن عبد الغفور الى بعض

إخوانه — وكان قد وصف له امرأة ومدحها وحضه على زواجها، وكان لذلك
 الصديق امرأة سوداء — فأجابه ابن عبد الغفور:

(١) كذا في الأصل؛ والحبر: البرود اليمنية؛ ولعل المراد بجبر الكعبة: أستارها. والذى في الذخيرة

لابن بسام: «الحرم»، والمعنى يستقيم عليه أيضاً. (٢) عبارة الذخيرة: «تقف العقول بازائه».

(٣) في الأصل: «بزوغه» بالباء الموحدة والغين المعجمة؛ وهو تصحيف.

(٤) في الأصل: «وفشى طريانه» بالشين المعجمة والطاء المهملة وهو تصحيف. والظربان

بفتح الطاء المعجمة وكسر الراء دويبة كالهرة مننتة الريح؛ ويقال: فسا بينهم الظربان، أى تفرقوا.

(٥) الزيادة عن الذخيرة؛ وبها يتم السجع الذى التزمه الكاتب في رسالته.

بينما كنت ناظرا من المرأة في شعرٍ أحمّ، ورأسٍ أجّم، لا أخاف معه النوم،
إذ تقدّم رسولك إلىّ، يخطب بنت فلانٍ عليّ؛ ويرغب منها في سعة مال، وبراءة
جمال؛ ويقسم إنها لبرةٌ بالزوج بريكة، لا تحوجه عند النوم إلى أريكة؛ ولو يسرتُ
— وعيادا بالله — لهذا النكاح، لرزقتُ قبل الولد منها آلة النطاح؛ ولا حاجة لي بعد

٥. الدعة والسكون، [إلى حرب زبون، وقيراج بالقرون]، ولو حملت إلى تاج كسرى
وكنوز قارون؛ فاطلب هذه السلعة المباركة مشتريا غيرى، ولا تسقها ولو في النوم
إلى . . . وأبتعها ولو بأرفع الأثمان إلى نفسك، وأضف عاجها النفيس إلى أنوس^(٥)
عرسك؛ ولا عذر لها في النشور والإعراض، وإنما يحسن السواد الخالك بالبياض؛
والله يمدك بقرنين قبل الحين، ويضع لك صنعين وبيّين^(٦)، فيسقطك بهذا النكاح
الثاني للفم كما أسقطت بالأقول لليدين .

(١) الأحم: الأسود . (٢) في الأصل: «النكاح» وهو تحريف . (٣) التكمة عن
الذخيرة لابن بسام . (٤) الكلمة المحذوفة هنا لا تخفى على فطنة القارئ (٥) كذا ضبط هذا
اللفظ بالعبرة في تاج العروس، فنص على أنه بكسر الموحدة . (٦) الصنعين: تثنية صنع بالكسر،
وهو سفود الشواء .

١٥. كل السفر السابع من كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري
رحمه الله تعالى — ويليه الجزء الثامن منه، وأوله:
ذكر نبذة من كلام القاضي الفاضل

وكان تمام طبعه في يوم الجمعة ٩ ذى القعدة سنة ١٣٤٧ (١٩ أبريل
سنة ١٩٢٩) .

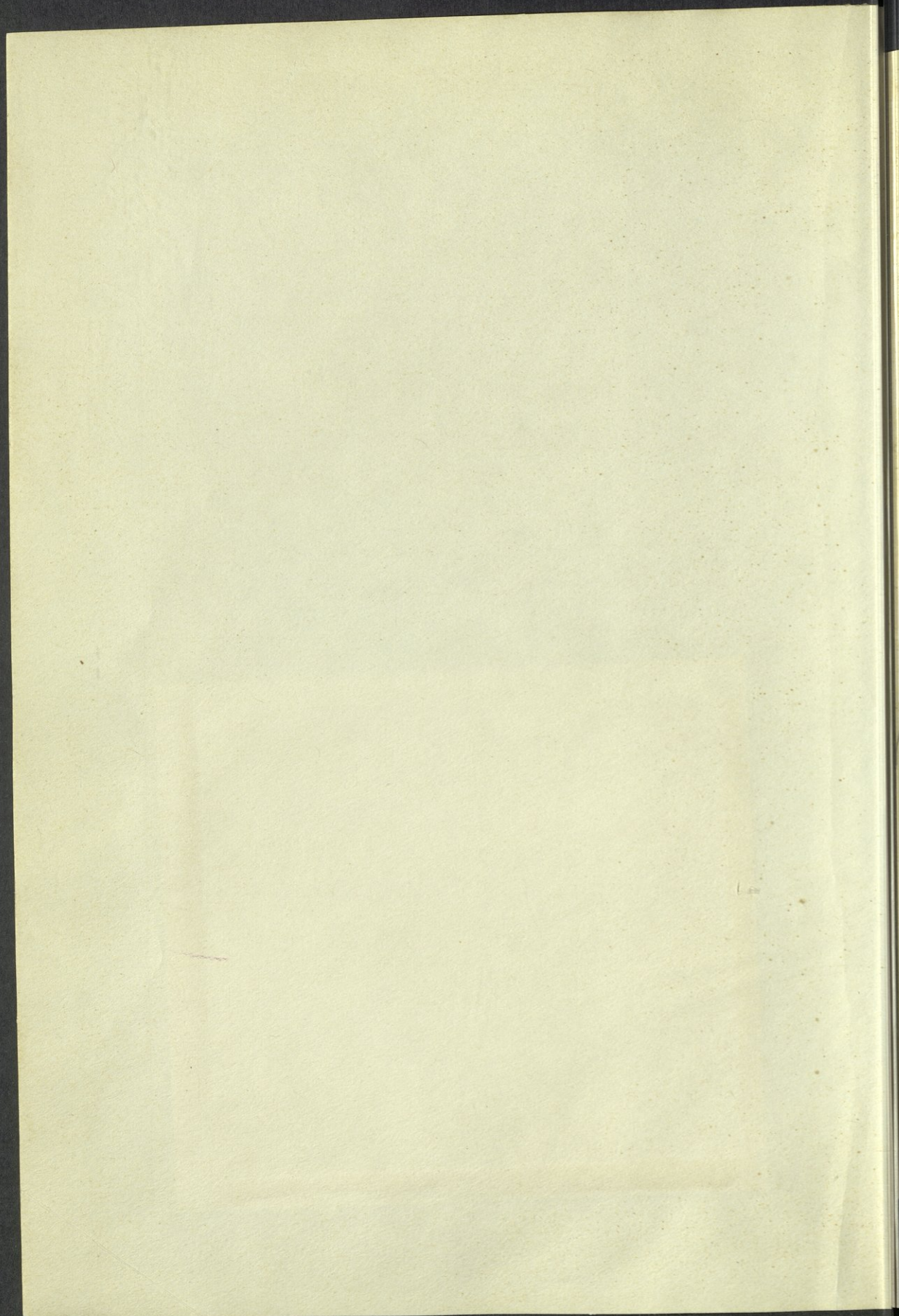
٢٠. بدار الكتب المصرية
محمد نديم

إصلاح خطأ

عثرنا بعد طبع هذا الجزء على يسير من الأغلط المطبعية
فأرأينا أن نثبتها هنا ليستدركها القراء .

صواب	خطأ	س	ص
ملىء (بضمين)	ملىء	٦	٩
التندير	التنديد	١٤	٣٦
همو	هموا	٨	٦٧
يريكم (بضم الميم)	يريككم	٧	١٣٦
بنو	بنوا	١١	١٣٩
بنو	بنوا	٥	١٣٩
الحيا	الحجي	٢٦١	١٥٩
جرية (بكسر الجيم)	جرية	١	١٦١
ليس (بدون واو)	وليس	٨	١٦٦
انجلى	انجلى	٣	١٧٨
بسبقة	بشقه	١٥	٢٣٧





892.78
N98nA
v.7

J. LIB.

~~24 AUG 1985~~
J. LIB.

~~24 AUG 1985~~

J. LIB.

~~0 OCT 1985~~

JAFET LIB.

~~1 FEB 1978~~

JAFET LIB.
- 4 MAR 2005 *
Circulation Dept. 1

J. LIB.

JAFET LIB

~~18 FEB 1987~~

~~FEB 1987~~

JAFET LIB.
08 NOV 2000
Circulation Dept. 2

892.78:N98nA.v.7:c.1

النويرى، ابو العباس احمد بن عبد الوه
نهاية الأرب في فنون الأديب

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01045258

